

نَبِيَسُ بْنُ بَلِيَسٍ

للمحافظ الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن
ابن الجوزي البغدادى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ



عنيت بذممه وتصحيحه والتعليق عليه للمرة الثانية سنة ١٣٦٨ هجرية

إِدَارَةُ الطَّبَاعَةِ الْمَنُشْرِئَةِ

بمساعدة بعض علماء الأزهر الشريف



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي سلم ميزان العدل إلى أكف ذوى الألباب . وأرسل الرسل مبشرين ومنذرين بالثواب والعقاب . وأنزل عليهم الكتب مبينة للخطأ والصواب وجعل الشرائع كاملة لا نقص فيها ولا عاب (١) . أحمده حمد من يعلم أنه مسبب الأسباب . وأشهد بوحدايته شهادة مخلص في نيته غير مرتاب . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله ، وقد سدل الكفر على وجه الإيمان الحجاب . فندسخ الظلام بنور الهدى وكشف النقاب . وبين للناس منازل إليهم ، وأوضح مشكلات الكتاب . وتركهم على المحجة البيضاء لا سرب فيها (٢) ولا سراب . ف صلى الله عليه وعلى جميع الآل وكل الأصحاب . وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الحشر والحساب . وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ، فإن أعظم النعم على الإنسان العقل ، لانه الآلة في معرفة الإله سبحانه والسبب الذي يتوصل به إلى تصديق الرسل ، إلا أنه لما لم ينهض بكل المراد من العبد ، يُعِثَّتِ الرسلُ وأنزلت الكتبُ ، فثال الشرع الشمس ، ومثال العقل العين ، فإذا فتحت وكانت سليمة رأت الشمس . ولما ثبت عند العقل أقوال الأنبياء الصادقة بدلائل المعجزات الخارقة ، سلم إليهم واعتمد فيما يخفى عنه عليهم . ولما أنعم الله على هذا العالم الإنسى بالعقل افتتحه الله بنبوته أبيهم آدم عليه السلام . فكان يعلمهم عن وحى الله عز وجل فكانوا على الصواب إلى أن انقرد

(١) عاب عيباً فهو عائب والاسم عاب كما هنا .

(٢) السَّرْبُ بفتح السين والوكر والسراب الذي تراه نصف النهار كأنه ماء ولا ماء يشير المصنف إلى ما رواه ابن ماجه في سننه عن أبي الدرداء مطولاً من قوله صلى الله عليه وسلم « وأيم الله لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء » .

قاييل بهواه فقتل أخاه ثم تشعبت الأهواء بالناس فشردهم في بيداء الضلال حتى عبدوا الأصنام واختلفوا في العقائد والأفعال اختلافاً خالفوا فيه الرسل والعقول اتباعاً لأهوائهم ، وميلاً إلى عاداتهم ، وتقليداً لكبرائهم ، فصدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين .

﴿فصل﴾ واعلم أن الأنبياء جاءوا بالبيان الكافي ، وقابلوا الأمراض بالدواء الشافي ، وتوافقوا على منهاج لم يختلف . فأقبل الشيطان يخلط بالبيان شبهاً ، وبالدواء سماً ، وبالسبيل الواضح جرداً (١) مضلاً ، وما زال يلعب بالعقول إلى أن فرق الجاهلية في مذاهب سخيصة ، وبدع قبيحة ، فأصبحوا يعبدون الأصنام في البيت الحرام ، ويحرمون السائبة (٢) والبحيرة والوصيلة والحام ، ويرون وأد البنات ، ويمنعون الميراث ، إلى غير ذلك من الضلال الذي سوله لهم إبليس (٣)

(١) يقال مكان جرد أى لانبات فيه ، ويقال أيضاً : جرد بالمعجمه .

(٢) هى الناقة المذكورة تسبب فترعى حيث شاءت فلا يمسها أحد بسوء .
والبحيرة بنتها تبحر أذنفاً أى تشق وتخل مع أمها (والوصيلة هى الشاة تلد سبعة أبطن عناقين عناقين أى اثنين ، فإن ولدت فى الثامنة جدياً ذبحوه لآلهتهم ، وإن ولدت جدياً وعناقاً قالوا وصلت أخاها فلا يذبحونه من أجلها ، ولا تشرب لبنها النساء وكان للرجال ، وجرت مجرى السائبة والحام غل الإبل يضرب الضراب المعدود ، فإذا قضاه تركوه للطواغيت وأعفوه من الحمل .

(٣) اعلم أن الشرع جاء هادماً لهذه العادات القبيحة محذراً من كل سوء . ناهياً عن كل شرك ، محبباً فى كل جميل ، فاعتنقه الكثر ودخله الناس أزواجاً وأفذاذاً وانتشر فى جميع الأرض فى أقرب وقت انتشاراً لم يعهد له نظير من قبل ومن بعد . واستمر على ذلك والناس تعتنقه طوعاً لا كرهاً إلى أن دخل فيه أفراد من اليهود والمجوس وانسبوا إليه ظاهراً وهم فى الواقع يعملون على هدمه وتقويض دعائمه . فأخذوا يوقدون نار الفتنة بين أهله ويدخلون فيه أشياء من التى كان ينهى عنها يحسنونها لعامة الناس حتى شوهوا معاملته واتخذها من جاء بعدهم من لا يميزون بين الصحيح والسقيم والحق والباطل ديناً يتقربون بها إلى ربهم والله تعالى أعز شأناً من أن يتعبد الناس بمثل هذه الضلالات . ومن ذلك نذر الغنم والبقر وغيرها

فابتعث الله سبحانه وتعالى محمداً ﷺ ، فرفع المقابح ، وشرع المصالح . فسار أصحابه معه وبعده في ضوء نوره ، سالمين من العدو وغروره . فلما انسلخ نهار وجودهم . أقبلت أغباش الظلمات ، فعادت الأهواء تنشىء بدعاً ، وتضيق سبيلاً . مازال متسعاً ، ففرق الأكثرون دينهم وكانوا شيعاً ، ونهض إبليس يلبس ويزخرف ويفرق ويؤلف وإنما يصح له التلصص في ليل الجهل . فلو قد طلع عليه صبح العلم افتضح .

فرايت أن أحذر من مكايده ، وأدل على مصايده . فإن في تعريف الشر تحذيراً عن الوقوع فيه . ففي الصحيحين من حديث حذيفة قال : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر . مخافة أن يدركني وقد أخبرنا أبو البركات سعد الله بن علي البراز قال أخبرنا أحمد بن علي الطريثي قال أخبرنا هبة الله بن حسن الطبري قال أخبرنا أحمد بن أحمد بن سهل قال ثنا محمد بن أحمد بن الحسن قال حدثنا بشر بن موسى قال حدثنا عبيد بن يعيدش قال حدثنا يونس بن بكير قال حدثنا محمد بن إسحاق عن الحسن أو الحسين بن عبد الله عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : والله ما أظن على ظهر الأرض اليوم أحداً أحب إلى الشيطان هلاكاً مني . فقيل وكيف ؟ فقال : والله إنه ليحدث البدعة في مشرق أو مغرب فيحملها الرجل إلى فاذا انتهت إلى قمعتها بالسنة فترد عليه كما أخرجها .

﴿فصل﴾ وقد وضعت هذا الكتاب محذراً من فتنه ، ومخوفاً من محنه ، وكاشفاً عن مستوره ، وفاضحاً له في خفي غروره . والله المعين بجوده ، كل صادق في مقصوده .

للأولياء يتركونها ترعى حيث شاءت لا يمسها أحد بسوء ظناً منه بل اعتقاداً أنها محسوبة لذلك الولي مكسوة بعينه أنى ذهبت . فلو منعها من زرعه لا تنقم منه ذلك الولي بما شاء وهذا بعينه ما كان عليه أهل الجاهلية الأولى ، قال الله تعالى : « ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم تالله لتسئلن عما كنتم تفترون » . اللهم وفق علماءنا وأمرأنا إلى رد هذه العقائد الفاسدة التي شوهت وجه الدين وجعلت عليه غشاه من ظلماتها حجبت نوره الساطع الذي هو هدى ورحمة وبشرى لقوم يؤمنون .

وقد قسمته ثلاثة عشر باباً ينكشف بمجموعها تلبيسه ، ويتبين للفظن بفهمها
تدليسه ، فمن انتفض عزمه للعمل بها ضجج منه إبليس . والله موفق فيما قصدت ،
وملهى للصواب فيما أردت .

﴿ ذكر تراجم الأبواب ﴾

- (الباب الأول) في الأمر بلزوم السنة والجماعة
- (الباب الثاني) في ذم البدع والمبتدعين
- (الباب الثالث) في التحذير من فتن إبليس ومكائده
- (الباب الرابع) في معنى التلبيس والغرور
- (الباب الخامس) في ذكر تلبيسه في العقائد والديانات
- (الباب السادس) في ذكر تلبيسه على العلماء في فنون العلم
- (الباب السابع) في ذكر تلبيسه على الولاة والسلطين
- (الباب الثامن) في ذكر تلبيسه على العباد في فنون العبادات
- (الباب التاسع) في ذكر تلبيسه على الزهاد
- (الباب العاشر) في ذكر تلبيسه على الصوفية
- (الباب الحادى عشر) في ذكر تلبيسه على المتدينين بما يشبه الكرامات
- (الباب الثانى عشر) في ذكر تلبيسه على العوام
- (الباب الثالث عشر) في ذكر تلبيسه على الكل بتطويل الأمل

﴿ الباب الأول ﴾

الأمر بلزوم السنة والجماعة

أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن على الشيمى نا أحمد بن جعفر بن حمدان
ثنا عبد الله بن أحمد حدثنى أبى عن ابن إسحاق نا ابن المبارك ثنا محمد بن سودة
عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما خطب
بالجاية فقال : قام فينا رسول الله ﷺ فقال « من أراد منكم بحجوة

الجنة (١) فليزوم الجماعة ، فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد ، أخبرنا أحمد وحدثنا جرير عن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة ، قال : خطب عمر الناس بالجالية ، فقال إن رسول الله ﷺ قام في مثل مقامي هذا ، فقال « من أحب منكم أن ينال بحبوة الجنة فليزوم الجماعة ، فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد » قال الترمذی : هذا حديث حسن صحيح . أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك الحافظ ويحيى بن علي المديني نا أبو محمد الصريفي نا أبو بكر محمد بن الحسن بن عبدان نا أبو محمد بن صاعد نا سعيد بن يحيى الأموي نا أبو بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود عن زر عن عمر بن الخطاب . قال قال رسول الله ﷺ : « من أراد بحبوة الجنة فليزوم الجماعة ، فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد » حدثنا عبد الأول بن عيسى نا أبو القصار بن يحيى نا أبو الحسن علي بن عبد العزيز أنبا نا أبو عبيد نا النضر بن إسماعيل عن محمد بن سوقة عن عبد الله بن دينار عن عمر ، قال قال رسول الله ﷺ : « من سره أن يسكن بحبوة الجنة فليزوم الجماعة ، فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد » أخبرنا عبد الأول نا أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز الفارسي نا عبد الرحمن بن أبي شريح نا ابن صاعد نا إبراهيم بن سعد الجوهري نا أبو معاوية عن يزيد بن مردانبة عن زياد بن علاقة عن عرفة ، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : يد الله على الجماعة ، والشيطان مع من يخالف الجماعة ، أخبرنا محمد بن عمر الأرموي والحسين بن علي المقرئ نا عبد الصمد بن المأمون نا علي بن عمر الدارقطني نا أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول حدثني أبي نا محمد بن يعلى نا سلمان العامري عن الشيباني عن زياد بن علاقة عن أسامة ابن شريك ، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : يد الله على الجماعة ، فإذا شد الشاذ منهم اختطفته الشياطين كما يختطف الذئب الشاة من الغنم . أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر نا عبد الله بن أحمد حدثني أبي أنبا نا أسود بن عامر نا أبو بكر عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله ، قال : خط (١) محبوبة الدار وسطها يقال تبجح إذا تمكن وتوسط المنزل والمقام .

رسول الله ﷺ خطأ بيده ، ثم قال هذا سبيل الله مستقيماً . قال ثم خط عن يمينه وشماله ثم قال : هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه ، ثم قرأ « وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل » وبالإسناد قال أحمد وثنا روح ثنا سعيد عن قتادة قال ثنا العلاء بن زياد عن معاذ بن جبل رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم ، يأخذ الشاة القاصية والناحية » فأياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والعامّة والمسجد . حدثنا أحمد ثنا أبو اليمان ثنا ابن عياش عن أبي البحتري بن عبيد ابن سليمان عن أبيه عن أبي ذر عن النبي ﷺ ، أنه قال : اثنان خير من واحد ، وثلاثة خير من اثنين ، وأربعة خير من ثلاثة . فعليكم بالجماعة فإن الله عز وجل لم يجمع أمتي إلا على الهدى .

أخبرنا عبد الملك بن القاسم الكروخي قال أخبرنا أبو عامر الأزدي وأبو بكر العروجي قالوا أخبرنا الحراجي قال أخبرنا المحبوبي ثنا الترمذي ثنا محمود بن غيلان ثنا أبو داود الحفري عن سفیان عن عبد الرحمن بن زياد الإفريقي عن عبد الله ابن يزيد عن ابن عمر . قال قال رسول الله ﷺ : لياتين على أمتي كما أتى على بني إسرائيل ، حذو النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية ، لكان في أمتي من يصنع ذلك ، وإن بني إسرائيل تفرقت (١) على ثنتين وسبعين ملة وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة ، قالوا : من هي يا رسول الله ؟ قال ما أنا عليه وأصحابي . قال الترمذي هذا حديث حسن غريب لا يعرف إلا من هذا الوجه . وروى أبو داود في سننه من حديث معاوية بن أبي سفيان ، أنه قام فقال : ألا إن رسول الله ﷺ قام فينا فقال : ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة ، وإن هذه

(١) قال أبو منصور البغدادى للحديث الوارد في افتراق الأمة أسانيد كثيرة وقد رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة كأنس بن مالك ، وأبي هريرة ، وأبي الدرداء ، وجابر ، وأبي سعيد الخدري ، وأبي بن كعب ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وأبي أمامة وغيرهم .

الملة تستفترق على ثلاث وسبعين ، ثنتان وسبعون في النار ، وواحدة في الجنة وهي الجماعة وإنه سيخرج من أمتي أقوام تجارى (١) بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه .

أخبرنا أبو البركات بن علي البزاز نا أحمد بن علي الطريثي نا هبة الله بن الحسين الحافظ نا محمد بن الحسين الفارسي نا يوسف بن يعقوب بن إسحاق ثنا العلاء بن سالم ثنا أبو معاوية ثنا الأعمش بن مالك بن الحارث عن عمارة عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله ، قال : لاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة . أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك نا أحمد بن الحداد نا أبو نعيم الحافظ ثنا محمد بن أحمد بن الحسين ثنا بشر بن موسى ثنا محمد بن سعيد ثنا ابن المبارك عن الربيع عن أبي العالية عن أبي بن كعب ، قال : عليكم بالسبيل والسنة ، فإنه ليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن فهاضت عيناه من خشية الله فتمسه النار . وإن اقتصاداً في سبيل وسنة ، خير من اجتهاد في إخلاف . أخبرنا سعد الله ابن علي نا الطريثي نا هبة الله بن الحسين نا عبد الواحد بن عبد العزيز نا محمد ابن أحمد الشرقي ثنا عثمان بن أيوب نا إسحاق بن إبراهيم المروزي . قال ثنا أبو إسحاق الأقرع قال سمعت الحسن بن أبي جعفر يذكر عن أبي الصهباء عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : النظر إلى الرجل من أهل السنة يدعو إلى السنة وينهى عن البدعة عبادة . أخبرنا محمد بن أبي القاسم قال نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم الأصبهاني ثنا محمد بن أحمد بن الحسن ثنا بشر بن موسى ثنا الحميدى قال أنبأنا سفيان بن عيينة ، قال : سمعت عاصم الأحول يحدث عن أبي العالية ، قال : عليكم بالأمر الأول الذي كانوا عليه قبل أن يفترقوا - قال عاصم فحدثت به الحسن ، فقال : قد نصحك والله وصدقك . أخبرنا محمد بن عبد الباقي نا أحمد بن أحمد نا أحمد بن عبد الله الحافظ أنبأنا

(١) بحذف إحدى التاءين أي تدخل وتسرى تلك الأهواء أي البدع والكلب بفتح الكاف واللام داء يعرض للإنسان من عن الكلب الكلب ، وهو داء يصيب الكلب فيصيبه شبه جنون فلا يعنى أحداً إلا كلب . نسأل الله السلامة .

محمد بن أحمد بن الحسن أنبأنا بشر بن موسى نا معاوية بن عمرو نا أبو إسحاق الفيزاري . قال قال الأوزاعي . اصبر نفسك على السنة ؛ وقف حيث وقف القوم ، وقل بما قالوا ، وكف عما كفوا عنه ، واسلك سبيل سلفك الصالح ، فإنه يسعك ما وسعهم . أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا أحمد بن أحمد نا أحمد بن عبد الله الحافظ أنبأنا محمد بن عبد الله بن أسلم أنبأنا محمد بن منصور الهروي ثنا عبد الله بن عروة ، قال : سمعت يوسف بن موسى القطان يحدث عن الأوزاعي ، قال : رأيت رب العزة في المنام ، فقال لي يا عبد الرحمن ، أنت الذي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، فقلت : بفضلك يارب . وقلت يارب أمتني على الإسلام ، فقال : وعلى السنة . أخبرنا محمد بن أبي القاسم أنبأنا أحمد ابن أحمد نا أحمد بن عبد الله الحافظ ثنا إبراهيم بن أبي عبد الله ثنا محمد بن إسحاق سمعت أبا همام السكوني يقول : حدثني أبي قال سمعت سفيان يقول : لا يقبل قول إلا بعمل ولا يستقيم قول وعمل إلا بنية ، ولا يستقيم قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة . أخبرنا محمد نا أحمد نا أبو نعيم أنبأنا محمد بن علي ثنا عمرو ابن عبدويه ثنا أحمد بن إسحاق ثنا عبد الرحمن بن عفان قال ثنا يوسف بن أسباط ، قال قال سفيان : يا يوسف إذا بلغك عن رجل بالمشرق أنه صاحب سنة فابعث إليه بالسلام ، وإذا بلغك عن آخر بالمغرب أنه صاحب سنة فابعث إليه بالسلام ، فقد قل أهل السنة والجماعة . أخبرنا سعد الله بن علي نا أحمد بن علي الطريثي نا هبة الله بن الحسين الطبري نا محمد بن عبد الرحمن نا البخوي نا محمد بن زياد البلدي ثنا أبو أسامة عن حماد بن زيد قال أيوب : إني لأخبر بموت الرجل من أهل السنة فكأنني أفقد بعض أعضائي . وبه قال الطبري وأخبرنا الحسين بن أحمد ثنا عبد الله اليزدجردي ثنا عبد الله بن وهب ثنا إسماعيل بن أبي خالد قال ثنا أيوب بن سويد عن عبد الله بن شاذب عن أيوب . قال قال : إن من سعادة الحدث والأعجمي أن يوفقهما الله تعالى لعالم من أهل السنة .

قال الطبري وأخبرنا أحمد بن محمد بن حنون ثنا جعفر بن محمد بن فضال ثنا

أحمد بن محمد بن مسروق ثنا محمد بن هارون أبو نسيط ثنا أبو عمير بن النحاس
ثنا ضمرة عن ابن شاذب . قال : إن من نعمة الله على الشباب إذا نسك ؛ أن
يؤاخي صاحب سنة يحمله عليها . قال الطبري وأخبرنا عيسى بن علي ثنا البغوي
ثنا محمد بن هارون ثنا سعيد بن شبيب ، قال : سمعت يوسف بن أسباط ،
يقول : كان أبي فدريا وأخوالى روافض فأنفذني الله بسفيان . قال الطبري
وأخبرنا أحمد بن محمد بن حفص نا عبد الله بن عدي ثنى أحمد بن العباس الهاشمي
ثنا محمد بن عبد الأعلى . قال : سمعت معتمر بن سليمان يقول : دخلت على
أبي وأنا منكسر فقال لي مالك ؟ قلت مات صديق لي فقال مات على السنة ؟ قلت :
نعم ؟ قال تحزن عليه : قال الطبري وأخبرنا أحمد بن عبد الله نا محمد بن الحسين
ثنا أحمد بن زهير ثنا يعقوب بن كعب ثنا عتبة ثنا عبد الله بن المبارك عن سفيان
الثوري ، قال : استوصوا بأهل السنة خيراً ، فانهم غرباء . أخبرنا أبو منصور
ابن حيرون نا إسماعيل بن أبي الفضل الإسماعيلي نا حمزة بن يوسف السهمي
نا عبد الله بن علي الحافظ نا أبو عوانة ثنا جعفر بن عبد الواحد قال : قال لنا
ابن أبي بكر بن عياش : السنة في الإسلام ، أعز من الإسلام في سائر الأديان .
سمعت أبا عبد الله الحسين بن علي المقرئ يقول : سمعت أبا محمد عبد الله
ابن عطاء يقول : سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله الاسكندراني يقول :
سمعت أبا منصور محمد الأزدي يقول : سمعت أبا العباس أحمد بن محمد بن
فراشة يقول : سمعت أحمد بن منصور يقول : سمعت الحسن بن محمد الطبري
يقول : سمعت محمد بن المغيرة يقول : سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول :
سمعت الشافعي يقول : إذا رأيت رجلاً من أصحاب الحديث ، فكأنني رأيت
رجلاً من أصحاب النبي ﷺ : أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا أحمد أبو نعيم
أخبرني جعفر الخلدی فی کتابه ، قال سمعت الجنيد يقول : الطرق كلها
مسدودة على الخلق ، إلا من اقتفى أثر الرسول ﷺ واتبع سنته ولزم
طريقته ، فإن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه . أخبرنا عمر بن ظفر نا جعفر
ابن محمد نا عبد العزيز بن علي الأزجي نا علي بن عبد الله بن جهم نا محمد

ابن حبان ، قال : سمعت حامد بن إبراهيم يقول قال الجنيد بن محمد : الطريق إلى الله عز وجل مسدودة على خلق الله تعالى ، إلا على المقتفين آثار رسول الله ﷺ والتابعين لسنته . كما قال الله عز وجل : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة » .

﴿ الباب الثاني ﴾

في ذم البدع والمبتدعين

أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن محمد بن الحصين الشيباني قال : أخبرنا أبو علي الحسن بن علي بن المذهب نا أبو بكر أحمد بن حمدان نا أبو عبد الله بن حنبل قال : أخبرني أبي ثنا يزيد عن إبراهيم بن سعد أخبرني أبي وأخبرنا أبو غالب محمد بن الحسن الماوردي وأبو سعد البغدادي قالنا نا المطهر بن عبد الواحد نا أبو جعفر أحمد بن محمد المرزبان نا محمد بن إبراهيم الخروزي ثنا لوين ثنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : من أحدث في أمرنا ما ليس فيه فهو رد . أخبرنا موهوب بن أحمد نا علي بن أحمد البصري ثنا محمد بن عبد الرحمن المخلص ثنا عبد الله بن محمد البغوي ثنا أحمد بن إبراهيم الموصلي وإسحاق بن إبراهيم المروزي قالنا ثنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن القاسم بن محمد عن عائشة . قالت قال رسول الله ﷺ : من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد . قال البغوي وحدنا عبد الأعلى بن حماد ثنا عبد العزيز عن عبد الواحد بن أبي عون عن سعد بن إبراهيم عن القاسم عن عائشة رضي الله عنها . أن النبي ﷺ قال : من فعل أمرأ ليس عليه أمرنا فهو رد - أخرجاه في الصحيحين . أخبرنا هبة الله ابن محمد نا الحسن ابن علي نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن أحمد ثني أبي ثنا هشيم عن حصين بن عبد الرحمن ومغيرة الضبي عن مجاهد عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ ، أنه قال : من رغب عن سنتي فليس مني - انفرد بإخراجه البخاري . أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر نا عبد الله

ابن أحمد حدثني أبي ثنا الوليد بن مسلم ثنا ثور بن يزيد ثنا خالد بن معدان حدثني عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر بن حجر . قالوا : أتينا العرياض بن سارية وهو بمن نزل فيه ، ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم ، قلت لأجد ما أحملكم عليه ، فحملنا وقلنا أتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين . فقال عرياض : صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح ذات يوم ثم أقبل علينا بوجهه فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ، فقال قائل : يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا ، فقال : أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً ، فإنه من يعش بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ثمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح . أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أبو بكر ابن مالك ثنا عبد الله بن أحمد ثنا أبي ثنا عبد الله بن الوليد ثنا سفيان عن الأعمش عن أبي وائل وعن ابن مسعود ، قال قال رسول الله ﷺ : أنا فرطكم على الحوض ، وليختلجن رجال دوني ، فأقول يارب أصحابي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك - أخرجه في الصحيحين . أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا أحمد ابن محمد نا أبو نعيم نا أحمد بن إسحاق نا عبد الله بن سليمان نا محمد بن يحيى نا محمد بن كثير عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني عن عبد الله ابن محرز قال : يذهب الدين سنة سنة كما يذهب الحبل قوة قوة . أخبرنا إسماعيل ابن أحمد نا عمر بن عبد الله البقال نا أبو الحسين بن بشران نا عثمان بن أحمد الدقاق نا حنبل قال : حدثني أبو عبد الله يعني أحمد بن حنبل نا عبد الرزاق نا معمر . قال : كان طاوس جالساً وعنده ابنه . فجاء رجل من المعتزلة فتكلم في شيء فأدخل طاوس أصبعيه في أذنيه . وقال : يا بني أدخل أصبعك في أذنيك حتى لا تسمع من قوله شيئاً فإن هذا القلب ضعيف . ثم قال : أي بني أسدد - فما زال يقول أسدد حتى قام الآخر . قال حنبل وحدثنا محمد بن داود نا عيسى بن علي الضبي . قال : كان رجل معنا يختلف إلى إبراهيم . فبلغ إبراهيم

أنه قد دخل في الإرجاء فقال له إبراهيم إذا قمت من عندنا فلا تعد . قال حنبل
 وحدثنا محمد بن داود الحدائي ، قال : قلت لسفيان بن عيينة : إن هذا يتكلم
 في القدر - يعني إبراهيم بن أبي يحيى ، فقال سفيان : عرفوا الناس أمره وسلوا
 الله لي العافية . قال حنبل وحدثنا سعدويه ثنا صالح المري . قال : دخل رجل
 على ابن سيرين وأنا شاهد ، ففتح بابا من أبواب القدر فتكلم فيه . فقال ابن
 سيرين : إما أن تقوم وإما أن تقوم . أخبرنا المحمّدان ابن ناصروا بن عبد الباقي
 قالنا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ثنا
 أبو بكر بن راشد ثنا إبراهيم بن سعيد بن عامر عن سلام بن أبي مطيع ، قال :
 قال رجل من أهل الأهواء لآيوب أكلت بكلمة ؟ قال : لا ولا نصف كلمة .
 قال ابن راشد وحدثنا أبو سعيد الأشج ثنا يحيى بن يمان عن مخلد بن حسين
 عن هشام بن حسان عن أيوب السخيتي قال : ما ازداد صاحب بدعة اجتهداً
 إلا ازداد من الله عز وجل بعداً . أخبرنا أبو البركات بن علي البزاز نا الطريثي
 نا هبة الله بن الحصين نا عيسى بن علي نا البغوي نا أبو سعيد الأشج نا يحيى
 بن اليان قال سمعت سفيان الثوري قال البدعة أحب إلى إبليس من المعصية
 المعصية يشاب منها والبدعة لا يشاب منها (١) أخبرنا ابن أبي القاسم نا أحمد بن أحمد
 نا أبو نعيم الحافظ ثنا سليمان بن أحمد ثنا الحسين بن علي ثنا محمود بن غيلان
 ثنا مؤمل بن إسماعيل . قال : مات عبد العزيز بن أبي داود وكنت في جنازته
 حتى وضع عند باب الصفا فصف الناس وجاء الثوري . فقال الناس : جاء
 الثوري - فجاء حتى خرق الصفوف والناس ينظرون إليه فجاوز الجنازة ولم
 يصل عليه لأنه كان يرمي بالإرجاء . أخبرنا المبارك بن أحمد نا أنصاري نا عبد الله
 بن أحمد السمرقندي نا أحمد بن ثابت نا أحمد بن روح النهرواني ثنا طلحة
 بن أحمد الصوفي ثنا محمد بن أحمد بن أبي مهزول قال سمعت أحمد بن عبد الله
 يقول : سمعت شعيب بن حرب يقول : سمعت سفيان الثوري يقول : من
 سمع من مبتدع لم ينفعه الله بما سمع ومن صالحه فقد نقض الإسلام عروة
 (١) أتاب الرجل وتاب رجع .

عروة . أخبرنا محمد بن ناصر نا أحمد بن أحمد نا أحمد بن عبد الله الأصفهاني ثنا إسماعيل بن أحمد نا عبد الله بن محمد ثنا سعيد الكري . قال : مرض سليمان التيمي فبكى في مرضه يكاء شديداً فقبل له ماييكك ٩ أنجزع من الموت . قال : لا ولكني مررت على قدرى فسلبت عليه فأخاف أن يحاسبني ربي عليه . أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك ويحيى بن علي قالا : أخبرنا أبو محمد الصريفي نا أبو بكر بن عبدان نا محمد بن الحسين البائع ثنى أبي ثنا محمد بن بكر قال سمعت فضيل بن عياض يقول : من جلس إلى صاحب بدعة فاحذروه . أخبرنا ابن عبد الباقي نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم ثنا سليمان بن أحمد نا محمد بن النضر ثنا عبد الصمد بن يزيد ، قال : سمعت فضيل بن عياض يقول : من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله وأخرج نور الإسلام من قلبه . أخبرنا محمد ابن عبد الباقي نا أحمد بن أحمد بن عبد الله الحافظ نا محمد بن علي ثنا عبد الصمد . قال سمعت الفضيل يقول : إذا رأيت مبتدعاً في طريق فخذ في طريق آخر ، ولا يرفع لصاحب البدعة إلى الله عز وجل عمل ، ومن أعان صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام . وسمعت رجلاً يقول للفضيل من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها . فقال له الفضيل : من زوج كريمته من مبتدع فقد قطع رحمها ومن جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة ، وإذا علم الله عز وجل من رجل أنه مبغض لصاحب بدعة رجوت أن يغفر الله له سيئاته .

قال المصنف : وقد روى بعض هذا الكلام مرفوعاً وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ : من قر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام . وقال محمد بن النضر الحارثي : من أصغى بسمعه إلى صاحب بدعة نزعته منه العصمة ووكل إلى نفسه . وقال إبراهيم سمعت أبا جعفر محمد بن عبد الله القابلي يقول : سمعت علي بن عيسى يقول : سمعت محمد بن إسحاق يقول : سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول : قال صاحبنا - يعني الليث بن سعد - لو رأيت صاحب بدعة يمشي على الماء ما قبلته . فقال الشافعي : إنه ما قصر لو رأيته يمشي على الهواء ما قبلته . وعن بشر بن الحارث أنه قال : جاء موت

هذا الذي يقال له المريسي (١) وأنا في السوق فلو لا أن الموضع ليس موضع سجود لسجدت شكراً - الحمد لله الذي أماته . هكذا قولوا .

قال المصنف : حدثت عن أبي بكر الخلال عن المروزي عن محمد بن سهل البخاري قال : كنا عند القرباني فجعل يذكر أهل البدع فقال له رجل لو حدثتنا كان أعجب إلينا فغضب وقال كلامي في أهل البدع أحب إلي من عبادة ستين سنة .
(فصل) فان قال قائل قد مدحت السنة وذمت البدعة فما السنة وما البدعة فانا نرى أن كل مبتدع في زعمنا يزعم أنه من أهل السنة (٢) (فالجواب) أن

(١) « المريسي » هو أبو عبد الرحمن بشر بن غياث قال ابن خلكان في ترجمته اشتغل بالكلام وجدد القول بخلق القرآن وحكى عنه في ذلك أقوال شنيعة وكان مرجئاً وإليه تنسب الطائفة المريسية من المرجئة وكان يقول إن السجود للشمس والقمر ليس بكفر ولكنه علامة ؛ عليه والمريسي بفتح الميم وكسر الراء نسبة إلى مريس قيل قرية بمصر وقيل جنس من السودان وقال بعض المحققين إن المريسي كان يسكن في بغداد بدرب المريس فنسب إليه انتهى ببعض تصرف ، ومعنى كلام بشر بن الحارث أن الخبر بموت المريسي أتاه وهو في السوق فلو لم يكن في السوق لسجد شكراً لله تعالى على موته والسوق غير موضع سجود لورود النهي عن الصلاة في الأسواق والسجود ببعض الصلاة وهذه عادة السلف الصالح رضى الله عنهم .

(تنبيه) في الأصل « فلو لا أنه كان في موضع شهرة لكان موضع شكر وسجود الحمد لله » . الخ . وما صححناه فن لسان الميزان .

(٢) أعلم أنه لم يقع خلاف بين الصحابة رضى الله عنهم في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لوجود نور النبوة بين ظهرانيهم وتأثير المواعظ الحسنة فيهم والحكم الباطنة من النبي صلى الله عليه وسلم فلما توفاه الله وقع الخلاف بينهم فأول خلاف كان في موته صلى الله عليه وسلم فزعم قوم أنه لم يمت بل رفعه الله إليه والثاني في دفنه عليه الصلاة والسلام فأراد أهل مكة رده إلى مكة وأهل المدينة دفنه بها . وفي الإمامة فأذعنت الأنصار لسعد بالبيعة وقريش قالت إن الإمامة لا تكون إلا في قريش وفي فذلك (قرية بخير) . وتورث الكلالة وما نعى الزكاة وهكذا وقد أزال هذا الخلاف كله أبو بكر الصديق رضى الله عنه بحجته القوية وعزمه المتين وبرهانه الساطع ولم تؤثر هذه الاختلافات في الهيئة الاجتماعية والقوة

السنة في اللغة الطريق ، ولأرب في أن أهل النقل والأثر المتبعين آثار رسول الله ﷺ وآثار أصحابه هم أهل السنة لأنهم على تلك الطريق التي لم يحدث فيها حادث : وإنما وقعت الحوادث والبدع بعد رسول الله ﷺ وأصحابه .
والبدعة : عبارة عن فعل لم يكن فابتدع والأغلب في المبتدعات أنها تصادم الشريعة بالمخالفة وتوجب التعاطي عليها بزيادة أو نقصان . فان ابتدع شيء لا يخالف الشريعة ولا يوجب التعاطي عليها فقد كان جمهور السلف يكرهونه وكانوا ينفرون من كل مبتدع وإن كان جائزاً حفظاً للأصل وهو الاتباع . وقد قال زيد بن ثابت لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، حين قال له اجمع القرآن : كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ وأخبرنا محمد بن علي بن أبي عمر قال أخبرنا علي بن الحسين نا ابن شاذان نا أبو سهل نا أحمد البرقي ثنا أبو حذيفة ثنا سفينان عن ابن عجلان عن عبد الله بن أبي سلمة ، أن سعد بن مالك سمع رجلاً يقول : لييك ذا المعارج . فقال : ما كنا نقول هذا على عهد رسول الله ﷺ . وأخبرنا محمد بن أبي القاسم بإسناد يرفعه إلى أبي البحتري . قال : أخبر رجل عبد الله بن مسعود أن قوماً يجلسون في المسجد بعد المغرب فيهم رجل يقول كبيروا الله كذا وكذا . وسبحوا الله كذا وكذا . واحمدوا الله كذا وكذا قال عبد الله : فإذا رأيتمهم فعلوا ذلك فأتني فأخبرني بمجلسهم فأتاهم فجلس فلما سمع ما يقولون قام فأتى ابن مسعود فجاء ، وكان رجلاً حديداً ، فقال : أنا عبد الله بن مسعود والله الذي لا إله غيره لقد جثمت ببدة ظلماً ولقد فضلتهم

في الرابطة لجمعهم واتحادهم إلا أنها فتحت باباً ولجه المبتدعون والزنادقة وأدخلوا الشكوك على بعض الأفراد وستوا طرقاً مضلة وزخرفوها بأقوال كاذبة وحجج واهية ودعوا الناس إليها فقيض لهم المولى جل وعز رجالاً من أهل الحديث والسنة يدحضون حججهم ويبينون للناس عقائدهم الفاسدة ونياتهم الخبيثة وينصحون من تبعهم بأدلة قاطعة من الكتاب والسنة وهم الطائفة التي أخبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم أنها لا تزال قائمة بأمر الله الحديث ولم تزل قائمة كذلك إلى زمننا هذا إلا أنهم قليلون اللهم وفقنا للعمل بالكتاب والسنة واجعلهما حجة لنا يا رحيم الرحمن .

أصحاب محمد ﷺ علماً . فقال عمرو بن عتبة : أستغفر الله . فقال عليكم بالطريق فالزموه وإن أخذتم يمينا وشمالا لتضلن ضلالا بعيداً . أنبأنا أبو بكر ابن أبي طاهر عن أبي محمد الجوهري عن أبي عمر بن أبي حياة ثنا أحمد ابن معروف ثنا الحسين بن فهم ثنا محمد بن سعد ثنا محمد بن عبد الله الأنصاري ثنا ابن عوف ، قال : كنا عند إبراهيم النخعي فجاء رجل فقال : يا أبا عمران أدع الله أن يشفيني فرأيت أنه كرهه كراهية شديدة حتى عرفنا كراهية ذلك في وجهه . وذكر إبراهيم السنة فرغب فيها وذكر ما أحدثه الناس فكرهه . وقال فيه : أخبرنا المحمّدان : ابن ناصر : وابن عبد الباقي نا أحمد نا أبو نعيم سمعت محمد بن إبراهيم يقول : سمعت محمد بن ريان يقول : سمعت ذا النون - وجاءه أصحاب الحديث فسألوه عن الخطرات والوساوس - فقال : أنا لا أتكلم في شيء من هذا فإن هذا محدث ، سلوني عن شيء في الصلاة أو الحديث . ورأى ذا النون على خفا أحمر ، فقال : انزع هذا يابني فإنه شهرة ، مالبسه رسول الله ﷺ ، إنما لبس خفين أسودين ساذجين .

﴿فصل﴾ قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله . قد بينا أن القوم كانوا يتحذرون من كل بدعة وإن لم يكن بها بأس لئلا يحدثوا ما لم يكن وقد جرت محدثات لا تصادم الشريعة ولا يتعاطى عليها فلم يروا بفعلها بأساً كما روى أن الناس كانوا يصلون في رمضان وحداناً وكان الرجل يصل فيصلي بصلاته الجماعة فجمعهم عمر ابن الخطاب على أبي بن كعب رضي الله عنهم ما فلما خرج فرأهم قال : نعمت البدعة هذه - لأن صلاة الجماعة مشروعة . وإنما قال الحسن في القصص : نعمت البدعة ، كم من أخ يستفاد ، ودعوة مستجابة . لأن الوعظ مشروع ومتى أسند المحدث إلى أصل مشروع لم يذم . فأما إذا كانت البدعة كالتمتم فقد اعتقد نقص الشريعة . وإن كانت مضادة فهي أعظم . فقد بان بما ذكرنا أن أهل السنة هم المتبعون وأن أهل البدعة هم المظهرون شيئاً لم يكن قبل ولا مستند له ولهذا استتروا ببدعتهم . ولم يكتف أهل السنة مذهبهم فكلمتهم ظاهرة ومذهبهم مشهور

والعاقبة لهم . أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن علي التيمي نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد قال ثنى أبي ثنا يعلى بن عبيد ثنا إسماعيل عن قيس عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : لا يزال ناس من أمتي ظاهرين حتى يأتهم أمر الله وهم ظاهرون - في الصحيحين : أخبرنا هبة الله الحسن بن علي نا ابن ملك ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبي قال ثنا يوسف ثنا حماد ابن زيد عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان ، قال : قال رسول الله ﷺ : لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله وهم كذلك انفرده به مسلم . وقد روى هذا المعنى عن النبي ﷺ معاوية وجابر بن عبد الله وقره أخبرنا الكروخي نا النورجى قالانا الحراجى ثنا المحبوبي ثنا الترمذى قال : قال محمد بن إسماعيل ، قال علي بن المديني : هم أصحاب الحديث .

(فصل) في بيان انقسام أهل البدع أخبرنا عبد الملك الكروخي نا أبو عامر الأزدي وأبو بكر النورجى قالانا الحراجى ثنا المحبوبي ثنا الترمذى ثنا الحسين بن حريث ثنا الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو ثنتين وسبعين ، والنصارى مثل ذلك وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة - قال الترمذى : هذا حديث صحيح .

قال المصنف : وقد ذكرنا هذا الحديث في الباب الذى قبله وفيه : كلهم في النار إلا ملة واحدة ، قالوا من هى يارسول الله ؟ قال ما أنا عليه وأصحابي . أخبرنا ابن الحسين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر نا عبد الله بن أحمد قال : ثنى أبي ثنا حسن ثنا ابن لهيعة ثنا خالد بن زيد عن سعيد بن أبي هلال عن أنس ابن مالك رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : إن بنى إسرائيل تفرقت إحدى وسبعين فرقة فهلكت سبعون فرقة وخلصت فرقة واحدة ، وإن أمتي ستفترق على اثنين وسبعين فرقة ، يهلك إحدى وسبعون وتخلص فرقة . قالوا يارسول الله ، ماتلك الفرقة ؟ قال الجماعة ، قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله :

فإن قيل ، وهل هذه الفرق معروفة ؟ فالجواب ، إذا نعرف الافتراق وأصول الفرق (١) وإن كل طائفة من الفرق قد انقسمت إلى فرق وإن لم نخط بأسماء تلك الفرق ومذاهبها ، وقد ظهر لنا من أصول الفرق الحزبية (٢) والقدرية ، والجهمية ، والمرجئة ، والرافضة ، والجبرية . وقد قال بعض أهل العلم : أصل الفرق الضالة هذه الفرق الست ، وقد انقسمت كل فرقة منها على اثنتي عشرة فرقة ، فصارت اثنتين وسبعين فرقة .

وانقسمت الحزبية ، اثنتي عشرة فرقة : فأولهم الأزرقية (٣) قالوا : لا نعلم أحداً مؤمناً وكفروا أهل القبلة إلا من دان بقولهم والاباضية (٤) قالوا : من أخذ بقولنا فهو مؤمن ، ومن أعرض عنه فهو منافق والشعلبية (٥) قالوا : إن الله لم يقض ولم يقدر ، والحازمية (٦) قالوا : ما ندري ما الإيمان ، والخلق كلهم معذورون ، والخلفية (٧) زعموا أن من ترك الجهاد من ذكر وأثنى فقد كفر .

(١) اعلم أن العلماء اختلفوا في أصول هذه الفرق وتعيينها على أقوال : الأول أن أصولها أربعة : وهي الخوارج والقدرية والروافض والمرجئة ، ثم تشعبت كل فرقة إلى ثمان عشرة فرقة والثالثة والسبعون الناجية : الثاني أنها ثمانية : المعتزلة والخوارج والمرجئة ، والنجارية ، والجبرية ، والمشبهة والشيعة والناجية فافترقت المعتزلة عشرين فرقة ، والخوارج عشرين أيضاً ، والمرجئة خمساً ، والنجارية ثلاثاً ، والجبرية واحدة وكذلك ، المشبهة والشيعة اثنتين وعشرين فرقة ، والقول الثالث ما ذهب إليه المصنف من أنها ست ، ومن أراد تفاصيل ذلك فعليه بالاعتصام والمواقف . وهذا التقسيم بحسب الظن والتكلف في مطابقة ما ذكر للحديث الصحيح ، إذ ليس هناك دليل شرعي يفيد ذلك ولادل العقل على انحصار ما ذكر في ذلك العدد من غير زيادة ولا نقصان ، وبذلك تعلم ما في كلام المصنف من المخالفة لغيره في عدد الفرق وتسميتها بأسماء لم توجد في كتاب (٢) هم الذين خرجوا على عليّ وانحازوا إلى حروراء وهم يومئذ اثنا عشر ألفاً وعبد الله بن كوا حيثئذ زعيمهم (٣) نسبة إلى أبي راشد نافع بن الأزرق ولم يكن للخوارج قط فرقة أكثر عدداً ولا أشد شوكة منهم وبدعهم ثمانية (٤) نسبة إلى عبد الله بن أباض . (٥) نسبة إلى ثعلبة بن مشكان (٦) وهم أصحاب حازم ابن علي (٧) وهم أصحاب خلف الخارجي الذي قاتل حمزة الخارجي .

والمكرمية (١) قالوا : ليس لأحد أن يمس أحداً لأنه لا يعرف الطاهر من النجس ، ولا أن يؤاكله حتى يتوب ويغتسل ، والكنزية قالوا : لا ينبغي لأحد أن يعطي ماله أحداً لأنه ربما لم يكن مستحقاً بل يكنزه في الأرض حتى يظهر أهل الحق ، والشمراخية قالوا : لا بأس بمس النساء الأجانب لأنهن رياحين ، والأخنسية (٢) قالوا : لا يلحق الميت بعد موته خير ولا شر والمحكمة قالوا : إن من حاكم إلى مخلوق فهو كافر ، والمعتزلة من الحرورية قالوا : اشتبه علينا أمر علي ومعاوية فنحن نتبرأ من الفريقين ، والميمونية (٣) قالوا : لا إمام إلا برضا أهل محبتنا .

(واقتسمت القدرية) اثنتي عشرة فرقة : الأحمرية وهي التي زعمت أن شرط العدل من الله أن يملك عباده أمورهم ويحول بينهم وبين معاصيهم ، والثنوية وهي التي زعمت أن الخير من الله والشر من إبليس ، والمعتزلة هم الذين قالوا بخلق القرآن وجحدوا الرؤية ، والكيسانية (٤) هم الذين قالوا لا تدرى هذه الأفعال من الله أم من العباد ولا نعلم أيثاب الناس بعد الموت أو يعاقبون ، والشيطانية (٥) قالوا إن الله لم يخلق شيطاناً ، والشركية قالوا إن السيئات كلها مقدره إلا الكفر ، والوهمية قالوا : ليس لأفعال الخلق وكلامهم ذات ولا للحسنة والسيئة ذات ، والراوندية قالوا : كل كتاب أنزل من الله فاحمل به حق ناسخاً كان أو منسوخاً ، والبترية (٦) زعموا أن من عصي ثم تاب لم تقبل توبته ، والناكشية زعموا أن من نكث ببيعة رسول الله ﷺ فلا ثم عليه

(١) وهم أتباع مكرم بن عبد الله العجلي ويقول تارك الصلاة كافر لا من أجل ترك الصلاة ، ولكن لجهله بالله تعالى ، وطرد هذا في كل كبيرة يرتكبها الإنسان .
(٢) أتباع رجل منهم كان يعرف بالأخنس (٣) وهم أتباع ميمون بن خالد يجيزون نكاح بنات البنات وبنات أولاد الأخوة (٤) أصحاب كيسان مولى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وقيل تليسد ابن الحنفية (٥) هم أتباع محمد بن النعمان الرافضي الملقب بشيطان الطاق (٦) هم أتباع رجلين الحسن بن صالح بن حبي وكثير المنوي الملقب بالآبتر .

والقاسطية فضلو طلب الدنيا على الزهد فيها ، والنظامية تبعوا إبراهيم النظام في قوله من زعم أن الله شيء فهو كافر .

وانقسمت الجهمية (١) اثنتي عشرة فرقة : المعطلة زعموا أن كل ما يقع عليه وهم الإنسان فهو مخلوق ، ومن ادعى أن الله يرى فهو كافر ، والمريسية (٢) قالوا : أكثر صفات الله مخلوقة ، والملتزمة جعلوا البارئ سبحانه وتعالى في كل مكان ، والواردية قالوا : لا يدخل النار من عرف ربه ومن دخلها لم يخرج منها أبداً ، الزنادقة قالوا : ليس لأحد أن يثبت لنفسه رباً لأن الإثبات لا يكون إلا بعد إدراك الحواس وما يدرك فليس بالله وما لا يدرك ، لا يثبت والخرقية زعموا أن الكافر تحرقه النار مرة واحدة ثم يبقى محترقاً أبداً لا يجد حر النار ، والمخلوقية زعموا أن القرآن مخلوق ، والفانية زعموا أن الجنة والنار تفنيان ، ومنهم من قال إنهما لم تخلقا والمغيرة (٣) جحدوا الرسل فقالوا إنما هم حكام ، والواقفية قالوا : لا نقول إن القرآن مخلوق ولا غير مخلوق ، والقبورية ينكرون عذاب القبر والشفاعة ، واللفظية قالوا لفظنا بالقرآن مخلوق .

(وانقسمت المرجئة) اثنتي عشرة فرقة : التاركية قالوا ليس لله عز وجل على خلقه فريضة سوى الإيمان به فمن آمن به وعرفه فليفعل ما شاء ، والسائية قالوا : إن الله تعالى سيب خلقه ليعملوا ما شاءوا ، والراجية قالوا : لا نسعى الطامع طامعاً ولا العاصي عاصياً لأننا لا ندري ماله عند الله ، والشاكية قالوا : إن الطاعات ليست من الإيمان ، والبيهسية (٤) قالوا : الإيمان علم ومن لا يعلم الحق من الباطل والحلال من الحرام فهو كافر ، والمنقوصية قالوا الإيمان لا يزيد ولا ينقص ، والمستثنية نفوا الاستثناء في الإيمان ، والمشبهة يقولون لله بصر كبصري ويد كيدي ، والحشوية جعلوا حكم الأحاديث كلها واحداً فعندهم إن تارك النفل كتارك الفرض ، والظاهرية (٥) وهم الذين نفوا القياس ، والبدعية

(١) هم أتباع جهم بن صفوان ظهرت بدعته بترمذ وقتله سالم المازني بمر .

(٢) هم أتباع بشر المريسي (٣) وفي نسخة العبدية (٤) نسبة إلى بهس بن الهيصم

(٥) أصحاب الإمام المجتهد داود بن علي الظاهري ولد بالكوفة سنة مائتين ونشأ .

أول من ابتدع الأحداث في هذه الأمة .

(وانقسمت الرافضة) اثنتي عشرة فرقة العلوية قالوا : إن الرسالة كانت إلى علي وإن جبريل أخطأ والأمرية قالوا : إن علياً شريك محمد ﷺ في أمره ، والشيعية قالوا : إن علياً رضى الله عنه وصي رسول الله ﷺ ووليه من بعده وإن الأمة كفرت بمبايعة غيره ، والإسحاقية قالوا : إن النبوة متصلة إلى يوم القيامة وكل من يعلم علم أهل البيت فهو نبي ، والناووسية قالوا : إن علياً أفضل الأمة فمن فضل غيره عليه فقد كفر ، والإمامية قالوا لا يمكن أن تكون الدنيا بغير إمام من ولد الحسين وإن الإمام يعمله جبرائيل فإذا مات بدل مكانه مثله ، واليزيدية قالوا : إن ولد الحسين كلهم أئمة في الصلوات فمضى وجد منهم أحد لم تجز الصلاة خلف غيره برهم وفاجرهم ، والعباسية زعموا أن العباس كان أولى بالخلافة من غيره ، والمتناسخة قالوا : إن الأرواح تتناسخ فمضى كان محسناً خرجت روحه فدخلت في خلق تسعد بعيشه ، ومن كان مسيئاً دخلت روحه في خلق تشقى بعيشه ، والرجعية زعموا أن علياً وأصحابه يرجعون إلى الدنيا وينتقمون من أعدائهم ، واللاعنية الذين يلعنون عثمان وطلحة والزبير ومعاوية وأباموسى وعائشة وغيرهم رضى الله عنهم ، والمتربصة تشبهوا بزي النساك ونصبوا في كل عصر رجلاً ينسبون الأمر إليه يزعمون أنه مهدي هذه الأمة فإذا مات نصبوا رجلاً آخر .

(وانقسمت الجبرية) اثنتي عشرة فرقة فمنهم : المضطربة قالوا لا فعل للآدمي بل الله عز وجل يفعل الكل ، والأفعالية قالوا : لنا أفعال ولكن لا استطاعة لنا فيها وإنما نحن كالبهائم نقاد بالحبل ، والمفروغية قالوا كل الأشياء قد خلقت والآن لا يخلق شيء ، والنجارية (١) زعمت أن الله يعذب الناس على فعله لأعلى فعلهم ، والمتانية قالوا : عليك بما خطر بقلبك فافعل ما توسمت به الخير ، بيعداد وتوفى بها ستة سبعين ومائتين وهو من أئمة أهل السنة والجماعة ، ولعل عد هذه من المرجئة سبق قلم حمانا الله من الزلل .

(١) هم أصحاب الحسين بن محمد النجار وأكثر معتزلة الرى وحواليها على مذهبه .

والكسبية قالوا : لا يكسب العبد نواباً ولا عقاباً ، والسابقة قالوا : من شاء فليعمل ومن شاء لا يعمل فإن السعيد لا تضربه ذنوبه والشقي لا ينفعه بره ، والحية قالوا : من شرب كأس حبة الله عر وجل سقطت عنه الأركان والقيام بها ، والخوفية قالوا إن من أحب الله سبحانه وتعالى لم يسعه أن يخافه لأن الحبيب لا يخاف حبيبه والفكرية ، قالوا : إن من ازداد علماً سقط عنه بقدر ذلك من العبادة ، والخسئية قالوا : الدنيا بين العباد سواء لا تفاضل بينهم فيما ورثهم أبوه آدم ، والمعية قالوا : منا الفعل ولنا الاستطاعة .

﴿ الباب الثالث ﴾

(في التحذير من فن إبليس ومكايده)

قال الشيخ أبو الفرج رحمة الله عليه : اعلم أن الآدمي لما خلق ركب فيه الهوى والشهوة ليجتلب بذلك ما ينفعه . ووضع فيه الغضب ليدفع به ما يؤذيه . وأعطى العقل كالمؤدب يأمره بالعدل فيما يجتلب ويجتنب ، وخلق الشيطان محرماً له على الإسراف في اجتلابه واجتنابه ، فالواجب على العاقل أن يأخذ حذره من هذا العدو الذي قد أبان عداوته من زمن آدم عليه الصلاة والسلام وقد بذل عمره ونفسه في فساد أحوال بني آدم . وقد أمر الله تعالى بالحدز منه فقال سبحانه وتعالى : (لا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين) إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون (وقال تعالى : (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) وقال تعالى : (ويريد الشيطان أن يضلكم ضلالاً بعيداً) وقال : (إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم متبهون) وقال تعالى : (إنه عدو مضل مبين) وقال : (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) وقال تعالى : (ولا يغرنكم بالله الغرور) وقال تعالى : (ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين) وفي القرآن من هذا كثير .

((فصل)) قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله : وينبغي أن تعلم أن إبليس الذي شغله التلبس أول ما التبس عليه الأمر فأعرض عن النص الصريح على السجود فأخذ يفاضل بين الأصول فقال : (خلقتني من نار وخلقته من طين) ثم أردف ذلك بالاعتراض على الملك الحكيم ، فقال : (أرأيتك هذا الذي كرمت علي) والمعنى أخبرني لم كرمته علي ، غرر ذلك الاعتراض أن الذي فعلته ليس بحكمة ثم أتبع ذلك بالكبر فقال (أنا خير منه) . ثم امتنع عن السجود فأهان نفسه التي أراد تعظيمها باللعة والعقاب .

فهي رسول للإنسان أمر أفيذني أن يحذر منه أشد الحذر وليقل له حين أمره إياه بالسوء إنما تريد بما تأمر به نصحي ببلوغى شهوتي . وكيف يتضح صواب النصيح للغير لمن لا ينصح نفسه ثم كيف أثق بنصيحة عدو فأنصرف فما في لقولك منفذ فلا يبقى إلا أنه يستعين بالنفس لأنه يحث على هواها فلا يستحضر العقل إلى بيت الفكر في عواقب الذنب لعل مدد توفيق يبعث جند عزيمته فيهزم عسكر الهوى والنفس .

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك نا عاصم بن الحسن نا أبو عمر بن مهدي ثنا الحسين بن إسماعيل ثنا زكريا بن يحيى ثنا شامة بن سوار ثنا المغيرة عن مطرف ابن الشخير عن عياض بن حمار قال : قال رسول الله ﷺ يا أيها الناس إن الله تعالى أمرني أن أعلمكم ما جهلتم بما علمني في يومى هذا إن كل مال نخلته عبدي فهو له حلال ، وإنى خلقت عبادي خنفاء كلهم فأنتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم ، وأمرتهم أن لا يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا ، وإن الله تعالى نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب .

أخبرنا ابن الحصين قال : أخبرنا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله ابن أحمد ثنا أبي يحيى بن سعيد ثنا هشام ثنا قتادة عن مطرف عن عياض ابن حمار . أن انبي ﷺ خطب ذات يوم فقال في خطبته : إن ربي - إلى آخر الحديث المتقدم .

أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد

ثنى أبو ثنا أبو معاوية ثنا الأعمش عن أبي سفيان عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهم ما قال : قال رسول الله ﷺ : إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة ينجى أحدهم فيقول فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ماصنعت شيئاً ، قال ثم ينجى أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت يده وبين أمر أنه ، قال فيدنيه منه أو قال فيلتزمه ويقول نعم أنت . وبه قال أحمد وحدثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن أبي الزبير عن جابر رضى الله عنه يرفعه قال : إن إبليس قد يتس أن يعبد المصلون ولكن في التحريش (١) بينهم قال المصنف : انفرده البخاري والذي قبله مسلم وفي لفظ حديثه قد آيس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب .

أنا إسماعيل السمرقندي نا عاصم بن الحسن نا ابن بشر نا ابن صفوان نا أبو بكر القرشي ثنى الحسين بن السكن ثنا المعلى بن أسد ثنى عدى بن أبي عمارة ثنا زياد النميري عن أنس بن مالك رضى الله عنه يرفعه ، قال إن الشيطان واضع خطمه (٢) على قلب ابن آدم فإن ذكر الله خنس . وإن نسى الله التقم قلبه . أخبرنا محمد بن أبي منصور نا عبد القادر نا الحسن بن علي التيمي نا أبو بكر ابن ملك ثنا عبد الله بن أحمد ثنا أبي ثنا عبد الرحمن عن حماد بن سلمة عن عطاء ابن السائب عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود رضى الله عنه ، قال : إن الشيطان طاف بأهل مجلس الذكر ليفتنهم فلم يستطع أن يفرق بينهم ، فأتى حلقة يذكرون الدنيا فأغرى بينهم حتى اقتتلوا فقام أهل الذكر فجزوا بينهم ففرقوا . قال عبد الله وحدثني علي بن مسلم ثنا سيار ثنا حبان الحريري ثنا سويد القناوي عن قتادة رضى الله عنه قال : إن لإبليس شيطاناً يقال له قبقب يحمه (٣) أربعين سنة فإذا دخل الغلام في هذا الطريق قال له دونك إنما كنت أجملك لمثل هذا أجلب عليه وأفتنه .

(١) أى يسعى بينهم بالخصومات والشحناء والفتن .

(٢) الخطم وزان فليس من كل طائر منقاره ومن كل دابة مقدم الأنف والضم

فاستعير للشيطان (٣) أى يتركه بدون عمل ليقوى .

قال نسيار : وحدثنا جعفر ثنا ثابت البناني رضى الله عنه قال : بلغنا أن إبليس ظهر ليحيى بن زكريا عليهما السلام فرأى عليه معاليق من كل شيء ، فقال يحيى : يا إبليس ما هذه المعاليق التي أرى عليك ، قال : هذه الشهوات التي أصيد بهن ابن آدم ، قال : فهل لي فيها من نبيء ، قال : ربما شبعنا فتقلناك عن الصلاة وثقلناك عن الذكر ، قال : فيها ، غير ذلك قال لا والله قال لله على أن لا أملاً بطنى من طعام أبداً ، قال إبليس : والله على أن لا أنصح مسلماً أبداً . قال عبد الله ابن أحمد ثنا أبي ثنا وكيع ثنا الأعمش عن حثيمة عن الحارث بن قيس رضى الله عنه . قال : إذا أتاك الشيطان وأنت تصلى فقال إنك ترائى فردها طويلاً .

أبناً إسماعيل السمرقندى نا عاصم بن الحسن نا على بن محمد نا أبو على بن صفوان نا أبو بكر بن عبيد نا عبد الرحمن بن يونس نا سفيان بن عيينة . قال : سمع عمرو بن دينار عروة بن عامر سمع عبيد بن رفاعة يبلغ به النبي ﷺ يقول : كان راهب فى بنى إسرائيل فأخذ الشيطان جارية فخنقها وألقى فى قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب ، فألقى بها الراهب فأبى أن يقبلها فزالوا به حتى قبلها فكانت عنده فأتاه الشيطان فسول له إيقاع الفعل بها فأحبها - ثم أتاه فقال له الآن تفتضح يأتيك أهلها فاقتلها فإن أتوك فقل ماتت ، فقتلها ودفنها ، فألقى الشيطان أهلها فوسوس لهم وألقى فى قلوبهم أنه أحبها ثم قتلها ودفنها فأتاه أهلها يسألونه عنها ، فقال : ماتت فأخذوه فأتاه الشيطان . فقال : أنا الذى ضربتها وخنقها وأنا الذى ألقىته ، فى قلوب أهلها وأنا الذى أوقعتك فى هذا فأطعنى تنج ، اسجدلى سجدتين فسجد له سجدتين ، فهو الذى قال عز وجل « كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين » وقد روى هذا الحديث على صفة أخرى عن وهب بن منبه رضى الله عنه : أن عابداً كان فى بنى إسرائيل وكان من أعبد أهل زمانه ، وكان فى زمانه ثلاثة إخوة لهم أخت وكانت بكراً ليس لهم أخت غيرها . فخرج البعث على ثلاثتهم فلم يدروا عند من يخلفون أختهم ولا من يأمنون عليها ولا عند من يضعونها . قال : فأجمع رأيهم على أن يخلفوها عند عابد بنى إسرائيل . وكان ثقة

في أنفسهم ، فأتوه فسألوه أن يخلفوها عنده فتكون في كنفه وجواره إلى أن يرجعوا (١) من غزاتهم ، فأبى ذلك ونعوذ بالله عز وجل منهم ومن أختهم قال : فلم يزالوا به حتى أطاعهم فقال أنزلوها في بيت حذاء صومعتي ، قال : فأنزلوها في ذلك البيت ثم انطلقوا وتركوها ، فحكشت في جوار ذلك العابد زماناً ينزل إليها بالطعام من صومعته فيضعه عند باب الصومعة ثم يخلق بابه ويصعد إلى صومعته ثم يأمرها فتخرج من بيتها فتأخذ ما وضع لها من الطعام قال : فتأنف له الشيطان فلم يزل يرغبه في الخير ويعظم عليه خروج الجارية من بيتها نهائياً ويخوفه أن يراها أحد فيعلقها فلو مشيت بطعامها حتى تضعه على باب بيتها كان أعظم لأجرك قال : فلم يزل به حتى مشى إليها بطعامها ووضعها على باب بيتها ولم يكلمها ، قال : فلبث على هذه الحالة زماناً . ثم جاءه إبليس فرغبه في الخير والأجر وحضه عليه ، وقال : لو كنت تمشى إليها بطعامها حتى تضعه في بيتها كان أعظم لأجرك قال : فلم يزل به حتى مشى إليها بالطعام ثم وضعه في بيتها ، فلبث على ذلك زماناً ثم جاءه إبليس فرغبه في الخير وحضه عليه ، فقال : لو كنت تكلمها وتحدثها فتأنس بحديثك فإنها قد استوحشت وحشة شديدة ، قال : فلم يزل به حتى حدثها زماناً يطلع إليها من فوق صومعته ، قال : ثم أتاه إبليس بعد ذلك فقال لو كنت تنزل إليها فتقعد على باب صومعتك وتحدثها وتقعد هي على باب بيتها فتحدثك كان آنس لها ، فلم يزل به حتى أنزله وأجلسه على باب صومعته يحدثها وتحدثه وتخرج الجارية من بيتها حتى تقعد على باب بيتها ، قال : فلبث زماناً يتحدثان . ثم جاءه إبليس فرغبه في الخير والثواب فيما يصنع بها وقال : لو خرجت من باب صومعتك ثم جلست قريباً من باب بيتها تحدثها كان آنس لها ، فلم يزل به حتى فعل ، قال فلبث زماناً : ثم جاءه إبليس فرغبه في الخير وفيما له عند الله سبحانه وتعالى من حسن الثواب فيما يصنع بها ، وقال له : لو دنوت منها وجلست عند باب بيتها تحدثها ولم تخرج من بيتها ففعل فكان ينزل من صومعته فيقف على باب بيتها فيحدثها ، فلبث على ذلك حيناً . ثم جاءه إبليس ، فقال : لو دخلت

(١) وفي نسخة « يقولوا » .

البيت معها فحدثتها ولم تتركها تبرز وجهها لأحد كان أحسن بك ، فلم يزل به حتى دخل البيت فجعل يحدّثها نهارها كله فإذا مضى النهار صعد إلى صومعته ، قال : ثم أتاه إبليس بعد ذلك فلم يزل يزينها له حتى ضرب العابد على فخذهما وقبلها فلم يزل به إبليس يحسنها في عييه ويسول له حتى وقع عليها فأحبلها ، فولدت له غلاما فجاء إبليس فقال : أرأيت إن جاء أخوة الجارية وقد ولدت منك كيف تصنع لا آمن أن تفتضح أو يفضحوك فاعمد إلى ابنها فاذبحه وادفنه فانها ستكتم ذلك عليك مخافة إخوتها أن يطلعوا على ما صنعت بها ففعل فقال له أتراها تسكتم إخوتها ما صنعت بها وقتلت ابنها ، قال : خذها واذبحها وادفنها مع ابنها فلم يزل به حتى ذبحها وألقاها في الحفرة مع ابنها وأطبق عليهما صخرة عظيمة وسوى عليهما وصعد إلى صومعته يتعبد فيها فكث بذلك ماشاء الله أن يمكث حتى أقبل إخوتها من الغزو ، فجاءوا فسألوه عنها فنعاهوا لهم وترحموا عليها وبكاهها ، وقال : كانت خير امرأة وهذا قبرها فانظروا إليه ، فأتى إخوتها القبر فبكوا أختهم وترحموا عليها فأقاموا على قبرها أياماً ثم انصرفوا إلى أهاليهم . فلما جن عليهم الليل وأخذوا مضاجعهم جاءهم الشيطان في النوم على صورة رجل مسافر فبدأ بكبرهم فسأله عن أختهم فأخبره بقول العابد وموتها وترحمه عليها وكيف أراهم موضع قبرها فكذبه الشيطان ، وقال : لم يصدقكم أمر أختكم إنه قد أحبل أختكم وولدت منه غلاماً فذبحه وذبها معه فرعاً منكم وألقاها في حفيرة احتفرها خلف باب البيت الذي كانت فيه عن يمين من دخله فانطلقوا فأدخلوا البيت الذي كانت فيه عن يمين من دخله فانكم ستجدونهما كما أخبرتكم هناك جميعاً ، وأتى الأوسط في منامه فقال له مثل ذلك ، ثم أتى أصغرهم فقال له مثل ذلك ، فلما استيقظ القوم أصبحوا متعجبين مما رأى كل واحد منهم ، فأقبل بعضهم على بعض يقول كل واحد منهم لقد رأيت الليلة عجباً فأخبر بعضهم بعضاً بما رأى ، فقال كبيرهم هذا حلم ليس بشيء فامضوا بنا ودعوا هذا عنكم قال أصغرهم والله لا أمضي حتى آتى إلى هذا المكان فانظر فيه ، قال : فانطلقوا جميعاً حتى أتوا البيت الذي كانت فيه أختهم ففتحوا الباب وبحشوا الموضع الذي وصف

لهم في منامهم فوجدوا أختهم وابنها مذبحين في الحفيرة كما قيل لهم ، فسألوا عنها العابد فصدق قول إبليس فيما صنع بهما . فاستعدوا عليه ملكهم فأنزل من صومعته وقدم ليصلب فلما أوثقوه على الخشبة أتاه الشيطان ، فقال له قد علمت أني أنا صاحبك الذي فتنتك بالمرأة حتى أحبلتها وذبحتها وابنها فان أنت أطعني اليوم وكفرت بالله الذي خلقتك وصورك خلصتك بما أنت فيه ، قال : فكفر العابد فلما كفر بالله تعالى خلى الشيطان بينه وبين أصحابه فصلبوه ، قال : ففيه نزلت هذه الآية (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك - إلى قوله - جزاء الظالمين) وقد تقدم ذكرها .

أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم نا أبو بكر الآجري ثنا عبد الله بن محمد العطيني ثنا إبراهيم بن الجنيد ثنا محمد بن الحسين ثنا بشر بن محمد بن أبان ثنا الحسن بن عبد الله بن مسلم القرشي عن وهب بن منبه رضى الله عنه ، قال : كان راهب في صومعته في زمن المسيح عليه السلام فأراد إبليس فلم يقدر عليه فأتاه بكل رائدة فلم يقدر عليه . فأتاه متشبهاً بالمسيح . فناداه : أيها الراهب اشرف على أكلك ، قال : انطلق لشأنك فلست أرد ما مضى من عمرى فقال : اشرف على فأنا المسيح فقال إن كنت المسيح فإلى إليك حاجة ، ألسنت قد أمرتنا بالعبادة ووعدتنا القيامة انطلق لشأنك فلا حاجة لي فيك فانطلق اللعين عنه وتركه .

أنبأنا إسماعيل بن أحمد نا عاصم بن الحسن نا على بن محمد بن بشر نا أبو علي البردعي ثنا أبو بكر القرشي ثنا أبو عبد الله محمد بن موسى الحرشي ثنا جعفر بن سليمان ثنا عمرو بن دينار ثنا سالم بن عبد الله رضى الله عنه عن أبيه قال : لما ركب نوح عليه السلام في السفينة رأى فيها شيخاً لم يعرفه فقال له نوح ما أدخلك ، قال دخلت لأصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معي وأبدانهم معك ، فقال له نوح عليه السلام اخرج يا عدو الله ، فقال إبليس خمس أهلك بهن الناس وسأحدثك منهن بثلاث ولا أحدثك باثنتين فأوحى الله تبارك وتعالى إلى نوح عليه الصلاة والسلام أنه لا حاجة لك إلى الثلاث ، مره يحدثك بالاثنتين

فقال بهما أهلك الناس وهما لا يكذبان : الحسد (١) والحرص (٢) فبالحسد لعنت وجعلك شيطاناً رجياً ، وبالحرص أبيع لآدم الجنة كلها فأصبت حاجتي منه فأخرج من الجنة . قال ولقي إبليس موسى عليه السلام ، فقال : يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وكلبك نكلاً ، وأنا من خلق الله تعالى أذنبت وأريد أن أتوب فاشفع لي إلى ربي عز وجل أن يتوب علي ، فدعا موسى ربه فقبل يا موسى قد قضيت حاجتك ، فلقى موسى إبليس فقال له قد أمرت أن تسجد لقبر آدم ويتاب عليك ، فاستكبر وغضب وقال : لم أسجد له حياً أأسجد له ميتاً ، ثم قال إبليس : يا موسى إن لك حقاً بما شفعت إلى ربك فاذكرني عند ثلاث لأهلك فيمن أذكرني حين تغضب فأنا وحي في قلبك وعيني في عينك وأجرى منك بحري الدم واذكرني حين تلقى الزحف فأني آتي ابن آدم حين يلقى الزحف فأذكره ولده وزوجته وأهله حتى يولي . وإياك أن تجالس امرأة ليست بذات محرم فأني رسولها إليك ورسولك إليها . قال القرشي وحدثنا أبو حفص الصغار ثنا جعفر بن سليمان ثنا شعبة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه قال ما بعث الله نبياً إلا لم يأمن إبليس أن يهلكه بالنساء : قال القرشي وثني القاسم ابن هاشم عن إبراهيم بن الأشعث عن فضيل بن عياض : قال حدثني بعض أشياخنا أن إبليس لعنه الله جاء إلى موسى عليه الصلاة والسلام وهو يناجي ربه تعالى ، فقال له الملك : ويلك ما ترجومنه وهو على هذه الحالة يناجي ربه ، قال : أرجو منه ما رجوت من أبيه آدم وهو في الجنة . قال القرشي وثنا أحمد بن عبد الأعلى الشيباني ثنا فرج ابن فضالة عن عبد الرحمن بن زياد رضي الله عنه قال :

(١) الحسد أن يرى الرجل لأخيه نعمة فيتمنى أن تزول عنه وتكون له دونه والغبطة أن يتمنى أن يكون له مثلها ولا يتمنى زوالها عنه والأول مذموم والثاني محمود وعليه قوله صلى الله عليه وسلم لا حسد إلا في اثنتين .

(٢) الحرص شدة الإرادة والشره إلى المطلوب وهو نوعان : حرص فاجع وحرص نافع فالأول حرص المرء على الدنيا وهو مشغول معذب بها فلا يفرغ من محبتها ، والثاني حرصه على طاعة الله تعالى خوف أن تفوت .

بينما موسى عليه السلام جالس في بعض مجالسه إذ أقبل إبليس وعليه برنس (١) له يتلون فيه ألواناً فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم أتاه وقال له السلام عليك يا موسى : فقال له موسى عليه السلام ، من أنت : قال أنا إبليس ، قال فلا حياك الله ما جاء بك ؟ قال : جئت لأسلم عليك لمنزلتك عند الله تعالى ومكانك منه قال : فما الذي رأيته عليك ، قال : به اختطف قلوب بني آدم ، قال : فما الذي إذا صنعه الإنسان استحوذت عليه ، قال إذا أعجبته نفسه . واستكثر عمله . ونسى ذنوبه . وأحذر ثلثاً :

لا تخلون بامرأة لا تحل لك قط ، فإنه ما خلا رجل بامرأة لا تحل له إلا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أفتنه بها .

ولا تعاهد الله عهداً إلا وفيت به ، فإنه ما عاهد الله أحد إلا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أحول بينه وبين الوفاء به .

ولا تخرجن صدقة إلا أمضيتها فإنه ما أخرج رجل صدقة فلم يمضها إلا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أحول بينه وبين إخراجها . ثم ولي وهو يقول : ياويله ثلاثاً علم موسى ما يحذر به بنى آدم .

قال القرشي : وحدثني محمد بن إدريس ثنا أحمد بن يونس ثنا حسن بن صالح قال : سمعت أن الشيطان قال للمرأة أنت نصف جندی وأنت سهمى الذى أرمى به ، فلا أخطئ وأنت موضع سرى وأنت رسولى فى حاجتى .

قال القرشى : وحدثنا إسحق بن إبراهيم ثنى هشام بن يوسف بن عقيل بن معقل بن أخى وهب بن منبه قال : سمعت وهباً يقول : قال راهب للشيطان وقد بدا له أى أخلاق بنى آدم أعون لك عليهم ، قال الحدة (٢) إن العبد إذا كان حديداً قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة .

قال القرشى : وحدثنا سعيد بن سليمان الواسطى عن سليمان بن المغيرة عن

(١) البرنس هو كل ثوب رأسه منه ملتق به من دراعة أو جبة أو غيرها ، وقد شاع استعماله فى المغرب .

(٢) الحدة ما يعترى الإنسان من الغضب .

ثابت رضي الله عنه قال : لما بعث النبي ﷺ جعل إبليس لعنه الله يرسل شياطينه إلى أصحاب النبي ﷺ فيجشون إليه بصحفهم ليس فيها شيء فيقول لهم مالكم لا تصيبون منهم شيئاً ، فقالوا : ما صحبتنا قوماً مثل هؤلاء فقال رويداً بهم فعسى أن تفتح لهم الدنيا ، هنالك تصيبون حاجتكم منهم .

قال القرشي : وأخبرنا أحمد بن جميل المروزي نا ابن المبارك نا سفيان عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي عن أبي موسى قال : إذا أصبح إبليس بث جنوده في الأرض فيقول من أضل مسلماً ألبسته التاج . فيقول له القائل لم أزل بفلان حتى طلق امرأته ، قال يوشك أن يتزوج . ويقول آخر لم أزل بفلان حتى عق ، قال يوشك أن يبر . ويقول آخر لم أزل بفلان حتى زنى . قال أنت . ويقول آخر لم أزل بفلان حتى شرب الخمر ، قال أنت ، قال : ويقول آخر لم أزل بفلان حتى قتل ، فيقول : أنت أنت .

قال القرشي : وسمعت سعيد بن سلمان يحدث عن المبارك بن فضالة عن الحسن قال : كانت شجرة تعبد من دون الله فجاء إليها رجل فقال لأقطعن هذه الشجرة ، فجاء ليقطعها غضباً لله فلقمه إبليس في صورة إنسان ، فقال : ماتريد؟ قال أريد أن أقطع هذه الشجرة التي تعبد من دون الله . قال إذا أنت لم تعبدها فما يضرك من عبدها ؟ قال لأقطعنها . فقال له الشيطان هل لك فيما هو خير لك لا تقطعها ولك ديناران كل يوم إذا أصبحت عند وسادتك . قال فمن أين لي ذلك قال أنا لك ، فرجع فأصبح فوجد دينارين عند وسادته ثم أصبح بعد ذلك فلم يجد شيئاً ، فقام غضباً ليقطعها فتمثل له الشيطان في صورته وقال ماتريد؟ قال أريد أقطع هذه الشجرة التي تعبد من دون الله تعالى قال كذبت مالك إلى ذلك من سبيل : فذهب ليقطعها فضرب به الأرض وخنقه حتى كاد يقتله قال أتدري من أنا أنا الشيطان ، جئت أول مرة غضباً فلم يكن لي عليك سبيل . فخدعتك بالدينارين فتركتهما فلما جئت غضباً للدينارين سلطت عليك .

قال القرشي : وحدثنا بشر بن الوليد الكندي ثنا محمد بن طلحة عن زيد ابن جاهد قال : لإبليس خمسة من ولده قد جعل كل واحد منهم على شيء من

من أمره ، ثم سمام : فذكر ثبر ، والاعور ، ومسوط ، وداسم ، وزكنبور ، فأما ثبر ، فهو صاحب المصائب الذي يأمر بالشور وشق الجيوب ولطم الخدود ودعوى الجاهلية ؛ وأما الاعور ، فهو صاحب الزنا الذي يأمر به ويزينه ؛ وأما مسوط فهو صاحب الكذب الذي يسمع فيلقى الرجل فيخبره بالخبر ، فيذهب الرجل إلى القوم فيقول لهم قد رأيت رجلاً أعرف وجهه ولا أدري ما اسمه حدثني بكذا وكذا ؛ وأما داسم ، فهو الذي يدخل مع الرجل إلى أهله يريه العيب فيهم ويغضبه عليهم ؛ وأما زكنبور ، فهو صاحب السوق الذي يركز رايته في السوق .

أخبرنا محمد بن القاسم نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم ثنا إبراهيم بن عبد الله ثنا محمد بن إسحاق ثنا إسماعيل بن أبي الحارث ثنا سنيد عن مخلد بن الحسين قال : مانب الله العباد إلى شيء إلا اعترض فيه إبليس بأمرين ما يبالي بأيهما ظفر : إما غلوفيه ، وإما تقصير عنه . وبالإسناد قال محمد بن إسحاق وثنا قتيبة بن سعيد ثنا ابن لهيعة عن أبي قبيل سمعت حياة بن شراحيل يقول : سمعت عبد الله بن عمر يقول : إن إبليس موثق في الأرض السفلى ، فإذا هو تحرك كان كل شرفي الأرض بين اثنين فصاعداً من تحركه .

قال الشيخ : أبو الفرج رحمه الله ، قلت : وفن الشيطان ومكايده كثيرة في غضون هذا الكتاب منها ما يليق بكل موضع منه إن شاء الله تعالى : ولبكثرة فن الشيطان وتشبهها بالقلوب عزت السلامة . فإن من يدع إلى ما يحث عليه الطابع كمداد سفينة منحدره فيا سرعة انحدارها ؛ ولما ركب الهوى في هاروت وماروت لم يستمسكا ، فإذا رأت الملائكة مؤمناً قد ~~سقط~~ على الإيمان تعجبت من سلامته .

وأخبرنا محمد بن أبي منصور نا جعفر بن أحمد نا الحسن بن علي التميمي ثنا أبو بكر بن حمدان ثنا عبد الله بن أحمد ثنا ابن ~~يحيى~~ قال : ثنا عتبة بن عبد الواحد عن مالك بن مغول عن عبد العزيز بن رفيع قال : إذا خرج بروح المؤمن إلى السماء (م ٣ — تليس إبليس)

قالت الملائكة سبحان الله الذي نجي هذا العبد من الشيطان ، يا ويحه كيف نجا .

﴿ ذكر الإعلام بأن مع كل إنسان شيطانا ﴾

أخبرنا أبو الحصين الشيباني نا أبو علي المذهب نا أبو بكر بن حمدان ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ثنى أبي ثنا هـ ون ثنا عبد الله بن وهب أخبرني أبو صخر عن ابن قسيط أنه حدثه أن عروة بن الزبير حدثه أن عائشة زوج النبي ﷺ حدثته أن رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلا قالت فغرت عليه فجاء فرأى ما أصنع ، فقال : مالك يا عائشة أغرت (١) ، فقلت : ومالي لا يغار مثلي على مثلك ؟ فقال : أوقد جاءك شيطانك ؟ قالت : يا رسول الله أومع شيطان ! قال نعم ، قلت : ومع كل إنسان ؟ قال نعم ، قلت : ومعك يا رسول الله ؟ قال نعم ، ولكن ربي عز وجل أعانني عليه حتى أسلم : انفرد به مسلم ، ويحيى بلفظ آخر : أعانني عليه فأسلم . قال الخطابي : عامة الرواة يقولون : فأسلم على مذهب الفعل الماضي لإسفيان بن عيينة فإنه يقول فأسلم من شره وكان يقول الشيطان لا يسلم . قال الشيخ : وقول ابن عيينة حسن وهو يظهر أثر المجاهدة لمخالفة الشيطان إلا أن حديث ابن مسعود كأنه يرد قول ابن عيينة ، وهو ما أخبرنا به ابن الحصين نا ابن المذهب نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن أحمد ثنا أبي ثنا يحيى عن سفيان ثنى منصور عن سالم بن أبي الجعد عن أبيه عن ابن مسعود يرفعه مامنكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة ، قالوا وإياك يا رسول الله قال : وإياي ، ولكن الله عز وجل أعانني عليه فلا يأمرني إلا بحق : وفي رواية فلا يأمرني إلا بخير . قال الشيخ : انفرد به مسلم واسم أبي الجعد رافع وظاهره إسلام الشياطين ، ويحتمل القول الآخر .

﴿ بيان أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ﴾

أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن علي نا أحمد بن جعفر نا عبد الله بن أحمد ثنى أبي ثنى عبد الرزاق ثنا معمر عن الزهري عن علي بن الحسين عن صفية

(١) وهي الحية والأنفة ، يقال : رجل غيور ، وامرأة غيور .

بنت حي زوج النبي ، قالت كان رسول الله ﷺ معتكفاً فأتيته أزوره ليلاً فحدثته ثم قلت لأنقلب فقام معي ليقلبنى (١) وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد ، فخرج جلان من الأنصار ، فلما رأيا رسول الله ﷺ أسرعا ، فقال النبي ﷺ : على رسلكما إنها صافية بنت حي ، فقالا : سبحان الله يارسول الله ! قال : إن الشيطان (٢) يجري من ابن آدم مجرى الدم ، وإنى خشيت أن يقذف في قلبكما شرآ - أوقال شيئاً - الحديث في الصحيحين . قال الخطابي : وفي هذا الحديث من العلم استحباب أن يحذرا الإنسان من كل أمر من المسكروه مما تجرى به الظنون ، ويخطر بالقلوب ، وأن يطلب السلامة من الناس بإظهار البراءة من الريب ، ويحكى في هذا عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال : خاف النبي ﷺ أن يقع في قلوبهما شيء من أمر فيكفرا ، وإنما قاله صلى الله عليه وسلم شفقة منه عليهما لا على نفسه .

﴿ ذكر التعوذ من الشيطان الرجيم (٣) ﴾

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله : قد أمر الله تعالى بالتعوذ من الشيطان الرجيم عند التلاوة فقال تعالى : (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) وعند السحر ، فقال (قل أعوذ برب الفلق) إلى آخر السورة : فاذا أمر بالتحرز من شره في هذين الأمرين فكيف في غيرهما .

أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن علي نا أحمد بن جعفر نا عبد الله بن أحمد ثنا أبي ثنا سيار ثنا جعفر ثنا أبو التياح ، قال : قلت لعبد الرحمن بن حنبل :

(١) ليقلبنى بفتح الياء أى ليردنى إلى منزلى .

(٢) ظاهر الحديث أن الله تعالى جعل للشيطان قوة وقدرة على الجرى في باطن الإنسان في مجارى دمه ، ويحتمل أنه من قبيل الاستعارة لكثرة إغوائه ووسوسته فكأنه لا يفارق الإنسان كما لا يفارقه دمه ، وقيل : إنه يلقى وسوسته في مسام لطيفة من البدن فتصل إلى القلب .

(٣) التعوذ التحصن والاعتصام والالتجاء ، والمعوذتان عوذتا قارئهما أى عصمتاه من كل سوء .

أدركت النبي ﷺ؟ قال: نعم، قلت: كيف صنع رسول الله ﷺ ليلة كادته الشياطين؟ فقال: إن الشياطين تحدت (١) تلك الليلة على رسول الله ﷺ من الأودية والشعاب وفيهم شيطان بيده شعلة نار يريد أن يحرق بها وجه رسول الله ﷺ. فبط إليه جبريل عليه السلام، فقال: يا محمد قل، قال: أما قول؟ قال: قل أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق وذراً وبرأ، ومن شر ما ينزل من السماء، ومن شر ما يعرج فيها، ومن شره في الليل والنهار ومن شر كل طارق إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن، قال: فطفئت نارهم، وهزمهم الله تعالى.

أنا بنو إسماعيل بن أحمد السمرقندي نا عاصم بن الحسن نا أبو الحسين بن بشران نا ابن صفوان نا أبو بكر القرشي حدثني أبو سبلة المخزومي نا ابن أبي فديك عن الضحاك بن عثمان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها أن النبي ﷺ قال: إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول: من خلقك؟ فيقول الله تبارك وتعالى، فيقول: فمن خلق الله، فاذا وجد أحدكم ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله فإن ذلك يذهب عنه. قال القرشي نا هناد بن السرى نا أبو الأحوص عن عطاء بن سائب عن مرة الهمداني عن ابن مسعود رضى الله عنه يرفعه، قال: إن للشيطان لمسة (٢) بآدم، والملك لمة فأما لمة، الشيطان فيأعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فيأعاد بالخير وتصديق بالحق؛ فمن وجد من ذلك شيئاً فليعلم أنه من الله فليحمد الله. ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان ثم قرأ (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) الآية.

قال الشيخ رحمه الله: وقد رواه جرير عن عطاء فوقفه على ابن مسعود. أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن علي نا أحمد بن جعفر نا عبد الله بن أحمد ثنى أبي نا عبد الرزاق نا سفيان عن منصور عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: كان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن

(١) من الجدور أى تنزلت.

(٢) اللمة الهمزة والخطرة تقع في القلب فما كان من خطرات الخير فهو من الملك وما كان من خطرات الشر فهو من الشيطان.

والحسين فيقول: أعيد كما بكلمات الله التامة. من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة. ثم يقول هكذا كان ابي إبراهيم صلى الله عليه وآله (١) وسلم يعوذ إسحاق وإسماعيل وإسحاق أخرجاه في الصحيحين. قال أبو بكر بن الأنباري الهامة واحد الهوام، ويقال. هي كل نسمة تهم بسوء واللامة الملامة وإنما قال لامة ليوافق لفظ هامة فيكون ذلك أخف على اللسان.

أخبرنا محمد بن ناصر نا المبارك بن عبد الجبار نا إبراهيم بن عمر البرمكي نا أبو الحسن عبد الله بن إبراهيم الزيني نا محمد بن خلف نا عبد الله بن محمد نا فضيل بن عبد الوهاب نا جعفر بن سليمان عن ثابت قال: قال مطرف. نظرت فإذا ابن آدم ملق بين يدي الله عز وجل وبين إبليس فمن شاء أن يعصمه عصمه، وإن تركه ذهب به إبليس (وحكى) عن بعض السلف أنه قال لتبليذه. ماتصنع بالشيطان إذا سول لك الخطايا. قال: أجاهده، قال: فإن عاد؟ قال: أجاهده، قال: فإن عاد؟ قال أجاهده. قال هذا يطول أرأيت إن مررت بغتم فنبحك كلبها أو منعك من العبور ماتصنع؟ قال: أكابده وأرده جهدي. قال هذا يطول عليك، ولكن استعن بصاحب الغنم يكفه عنك.

قال الشيخ، رحمه الله: واعلم أن مثل إبليس مع المتقى والمخطئ كرجل جالس بين يديه طعام، فربه كلب فقال له اخسأ فذهب فمر بآخر بين يديه طعام ولحم فكلما أحساه لم يبرح، فالأول مثل المتقى يمر به الشيطان فبكفيه في طرده الذكر، والثاني مثل المخطئ لا يفارقه الشيطان لمكان تخليطه، نعوذ بالله من الشيطان.

﴿ الباب الرابع - في معنى التلبيس والغرور ﴾

قال المصنف: التلبيس إظهار الباطل في صورة الحق، والغرور نوع جهل يوجب اعتقاد الفاسد صحيحاً والردى جيداً: وسببه وجود شبهة أوجبت ذلك وإنما يدخل إبليس على الناس بقدر ما يمكنه ويزيد تمكينه منهم ويقل على مقدار يقظتهم وغفلتهم وجهلهم وعلمهم. واعلم أن القلب كالحصن، وعلى ذلك الحصن

(١) هكذا في النسخ التي بأيدينا، ولعل « بآله » زيادة من النسخ.

سور ، وللسور أبواب ، وفيه ثلم^(١) وساكنه العقل ، والملائكة تتردد إلى ذلك الحصن ، وإلى جانبه ركبت^(٢) فيه الهوى والشياطين تحتلف إلى ذلك الربض من غير مانع ، والحرب قائم بين أهل الحصن وأهل الربض والشياطين لا تزال تدور حول الحصن تطلب غفلة الحارس والعبور من بعض الثلم . فينبغي للحارس أن يعرف جميع أبواب الحصن الذي قد وكل بحفظه وجميع الثلم ، وأن لا يفتر عن الحراسة لحظة . فان العدو ما يفتر . قال رجل للحسن البصري : أينام إبليس ؟ قال : لو نام لوجدنا راحة ؛ وهذا الحصن مستنير بالذكر مشرق بالإيمان ، وفيه مرآة صقيلة يترامى فيها صور كل ما يمر به ، فأول ما يفعل الشيطان في الربض إكثار الدخان فتسود حيطان الحصن ، وتصدأ المرأة وكال الفكر يرد الدخان ، وصقل الذكر يجلو المرأة ، وللعُدو حملات فتارة يحمل فيدخل الحصن ، فيكر عليه الحارس فيخرج ، وربما دخل فعات^(٣) وربما أقام لغفلة الحارس ، وربما ركبت الريح الطاردة للدخان فتسود حيطان الحصن وتصدأ المرأة فيمر الشيطان ولا يدري به ، وربما جرح الحارس لغفلته وأسر واستخدم وأقيم يستنبط الحيل في موافقة الهوى ومساعدته ، وربما صار كالفقيه في الشر ، قال بعض السلف . رأيت الشيطان فقال لي قد كنت ألقى الناس فأعلمهم فصرت ألقاهم فأعلم منهم وربما هجم الشيطان على الذكي الفطن ومعه عروس الهوى قد جلاها فيتشاغل الفطن بالنظر إليها فيستأسره ، وأقوى القيد الذي يوثق به الأسرى الجهل ، وأوسطه في القوة الهوى ، وأضعفه الغفلة ، ومادام درع الإيمان على المؤمن ، فإن نبل العدو لا يقع في مقتل .

أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ نا أبو محمد ابن حيان نا أحمد بن محمد بن يعقوب نا أحمد بن يوسف الجوهري نا أبو غسان النهدي قال : سمعت الحسن بن صالح رحمه الله يقول : إن الشيطان ليفتح للعبد

(١) الثلم جمع ثلمة كعرقه وعُرف ، وهى فى الأصل موضع الكسر من القدح .

(٢) الربض بفتحين المكان الذى يؤوى إليه .

(٣) عات يعيث عيثاً أفسد .

تسعة وتسعين باباً من الخير يريد به باباً من الشر . أنبأنا علي بن عبد الله نا محمد ابن محمد النديم نا عمي عبد الواحد بن أحمد ثنى أبي أحمد بن الحسين العدل ثنا أبو جعفر محمد بن صالح ثنا حيان بن الفلس الجاني ثنا حماد بن شعيب عن الأعمش قال : حدثنا رجل كان يكلم الجن ، قالوا : ليس علينا أشد ممن يتبع السنة ، وأما أصحاب الأهواء ، فإننا نلعب بهم لعباً .

﴿ الباب الخامس ﴾

(في ذكر تلييسه في العقائد والديانات)

ذكر تلييسه على السوفسطائية (١)

قال الشيخ : هؤلاء قوم ينسبون إلى رجل يقال له سوفسطا : زعموا أن الأشياء لا حقيقة لها وأن ما يستبعده يجوز أن يكون على ما نشاهده ، ويجوز أن يكون على غير ما نشاهده . وقد أورد العلماء عليهم ، بأن قالوا لمقاتلكم هذه حقيقة أم لا ؟ فإن قلتم لا حقيقة لها وجوزتم عليها البطلان فكيف يجوز أن تدعوا إلى ما لا حقيقة له ؟ فكأنكم تقررون بهذا القول أنه لا يحل قبول قولكم ؛ وإن قلتم لها حقيقة ، فقد تركتم مذهبكم . وقد ذكر مذهب هؤلاء أبو محمد الحسن ابن موسى النوبختي في كتاب الآراء والديانات ، فقال : رأيت كثيراً من المتكلمين قد غلطوا في أمر هؤلاء غلطاً بيناً . لأنهم ناظروهم وجادلوهم وراموا بالحجاج والمناظرة الرد عليهم وهم لم يثبتوا حقيقة ولا أقروا بمشاهدة ، فكيف تكلم من يقول : لا أدري أيكمنى أم لا ؟ وكيف تناظر من يزعم أنه لا يدري أموجود هو أم معدوم ؟! وكيف تخاطب من يدعى أن المخاطبة بمنزلة السكوت في الإبانة

(١) اعلم أن السوفسطائية انقسمت ثلاثة مذاهب : الأول ينكر حقائق الأشياء ويزعم أنها أوهام وهم العنادية ؛ والثاني ينكر العلم بثبوت الشيء ولا بعدم ثبوته ، ولا ينكر نفى الحقائق ولا يثبتها ويزعم أنه شاك وشاك في أنه شاك وهم اللاأدرية ، والثالث يزعم الحقائق تابعة للاعتقادات مع كونه ينكر ثبوتها وهم الغندية وهي مذكورة في كلام ابن نف على هذا الترتيب .

وأن الصحيح بمنزلة الفاسد؟ قال: ثم إنه إنما يناظر من يقر بضرورة أو يعترف بأمر، فيجعل ما يهرسبياً إلى تصحيح ما يمجده. فأما من لا يقر بذلك فجادلته مطروحة. قال الشيخ: وقد رد هذا الكلام أبو الوفاء بن عقيل فقال: إن أقواماً قالوا كيف نكلم هؤلاء وغاية ما يمكن المجادل أن يقرب المعقول إلى المحسوس ويستشهد بالشاهد فيسندل به على الغائب، وهؤلاء لا يقولون بالمحسوسات فبم يكلمون؟ قال: وهذا كلام ضيق العطن، ولا ينبغي أن يؤسس من معالجة هؤلاء فإن ما اعتراهم ليس بأكثر من الوسواس ولا ينبغي أن يضيق عطننا عن معالجتهم فإنهم قوم أخرجتهم عوارض انحراف مزاج ومائلنا ومثلهم إلا كرجل رزق ولداً أحول فلا يزال يرى القمر بصورة قرين، حتى إنه لم يشك أن في السماء قرين: فقال له أبوه القمر واحد، وإنما السوم في عينيك، غض عينك الحولاء وانظر، فلما فعل قال: أرى قرأً واحداً لأنني عصبت إحدى عيني فغاب أحدهما فخاف من هذا القول شبهة ثانية، فقال له أبوه: إن كان ذلك كما ذكرت فغض الصحيحة ففعل فرأى قرين، فعلم صحة ما قال أبوه.

أبنا محمد بن ناصر نا الحسن بن أحمد بن البنا ثنا ابن دودان نا أبو عبد الله المرزاني ثنى أبو عبد الله الحكيمى ثنى يموت بن المزرع ثنى محمد بن عيسى النظام قال: مات ابن لصالح بن عبد القدوس فضى إليه أبو الهذيل ومعه النظام وهو غلام حدث كالمتوجع له. فرآه منجرفاً فقال له أبو الهذيل: لا أعرف لجزعك وجهاً إذا كان الناس عندك كالزرع، فقال له صالح يا أبا الهذيل، إنما أجزع عليه لأنه لم يقرأ كتاب الشكوك، فقال له أبو الهذيل: وما كتاب الشكوك، قال هو كتاب وضعته من قرأه يشك فيما قد كان حتى يتوهم أنه لم يكن، وفيما لم يكن حتى يظن أنه قد كان، فقال له النظام: فشك أنت في موت ابنك واعمل على أنه لم يمت، وإن كان قد مات فشك أيضاً في أنه قد قرأ الكتاب وإن كان لم يقرأه. وحكى أبو القاسم البلخي أن رجلاً من السوفسطائية كان يختلف إلى بعض المتكلمين فأتاه مرة فناظره فأمر المتكلم بأخذ دابته فلما خرج لم يرها فرجع فقال سرقت دابتي، فقال ويحك لعلك لم تأت راكباً، قال بلى، قال فكر، قال هذا

أمر أتيقنه ، فجعل يقول له تذكر ، فقال ويحك ويحك ما هذا موضع تذكر ، أنا لا أشك أنتى جئت راكباً ، قال : فكيف تدعى أنه لاحقيقة لشيء وإن حال اليقظان كحال النائم؟ فوجم السوفسطائى ورجع عن مذهبه .

﴿ فصل ﴾ قال النوبختى قد زعمت فرقة من المتجاهلين انه ليس للأشياء حقيقة واحدة فى نفسها ، بل حقيقتها عند كل قوم على حسب ما يعتقد فيها ، فان العسل يحده صاحب المرة الصفراء مرآ . ويحده غيره حلواً . قالوا وكذلك العالم هو قديم عند من اعتقد قدمه ، محدث عند من اعتقد حدوثه . واللون جسم عند من اعتقده جسماً ، وعرض عند من اعتقده عرضاً . قالوا فلو توهمنا عدم المعتقدين وقف الأمر على وجود من يعتقد . وهؤلاء من جنس السوفسطائية فيقال لهم أقول لكم صحيح ؟ فسيقولون هو صحيح عندنا ، باطل عند خصمنا . قلنا دعواكم صحة قولكم مردودة وإقراركم بأن مذهبكم عند خصمكم باطل شاهد عليكم ومن شهد على قرلهم بالبطلان من وجه فقد كفى خصمه بتبيين فساد مذهبه ، وما يقال لهم : أثبتون للمشاهدة حقيقة ؟ فان قالوا لا ، لحقوا بالاولين ، وإن قالوا حقيقتها على حسب الاعتقاد فقد نفوا عنها الحقيقة فى نفسها وصار الكلام معهم كالكلام مع الاولين .

﴿ فصل ﴾ قال النوبختى . ومن هؤلاء من قال : إن العالم فى ذوب وسيلان قالوا ولا يمكن الإنسان أن يتفكر فى الشيء الواحد مرتين . لتغير الأشياء دائماً فيقال لهم : كيف علم هذا وقد أنكرتم ثبوت ما يوجب العلم ، وربما كان أحدكم الذى يحويه الآن غير الذى كله .

﴿ ذكر تلبيسه على الدهوية ﴾

قال المصنف : قد أوهم إبليس خلقاً كثيراً أنه لا إله ولا صانع ، وأن هذه الأشياء كانت بلا مكنون ، وهؤلاء لما لم يدركوا الصانع بالحس ولم يستعملوا فى معرفته العقل جحدوه ، وهل يشك ذو عقل فى وجود صانع فإن الإنسان لומר بقاع ليس فيه بنيان ثم عاد فرأى حائطاً مبنياً علم أنه لا بد له من بان بناه ، فهذا المهاد الموضوع ، وهذا السقف المرفوع ، وهذه الأبنية العجيبة والقوانين

الجارية على وجه الحكمة ، أما تدل على صانع ، وما أحسن ما قال بعض العرب :
 إن البعرة تدل على البعير ، فهيكل علوى بهذه اللطافة ، ومراكز سفلى بهذه الكثافة
 أما يدلان على اللطيف الخبير ، ثم لو تأمل الإنسان نفسه لكفت دليلا ، ولشفت
 غليلا فإن فى هذا الجسد من الحكم ما لا يسع ذكره فى كتاب . ومن تأمل تحديد
 الأسنان لتقطع ، وتقرىض الأضراس لتطحن . واللسان يقرب الممضوغ وتسلط
 السكبد على الطعام ينضجه ، ثم ينفذ إلى كل جراحة قدر ما تحتاج إليه من الغذاء ،
 وهذه الأصابع التى هيئت فيها العقد لتطوى وتنفث ، فيمكن العمل بها ، ولم
 تجوف لكثرة عملها إذ لو جوفت لصدمها الشئ القوى فكسرها ، وجعل
 بعضها أطول من بعض لتستوى إذا ضمت ، وأخفى فى البدن ما فيه قوامه ، وهى
 النفس التى إذا ذهبت فسد العقل الذى يرشد إلى المصالح ، وكل شئ من هذه
 الأشياء ينادى أفى الله شك ؟ وإنما يخبط الجاحد لأنه طلبه من حيث الحس ،
 ومن الناس من جحد ، لأنه لما أثبت وجوده من حيث الجملة لم يدركه من حيث
 التفصيل فجحد أصل الوجود ، ولو أعمل هذا فكره لعلم أن لنا أشياء لا ندرك
 إلا جملة كالنفس والعقل . ولم يمتنع أحد من إثبات وجودهما . وهل الغاية إلا
 إثبات الخلق جملة ، وكيف يقال كيف هو أو ما هو ولا كيفية له ولا ماهية .
 ومن الأدلة القطعية على وجوده أن العالم حادث بدليل أنه لا يخلو من الحوادث
 وكل ما لا ينفك عن الحوادث حادث ولا بد لحادث هذا الحادث من مسبب
 وهو الخالق سبحانه . والبلحدين اعترض يتناولون به على قولنا : لا بد للصنعة
 من صانع فيقولون إنما تعلقتم فى هذا بالشاهد وإليه نقاضيتكم فنقول كما أنه لا بد
 للصنعة من صانع فلا بد للصورة الواقعة من الصانع من مادة تقع الصورة فيها
 كالخشب لصورة الباب والحديد لصورة الفأس . قالوا فدليلكم الذى تثبتون به
 الصانع يوجب قدم العالم . فالجواب أنه لا حاجة بنا إلى مادة بل نقول إن الصانع
 اخترع الأشياء اختراعاً فإننا نعلم أن الصور والأشكال المتجددة فى الجسم كصورة
 الدواب ليس لها مادة . وقد اخترعها ولا بد لها من مصور فقد أرينا كم صورة
 وهى شئ جاءت لا من شئ ولا يمكنكم أن ترونا صنعة جاءت لا من صانع .

﴿ ذكر تلبيسه على الطبايعين ﴾ (١)

قال المصنف : لما رأى إبليس قلة موافقته على جحد الصانع لكونه يقول شاهدة بأنه لا بد للمصنوع من صانع حسن لا قوام أن هذه المخلوقات فعل الطبيعة قال مامن شيء يخلق إلا من اجتماع الطبايع الأربع فيه . فدل على أنها الفاعلة ، وجواب هذا ، نقول اجتماع الطبايع دليل على وجودها لا على فعلها ثم قد ثبت أن الطبايع لا تفعل إلا باجتماعها وامتزاجها . وذلك يخالف طبيعتها ، فدل على أنها مقهورة . وقد سلموا أنها ليست بحية ولا عالمة ولا قادرة ومعلوم أن الفعل المانسق المنتظم لا يكون إلا من عالم حكيم ، فكيف يفعل من ليس عالماً وليس قادراً ، فإن قالوا ولو كان الفاعل حكماً لم يقع في بنائه خلل . ولا وجدت هذه الحيوانات المضرة فلم أنه بالطبع . قلنا ينقلب هذا عليكم بما صدر منه من الأمور المنتظمة المحكمة التي لا يجوز أن يصدر مثلها عن طبع . فأما الخلل المشار إليه فيمكن أن يكون للابتلاء والردع والعقوبة ، أو في طيه منافع لا نعلمها ثم أين فعل الطبيعة من شمس تطلع في نيسان على أنواع من الحبوب فترطب الحصرم والخلالة وتنشف البرة وتيبسها ولو فعلت طبعاً لأبيست الكل أو رطبتة فلم يبق إلا أن الفاعل المختار استعملها بالمشيئة في يبس هذه للادخار ، والنضج في هذه للتناول ، والعجب أن الذي أوصل إليها اليبس في أكنة (٢) لا يلقى جرمها والذي رطبها يلقى جرمها ، ثم إنها تبيض ورد الخشخاش وتحمر الشقائق وتحمض الرمان وتحلى العنب ، والماء واحد ، وقد أشار المولى إلى هذا بقوله (تسقى بماء واحد ، ونفضل بعضها على بعض في الأكل) .

﴿ ذكر تلبيسه على الثنوية ﴾

وهم قوم قالوا صانع العالم اثنان : ففاعل الخير نور ، وفاعل الشر ظلمة ،

(١) الطبايعين نسبة إلى الطبايع الأربعة وهي : التراب ، والماء ، والنار ، والهواء على مذهبهم هدام الله إلى صراطه المستقيم ، ويعتقدون أنها أصول كل شيء .

(٢) الأكنة الأغذية واحد الأكتان ، قال تعالى : (وجعلنا على قلوبهم أكنة) أي أغشية .

وهما قديمان لم يزالا ولن يزالا قوين حساسين ، سميعين بصيرين ، وهما مختلفان في النفس والصورة ، متضادان في الفعل والتدبير ، فجوهر النور فاضل حسن نير صاف نقي طيب الريح حسن المنظر ، ونفسه نفس خيرة كريمة حكيمة نفاعه منها الخير واللذة والسرور والصلاح . وليس فيها شيء من الضرر ولا من الشر وجوهر الظلمة على ضد ذلك من السكدر والنقص وبن الریح وقبح المنظر ونفسه نفس شريرة بخيلة سفیهة منتنة ضارة منها الشر والفساد (١) . كذا حكاه النوبختي عنهم ، قال : وزعم بعضهم أن النور لم يزل فوق الظلمة ، وقال بعضهم : بل كل واحد إلى جانب الآخر . وقال أكثرهم : النور لم يزل مرتفعاً في ناحية الشمال ، والظلمة منحطة في ناحية الجنوب . ولم يزل كل واحد منهما مبيناً لصاحبه ، قال النوبختي : وزعموا أن كل واحد منهما له أجناس خمسة ، أربعة منها أبدان وخامس هو الروح ، وأبدان النور أربعة : النار والريح ، والتراب ، والماء ، وروحه الشبح ، ولم تزل تتحرك في هذه الأبدان ، وأبدان الظلمة أربعة : الحريق ، والظلمة ، والسموم ، والضباب ، وروحها الدخان وسموا أبدان النور ملائكة ، وسموا أبدان الظلمة شياطين وعفاريت ، وبعضهم يقول الظلمة تتوالد شياطين والنور يتوالد ملائكة . وأن النور لا يقدر على الشر ولا يجوز منه ، والظلمة لا تقدر على الخير ولا تجوز منه . وذكر لهم مذاهب مختلفة فيما يتعلق بالنور والظلمة . ومذاهب سخيفة . فمنها أنه فرض عليهم ألا يدخرون إلا قوت يوم ، وقال بعضهم : على الإنسان صوم سبع العمر ، وترك الكذب والبخل والسحر ، وعبادة الأوثان والزنى والسرقة ، وأن لا يؤذى ذا روح ، في مذاهب طريفة اخترعوها بواقعاتهم الباردة . وذكر يحيى بن بشر النهاوندي أن قوماً منهم يقال لهم (الديصانية) زعموا أن طبيعة العالم (١) كانت طينة خشنة وكانت تحاكي جسم البارئ الذي هو النور زماناً ، فتأذى بها ، فلما طال عليه ذلك قصد تنحيته عنه فتوكل فيها واختلط بها فتركب منها هذا العالم النوري والظلي ، فما

(١) انظر أهداف سورة الكهف ص ٩٨ وما بعدها .

(٢) وفي نسخة طينة العالم .

كان من جهة الصلاح فمن النور ، وما كان من جهة الفساد فمن الظلمة ، وهؤلاء يغتالون الناس ويخنقونهم ويرغمون أنهم يخلصون بذلك الثور من الظلمة ، مذاهب سخيفة ، والذي حملهم على هذا أنهم رأوا في العالم شراً واختلافاً ، فقالوا لا يكون من أصل واحد شيان مختلفان : كما لا يكون من النار التبريد والتسخين . وقد رد العلماء عليهم في قولهم إن الصانع اثنان ، فقالوا لو كان اثنان لم يخل أن يكونا قادرين ، أو عاجزين ، أو أحدهما قادر والثاني عاجز ؛ لا يجوز أن يكونا عاجزين لأن العجز يمنع ثبوت الألوهية ، ولا يجوز أن يكون أحدهما عاجزاً ، فبقي أن يقال هما قادران ، فتصور أن أحدهما يريد تحريك هذا الجسم في حالة يريد الآخر فيها تسكينه ، ومن المحال وجود ما يريدانه ، فإن تم مراد أحدهما ثبت عجز الآخر ، وردوا عليهم في قولهم : إن النور يفعل الخير ، والظلمة تفعل الشر . فانه لو هرب مظلوم فاستتر بالظلمة فهذا خير قد صدر من شر ولا ينبغي مد النفس في الكلام مع هؤلاء فان مذهبهم خرافات .

﴿ ذكر تلبيسه على الفلاسفة وتابعيهم ﴾

إنما تمكن إبليس من التلبيس على الفلاسفة من جهة أنهم انفردوا بآرائهم وعقولهم . وتكلموا بمقتضى ظنونهم من غير التفات إلى الأنبياء . فمنهم من قال بقول الدهرية أن لا صانع للعالم ، حكاه النوبختي وغيره عنهم . وحكى النهاوندي أن أرسطاطليس وأصحابه زعموا أن الأرض كوكب في جوف هذا الفلك وأن في كل كوكب عوالم كما في هذا الأرض وأنهاراً وأشجاراً وأنكروا الصانع وأكثرهم أثبت علة قديمة للعالم ثم قال بقدم العالم ، وأنه لم يزل موجوداً مع الله تعالى ومعلولاً له ومساوياً غير متأخر عنه بالزمان مساواة المعلول للعلة والنور للشمس بالذات والرتبة لا بالزمان ، فيقال لهم لم أنكروا أن يكون العالم حادثاً بإرادة قديمة اقتضت وجوده في الوقت الذي وجد فيه ؟ فان قالوا فهذا يوجب أن يكون بين وجود الباري وبين المخلوقات زمان . قلنا الزمان مخلوق وليس قبل الزمان زمان . ثم يقال لهم : كان الحق سبحانه قادراً على أن يجعل سمك الفلك الأعلى أكثر مما هو بذراع أو أقل مما هو بذراع . فان قالوا لا يمكن فهو

تعجيز ، ولأن ما لا يمكن أن يكون أكبر منه ولا أصغر فوجوده على ما هو عليه واجب لا يمكن ، والواجب يستغنى عن علة وقد ستروا مذهبهم بأن قالوا الله عز وجل صانع العالم ، وهذا تجوز عندهم لاحتياقة . لأن الفاعل مرید لما يفعله وعندهم أن العالم ظهر ضرورياً لا أن الله فعله ؛ ومن مذاهبهم أن العالم باق أبداً كما لا بداية لوجوده فلا نهاية . قالوا لأنه معلول علة قديمة . وكان المعلول مع العلة ، ومتى كان العالم ممكن الوجود لم يكن قديماً ولا معلولاً . وقد قال جالينوس لو كانت الشمس مثلاً تتبل الانعدام لظهر فيها ذبول (١) في هذه المدة الطويلة فيقال له قد يفسد الشيء بنفسه بغتة لا بالذبول ، ثم من أين له أنها لا تذبل ؟ فإنها عندهم بمقدار الأرض مائة وسبعين مرة أو نحو ذلك ، فلو نقص منها مقدار جبل لم يبن ذلك للحس . ثم نحن نعلم أن الذهب والياقوت يقبلان الفساد وقد يبقيان سنين ولا يحس نقصانهما ، وإنما الإيجاد والإعدام بإرادة القادر والقادر لا يتغير في نفسه ولا تحدث له صفة وإنما يتغير الفعل بإرادة قديمة .

﴿فصل﴾ وحكى النوبختي في كتاب الآراء والديانات أن سقراط كان يزعم أن أصول الأشياء ثلاثة : علة فاعلة ، والعنصر ، والصورة ، قال : والله تعالى هو الفعال (٢) والعنصر هو الموضوع الأول للسكون والفساد ، والصورة جوهر للجسم ، وقال آخر منهم : الله هو العلة الفاعلة ، والعنصر المنفعل ، وقال آخر منهم العقل رتب الأشياء هذا الترتيب ، وقال آخر منهم بل الطبيعة فعلته .

وحكى يحيى بن بشير بن عمير النهاوندي أن قوماً من الفلاسفة قالوا لما شاهدنا العالم مجتمعاً ومتفرقاً ومتحركاً وساكناً علمنا أنه محدث ولا بد له من محدث ثم رأينا أن الإنسان يقع في الماء ولا يحسن السباحة فيستغيث بذلك الصانع المدبر فلا يغشيه ، أو في النار فعلمنا أن ذلك الصانع معدوم . قال واختلف هؤلاء في عدم الصانع المدبر على ثلاث فرق : فرقة زعمت أنه لما أكمل العالم استحسنته غشى أن يزيد فيه أو ينقص منه فيفسد ، فأهلك نفسه وخلا منه العالم ، وبقيت

(١) يقال ذبل الشيء ضعف وذهبت نضارته .

(٢) وفي نسخة هو العقل .

الأحكام تجرى بين حيواناته ومصنوعاته على ما اتفق ، وقالت الفرقة الثانية : بل ظهر في ذات الباري تولول ، فلم يزل تنجذب قوته ونوره حتى صارت القوة والنور في ذلك التولول وهو العالم ، وساء نور الباري وكان الباقي منه سنور . وزعموا أنه سيجذب النور من العالم إليه حتى يعود كما كان ، ولضعفه عن مخلوقاته أهمل أمرهم فشاع الجور .

وقالت الفرقة الثالثة : بل الباري لما أتقن العالم تفرقت أجزاؤه فيه فكل قوته في العالم فهي من جوهر اللاهوتية . قال الشيخ رحمه الله : هذا الذي ذكره النهاوندي نقلته من نسخة بالنظامية قد كتبت منذ مائتين وعشرين سنة ؛ ولولا أنه قد قيل ونقل في ذكره بيان ما قد فعل إبليس في تلبيسه ، لكان الأولى الإضراب عن ذكره تعظيماً لله عز وجل أن يذكر بمثل هذا ، ولكن قد بينا وجه الفائدة في ذكره .

﴿ فصل ﴾ وقد ذهب أكثر الفلاسفة إلى أن الله تعالى لا يعلم شيئاً ، وإنما يعلم نفسه ، وقد ثبت أن المخلوق يعلم نفسه ويعلم خالقه ، فقد زادت مرتبة المخلوق على رتبة الخالق .

قال المصنف : وهذا أظهر فضيحة من أن يتكلم عليه ، فانظر إلى مازيته إبليس لهؤلاء الحقاء مع ادعائهم كمال العقل ، وقد خالفهم أبو علي ابن سينا في هذا فقال بل يعلم نفسه ، ويعلم الأشياء الكلية ولا يعلم الجزئيات ، وتلقف هذا المذهب منهم المعتزلة ، وكأنهم استكثروا المعلومات ، فالحمد لله الذي جعلنا ممن ينفي عن الله الجهل والنقص ، ونؤمن بقوله (ألا يعلم من خلق) وقوله : (ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها) وذهبوا إلى أن علم الله وقدرته هو ذاته ، فراراً من أن يثبتوا قديمين ، وجوابهم أن يقال إنما هو قديم موجود واحد موصوف بصفات الكمال .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف : وقد أنكرت الفلاسفة بحث الأجساد ، ورد الأرواح إلى الأبدان ووجود جنة ونار جسمانيين وزعموا أن تلك أمثلة ضربت لعوام الناس ليفهموا الثواب والعقاب الروحانيين ، وزعموا أن النفس تبقى بعد

الموت بقاء سر مدياً أبداً ، إما في لذة لا توصف وهى الأنفس الكاملة ، أو ألم لا يوصف وهى النفوس المتلوة ؛ وقد تتفاوت درجات الألم على مقادير الناس ، وقد ينمحي عن بعضها الألم ويزول ؛ فيقال لهم نحن لاننكر وجود النفس بعد الموت ، ولذلك سمي عودها إعادة ، ولا أن لها نعيماً وشقاء ، ولكن ما المانع من حشر الأجسام ؟ ولم ننكر اللذات والآلام الجسمانية في الجنة والنار ، وقد جاء الشرع بذلك فمن يؤمن بالجمع بين السعادات ، وبين الشقاوتين الروحانية والجسمانية ، وأما الخائف في مقام الأمثال فتحكم بلا دليل ، فان قالوا الأبدان تتحل وتوكل وتستحيل . قلنا القدرة لا يقف بين يديها شيء ، على أن الإنسان إنسان بنفسه . فلو صنع له البدن من تراب غير التراب الذى خلق منه لم يخرج عن كونه هو هو ، كما أنه تبدل أجزاءه من الصغر إلى الكبر وبالهزال والسمن فان قالوا لم يكن البدن يدناً حتى يرقى من حالة إلى حالة إلى أن صار لحماً وعروفاً قلنا قدرة الله سبحانه وتعالى لا تقف على المفهوم المشاهد ثم قد أخبرنا نبينا ﷺ أن الأجسام تنبت في القبور قبل البعث ، وأخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي البزار نا أبو محمد الجوهري نا عمر بن محمد بن الزيات ثنا قاسم بن زكريا المطر ثنا أبو كريب ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ ما بين النفختين أربعون (١) قالوا يا أبا هريرة أربعون يوماً ؟ قال أبيت ، قالوا أربعون شهراً ؟ قال أبيت ، قالوا أربعون سنة قال أبيت ؛ قال ثم ينزل الله ماء من السماء فينبثون كما ينبث البقل ، قال وليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظماً واحداً وهو عجب (٢) الذنب ، منه خلق ، ومنه يركب الخلق يوم القيامة ، أخرجه في الصحيحين .

(١) هذه رواية مسلم ، ورواية البخارى المسئول فيها هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ومعنى أبيت امتنع عن الإخبار بما لا أعلم وقد جاءت مفسرة من رواية غيره في غير مسلم أربعون سنة .

(٢) هو بفتح العين وإسكان الجيم العظم اللطيف الذى في أسفل الصلب ، وهو رأس العصه .

((فصل)) وقد لبس ابليس على أقوام من أهل ملتنا فدخل عليهم من باب قوة ذكائهم وفطنتهم فأراهم أن الصواب اتباع الفلاسفة لكونهم حكماء قد صدرت منهم أفعال وأقوال دلت على نهاية الذكاء وكمال الفطنة كما ينقل من حكمة سقراط وأبقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس وجالينوس وهؤلاء كانت لهم علوم هندسية ومنطقية وطبيعية واستخرجوا بفطنتهم أموراً خفية إلا أنهم لما تكلموا في الالهيات خاطوا ولذلك اختلفوا فيها ولم يختلفوا في الحسيات والهندسيات وقد ذكرنا جنس تخليطهم في معتقداتهم . وسبب تخليطهم أن قوى البشر لا تدرك العلوم الاجملة والرجوع فيها الى الشرائع (وقد حكى) لهؤلاء المتأخرين في أمتنا أن أولئك الحكماء كانوا ينكرون الصانع ويدفعون الشرائع ويعتقدونها نواميس وخيالات فصدقوا فيما حكى لهم عنهم ورفضوا شعار الدين وأهملوا الصلوات ولا بسوا المحذورات واستهانوا بحدود الشرع وخلعوا ربة الاسلام فاليهود والنصارى أعذر منهم لكونهم متمسكين بشرائع دلت عليها معجزات ، والمبتدعة في الدين أعذر منهم لانهم يدعون النظر في الأدلة وهؤلاء لا مستند لكفرهم إلا علمهم بأن الفلاسفة كانوا حكماء أتراهم ما علموا أن الأنبياء كانوا حكماء وزيادة (وما قد حكى) لهؤلاء الفلاسفة من جحد الصانع محال : فان أكثر القوم يثبتون الصانع ولا ينكرون النبوات وإنما أهملوا النظر فيها وشذ منهم قليل فتبعوا الدهرية الذين فسدت أفهامهم بالمرّة وقد رأينا من المتفلسفة من أمتنا جماعة لم يكسبهم التفلسف إلا التحير فلا هم يعملون بمقتضاه ولا بمقتضى الاسلام بل فيهم من يصوم رمضان ويصلي ثم يأخذ في الاعتراض على الخالق وعلى النبوات ويتكلم في انكار بعث الأجساد ولا يكاد يرى منهم أحد إلا ضربه الفقر فأضربه فهو عامة زمانه في تسخط على الأقدار والاعتراض على المقدر حتى قال لي بعضهم أنا لا أخاصم إلا من فوق الفلك وكان يقول أشعاراً كثيرة في هذا المعنى فمنها قوله في صفة الدنيا قال :

أتراها صنعة من غير صانع * أم تراها رمية من رام
وقوله

واحيرتا من وجود ما تقدمه * منا (١) اختيار ولا علم فيقتبس
 كأنه في عمام ما يخلصنا * منه ذكاء ولا عقل ولا شرس (٢)
 ونحن في ظلمة ما إن لها قر * فيها بضئ ولا شمس ولا قبس
 مدلهين حيارى قد تكلفنا * جهل يجهمنا (٣) في وجهه عبس
 فالفعل فيه بلا ريب ولا عمل * والقول فيه كلام كله هوس
 (فصل) ولما كانت الفلسفة قريباً من زمان شريعتنا والرهبة كذلك
 مدت بعض أهل ملتنا يده إلى التمسك بهذه وبعضهم مد يده إلى التمسك بهذه
 فترى كثيراً من الحق إذا نظروا في باب الاعتقاد تفلسفوا وإذا نظروا في
 باب التزهد ترهبوا فنسأل الله ثباتاً على ملتنا وسلامة من عدونا أنه ولي الإجابة .
 (ذكر تلبسه على أصحاب الهياكل)

وهم قوم يقولون إن لكل روحاني من الروحانيات العلوية هيكلأ أعني
 جرماً من الاجرام السماوية هو هيكله ونسبته إلى الروحاني المختص به نسبة
 أبداننا إلى أرواحنا فيكون هو مدبره والمتصرف فيه فمن جملة الهياكل العلوية
 السيارات والثوابت ، قالوا : ولا سيبل لها إلى الروحاني بعينه . فيتقرب إلى هيكله
 بكل عبادة وقربان . (وقال آخرون منهم) لكل هيكل سماوي شخص من
 الأشخاص السفلية على صورته وجوهره فعمل هؤلاء الصور ونحتوا الأصنام
 وبنوا لها بيوتاً .

وقد ذكر يحيى بن بشر النهاوندي أن قوما قالوا الكواكب السبعة وهي
 زحل ، والمشتري ، والمريخ ، والشمس ، والزهرة ، وعطارد ، والقمر . هي
 المدبرات لهذا العالم وهي تصدر عن أمر الملائ الأعلى . ونصبوا لها الأصنام
 على صورتها ، وقربوا لكل واحد منها ما يشبهه من الحيوان . فجعلوا الزحل
 جسماً عظيماً من الآنك (٤) أعني يقرب إليه بشور حسن يؤتي به إلى بيت تحته
 محفور وفوقه الدرازين من حديد على تلك الحفرة فيضرب الثور حتى يدخل
 البيت ويمشي على ذلك الدرازين من الحديد فتغوص رجلاه وبداه هنالك ثم
 (١) وفي نسخة اختبار (٢) أي سوء خلق (٣) أي يلقي بالغلطة (٤) الآنك
 الرصاص الخالص .

توقد تحته النار حتى يحترق . ويقول له المقربون مقدس أنت أيها الإله الأعلى المطبوع على الشر الذي لا يفعل خيراً قربنا لك ما يشبهك فتقبل منا وأكفنا شرك وشر أرواحك الخبيثة : ويقربون للمشتري صيداً طفلاً وذلك أنهم يشترون جارية ليطأها السدنة (١) للأصنام السبعة فتحمل وتترك حتى تضع ويأتون بها والصبي على يدها ابن ثمانية أيام فينخسونه بالمسل والإبر وهو يبكي على يد أمه فيقولون له أيها الرب الخير الذي لا يعرف الشر قد قربنا لك من لم يعرف الشر يجانسك في الطبيعة فتقبل قرباننا وأرزقنا خيرك وخير أرواحك الخيرة ويقربون للمريخ رجلاً أشقر أنثى (٢) أبيض الرأس من الشمقرة يأتون به فيدخلون في حوض عظيم ويشدون قيوده إلى أوتاد في قعر الحوض ويملاؤن الحوض زيتاً حتى يبقى الرجل قائماً فيه إلى حلقه ويخلطون بالزيت الأدوية المقوية للعصب والمغذية للحم حتى إذا دار عليه الحول بعد أن يغذى بالأغذية المغذية للحم والجلد قبضوا على رأسه فلفخوا عصبه من جلده ولفوه تحت رأسه وأتوا به إلى صنمهم الذي هو على صورة المريخ فقالوا أيها الإله الشرير ذو الفتن والجوائح قربنا إليك ما يشبهك فتقبل قرباننا وأكفنا شرك وشر أرواحك الخبيثة الشريرة . ويزعمون أن الرأس تبقى فيه الحياة سبعة أيام وتكلمهم بعلم ما يصيهم تلك السنة من خير وشر ويقربون للشمس تلك المرأة التي قتلوا ولدها للمشتري ويطوفون بصورة الشمس ويقولون مسبحة مهللة أنت أيتها الآلهة النورانية قربنا إليك ما يشبهك فتقبل قرباننا وأرزقنا من خيرك وأعيدنا من شرك . ويقربون للزهرة عجوزاً شمطاء ماجنة (٣) يقدمونها بين يديها وينادون حولها أيتها الآلهة الماجنة أتيناك بقربان بياضه كبياضك وبجائته كمجائتك وظرفه كظرفك فتقبلها منا . ثم يأتون بالخطب فيجعلونه حول العجوز ويضرمون فيه النار إلى أن تحترق فيحشون رمادها في وجه الصنم .

(١) السدنة بالتحريز جمع سادن وهو خادم الكعبة ويدت الأصنام

(٢) النش بفتحين نقط بيض وسود

(٣) أى صفقة الوجه لا تستحي من قبح القول

ويقربون لعطارد شاباً أسمر حاسباً كاتباً متأدباً يأتون به بحيلة وكذلك يفعلون بالكل يخدعونهم وينجونهم ويسقونهم أدوية تزيل العقل وتخرس الألسنة فيقدمون هذا الشاب إلى صنم عطارد ويقولون أيها الرب الظريف أتيناك بشخص ظريف وبطبعك اهتدينا فتقبل منا ثم ينشر الشاب نصفين ويربع ويجعل على أربع خشبات حوله ويضرم كل خشبة النار حتى تحترق ويحترق الربع معها ويحترق رماده في وجهه

ويقربون للقمر رجلاً آدم كبير الوجه ويقولون له يا يريدا الآلهة وخفيف الاجرام العلوية .

﴿ ذكر تليسه على عباد الأصنام ﴾

قال المصنف كل محنة لبس بها إبليس على الناس فسبها الميل إلى الحس والأعراض عن مقتضى العقل ولما كان الحس يأنس بالمثل (١) دعا إبليس لعنه الله خلقاً كثيراً إلى عبادة الصور وأبطل عند هؤلاء عمل العقل بالمرة . فمنهم من حسن له أنها الآلهة وحدها ومنهم من وجد فيه قليل فطنة فعلم أنه لا يوافق على هذا فزين له أن عبادة هذه تقرب إلى الخالق فقالوا ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى .

﴿ ذكر بداية تليسه على عباد الأصنام ﴾

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك الحافظ نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو جعفر بن أحمد بن السلم نا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزاني نا أبو بكر أحمد بن محمد بن عبد الله الجوهرى ثنا أبو على الحسن بن عليل العنزي : ثنا أبو الحسن على ابن الصباح بن الفرات قال أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الحلبي قال أخبرني أبي قال أول ما عبدت الأصنام كان آدم عليه السلام لما مات جعله بنو شيث بن آدم في مغارة في الجبل الذي أهبط عليه آدم بأرض الهند ويقال للجبل بود وهو أخصب جبل في الأرض . قال هشام فأخبرني

(١) في نسخة بالميل .

أبى عن أبى الصالح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال فكان بتو شيث بن آدم عليه الصلاة والسلام يأتون جسد آدم فى المغارة فيعظمونه ويترحمون عليه فقال رجل من بنى قابيل يا بنى قابيل إن لبيد شيث دواراً يدورون حوله ويعظمونه وليس لكم شيء فنحت لهم صنما فكان أول من عملها قال . وأخبرنى أبى أنه كان ود . وسواع . ويغوث . ويعوق . ونسر . قوما صالحين فأتوا فى شهر بجرع عليهم أقاربهم فقال رجل من بنى قابيل يا قوم هل لكم أن أعمل لكم خمسة أصنام على صورهم غير أننى لا أقدر أن أجعل فيها أرواحا ، فقالوا نعم . فنحت لهم خمسة أصنام على صورهم ونصبها لهم فكان الرجل منهم يأتى أخاه وعمه وابن عمه فيعظمه ويسعى حوله حتى ذهب ذلك القرن الأول . وعملت على عهد يزد بن مهلايل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم ثم جاء قرن آخر فعظموهم أشد تعظيم من القرن الأول . ثم جاء من بعدهم القرن الثالث فقالوا ما عظم الأولون هؤلاء إلا وهم يرجون شفاعتهم عند الله عز وجل ، فعبدوهم وعظموا أمرهم واشتد كفرهم فبعث الله سبحانه وتعالى إليهم إدريس عليه الصلاة والسلام فدعاهم فكذبوه فرفعه الله مكانا عليا ، ولم يزل أمرهم يشتد فيما قال الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس حتى أدرك نوح فبعثه الله نبياً وهو يومئذ ابن أربعمئة وثمانين سنة فدعاهم إلى عبادة الله عز وجل مائة وعشرين سنة فعصوه وكذبوه فأمره الله تعالى أن يصنع الفلك فعملها وفرغ منها وركبها وهو ابن ستمائة سنة وغرق من غرق ومكث بعد ذلك ثلاثمئة سنة وخمسين سنة . فكان بين آدم ونوح ألفا سنة ومائتا سنة فأهبط الماء هذه الأصنام من أرض إلى أرض حتى قذفها إلى أرض جُدة فلما نصبت الماء بقيت على الشط فسفت الريح عليها حتى وارتها .

قال الكلبي : وكان عمرو بن لحي كاهناً وكان يكنى أبا ثمامة له رثى من الجن . فقال له عجل المسير والظعن من تهامة ، بالسعد والسلامة ، أئت صفا جده ، تجد فيها أصناما معدة . فأوردها تهامة ولا تهب ، ثم ادع العرب إلى عبادتها تجب . فأتى نهر جدة فاستثارها ثم حملها حتى ورد بها تهامة وحضر الحج فدعا العرب إلى عبادتها قاطبة ، فأجابه عوف بن عذرة بن زيد اللات

فدفع إليه ودأ فحمله فكان بوادي القرى بدومة الجندل وسمى ابنه عبد ود فهو أول من سمي به . وجعل عوف ابنه عامراً سادناً له فلم يزل بنوه يدينون به حتى جاء الله بالإسلام .

قال الكلبي : حدثني مالك بن حارثة أنه رأى ودأ . قال وكان أبي يبعثني باللبن إليه ويقول اسق إلهك فأشربه . قال ثم رأيت خالد بن الوليد بعد كسره فجعله جذاً وكان رسول الله ﷺ بعثه من غزوة تبوك لهدمه فخالت بيده وبين هدمه بنو عبد ود وبنو عامر فقاتلهم فقتلهم وهدمه وكسره وقتل يومئذ رجلاً من بني عبد ود يقال له قطن بن سريج فأقبلت أمه (وهو مقتول) وهي تقول :

ألا تلك المودة لا تدوم ولا يبق على الدهر النعيم
ولا يبق على الحدثن عفر (١) له أم بشاهقه رؤوم
ثم قالت :

باجامعاً جامع الأحشاء والكبد ياليت أملك لم تولد ولم تلد
ثم أكبت عليه فشمقت وماتت

قال الكلبي : فقلت لما لك بن حارثة صف لي ودأ حتى كأني أنظر إليه . قال : كان تمثال رجل أعظم ما يكون من الرجال قد دير أي نفس ، عليه حلتان متزرجلة مرتد بأخرى ، عليه سيف قد تقلده وتنكب قوساً وبين يديه حربة فيها لواء ووفضة فيها نبل يعني جمعها (٢)

قال : وأجابت عمرو بن لحي مضر بن نزار فدفع إلى رجل من هذيل يقال له الحارث بن نعيم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر سواعاً ، وكان بأرض يقال لها رهاط من بطن نخلة يعبد من يليه من مضر . فقال رجل من العرب :

(١) العفر — بكسر العين وضمها ذكر الخنازير

(٢) الوفضة — الجعبة التي تجعل فيها السهام

تراهم حول قبلتهم عكوفاً كما عكفت هذيل على سواع
يظل حياته صرعى لديه غنائم من ذخائر كل راعي
وأجابته مذحج فدفع إلى أنعم بن عمرو المرادي يغوث ، وكان بأكمة
بالين تعبدته مذحج ومن والاها .

وأجابته همدان فدفع إلى مالك بن مرثد بن جشم بعوق ، وكان بقرية
يقال لها جوان تعبدته همدان ومن والاها من الين .

وأجابته حمير فدفع إلى رجل من ذى رعين يقال له معدى كرب نسراً
وكان بموضع من أرض سبأ يقال له بلخع تعبدته حمير ومن والاها . فلم
يزالوا يعبدونه حتى هودهم ذو نواس ولم تزل هذه الأصنام تعبد حتى بعث
الله محمداً صلى الله عليه وسلم فأمر بهدمها .

قال ابن هشام وحدثنا السكبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضى الله
عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رفعت لى النار فرأيت عمرو
ابن لحي قصيراً أحمر أزرق يجر قصبه فى النار قلت من هذا قيل هذا عمرو
ابن لحي أول من بحر البحيرة ووصل الوصيلة وسيب السائبة وحمل الحام وغير دين
إسماعيل ودعا العرب إلى عبادة الأوثان . قال هشام وحدثني أبي وغيره أن إسماعيل
عليه الصلاة والسلام لما سكن مكة وولد له فيها أولاد فكثر واحتى ملؤا مكة ونفوا من
كان بها من العالقي ضاقت عليهم مكة ووقعت بينهم الحروب والعداوات فأخرج
بعضهم بعضاً فتنفسحوا فى البلاد واتمسوا المعاش فكان الذى حملهم على عبادة
الأوثان والحجارة أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن إلا أحتمل معه حجراً
من حجارة الحرم تعظيماً للحرم وصيانة لمكة فحيت ما حلوا وضعوه وطافوا
به كطوافهم بالكعبة تيمناً منهم بها وصيانة للحرم وحباله وهم بعد يعظمون الكعبة
ومكة ويحجون ويعتمرون على أثر (١) إبراهيم وإسماعيل ثم عبدوا
ما استحسنا ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل عليهما
السلام غيره فعبدوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم من قبلهم
واستخرجوا ما كان يعبد قوم نوح وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم
(١) وفى نسخة ارت

ذكر تلبسه على الثوبة

وإسماعيل يتمسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف بعرفة والمزدلفة وإهداء البدن والإهلال بالحج والعمرة وكانت نزار تقول إذا ما أهلت (لييك اللهم لييك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك).

وكان أول من غير دين إسماعيل ونصب الأوثان وثيب السائبة ووصل الوصيلة عمرو بن ربيعة وهو لحي بن حارثة وهو أبو خزاعة وكانت أم عمرو بن لحي فهييرة بنت عامر بن الحارث وكان الحارث هو الذي يلي أمر الكعبة فلما بلغا عمرو بن لحي نازعه في الولاية وقاتل جرهم بن إسماعيل فظفر بهم وأجلاهم عن الكعبة ونفاهم من بلاد مكة وتولى حجابة البيت من بعدهم ثم أنه مرض مرضاً شديداً فقبل له أن بالبقاء من أرض الشام حمة إن أتيتها برئت فأتاها فاستحم بها فبرأ ووجد أهلها يعبدون الأصنام فقال ما هذه فقالوا نستسقي بها المطر ونستنصر بها على العدو فسألهم أن يعطوه منها ففعلوا فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة واتخذت العرب الأصنام.

وكان أقدمها مناة وكان منصوباً على ساحل البحر من ناحية المسلك بقديد بين مكة والمدينة وكانت العرب جميعاً تعظمه والأوس والخزرج ومن نزل المدينة ومكة وما والاها ويذبحون له ويهدون له.

قال هشام : وحدثنا رجل من قریش عن أبي عبيدة بن عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عامر بن ياسر قال : كانت الأوس والخزرج ومن يأخذ مأخذهم من العرب من أهل يثرب وغيرها يحجون فيقفون مع الناس المواقف كلها ولا يخلقون رؤسهم فإذا نفروا أتوه فخلقوا عنده رؤوسهم وأقامو عنده لا يرون لحجهم تماماً إلا بذلك وكانت مناة لهذيل وخزاعة فبعث رسول الله ﷺ علياً رضي الله عنه فهدمها عام الفتح.

ثم اتخذوا اللات بالطائف وهي أحدث من مناة وكانت صخرة مرتفعة (١) وكانت سدنتها من ثقيف وكانوا قد بنوا عليها بناء وكانت قریش وجميع

العرب تعظما وكانت العرب تسمى زيد اللات وتيم اللات وكانت في موضع منارة مسجد الطائف اليسرى اليوم فلم يزالوا كذلك حتى أسلمت ثقيف فبعث رسول الله ﷺ المغيرة بن شعبه فهدمها وحرقها بالنار .

ثم اتخذوا العزى وهى أحدث من اللات اتخذها ظالم بن أسعد وكانت بوادى نخلة الشامية فوق ذات عرق وبنوا عليها بيتاً وكانوا يسمعون منه الصوت . قال هشام : وحدثني أبى عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كانت العزى شيطانة تأتى ثلاث سمرات يبطن نخلة فلما افتتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد فقال ائت بطن نخلة فإنك تجد ثلاث سمرات فاعضد الأولى فأتاها فعضدها . فلما جاء إليه قال : هل رأيت شيئاً ؟ قال لا . قال فاعضد الثانية فأتاها فعضدها . ثم أتى النبي ﷺ . فقال هل رأيت شيئاً قال لا قال فاعضد الثالثة فأتاها فإذا هو بجنية نافضة سعيها واضعة يديها على عاتقها تصر بأنيابها وخلفها دبية السلى وكان سادنها . فقال خالد : يا عزى كفرانك لا سبجانك أنى رأيت الله قد اهانك

ثم ضربها ففلق رأسها فإذا هى حممة (١) ثم عضد الشجرة وقتل دبية السادن ثم أتى النبي ﷺ فأخبره فقال تلك العزى ولا عزى بعدها للعرب . قال هشام : وكان لقريش أصنام في جوف الكعبة وحولها وأعظمها عندهم همل . وكان فيما بلعن من عقيق أحمر على صورة الإنسان مكسور اليد اليمنى أدركته قريش كذلك فجعلوا له يداً من ذهب . وكان أول من نصبه خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر وكان في جوف الكعبة وكان قدماه سبعة أقدح مكتوب في أحدها صريح وفي الآخر ملصق فإذا شكوا في مولود أهدوا له هدية ثم ضربوا بالقدح فإن خرج صريح الحقوه وإن خرج ملصقاً دفعوه . وكانوا إذا اختصموا في أمر أو أرادوا سفراً أو عملاً أتوه فاستقسموا بالقداح عنده . وهو الذى قال له أبو سفيان يوم أحد : أعل همل أى علا دينك . فقال رسول الله ﷺ لأصحابه ألا تجيبونه فقالوا

(١) الحممة بضم الحاء وفتح الميمين جمعها حمم الرماد ، وكل ما احترق من النار .

وما نقول . قال قولوا لله أعلى وأجل . وكان لهم أساف ونائلة قال هشام
حدث الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن أساف رجل من جرهم يقال له
أساف بن يعلى ونائلة بنت زيد من جرهم وكان يتعشقها في أرض اليمن فأقبلا
حجاجاً فدخلوا البيت فوجدوا غفلة من الناس وخلوة من البيت ففجروها
في البيت فمسخا فأصبجوا فوجدوهما ممسوخين فأخرجوهما فوضعهما
موضعهما فعبدهما خزاعة وقريش ومن حج البيت بعد من العرب . قال
هشام لما مسخا حجرين وضعا عند البيت لينقذ الناس بهما فلما طال مكثهما
وعبدت الأصنام عبدا معها . وكان أحدهما ملصقاً بالكعبة والآخر في
موضع زمزم فنقلت قريش الذي كان ملصقاً بالكعبة إلى الآخر فكانوا
ينحرون ونذبحون عندهما .

وكان من تلك الأصنام ذو الخلصة وكان مروة (١) بيضاء منقوشة عليها
كهيئة التاج وكانت بتبالة بين مكة (٢) والمدينة على مسيرة سبع ليال من مكة
وكانت تعظمها وتهدي لها خشم وبجيلة . فقال رسول الله ﷺ لجرير رضي
الله عنه : ألا تكفي ذا الخلصة فوجهه إليه فسار بأحس فقابله خشم وباهلة
فظفر بهم وهدم بنيان ذي الخلصة وأضرم فيه النار ، وذو الخلصة اليوم
عتبة باب مسجد تبالة .

وكان لدوس صنم يقال له ذو الكفين . فلما أسلموا بعث رسول الله ﷺ
الطفيل بن عمرو فخرقه .

وكان لبني الحارث بن يشكر صنم يقال له ذو الثرى .
وكان لقضاعة والحخم وجذام وعاملة وغطفان صنم في مشارف الشام
يقال له الأقيصر .

وكان لمزينة صنم يقال له فهم وبه كانت تسمى عبد فهم .
وكان لعنزة صنم يقال له سكير

(١) المروة — حجارة بركة تقدر منها النار جمعها مرو .
(٢) وفي نسخة اليمن : قال ابن الأثير في النهاية تبالة بفتح التاء وتخفيف الباء
بلد باليمن معروف .

وكان لطىء صنم يقال له الفلاس . وكان لأهل كل واد من مكة صنم في دارهم يعبدونه فإذا أراد أحدهم السفر كان آخر ما يصنع في منزله أن يتمسح به وإذا قدم من سفره كان أول ما يصنع إذا دخل منزله أن يتمسح به . ومنهم من اتخذ بيتاً ومن لم يكن له صنم ولا بيت نصب حجراً عما استحس ثم طاف به وسموها الأنصاب . وكان الرجل إذا سافر فنزل منزلاً أخذ أربعة أحجار فنظر إلى أحسنها فاتخذها رباً وجعله ثلاثة الاثنى (١) لقدرة فإذا ارتحل تركه . فإذا نزل منزلاً آخر فعل مثل ذلك ولما ظهر رسول الله ﷺ على مكة دخل المسجد والأصنام منصوبة حول الكعبة فجعل يطعن بسية (٢) قوسه في عيونها ووجوهها ويقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ثم أمر بها فكفشت على وجوهها ثم أخرجت من المسجد فخرقت . وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : في زمان يزد برد عبت الأصنام ورجع من رجع عن الاسلام .

أخبرنا إسماعيل بن أحمد نا عمر بن عبيد الله نا أبو الحسين بن بشران نا عثمان بن أحمد الدقاق ثنا جميل ثنا حسن بن الربيع ثنا مهدي بن ميمون . قال سمعت أبا رجاء العطاردي يقول : لما بعث رسول الله ﷺ فسمعنا به لحقنا بمسيلة الكذاب ، ولحقنا بالنار ، وكنا نعبد الحجر في الجاهلية فإذا وجدنا حجراً هو أحسن منه نلقى ذلك ونأخذه وإذا لم نجد حجراً جمعنا حثية من تراب ثم جئنا بغنم فخلبناها عليه ثم طفنا به . أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن أحمد نا أحمد بن أحمد الحداد نا أبو نعيم أحمد بن عبد الله ثنا أبو حامد بن جبلة ثنا أبو عباس السراج ثنا أحمد بن الحسن بن خراش ثنا مسلم بن إبراهيم ثنا عمارة المعولى . قال سمعت أبا رجاء العطاردي يقول : كنا نعمد إلى الرمل فنجمعه فنحلب عليه فنعبده ، وكنا نعمد إلى الحجر الأبيض فنعبده زماناً ثم نلقيه . أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر بن ثابت نا عبد العزيز بن علي الوراق نا أحمد بن إبراهيم نا يوسف بن يعقوب النيسابوري نا أبو بكر (١) الاثنى في جميع الأنفة ما يوضع عليه القدر .

(٢) سية القوس بكسر السين وبالياء ما عطف من طرفها .

ابن أبي شيبه ثنا يزيد بن هرون نا الحجاج بن أبي زينب . قال سمعت أبا عثمان النهدي قال : كنا في الجاهلية نعبد حجراً فسمعنا منادياً ينادي يا أهل الرجال إن ربكم قد هلك فالتمسوا لكم رباً غيره . قال : فخرجنا على كل صعب وذلول فبينما نحن كذلك نطلب ، اذا نحن بمناد ينادي إنا قد وجدنا ربكم أو شبهه قال : فجلسنا فاذا حجر فتحرنا عليه الجزر . أنبأنا محمد بن أبي طاهر نا أبو اسحاق البرمكي نا أبو عمر بن حيويه نا أحمد بن معروف نا الحسين بن القهم ثنا محمد بن سعد نا محمد بن عمرو نا الحجاج بن صفوان نا ابن أبي حسين نا شهر بن حوشب نا عمرو بن عنبسة قال : كنت امرأاً ممن يعبد الحجارة فينزل الحلي ليس معهم آلهة فيخرج الحلي منهم فيأخذ بأربعة أحجار . فينصب ثلاثة لقدره ويجعل أحسنها . إلهاً يعبد . ثم لعله يجد ما هو أحسن منه قبل أن يرتحل فيتركه ويأخذ غيره . أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو الحسن العتيق نا عثمان بن عمرو بن الميثاب نا أبو محمد عبد الله بن سليمان القامي نا أبو الفضل محمد بن أبي هرون الوراق نا الحسن بن عبد العزيز الجروي نا شيخ من ساكني مكة . قال : سئل سفيان بن عيينة كيف عبت العرب الحجارة والأصنام . فقال أصل عبادتهم الحجارة انهم قالوا البيت حجر فحيث ما نصبنا حجراً فهو بمنزلة البيت . وقال أبو معشر : كان كثير من أهل الهند يعتقد الربوبية ويقولون بأن الله تعالى ملائكة إلا أنهم يعتقدونه صورة كأحسن الصور وأن الملائكة أجسام حسان وأنه سبحانه وتعالى وملائكته محتجبون بالسماوات اتخذوا أصناماً على صورة الله سبحانه عندهم وعلى صور الملائكة فعبدوها وقربوا لها لموضع المشابهة على زعمهم . وقيل لبعضهم : أن الملائكة والكواكب والأفلاك أقرب الأجسام إلى الخالق فعظموها وقربوا لها ثم عملوا الأصنام .

وبني جماعة من القدماء بيوتاً كانت للأصنام فمنها بيت على رأس جبل بأصبهان كانت فيه أصنام أخرجهما كوشناسب لما تمجس وجعله بيت نار . والبيت الثاني والثالث في أرض الهند . والرابع بمدينة بلخ بناه ينوشهر فلما ظهر الاسلام خربه أهل بلخ . والخامس بيت بصنعاء بناه الضحاك على اسم

الزهرة فخر به عثمان بن عفان رضى الله عنه . والسادس بناه قابوس الملك على اسم الشمس بمدينة فرغانة فخر به المعتصم .

وذكر يحيى بن بشير بن عمير النهاوندى : أن شريعة الهند وضعها لهم رجل برهمى ، ووضع لهم أصناماً وجعل لهم أعظم بيوتهم بيتاً بالميلتان . (وهى مدينة من مداين السند) . وجعل فيه صنمهم الأعظم الذى هو كصورة الهيولى الأكبر . وهذه المدينة فتحت فى أيام الحجاج وأرادوا قلع الصنم فقتل لهم : إن تركتموه ولم تقلعوه جعلنا لكم ثلث ما يجتمع له من مال . فأمر عبد الملك بن مروان بتركه فالهند تحج إليه من ألفى فرسخ ولا بد للحجاج أن يحمل معه دراهم على قدر ما يمكنه من مائة إلى عشرة آلاف لا يكون أقل من هذا ولا أكثر ومن لم يحمل معه ذلك لم يتم حجه . فيلقيه فى صندوق عظيم هناك ويطوفون بالصنم . فاذا ذهبوا قسم ذلك المال فثلثه للسلبين وثلثه لعمارة المدينة وحصونها وثلثه لسدنة الصنم ومصالحه .

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله : فانظر كيف تلاعب الشيطان بهؤلاء وذهب بعقولهم ففتحوا بأيديهم ما عبدوه وما أحسن ما عاب الحق سبحانه وتعالى أصنامهم فقال : « ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها » . وكانت الإشارة إلى العباد أى أتم تمشون وتبطشون وتبصرون وتسمعون والأصنام عاجزة عن ذلك وهى جماد وهم حيوان فكيف عبد التام الناقص . ولو تفكروا لعلموا أن الإله بصنع الأشياء ولا يصنع ، ويجمع وليس بمجموع ، وتقوم الأشياء به ولا يقوم بها ، وإنما ينبغى للإنسان أن يعبد من صنعه لا ما صنعه . وما خيل إليهم أن الأصنام تشفع نفيال ليس فيه شبهة يتعلق بها .

﴿ ذكر تليسه على عابدى النار والشمس والقمر ﴾

قال المصنف : قد لبس ابليس على جماعة فحسن لهم عبادة النار وقالوا
هى الجوهر الذى لا يستغنى العالم عنه ومن ههنا زين عبادة الشمس .
وذكر أبو جعفر بن جرير الطبرى : أنه لما قتل قابيل هايل وهرب من
أبيه آدم إلى اليمن أتاه ابليس . فقال له : ان هايل انما قبل قربانه وأكلته
النار لأنه كان يخدم النار ويعبدها فانصب أنت ناراً تكون لك ولعقبك .
فبنى بيت نار فهو أول من نصب النار وعبدها ، قال الجاحظ : وجاء
زرادشت من بلخ وهو صاحب المجوس فادعى أن الوحي ينزل إليه على جبل
سيلان فدعى أهل تلك النواحي الباردة الذين لا يعرفون إلا البرد وجعل
الوعيد بتضاعف البرد ، وأقرب أنه لم يبعث إلا إلى الجبال فقط . وشرع لأصحابه
التوضوء بالأبوال وغشيان الأمهات ، وتعظيم النيران ، مع أمور سمجة .
قال ومن قول زرادشت كان الله وحده ، فلما طالت وحدته فكر فتولد من
فكرته ابليس . فلما مثل بين يديه وأراد قتله امتنع منه فلما رأى امتناعه
ودعه إلى مدة .

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله : وقد بنى عابدوا النار لها بيوتاً كثيرة .
فأول من رسم لها بيتاً أفريدون فاتخذ لها بيتاً بطرسوس وآخر ببخارى .
واتخذ لها بهمن بيتاً بسجستان . واتخذ لها أبو قباد بيتاً بناحية بخارى . وبنيت
بعد ذلك بيوت كثيرة لها . وقد كان زرادشت وضع ناراً زعم أنها جاءت
من السماء فأكلت قربانهم . وذلك أنه بنى بيتاً وجعل فى وسطه امرأة
ولف القربان فى حطب وطرح عليه الكبريت فلما استوت الشمس فى كبد
السماء قابلت كوة قد جعلها فى ذلك البيت فدخل شعاع الشمس فوقع على
المرأة فانعكس على الحطب فوقعت فيه النار . فقال لا تطفؤا هذه النار .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف : وقد حسن إبليس لعنه الله لأقوام عبادة

القمر ولآخرين عبادة النجوم . قال ابن قتيبة وكان قوم فى الجاهلية عبدوا
الشعري العبور وفتنوا بها . وكان أبو كبشة الذى كان المشركون ينسبون

إليه رسول الله ﷺ أول من عبدها . وقال قطعت السماء عرضا ولم يقطع السماء عرضا غيرها وعبدها وخالف قريشا فلما بعث رسول الله ﷺ ودعا إلى عبادة الله وترك الأوثان قالوا هذا ابن أبي كبشة أى شبهه ومثله فى الخلاف كما قالت بنو اسرائيل لمريم يا أخت هارون أى ياشبهة هارون فى الصلاح وهما شعريان إحداهما هذه والشعري الأخرى هى الغميصاء وهى تقابلها وبينها الحجر - والغميصاء من الذراع المبسوط فى جهة الأسد وتلك فى الجوزاء .

وزين إبليس لعنه الله لآخرين عبادة الملائكة وقالوا : هى بنات الله تعالى . تعالى الله عن ذلك . وزين لآخرين عبادة الخيل والبقر . وكان السامرى من قوم يعبدون البقر فاهذا صاغ عجلا . وجاء فى التعبير أن فرعون كان يعبد تيسا وليس فى هؤلاء من أعمل فكره ولا استعمل عقله فى تدبير ما يفعل نسأل الله السلامة فى الدنيا والآخرة .

﴿ ذكر تلبيسه على الجاهلية ﴾

قال المصنف : ذكرنا كيف لبس عليهم فى عبادة الأصنام . ومن أقبح تلبيسه عليهم فى ذلك تقليد الآباء من غير نظر فى دليل كما قال الله عز وجل « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » المعنى أتبعوهم أيضا .

وقد لبس إبليس على طائفة منهم فقالوا بمذاهب الدهرية وأنكروا الخالق وجحدوا البعث ، وهؤلاء الذين قال الله سبحانه فيهم : « ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحى وما يهلكنا إلا الدهر » . وعلى آخرين منهم : فأقروا بالخالق لكنهم جحدوا الرسل والبعث . وعلى آخرين منهم : فزعموا أن الملائكة بنات الله . وأمال آخرين منهم إلى مذهب اليهود وآخرين إلى مذهب المجوس ، وكان فى بنى تميم منهم زرارة ابن جديس التميمى وابنه حاجب . ومن كان يقر بالخالق والابتداء والإعادة والثواب والعقاب عبدالمطلب ابن هاشم ، وزيد بن عمرو بن نفيل ، وقس بن ساعدة ، وعامر بن الطرب -

وكان عبد المطلب إذا رأى ظالماً لم تصبه عقوبة . قال تائه أن وراء هذه الدار لداراً يحزى فيها المحسن والمسيء . ومنهم زهير بن أبي سلمى وهو القائل :
يؤخر فيوضع في كتاب فيندخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم
ثم أسلم ومنهم زيد الفوارس بن حصن ، ومنهم القليس بن أمية الكناني .
كان يخطب بفناء الكعبة وكانت العرب لا تصدر عن مواسمها حتى يعظها
ويوصيها فقال يوماً : يا معشر العرب أطيعوني ترشدوا قالوا : وما ذاك .
قال : انكم تفردتم بالهة شتى إني لأعلم ما الله بكل هذا راض وأن الله رب هذه
الآلهة وأنه ليحب أن يعبد وحده . ففرقت عنه العرب لذلك ولم يسمعوا
مواعظه . وكان فيهم قوم يقولون من مات فربطت على قبره دابته وترك
حتى تموت حشر عليها ومن لم يفعل ذلك حشر ماشياً ومن قاله عمرو بن
زيد الكلبي .

قال المصنف : وأكثر هؤلاء لم يزل عن الشرك وإنما تمسك منهم بالتوحيد
ورفض الأصنام القليل كقس بن ساعدة وزيد وما زالت الجاهلية تبتدع
البدع الكثيرة . فمنها النسيء وهو تحريم الشهر الحرام وتحليل الشهر الحرام
وذلك أن العرب كانت قد تمسكت من ملة إبراهيم صلوات الله وسلامه
عليه بتحريم الأشهر الأربعة فإذا احتاجوا إلى تحليل المحرم للحرب أخروا
تحريمه إلى صفر ثم يحتاجون إلى صفر ثم كذلك حتى تتدافع السنة . وإذا
حجوا قالوا : لبيك لا شريك لك ، الا شريكاً هولك ، تملكه وما ملك .
ومنها توريث الذكر دون الأنثى . ومنها أن أحدهم كان إدامات ورث نكاح
زوجته أقرب الناس إليه ومنها البحيرة وهي الناقة تلد خمسة أبطن فإن كان
الخامس أنثى شقوا أذنهما وحرمت على النساء . والسائبة من الأنعام كانوا
يسبيونها ولا يركبون لها ظهوراً ولا يحملون لها لبناً . والوصيلة الشاة تلد سبعة
أبطن فإن كان السابع ذكراً أو أنثى قالوا وصلت أخاها فلا تدبج وتكون
منافعها للرجال دون النساء فإذا ماتت اشترك فيها الرجال والنساء . والحام
الفحل ينتج من ظهره عشرة أبطن فيقولون قد حمى ظهره فيسبيونه لأصنامهم ولا
يحمل عليه . ثم يقولون أن الله عز وجل أمرنا بهذا فذلك معنى قوله تعالى : ما جعل
الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله

الكذب . ثم الله عز وجل رد عليهم فيما حرموه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وفيما أحلوه بقولهم «خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا» قال الله تعالى «قل آلذكرين حرم أم الانثيين» المعنى إن كان الله تعالى حرم الذكرين فكل الذكور حرام وإن كان حرم الانثيين فكل الاناث حرام وإن كان حرم ما اشتملت عليه أرحام الانثيين فإنها تشتمل على الذكور والاناث فيكون كل جنين حراماً . وزين لهم إبليس قتل أولادهم فالإنسان منهم يقتل ابنته ويغذو كلبه . ومن جملة ما لبس عليهم إبليس أنهم قالوا لو شاء الله ما أشركنا أى لو لم يرض شركنا لحال بيننا وبينه فتعلقوا بالمشيئة وتركوا الأمر ومشيتة الله تعم الكائنات وأمره لا يعم مراداته فليس لأحد أن يتعلق بالمشيئة بعد ورود الأمر ومذاهم السخيفة التى ابتعدوها كثيراً لا يصلح تضييع الزمان بذكرها ولا هى مما يحتاج إلى تكلف ردها .

(ذكر تلبس إبليس على جاحدى النبوات)

قال المصنف : قد لبس إبليس على البراهمة والهندوس وغيرهم فزين لهم جحد النبوات ليسد طريق ما يصل من الاله . وقد اختلف أهل الهند فذهب دهرية ومنهم ثنوية ومنهم على مذاهب البراهمة ومنهم من يعتقد نبوة آدم وإبراهيم فقط وقد حكى أبو محمد النوبختى فى كتاب الآراء والديانات أن قوماً من الهند من البراهمة أثبتوا الخالق والرسول والجنة والنار وزعموا أن رسولهم ملك أتاهم فى صورة البشر من غير كتاب له أربعة أيد وإثنا عشر رأساً من ذلك رأس إنسان ورأس أسد ورأس فرس ورأس فيل ورأس خنزير وغير ذلك من رؤوس الحيوانات وأنه أمرهم بتعظيم النار ونهاهم عن القتل والذبايح إلا ما كان للنار ونهاهم عن الكذب وشرب الخمر وأباح لهم الزنا وأمرهم أن يعبدوا البقر ومن ارتد منهم ثم رجع حلقوا رأسه ولحيته وحاجبيه وأشعار عينيه ثم يذهب فيسجد للبقر فى هذيانات يضيع الزمان بذكرها .

قال المصنف : وقد اتى إبليس إلى البراهمة ست شبهات .

(الشبهة الأولى) : استبعاد اطلاع بعضهم على ما خفى عن بعض فقالوا :

(م م -- تلبس إبليس)

(ما هذا إلا بشر مثلكم) والمعنى وكيف أطلع على ما خفي عنكم . وجواب هذه الشبهة أنهم لو ناطقوا العقول لأجازت اختيار شخص بشخص لخصائص يعاين بها جنسه فيصلح بتلك الخصائص لتلقف الوحى إذ ليس كل أحد يصلح لذلك وقد علم الكل أن الله سبحانه وتعالى ركب الأمزجة متفاوتة وأخرج إلى الوجود أدوية تقاوم ما يعرض من الفساد البدنى فإذا أمد النبات والأحجار بخواص لإصلاح أبدان خلقت للفناء وهنا وللبقاء فى دار الآخرة لم يبعد أن يخص شخصاً من خلقه بالحكمة البالغة والدعاية إليه إصلاحاً لمن يفسد فى العالم بسوء الأفعال والأفعال ومعلوم أن المخالفين لا يستنكرون أن يختص أقوام بالحكمة ليسكنوا فورات الطباع الشريرة بالموعظة فكيف ينكرون أمداد البارى سبحانه بعض الناس برسائل ومصالح ووصايا يصلح بها العالم ويطيب أخلاقهم ويقيم بها سياستهم وقد أشار عز وجل إلى ذلك فى قوله عز وجل : « أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس » .

(الشبهة الثانية) قالوا هلا أرسل ملكاً فإن الملائكة إليه أقرب ومن الشك فيهم أبعد والأدميون يحبون الرئاسة على جنسهم فيوقع هذا شكاً وجواب هذا من ثلاثة أوجه : أحدهما أن فى قوى الملائكة قلب الجبال والصخور فلا يمكن إظهار معجزة تدل على صدقهم لأن المعجزة ما خربت العادة وهذه العادة الملائكة وإنما المعجزات الظاهرة ما ظهرت على يد بشر ضعيف ليكون دليلاً على صدقه . والثانى : أن الجنس إلى الجنس أميل فصح أن يرسل إليهم من جنسهم لئلا ينفروا وليعقلوا عنه ثم تخصيص ذلك الجنس بما يحجز عنه جنسه دليل على صدقه : والثالث أنه ليس فى قوى البشر رؤية الملك وإنما الله تعالى يقوى الأنبياء بما يرزقهم من إدراك الملائكة ولهذا قال الله تعالى « ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً أى لينظروا إليه ويأنسوا به ويفهموا عنه ثم قال « وللبسنا عليهم ما يلبسون » أى خلطنا عليهم ما يخاطبون على أنفسهم حتى يشكوا فلا يدرون أملك هو أم آدمى .

(الشبهة الثالثة) قالوا نرى ما تدعيه الأنبياء من علم الغيب والمعجزات وما يلقى إليهم من الوحى يظهر جنسه على الكهنة والسحرة فلم يبق لنا دليل

نفرق به بين الصحيح والفاسد . والجواب أن نقول : أن الله تبارك وتعالى بين الحجج ثم بث الشبهة وكلف العقول الفرق فلا يقدر ساحر أن يحيى ميتاً ولا أن يخرج من عصا حياً وأما الكاهن فقد يصيب ويخطئ بخلاف النبوة التى لا خطأ فيها بوجه .

(الشبهة الرابعة) قالوا لا يخلوا ما أن يحيى الأنبياء بما يوافق العقل أو بما يخالفه فإن جاءوا بما يخالفه لم يقبل وإن جاءوا بما يوافقه فالعقل يغنى عنه . والجواب أن نقول : قد ثبت أن كثيراً من الناس يعجزون عن سياسات الدنيا حتى يحتاجون إلى متمم كالحكماء والسلطين فكيف بأمور الإلهية والآخروية .

(الشبهة الخامسة) قالوا قد جاءت الشرائع بأشياء ينفر منها العقل فكيف يجوز أن تكون صحيحة من ذلك إيلام الحيوان . والجواب أن العقل ينكر إيلام الحيوان بعضه لبعض فأما إذا حكم الخالق بالإيلام لم يبق للعقل اعتراض وبيان ذلك أن العقل قد عرف حكمة الخالق سبحانه وتعالى وأنه لا خلل فيها ولا نقص فأوجبت عليه هذه المعرفة التسليم لما خفى عنه ومتى اشتبه علينا أمر فى فرع لم يجوز أن نحكم على الأصل بالبطلان ثم قد ظهرت حكمة ذلك فانا نعلم أن الحيوان يفضل على الجماد ثم الناطق أفضل مما ليس بناطق بما أوتى من الفهم والفطنة والقوى النظرية والعملية وحاجة هذا الناطق إلى إبقاء فهمه ولا يقوم فى إبقاء القوى مقام اللحم شئ ولا يستطرف تناول القوى الضعيف وما فيه فائدة عظيمة لما قلت فائدته . وإنما خلق الحيوان البهيم للحيوان الكريم فلم يذبح لكثير وضاق به المرعى ومات فيتأذى الحيوان الكريم بجيفته فلم يكن لايجاد فائدة . وأما ألم الذبح فانه يستر وقد قيل أنه لا يوجد أصلاً لأن الحساس للآلم أغشية الدماغ لأن فيه الأعضاء الحساسة ولذلك إذا أصابها آفة من صرع أو سكتة لم يحس الإنسان بالآلم فاذا قطعت الأوداج سريعاً لم يصل ألم الجسم إلى محل الحس ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : إذا ذبح أحدكم فليحد شفرتة وليرح ذبيحته .

(الشبهة السادسة) قالوا ربما يكون أهل الشرائع قد ظفروا بخواص من

حجارة وخشب . والجواب أن هذا كلام ينبغي أن يستحي من إيراده فانه لم يبق شيء من العقاقير والأحجار إلا وقد وضحت خواصها وبان سترها فلو ظفر واحد منهم بسمي وأظهر خاصيته لوقع الانكار من العلماء بتلك الخواص وقالوا ليس هذا منك إنما هذه خاصية في هذا . ثم إن المعجزات ليست نوعاً واحداً بل هي بين صخرة خرجت منها ناقة وعصا انقلبت حية وحجر تفجّر عيوناً وهذا القرآن الذى له منذ نزل دون الستمائة سنة فالأسماع تدركه والأفكار تندبره والتحدى به على الدوام ولم يقدر أحد على مد اناة منه فأين هذا والخاصة والسحر والشعبذة .

قال أبو الوفاء على بن عقيل رضى الله عنه : صبنت قلوب أهل الإلحاد لا انتشار كلمة الحق وثبوت الشرائع بين الخلق والإمتثال لأوامرها كابن الراوندى ومن شاكه كأبي العلاء . ثم مع ذلك لا يرون لمقاتلتهم نباهة ولا أثراً بل الجوامع تتدفق زحاما والأذانات تملأ أسماعهم بالتعظيم لشأن النبي ﷺ والإقرار بما جاء به ، وإنفاق الأموال والأنفس فى الحج مع ركوب الأخطار ومعاناة الأسفار ومفارقة الأهل والأولاد . فجعل بعضهم يندس فى أهل النقل فيضع المفاصد على الأسانيد ويضع السير والأخبار وبعضهم يروى ما يقارب المعجزات من ذكر خواص فى أسجار وخوارق العادات فى بعض البلاد وأخبار عن الغيوب عن كثير من السلفه والمنجمين ويبالغ فى تقرير ذلك حتى قالوا أن سطوحاً قال فى الجنى الذى نجى له : حبة بر ، فى إحلل مهر . والأسود كان يعظ ويقول الشيء قبل كونه . وههنا اليوم معزومون يكلمون الجنى الذى فى باطن الجنون فيكلمهم بما كان ويكون وما شاكل ذلك من الخرافات فمن رأى مثل هذا قال بقلة عقله وقلة تليجه لقصد هؤلاء الملهدة وهل ما جاءت به النبوات إلا متقارب هذا ، وليس قول السكاك . حبة بر فى إحلل مهر ، وقد أخفيت كل الاخفاء بأكثر من قوله . « وأنشكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ، وهل بقى لهذا وقع فى القلوب وهذا التقويم ينطق بالمنع من الركوب اليوم وهل ترك تليح هذا إلا النبى (١) »

(١) وفى نسخة إلا الفة .

والله ما قصدوا بذلك إلا قصداً ظاهراً ولمحوا إلماً جلياً فقالوا تعالوا
ننكر الجولان فى البلاد والأشخاص والنجوم والخواص فلا يخلو مع
الكثرة من مصادفة الاتفاق لواحدة من هذه . فيصدق بها الكل ويبطل أن
يكون ما جاء به الأنبياء خرقاً للعادات . ثم دس قوم من الصوفية أن فلانا
أهوى بانائه إلى دجلة فامتلا ذهاباً فصار هذا كالعادة بطريق الكرامات من
المتصوفين . وبطريق العادات فى حق المنجمين . وبطريق الخواص فى حق
الطبايعين . وبطريق الكهانة فى حق المعزمين . والعرافين فأى حكم بقى لقول
عيسى عليه السلام . دوا نبشكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم . وأى
خرق بقى للعادات وهل العادات إلا استمرار الوجود . وكثرة الحصول .
فاذا نههم العاقل المتدين على ما فى هذا من الفساد قال الصوفى ، أنتنكر كرامات
الأولياء ، وقال أهل الخواص . أنتنكر المغناطيس الذى يجذب الحديد والنعامة
تبلع النار فتسكت عن جحد ما لم يكن لأجل ما كان ، فويل للمحق معهم هذا
والباطنية من جانب والمنجمون من جانب مع أرباب المناصب لا يخلون
ولا يعتقدون إلا بقولهم فسبحان من يحفظ هذه الملة ويعلى كلسها حتى أن كل
الطوائف تحت قهرها إقبالا من الله عز وجل على حراسة النبوات وقمعا
لأهل المحال .

((فصل)) ومن الهند البراهمة قوم قد حسن لهم إبليس أن يتقربوا
بأحراق نفوسهم فيحفر للإنسان منهم أخدود وتجتمع الناس فيجىء مضمخا
بالخلوق والطيب وتضرب المعازف والطبول والصنوج ويقولون طوبى
لهذه النفس التى تعلق إلى الجنة ويقول هو ليكن هذا القربان مقبولا ويكون
ثواب الجنة ثم يلقي نفسه فى الأخدود فيحترق فإن هرب نابذوه ونفوه
وتبرأوا منه حتى يعود ومنهم من يرمى له الصخر فلا يزال يلزم صخرة صخرة
حتى يثقب جوفه ويخرج معاه فيموت ومنهم من يقف قريباً من النار إلى أن
يسيل ودكه فيسقط . ومنهم من يقطع من ساقه وفخذة قطعاً ويلقيها إلى
النار والناس يزكونه ويمدحونه ويسألون مثل مرتبته حتى يموت : ومنهم من
يقف فى اخشاء البقر إلى ساقه ويشعل النار فيحترق . ومنهم من يعبد الماء
ويقول هو حياة كل شىء فيسجد له . ومنهم من يجهز له أخدود قريب من

الماء فيقع في الأخدود حتى إذا التهب قام فانغمس في الماء ثم رجع إلى الأخدود حتى يموت فإن مات وهو بينهما حزن أهله وقالوا حرم الجنة وإن مات في أحدهما شهدوا له بالجنة. ومنهم من يزق نفسه بالجوع والعطش فيسقط أولاً عن المشي ثم عن الجلوس ثم ينقطع كلامه ثم تبطل حواسه ثم تبطل حركته ثم يخذل. ومنهم من يهيم في الأرض حتى يموت: ومنهم من يغرق نفسه في النهر. ومنهم من لا يأق النساء ولا يوارى إلى العورة ولهم جبل شاهق تحته شجرة وعندها رجل بيده كتاب يقرأ فيه يقول: طوبى لمن ارتقى هذا الجبل وبعج بطنه وأخرج أمعاءه يسده. ومنهم من يأخذ الصخور فيرض بها جسده حتى يموت: والناس يقولون طوبى لك وعندهم نهران فيخرج أقوام من عبادهم يوم عيدهم وهناك رجال يأخذون ما على العباد من الثياب ويبطحونهم فيقطعونهم نصفين ثم يلقون أحد النصفين في نهر والنصف الآخر في نهر ويزعمون انهما يجريان إلى الجنة. ومنهم من يخرج إلى براح ومعه جماعة يدعون له ويهتفونه بنيته فإذا أضجر جلس وجمع له سباع الطير من كل جهة فيتجرد من ثيابه ثم يمتد والناس ينظرون إليه فتبتدره الطير فتأكله فإذا تفرقت الطير جاءت الجماعة فأخذوا عظامه وأحرقوها وتبركوا بها، في أفعال طويلة قد ذكرها أبو محمد النوبختي بضع الزمان في كتابتها والعجب أن الهند قوم تؤخذ الحكمة عنهم ويؤخذ عنهم دقائق الحكمة وتلهم دقائق الأعمال فسبحان من أعشى قلوبهم حتى قادهم إبليس هذا المقادام قال وفيهم من يزعم أن الجنة ثلثان وثلثون مرتبة وأن مكث أهل الجنة في أدنى مرتبة منها أربع مائة ألف سنة وثلثة وثلثون ألف سنة وستمئة وعشرون سنة وكل مرتبة أضعاف ما دونها. وأن النار اثنتان وثلثون مرتبة منها ست عشر مرتبة فيها الزمهرير وصنوف عذابه وست عشرة مرتبة فيها الحريق وصنوف عذابه.

﴿ ذكر تلبسه على اليهود ﴾

قال المصنف. قد لبس عليهم في أشياء كثيرة نذكر منها نبذة ليستدل بها على تلك. فمن ذلك تشبيههم الخائق بالخاق ولو كان تشبيههم حقاً لجاز عليه ما يجوز عليهم وحكى أبو عبد الله بن حامد من أصحابنا. أن اليهود تزعم أن

الإله المعبود رجل من نور على كرسى من نور على رأسه تاج من نور وله أعضاء كاللآدميين ومن ذلك قولهم عزيز بن الله ولو فهموا أن حقيقة النبوة لا تكون إلا بالتبعيض والخالق ليس بذى أبعاد لأنه ليس بمؤلف لم يثبتوا نبوة . ثم أن الولد في معنى الوالد وقد كان عزيز لا يقوم إلا بالطعام والإله من قامت به الأشياء لا من قام بها والذي دعاهم إلى هذا مع جهلهم بالحقائق أنهم رأوه قد عاد بعد الموت وقرأ التوراة من حفظه فتكلموا بذلك من ظنونهم الفاسدة ويدل على أن القوم كانوا في بعد من الذهن أنهم لما رأوا أثر القدرة في فرق البحر لهم ثم مروا على أصنام طلبوا مثلها فقالوا (أجعل لنا آلهة كما لهم آلهة) فلما زجرهم موسى عن ذلك بقي في نفوسهم فظهور المستور بعبادتهم العجل والذي حملهم على هذا شيثان، أحدهما جهلهم بالخالق والثاني أنهم أرادوا ما يسكن إليه الحس لغلبة الحس عليهم وبعد العقل عنهم ولولا جهلهم بالمعبود ما جترأوا عليه بالكلمات القبيحة كقولهم (أن الله فقير ونحن أغنياء) وقولهم (يد الله مغلولة) تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

ومن تلييسه عليهم أنهم قالوا : لا يجوز نسخ الشرائع . وقد علموا أن من دين آدم جواز نكاح الأخوات ، وذوات المحارم ، والعمل في يوم السبت ، ثم نسخ ذلك بشريعة موسى قالوا إذا أمر الله عز وجل بشيء كان حكمه فلا يجوز تغييره . قلت . قد يكون التغيير في بعض الأوقات حكمة فان قلب الآدمي من صحة إلى مرض ومن مرض إلى موت كله حكمة وقد حظر عليكم العمل يوم السبت وأطلق لكم العمل يوم الأحد وهذا من جنس ما أنكرتم وقد أمر الله عز وجل إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه ثم نهاه عن ذلك .

ومن تلييسه عليهم أنهم قالوا : « لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة » ، وهي الأيام التي عمد فيها العجل وفضائحهم كثيرة ثم حملهم ابليس على العناد المحض فحدوا ما كان في كتابهم من صفة نبينا ﷺ وغيروا ذلك وقد أمروا أن يؤمنوا به ورضوا بعذاب الآخرة فعلموا أنهم عاندوا وجهلهم قلدهم ثم العجب أنهم غيروا ما أمروا به وحرفوا ودانوا بما يريدون فأين العبودية ممن يترك

الامر ويعمل بالهوى ثم أنهم كانوا يخالفون موسى ويهيؤونه حتى قالوا أنه آدر (١) واتهموه بقتل هارون واتهموا داود بزوجة أوريا .

أخبرنا محمد بن عبد الباقي البزار نا الحسن بن علي الجوهري نا أبو عمر ابن حياة نا ابن معروف نا الحارث بن أذ ، أسامة ثنا محمد بن سعد نا علي بن محمد عن علي بن مجاهد عن محمد بن إسحاق عن سالم مولى عبد الله بن مطيع عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتى رسول الله ﷺ بيت المدارس (٢) فقال أخرجوا إلى أعلمكم فخرج إليه عبد الله بن ضريرا فغلا به فناشده الله بدينه وبما أنعم الله عليهم وأطعمهم من المن والسلوى وظلهم به من الغمام أتعلون أتى رسول الله ؟ قال : اللهم نعم . وأن القوم ليعرفون ما أعرف وإن صفتك ونعتك لمين في التوراة ولكنهم حسدوك . قال : فإيمعك أنت . قال : أكره خلاف قومي وعسى أن يتبعوك ويسلبوا فأسلم .

أخبرنا هبة الله بن محمد بن عبد الواحد قال : أخبرنا الحسن بن علي قال أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان قال ثنا عبد الله بن أحمد قال حدثني أبي قال ثنا يعقوب قال ثنا أبي عن ابن إسحاق قال حدثني صالح بن عبد الرحمن بن عوف عن محمود بن لبيد عن سلمة بن سلامة بن وقش . قال : كان لنا جار من اليهود في بني عبد الأشهل فخرج علينا يوما من بيته قبل مبعث النبي ﷺ حتى وقف على مجلس بني عبد الأشهل قال سلمة : وأنا يومئذ أحدث من فيهم سنا على بردة مضطجعا فيها بفناء أهلي فذكر البعث والقيامة والحساب والميزان والجنة والنار فقال ذلك لقوم أهل شرك وأصحاب أوثان لا يرون بعثا كائننا بعد الموت . فقال له ويحك : يا فلان أترى هذا كائننا أن الناس يعيشون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم قال نعم والذي يحلف به يود أحدهم أن له لحظة من تلك النار بأعظم تنور في الدار يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطبقونه عليه وأن ينجو من تلك النار غدا قال له ويحك وما آية ذلك قال نبى مبعوث من نحو هذه البلاد وأشار بيده نحو مكة والميز

(١) الآدر : منتفخ الخصية وهو عيب بالفحولية .

(٢) المدارس : كنيسة اليهود وجمعة مدارس .

قالوا ومتى نراه قال فنظر إلى وأنا من أحدثهم سنا أن يستنفذ هذا الغلام عمره يدركه قال سلمة فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله ﷺ وهو حي بين أظهرنا فآمنّا به وكفر به بغيا وحسداً فقلنا له وبلك يا فلان ألسنت الذي قلت لنا فيه ما قلت قال بلى ولكن ليس به .

﴿ ذكر تلبسه على النصارى ﴾

قال المصنف : تلبسه عليهم كثير فمن ذلك أن إبليس أوهمهم أن الخالق سبحانه جوهر فقال اليعقوبية أصحاب يعقوب والملكية أهل دين الملك والنسطورية أصحاب نسطورس : أن الله جوهر واحد أقانيم ثلاثة فهو واحد في الجوهرية ثلاثة في الأتومية فأحد الأقانيم عندهم الأب والآخر الابن والآخر روح القدس فبعضهم يقول : الأقانيم خواص . وبعضهم يقول : صفات وبعضهم يقول أشخاص وهو لا مقدسوا أنه لو كان الإله جوهر آجاز عليه ما يجوز على الجواهر من التحيز بمكان والتحرك والسكون والأوان ثم سول لبعضهم أن المسيح هو الله . قال أبو محمد النوبختي زعمت الملكية واليعقوبية أن الذي ولدته مريم هو الإله وسول الشيطان لبعضهم أن المسيح هو ابن الله وقال بعضهم المسيح جوهران أحدهما قديم والآخر محدث ومع قولهم هذا في المسيح يقولون بحاجته إلى الطعام ولا يختلفون في هذا وفي أنه صلب ولم يقدر على الدفع عن نفسه ويقولون إنما فعل هذا بالناسوت فهلا دفع عن الناسوت ما فيه من اللاهوت . ثم لبس عليهم أمر نبينا محمد ﷺ حتى جحدوه بعد ذكره في الإنجيل ومن الكتابين من يقول عن نبينا أنه نبي إلا أنه مبعوث إلى العرب خاصة وهذا تلبس من إبليس استغفلهم فيه لأنه متى ثبت أنه نبي فالنبي لا يكذب وقد قال بعثت إلى الناس كافة وقد كتب إلى قيصر وكسرى وسائر ملوك الأعاجم .

﴿ ومن تلبس إبليس على اليهود والنصارى ﴾

أنهم قالوا لا يعذبنا الله لأجل أسلافنا ففنا الأولياء والأنبياء فأخبرنا الله عز وجل عنهم بذلك : « نحن أبناء الله وأحباؤه » . أي منا ابنه عزير وعيسى . وكشف هذا التلبس أن كان شخص مطالب بحق الله عليه فلا يدفعه

عنه ذو قرابته ولو تعدت المحبة شخصاً إلى غيره لموضع القرابة لتعدى البعض وقد قال نبينا ﷺ لابنته فاطمة لا أغنى عنك من الله شيئاً وإنما فضل المحبوب بالتقوى فمن عدمها عدم المحبة ثم أن محبة الله عز وجل للعبد ليست بشغف كمحبة الآدميين بعضهم بعضاً إذ لو كانت كذلك لكان الأمر يحتمل .

﴿ ذكر تليسه على الصابئين ﴾

قال المصنف : أصل هذه الكلمة أعنى الصابئين من قولهم صبأت إذا خرجت من شيء إلى شيء وصبأت النجوم إذا ظهرت وصبأ به إذا خرج والصابئون الخارجون من دين إلى دين وللعلماء في مذاهبهم عشرة أقوال : أحدها أنهم قوم بين النصارى والمجوس رواه سالم عن سعيد بن جبير وليث عن مجاهد : والثاني أنهم بين اليهود والمجوس رواه ابن أبي نعيم عن مجاهد : والثالث أنهم بين اليهود والنصارى . رواه القاسم بن أبي بزة عن مجاهد : والرابع : أنهم صنف من النصارى ألين قولاً منهم رواه أبو صالح عن ابن عباس . والخامس : أنهم قوم من المشركين لا كتاب لهم رواه القاسم أيضاً عن مجاهد . والسادس : أنهم كالمجوس قاله الحسن . والسابع : أنهم فرقة من أهل الكتاب يقرؤون الزبور قاله أبو العالية . والثامن أنهم قوم يصلون إلى القبلة ويعبدون الملائكة ويقرؤون الزبور قاله قتادة ومقاتل : والتاسع : أنهم طائفة من أهل الكتاب قاله السدى . والعاشر : أنهم كانوا يقولون لا إله إلا الله وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي إلا قول لا إله إلا الله قاله ابن زيد . قال المصنف : هذه أقوال المفسرين مثل ابن عباس والقاسم والحسن وغيرهم فأما المتكلمون فقالوا مذهب الصابئين مختلف فيه فمنهم من يقول أن هناك هيولى كان لم يزل ولم يزل يصنع العالم من ذلك الهيولى وقال أكثرهم العالم ليس بمحدث وسموا الكواكب ملائكة وسموها قوم منهم آلهة وعبدوها وبنوا لها بيوت عبادات وهم يدعون أن بيت الله الحرام واحد منها وهو بيت زحل وزعم بعضهم أنه لا يوصف الله عز وجل إلا بالنفى دون الإثبات ويقال ليس بمحدث ولا موات ولا جاهل ولا عاجز قالوا لئلا يقع تشبيه ولهم تعبدات في شرائع منها أنهم زعموا أن عليهم ثلاث صلوات في كل يوم

أولها ثمان ركعات وثلاث سجعات في كل ركعة وانقضاء وقتها عند طلوع الشمس والثاني خمس ركعات والثالثة كذلك وعليهم صيام شهر أوله الثمان ليال يمتصين من آذار وسبعة أيام أولها النسخ يبقين من كانون الأول وسبعة أيام أولها الثمان ليال يمتصين من شباط ويختمون صيامهم بالصدقة والذبايح وحرموا اللحم الجوزور في خرافات يضيع الزمان بذكرها وزعموا أن الأرواح الخيرة تصعد إلى السكوا كب الثابتة وإلى الضياء وأن الشريرة تنزل إلى أسفل الأرضين وإلى الظلمة . وبعضهم يقول هذا العالم لا يفنى وأن الثواب والعقاب في التناسخ ومثل هذه المذاهب لا يحتاج إلى تكلف في ردها إذ هي دعاو بلا دليل وقد حسن إبليس لأقوام من الصابئين أنهم رأوا الكمال في تحصيل مناسبة بينهم وبين الروحانيات العلوية باستعمال الطهارات وقوانين ودعوات واشتغلوا بالتنجيم والتسخير وقالوا لا بد من متوسط بين الله وبين خلقه في تعريف المعارف والإرشاد البصالح إلا أن ذلك المتوسط ينبغي أن يكون روحانياً لا جسمانياً قالوا فنحن نحصل لأنفسنا مناسبة قدسية بيننا وبينه فيكون ذلك وسيلة لنا إليه وهو لا يشكرون بعث الأجساد .

﴿ ذكر تلبس إبليس على المجوس ﴾

قال يحيى بن بشر بن عمير النهاوندي كان أول ملوك المجوس كورث فجاءهم بدينهم ثم تتابع مدعو النبوة فيهم حتى اشتهر بها زرادشت وكانوا يقولون أن الله تعالى عن ذلك شخص روحاني ظهر فظهرت معه الأشياء روحانية تامة فقال لا يتبها لغيري أن يبتدع مثل هذه التي ابتدعتها فتولد من فكرته هذه ظلمة إذ كان فيها جحود لقدرة غيره فقامت الظلمة تغالبه . وكان مما سته زرادشت عبادة النار والصلاة إلى الشمس يتأولون فيها أنها ملكة العالم وهي التي تأتي بالنهار وتذهب بالليل وتحى النبات والحيوانات وترد الحرارة إلى أجسادها . وكانوا لا يدفنون موتاهم في الأرض تعظيماً لها ويقولون أنها نشوء الحيوانات فلا نقدرها وكانوا لا يغتسلون بالماء تعظيماً له وقالوا لأن به حياة كل شيء إلا أن يستعملوا قبله بول البقر ونحوه ولا يبرقون فيه ولا يرون قتل الحيوانات ولا ذبحها وكانوا يغسلون وجوههم ببول البقر تبركاً به

وإذا كان عتيقاً كان أكثر بركة ويستحلون فروج الأمهات قالوا الإبن أحرى بتسكين شهوة أمه وإذا مات الزوج فإبنته أولى بالمرأة فإن لم يكن له إبن أكثرى رجل من مال الميت ويحيزون للرجل أن يتزوج بمائة والـف وإذا أرادت الحائض أن تغتسل دفعت ديناراً إلى الموبذ ويحملها إلى بيت النار ويقيم على أربع وينظفها بسبابته وأظهر هذا الأمر مزدك في أيام قباد وأباح النساء لكل من شاء ونسكح نساء قباد لتقتدى به العسامة فيفعلون في النساء مثله فلما بلغ إلى أم أنوشروان قال لقباد أخرجها إلى فإنك إن منعتني شهوتي لم يتم إيمانك فهم بإخراجها فجعل أنوشروان يبيكي بين يدي مزدك ويقبل رجله بين يدي أبيه قباد ويسأله أن يهب له أمه فقال قباد لمزدك ألسـت تزعم أن المؤمن لا ينبغي أن يرد عن شهوته قال بلى قال فلم ترد أنوشروان عن شهوته قال قد وهبتها له ثم أطلق للناس في أكل الميتة فلما ولي أنوشروان أفنى المزدكية هو ومن أقوال المجوس أن الأرض لانهية لها من أسفلها وأن السماء جلد من جلود الشياطين والرعـد إنما هو حركة خرخرة الغفاريـت المحبوسة في الأفلاك المأسورة في حرب والجبال من عظامهم والبحر من أبوالهم ودمائهم (وينبـغ للمجوس) رجل في زمان انتقال دولة بني أمية إلى بني العباس واستغوى خلقاً وجرت له قصص يطول الأمر بذكرها فهو آخر من ظهر للمجوس وذكر بعض العلماء أنه كان للمجوس كتب يدرسونها وأنهم أحدثوا ديناً فرفعت كتبهم .

ومن أظرف تلبيس إبليس عليهم . أنهم رأوا في الأفعال خيراً وشرّاً فسول لهم أن فاعل الخير لا يفعل الشر فأثبتوا إلهين وقالوا أحدهما نور حكيم لا يفعل إلا الخير والآخر شيطان هو ظلمة لا يفعل إلا الشر على نحو ما ذكرنا عن الثنوية .

قال المصنف: وقد سبق ذكر شبههم وجوابها وقال بعضهم . البارى قديم فلا يكون منه إلا الخير والشيطان محدث فلا يكون منه إلا الشر فيقال لهم إذا أقررتـم أن النور خلق الشيطان فقد خلق رأس الشر وزعم بعضهم أن الخالق هو النور ففكر فكرة رديئة فقال أخاف أن يحدث في ملكي من

يضادى وكانت فكرته رديئة فحدث منها إبليس فرضى إبليس أن ينسب إلى الرداءة بعد إثبات أنه شريك وحكى النوبختي أن بعضهم قال أن الخالق شك في شيء فكان الشيطان من ذلك الشك : قال وزعم بعضهم أن الإله والشيطان جسدان قديمان كان بينهما فضاء وكانت الدنيا سليمة من آفة والشيطان بمعزل عنها فاحتال إبليس حتى خرق السماء بمنوده فهرب الرب عز وجل من فعاتهم وتقدس عن قولهم فاتبعه إبليس حتى حاصره وحاربه ثلاثة آلاف سنة لا هو يصل إليه ولا الرب عز وجل يدفعه ثم يصالحه على أن يكون إبليس وجنوده في الدنيا سبعة آلاف سنة ورأى الرب أن الصلاح في احتمال مكروهه إبليس إلى أن يتقضى الشرط فالناس في بلايا إلى انقضائه ثم يعودون إلى النعيم وشرط إبليس عليه أن يمكنه من أشياء رديئة فوضعها في هذا العالم وأنهما لما فرغا من شرطهما أشهدا عدلين ودفعا سيفيهما إلى العدلين وقالوا من نكث فاقتلناه في هذيانات كثيرة يضيع الوقت لذكرها فتسكبناها لذلك ونذكر ما انتهى تلبس إبليس إليه ما آثرنا ذكر شيء من هذا التخليط (والعجب) أنهم يجعلون الخالق خيرا ثم يجعلون أنه حدثت منه فكرة رديئة فعلى قولهم يجوز أن تحدث من فكرة إبليس ملك ثم يقال لهم أيجوز أن يفي الشيطان بما ضمن : فإن قالوا لا قيل لهم فلا يليق بالحكمة استبقاؤه وإن قالوا نعم فقد أقروا بوجود الوفاء المحمود من الشرير : وكيف أطاع الشيطان العدلين وقد عصى ربه وكيف يجوز الافتيات على الإله : وهذه الخرافات لولا التفرج فيما صنعه إبليس بالعقول ما كان لذكرها فائدة ولا معنى .

﴿ ذكر تلبس إبليس على المنجمين وأصحاب الفلك ﴾

قال أبو محمد النوبختي ذهب قوم إلى أن الفلك قديم لا صانع له : وحكى جالينوس عن قوم أنهم قالوا زحل وحده قديم . وزعم قوم أن الفلك طبيعة خالصة ليست فيها حرارة ولا برودة ولا رطوبة ولا يبوسة وليس بخفيف ولا ثقيل . وكان بعضهم يرى أن الفلك جوهر نارى وأنه اختطف من الأرض بقوة دورانه : وقال بعضهم الكواكب من جسم تشابه الحجارة : وقال بعضهم هي من غيم تطفأ كل يوم وتستنير بالليل ، مثل الفحم يشتعل وينطفئ . وقال

بعضهم جسم القمر مركب من نار وهوى. وقال آخرون الفلك من الماء والريج والنار وأنه بمنزلة الكرة وأنه يتحرك بحركتين من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق قالوا وزحل يدور الفلك في نحو من ثلاثين سنة والمشتري في نحو من اثنتى عشرة سنة والمريخ في نحو من سنتين والشمس والزهرة وعطارد في سنة والقمر في ثلاثين يوماً : وقال بعضهم أفلاك الكواكب سبعة فالذى يليها فلك القمر ثم فلك عطارد ثم فلك الزهرة ثم فلك الشمس ثم فلك المريخ ثم فلك المشتري ثم فلك زحل ثم فلك الكواكب الثابتة : واختلفوا في مقادير أجرام الكواكب فقال أكثر الفلاسفة أعظمها جرماً الشمس وهو نحو من مائة وست وستين مرة مثل الأرض . والكواكب الثابتة مقدار كل واحد منها نحو من أربعة وتسعين مرة مثل الأرض . والمشتري نحو من اثنتين وثمانين مرة مثل الأرض والمريخ نحو من مرة ونصف مثل الأرض . قالوا ومن كل موضع من أعلى الفلك إلى أن يعود إليه مائة ألف فرسخ وألف فرسخ وأربعة وستون فرسخاً . وقال بعضهم الفلك حى والسماء حيوان وفى كل كوكب نفس قال قدماء الفلاسفة النجوم تفعل الخير والشر وتعطى وتمنع على حسب طبائعها من السعود والنحوس وتؤثر فى النفوس وأنها حية فعالة .

﴿ ذكر تلبیس إبلیس علی جاحدی البعث ﴾

قال المصنف : قد لبس على خلق كثير فجدوا البعث واستهولوا الإعادة بعد البلاء وأقام لهم شبهتين إحداهما أنه أراهم ضعف المادة والثانية اختلاط الأجزاء المتفرقة فى أعماق الأرض قالوا وقد يأكل الحيوان الحيوان فكيف يتهاى إعادته وقد حكى القرآن شبهتهم فقال تعالى فى الأولى (أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً إنكم مخرجون هيات هيات لما توعدون). وقال فى الثانية : (أنذا ضللنا فى الأرض أننا لنفى خلق جديد). وهذا كان مذهب أكثر الجاهلية قال قائلهم :

يخبرنا الرسول بأن سنحي وكيف حياة أصداء وهام
وقال آخر : (هو أبو العلاء المعرى) :

حياة ثم موت ثم بعث حديث خرافة يا أم عمرو
(والجواب) عن شبهتهم الأولى : أن ضعف المادة في الثاني وهو التراب يدفعه كون البدايه من نطفة ومضغة وعلمة : ثم أصل الآدميين وهو آدم من تراب على أن الله سبحانه وتعالى لم يخلق شيئاً مستحسناً إلا من مادة سخيقة . فانه أخرج هذا الآدمي من نطفة ، والطاوس من البيضة المدرة والطرفة الخضراء من الحبة العفنة . فالنظر ينبغي أن يكون إلى قوة الفاعل وقدرته لا إلى ضعف المواد . وبالنظر إلى قدرته يحصل جواب الشبهة الثانية ثم قد أرانا كالأنموذج في جمع التمزق فإن سجالة (١) الذهب المتفرقة في التراب الكثير إذا ألقى عليها قليل من زئبق اجتمع الذهب مع تبدده فكيف بالقدرة الإلهية التي من تأثيرها خلق كل شيء لا من شيء على أنها لو قدرنا أن نحيل هذا التراب ما استحالت إليه الأبدان لم يصير بنفسه لأن الآدمي بنفسه لا يبدنه فانه ينحل ويسمن ويهزل ويتغير من صغر إلى كبر وهو هو : ومن أعجب الأدلة على البعث أن الله عز وجل قد أظهر على يدي أنبيائه ما هو أعظم من البعث وهو قلب العصا حية حيواناً وأخرج ناقة من صخرة وأظهر حقيقة البعث على يدي عيسى صلوات الله وسلامه عليه . قال المصنف : وقد زدنا هذا شرحاً في الرد على الفلاسفة .

(فصل) وقد لبس إبليس على أقوام شاهدوا قدرة الخالق سبحانه وتعالى ثم اعترضت لهم الشبهتان اللتان ذكرناهما فترددوا في البعث فقال قائلهم (وإن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً) وقال العاص بن وائل (لأوتين ما لا وولداً) وإنما قالوا هذا لموضع شكهم وقد لبس إبليس عليهم في ذلك . فقالوا إن كان بعث فنحن على خير : لأن من أنعم علينا في الدنيا بالمال لا يمنعنا في الآخرة .

قال المصنف : وهذا غلط منهم لأنه لم لا يجوز أن يكون الإعطاء استدراجاً أو عقوبة والإنسان قد يحمي ولده ويطلق في الشهوات عبده .

(١) السجالة بالضم كالبرادة ماسقط من الذهب والفضة .

((ذكر تليسه على القائلين بالتناسخ))

قال المصنف : وقد لبس إبليس على أقوام فقالوا بالتناسخ وأن أرواح أهل الخير إذا خرجت دخلت في أبدان خيرة فاستراحت وأرواح أهل الشر إذا خرجت تدخل في أبدان شريرة فيتحمل عليها المشاق وهذا المذهب ظهر في زمان فرعون موسى (وذكر أبو القاسم البلخي) أن أرباب التناسخ لما رأوا ألم الأطفال والسباع والبهائم استحال عندهم أن يكون ألمها يمتحن به غيرها أو ليتعوض أولاً لمعنى أكثر من أنها مملوكة فصح عندهم أن ذلك لذنوب سلفت منها قبل تلك الحال (وذكر يحيى بن بشر بن عمير النهاوندی) أن الهند يقولون الطبائع أربع هيولى مركبة ونفس وعقل وهيولى مرسله ، فالمركبة هي الرب الأصغر والنفس هي الهيولى الأصغر والعقل الرب الأكبر والهيولى هو أيضاً أكبر وأن الأنفس إذا فارقت الدنيا صارت إلى الرب الأصغر وهو الهيولى المركبة فإن كانت محسنة صافية قبلها في طبعه فصفاها حتى يخرجها إلى الهيولى الأصغر وهو النفس حتى تصير إلى الرب الأكبر فيتخلصه إلى الهيولى المركب الأكبر . فإن كان محسناً تام الإحسان أقام عنده في العالم البسيط وإن كان محسناً غير تام أعاده إلى الرب الأكبر ثم يعيده الرب الأكبر إلى الهيولى الأصغر ثم يعيده الهيولى الأصغر إلى الرب الأصغر فيخرجه مازجاً لشعاع الشمس حتى ينتهي إلى بقلة خسيصة يأكلها الإنسان فيتحول إنساناً ويولد ثانية في العالم وهكذا تكون جاله في كل مودة يموتها . (وأما المسيئون) فانهم إذا بلغت نفوسهم إلى الهيولى الأصغر انعكست فصارت حشائش تأكلها البهائم فتصير الروح في بهيمة ثم تنسخ من بهيمة في أخرى عند موت تلك البهيمة فلا يزال منسوخاً متردداً في العلل : ويعود كل ألف سنة إلى صورة الأنس . فإن أحسن في صورة الأنس لحق بالمحسنين .

قال المصنف : قلت فانظر إلى هذه التليسات التي رتبها لهم إبليس على ما عن له لا يستند إلى شيء . أنبأنا محمد بن أبي طاهر البرار قال أنبأنا علي بن الحسن عن أبيه قال حدثني أبو الحسن علي بن نظيف المتكلم قال كان يحضر معنا ينفد اد شيخ الامامية يعرف بأبي بكر بن الفلاس فحدثنا أنه دخل على بعض من كان يعرفه بالتشيع

ثم صار يقول بمذهب التناسخ قال فوجدته بين يديه سنور أسودوه و
يمسحها ويحك بين عينيها ورأيتها وعينها تدمع كما جرت عادة السناير بذلك
وهو يبكي بكاءً شديداً فقلت له لم تبك فقال ويحك أما ترى هذه السنور تبكي
كلها مسحها هذه أمي لا شك وإنما تبكي من رؤيتها إلى حسرة قال وأخذ
يخاطبها خطاب من عنده أنها تفهم منه وجعلت السنور تصيح قليلاً قليلاً
فقلت له فهي تفهم عنك ما تخاطبها به فقال نعم فقلت أتفهم أنت صياحها
قال لا قلت فأنت المنسوخ وهي الإنسان

((ذكر تلبس إبليس على أمتنا في العقائد والديانات))

قال المصنف : دخل إبليس على هذه الأمة في عقائدها من طريقين : أحدهما
التقليد للآباء والأسلاف . والثاني : الخوض فيما لا يدرك غوره ويعجز
الخائض عن الوصول إلى عمقه فأوقع أصحاب هذا القسم في فنون من التخليط
فأما الطريق الأول فإن إبليس زين للقلدين أن الأداة قد تشبهه والصواب
قد يخفى والتقليد سليم : وقد ضل في هذا الطريق خلق كثير وبه هلك عامة
الناس فإن اليهود والنصارى قلدوا آباءهم وعلماءهم فضلوا وكذلك أهل
الجاهلية واعلم أن العلة التي بها مدحوا التقليد بها يذم لأنه إذا كانت الأداة
تشبهه والصواب يخفى وجب هجر التقليد لئلا يقع في ضلال . وقد ذم الله
سبحانه وتعالى الواقفين مع تقليد آبائهم وأسلافهم فقال عز وجل (بل قالوا
إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون . قل أولو جئتمكم بأهدى
مما وجدتم عليه آباءكم) المعنى أتتبعونهم وقد قال عز وجل (أنهم ألفوا
آباءهم ضالين فهم على آثارهم مهرعون) .

قال المصنف : أعلم أن المقلد على غير ثمة فيما قلده فيه وفي التقليد إبطال منفعة
العقل لأنه إنما خلق للتأمل والتدبر . وقبيح بمن أعطى شمعة يستضيء بها أن
يطفئها ويمشي في الظلمة . واعلم أن عموم أصحاب المذاهب يعظم في قلوبهم
الشخص فيتبعون قوله من غير تدبر بما قال : وهذا عين الضلال لأن النظر
ينبغي أن يكون إلى القول لا إلى القائل كما قال على رضى الله عنه للحارث بن

حوط وقد قال له أنظن أنا نظن أن طلحة والزبير كانا على باطل فقال له يا حارث انه ملبوس عليك إن الحق لا يعرف بالرجال أعرف الحق تعرف أهله ، وكان أحمد بن حنبل يقول : من ضيق علم الرجل أن يقلد في اعتقاده رجلا ولهذا أخذ أحمد بن حنبل يقول : زيد في الجدة وترك قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه « فان قال قائل ، فالعوام لا يعرفون الدليل فكيف لا يقلدون فالجواب - إن دليل الاعتقاد ظاهر على ما أشرنا إليه في ذكر الدهرية ومثل ذلك لا يخفى على عاقل وأما الفروع فانها لما كثرت حوادثها واعتاص على العاصي عرفانها وقرب لها أمر الخطأ فيها كان أصلح ما يفعله العاصي التقليد فيها لمن قد سبر ونظر إلا أن اجتهاد العاصي في اختيار من يقلده .

قال المصنف : وأما الطريق الثاني : فان إبليس لما تمكن من الأغبياء فورطهم في التقليد وساقهم سوق البهائم . ثم رأى خلقاً فيهم نوع ذكاء وفطنة فاستغواهم على قدر تمكنه منهم فمنهم من قبح عنده الجود على التقليد وأمره بالنظر ثم استغوى كلا من هؤلاء بفن فمنهم من أراه أن الوقوف مع ظواهر الشرائع عجز . فساقهم إلى مذهب الفلاسفة ولم يزل بهؤلاء حتى أخرجهم عن الإسلام وقد سبق ذكرهم في الرد على الفلاسفة . ومن هؤلاء من حسن له أن لا يعتقد إلا ما أدركته حواسه . فيقال لهؤلاء بالحواس علمتم صحة قولكم فان قالوا نعم كابروا لأن حواسنا لم تدرك ما قالوا إذ ما يدرك بالحواس لا يقع فيه خلاف وإن قالوا بغير الحواس . ناقضوا قولهم : ومنهم من نفره إبليس عن التقليد وحسن له الخوض في علم الكلام والنظر في أوضاع الفلاسفة ليخرج بن عمه عن غمار العوام . وقد تنوعت أحوال المتكلمين وأفضى الكلام بأكثرهم إلى الشكوك وبيعضهم إلى الإلحاد . ولم تسكت القدماء من فقهاء هذه الأمة عن الكلام عجزاً ولكنهم رأوا أنه لا يشفي غليلاً ثم يرد الصحيح غليلاً فأمسكوا عنه ونهوا عن الخوض فيه . حتى قال الشافعي رحمه الله لأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من أن ينظر في الكلام . قال وإذا سمنت الرجل يقول الاسم هو المسمى أو غير المسمى فاشهد أنه من أهل الكلام ولا دين له . قال وحكى في علماء الكلام أن ينضربوا

بالجريد ومطاف بهم في العشائر والقبائل ويقال هذا جزء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام : وقال أحمد بن حنبل لا يفلح صاحب كلام أبداً علماء الكلام زنادقة .

قال المصنف : قلت وكيف لا يذم الكلام وقد أفضى بالمعتزلة إلى انهم قالوا إن الله عز وجل يعلم جمل الأشياء ولا يعلم تفاصيلها . وقال جهنم بن صفوان علم الله وقدرته وحياته محدثة . وقال أبو محمد النوبختي عن جهنم أنه قال إن الله عز وجل ليس بشيء . وقال أبو علي الجبائي وأبو هاشم ومن تابعهما من البصريين المعلوم شيء وذات ونفس وجوهر وبياض وصفرة وحمرة وإن الباري سبحانه وتعالى لا يقدر على جعل الذات ذاتاً ولا العرض عرضاً ولا الجوهر جوهرأ وإنما هو قادر على إخراج الذات من العدم إلى الوجود . وحكى القاضي أبو يعلى في كتاب المقتبس قال : قال لي العلاف المعتزلي لنعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار أمر لا يوصف الله بالقدرة على دفعه ولا تصح الرغبة حينئذ إليه ولا الرهبة منه لأنه لا يقدر إذ ذاك على خير ولا شر ولا نفع ولا ضرر . قال ويبقى أهل الجنة جموداً سكوتاً لا يفضون بكلمة ولا يتحركون ولا يقدرهم ولا ربهم على فعل شيء من ذلك . لأن الحوادث كلها لا بد لها من آخر تنتهي إليه لا يكون بعده شيء تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

قال المصنف : قلت وذكر أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمد البلخي في كتاب المقالات . إن أبا الهذيل إسمه محمد بن الهذيل العلاف وهو من أهل البصرة من عبد القيس مولى لهم وانفرد بأن قال أهل الجنة تنقض حركاتهم فيصيرون إلى سكون دائم وأن لما يقدر الله عليه نهاية لو خرج إلى الفعل ولن يخرج استحالة أن يوصف الله عز وجل بالقدرة على غيره . وكان يقول إن علم الله هو الله وإن قدرة الله هي الله . وقال أبو هاشم من تاب عن كل شيء إلا أنه شرب جرعة من خمر فإنه يعذب عذاب أهل الكفر أبداً . وقال النظام إن الله عز وجل لا يقدر على شيء من الشر وإن إبليس يقدر على الخير والشر . وقال هشام القوطي أن الله لا يوصف بأنه عالم لم يزل وقال بعض المعتزلة يجوز على الله سبحانه وتعالى الكذب إلا أنه لم يقع منه . وقالت

المجبرة لا قدر آدمى بل هو كالحاد مسلوب الاختيار والفعل . وقالت المرجئة إن من أقر بالشهادتين وأتى بكل المعاصي لم يدخل النار أصلاً وخالفوا الأحاديث الصحاح في إخراج الموحدين من النار قال ابن عقيل ما أشبه أن يكون واضح الأرجاء زنديقاً فإن صلاح العالم باثبات الوعيد واعتقاد الجزاء ، فالمرجئة لما لم يمكنهم جحد الصانع لما فيه من نفور الناس ومخالفة العقل أسقطوا فائدة الإثبات وهي الخشية والمراقبة وهدموا سياسة الشرع فهم شر طائفة على الإسلام :

قال المصنف : قلت وتبع أبو عبد الله بن كرام فاختار من المذاهب أردأها ومن الأحاديث أضعفها ومال إلى التشبيه وأجاز حلول الحوادث في ذات الباري سبحانه وتعالى . وقال إن الله لا يقدر على إعادة الأجسام والجواهر إنما يقدر على ابتدائها . قالت السالمية إن الله عز وجل يتجلى يوم القيامة لكل شيء في معناه فيراه آدمياً . والجنى جنياً . وقالوا الله سر لو أظهره لبطل التدبير .

قال المصنف : قلت أعوذ بالله من نظر وغلوم أوجبت هذه المذاهب القبيحة : وقد زعم أرباب الكلام أنه لا يتم الإيمان إلا بمعرفة مراتبه وهو لاء على الخطاء لأن الرسول ﷺ أمر بالإيمان ولم يأمر ببحث المتكلمين ودرجة الصحابة الذين شهد لهم الشارع بأنهم خير الناس على ذلك . وقد ورد ذم الكلام على ما قد أشرنا إليه . وقد نقل إلينا أقلاص منطق المتكلمين عما كانوا عليه لما رأوا من قبح غوائله .

فأخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت نا أبو منصور محمد بن عيسى بن عبد العزيز البزار ثنا صالح الوفاة بن أحمد بن محمد الحافظ ثنا أحمد بن عيسى بن إبراهيم ثنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث قال سمعت أحمد بن سنان قال . كان الوليد بن أبان الكرابيسي خالي فلما حضرته الوفاة قال لبيته : تعلمون أحداً أعلم بالكلام مني ؟ قالوا ، لا ، قال : فتهموني ، قالوا : لا قال فإني أوصيكم أتقبلون قالوا نعم قال عليكم بما عليه أصحاب الحديث فإني رأيت الحق معهم وكان أبو المعالي الجويني يقول لقد جلت أهل الإسلام جولة

وعلوهم وركبت البحر الأعظم وغصت في الذي نهوا عنه كل ذلك في طلب الحق وهربا من التقليد والآن فقد رجعت عن الكل إلى كلمة الحق عليكم بدين العجائز فإن لم يدركني الحق بلطف بره فأموت على دين العجائز ويحتم عاقبة أمرى عند الرحيل بكلمة الإخلاص فالويل لابن الجويني . وكان يقول لأصحابه يا أصحابنا لا تشغلوا بالكلام فلو عرفت أن الكلام يبلغني ما بلغ ما تشاغلته به . وقال أبو الوفاء ابن عقيل لبعض أصحابه أنا أقطع أن الصحابة ماتوا وما عرفوا الجوهر والعرض فان رضيت أن تكون مثلهم فكن وإن رأيت أن طريقة المتكلمين أولى من طريقة أبي بكر وعمر فبئس ما رأيت . قال وقد أفضى الكلام بأهله إلى الشكوك وكثير منهم إلى الإلحاد تشم روائح الإلحاد من فلتات كلام المتكلمين وأصل ذلك أنهم ما قنعوا بما قنعت به الشرائع وطلبوا الحقائق وليس في قوة العقل إدراك ما عند الله من الحكمة التي انفرد بها ولا أخرج الباري من عليه لخلق ما عليه هو من حقائق الأمور قال : وقد بالغت في الأول طول عمرى ثم عدت القهقري إلى مذهب الكتب وإنما قالوا أن مذهب العجائز أسلم لأنهم لما انتهوا إلى غاية التدقيق في النظر لم يشهدوا ما ينفي العقل من التعليلات والتأويلات فوقفوا مع مراسم الشرع وجنحوا عن القول بالتعليل وأدعن العقل بأن فوّه حكمة إلهية فسلم . وبيان هذا أن نقول أحب أن يعرف أراد أن يذكر فيقول قائل هل شغف باتصال النفع هل دعاه داع إلى إفاضة الإحسان : ومعلوم أن للداعي عوارض على الذات وتطلبات من النفس وما تعقل ذلك إلا الذات يدخل عليها داخل من شوق إلى تحصيل ما لم يكن لها وهي إليه محتاجة فاذا وجد ذلك العرض سكن الشغف وفتر الداعي وذلك الحاصل يسمى غنى والقديم لم يزل موصوفا بالغنى منعوتا بالاستقلال بذاته الغنية عن استزادة أو عارض ثم إذا نظرنا في إنعامه رأيناه مشحونا بالنقص والآلام وأذى الحيوانات فاذا رام العقل أن يعلل بالإنعام جاء تحقيق النظر فرأى أن الفاعل قادر على الصفاء ولاصفاء ورآه منزهاً بأدلة العقل عن البخل الموجب لمنع ما يقدر على تحصيله . وعن العجز عن دفع ما يعرض لهذه الموجودات من الفساد فاذا عجز عن التعليل كان التسليم أولى : وإنما دخل الفساد من أن الخلق اقتضاؤه الفوائد ودفع

المضار على مقتضى قدرته : ولو مزجوا في ذلك العلم بأنه الحكيم لاقتضت نفوسهم له التسليم بحسب حكمته فعاشوا في بحبوحة التفويض بلا اعتراض .
 ﴿فصل﴾ وقد وقف أقوام مع الظواهر فخلوها على مقتضى الحس فقال بعضهم إن الله جسم تعالى الله عن ذلك : وهذا مذهب هشام بن الحكم وعلى بن منصور ومحمد ابن الخليل ويونس بن عمار بن عمار بن عمار . ثم اختلفوا فقال بعضهم جسم كالأجسام . ومنهم من قال لا كالأجسام . ثم اختلفوا فمنهم من قال هو نور ومنهم من قال هو على هيئة السبيكة البيضاء . هكذا كان يقول هشام بن الحكم وكان يقول إن الإله سبعة أشبار بشبر نفسه «تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً» وأنه يرى ما تحت الثرى بشعاع متصل منه بالمرئى قلت ما أعجب إلا من حده سبعة أشبار حتى علمت أنه جعله كالآدميين والآدمى طوله سبعة أشبار بشبر نفسه وذكر أبو محمد النوبختي عن الجاحظ عن النظام أن هشام بن عبد الحكم قال في التشبيه في سنة واحدة خمسة أقاويل قطع في آخرها أن معبوده أشبر نفسه سبعة أشبار : فإن قوماً قالوا إنه على هيئة السبيكة وأن قوماً قالوا هو على هيئة البلورة الصافية المستوية الاستدارة التي من حيث أتيتها رأيتها على هيئة واحدة وقال هشام : هو متناهى الذات حتى قال إن الجبل أكبر منه قال وله ماهية يعلمها هو .

قال المصنف : وهذا يلزمه أن يكون له كيفية أيضاً وذلك ينقض القول بالتوحيد وقد استقر أن الماهية لا تكون إلا لمن كان ذا جنس وله نظائر فيحتاج أن يفرد منها ويبيان عنها وإلى بجانها ليس بذى جنس ولا مثل له ولا يجوز أن يوصف بأ ذاته أرادته ومتناهيته لا على معنى أنه ذاهب في الجهات بلا نهاية : إنما المراد أنه ليس بجسم ولا جوهر فتلزمه النهاية قال النوبختي وقد حكى كثير من المتكلمين أن مقاتل بن سليمان ونعيم بن حماد وداود الحواري يقولون إن الله صورة وأعضاء .

قال المصنف : أنرى هؤلاء كيف يثبتون له القدم دون الآدميين ولم لا يجوز عليه عندهم ما يجوز على الآدميين من مرض أو تلف : ثم يقال لكل من ادعى التجسيم بأى دليل أثبت حدث الأجسام فبدلك بذلك على أن الإله هو الذى اعتقدته جسماً محدثاً غير قديم . ومن قول المجسمة أن الله عز وجل يجوز أن

يمس ويلبس : فيقال له فيجوز على قولكم أن يمس ويلبس ويعانق وقال بعضهم أنه جسم هو فضاء والأجسام كلها فيه . وكان بيان بن سمعان يزعم أن معبوده نور كله وأنه على صورة رجل وأنه يهلك جميع أعضائه إلا وجهه فقتله خالد ابن عبد الله وكان المغيرة بن سعد العجلي يزعم أن معبوده رجل من نور على رأسه تاج من نور وله أعضاء وقلب تنبع منه الحكمة وأعضاؤه على صورة حروف الهجاء :

وكان هذا يقول بإمامة محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن وكان زرارة ابن أعين يقول : لم يكن الباري قادر آخياً عالماً في الأزل حتى خلق لنفسه هذه الصفات تعالى الله عن ذلك . وقال داود الحواري هو جسم لحم ودم وله جوارح وأعضاء وهو أجوف من فمه إلى صدره ومصمت ما سوى ذلك : ومن الواقفين مع الحس أقوام قالوا هو على العرش بذاته على وجه الماسة فإذا نزل انتقل وتحرك وجعلوا لذاته نهاية وهو لاء قد أوجبوا عليه المساحة والمقدار واستدلوا على أنه على العرش بذاته بقول النبي صلى الله عليه وسلم ينزل الله إلى سماء الدنيا : قالوا ولا ينزل إلا من هو فوق . وهو لاء حملوا نزوله على الأمر الحسي الذي يوصف به الأجسام : وهو لاء المشبهة الذين حملوا الصفات على مقتضى الحس وقد ذكرنا جمهور كلامهم في كتابنا المسمى بمنهاج الوصول إلى علم الأصول . وربما تخيل بعض المشبهة في رؤية الحق يوم القيامة لما يراه في الأشخاص فيمثله شخصاً يزيد حسنه على كل حسن : فتراه يتنفس من الشقوق إليه ويمثل الزيادة فزيد توفة ويتصور رفع الحجاب فيقال ويتذكر الرؤية فيغشى عليه . ويسمع في الحديث أنه يدني عبده المؤمن إليه فيستخيل القرب الذاق كما يجالس الجنس وهذا كله جهل بالموصوف . ومن الناس من يقول لله وجه هو صفة زائدة على صفة ذاته لقوله عز وجل ويبقى وجه ربك وله يد وله أصبع لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع السموات على أصبع وله قدم إلى غير ذلك مما تضمنته الأخبار وهذا كله إنما استخرجوه من مفهوم الحس : وإنما الصواب قراءة الآيات والأحاديث من غير تفسير ولا كلام فيها وما يؤمن هؤلاء أن يكون المراد بالوجه الذات لا أنه صفة زائدة وعلى هذا فسر الآية المحققون فقالوا ويبقى ربك وقالوا في قوله يريدون وجهه يريدونه وما يؤمنهم أن يكون أراد بقوله قلوب العباد بين إصبعين إن الأصبع لما كانت هي المقابلة للشيء وأن ما بين

الاصبعين يتصرف فيه صاحبها كيف شاء ذكر ذلك لا أن ثم صفة زائدة . قال المصنف . والذي أراه السكوت عن هذا التفسير أيضاً إلا أنه يجوز أن يكون مراداً ولا يجوز أن يكون ثم ذات تقبل التجزئ والانقسام ومن أعجب أحوال الظاهرية قول السالمية ان الميت يأكل في القبر ويشرب وينكح لأنهم سمعوا بنعيم ولم يعرفوا من النعيم إلا هذا ولو قنعوا بما ورد في الآثار من أن أرواح المؤمنين وتجعل في حواصل طير تأكل من شجر الجنة لسلوا الكنهم أضافوا ذلك إلى الجسد قال ابن عقيل . ولهذا المذهب مرض يضاهي الاستشعار الواقع للجاهلية وما كانوا يقولونه في الهام والصداء والمكالمات لهؤلاء ينبغي أن تكون على سبيل المداراة لاستشعارهم لا على وجه المناظرة فإن المقاومة تفسدهم . وإنما لبس ابليس على هؤلاء لتركهم البحث عن التأويل المطابق لأدلة الشرع والعقل . فإنه لما ورد النعيم والعذاب للميت علم أن الإضافة حصلت إلى الأجساد والقبور تعريفاً كأنه يقول صاحب هذا القبر الروح التي كانت في هذا الجسد منعمة بنعيم الجنة معذبة بعذاب النار .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف : فان قال قائل قد عبت طريق المقلدين في الأصول وطريق المتكلمين فما الطريق السليم من تلييس ابليس . فالجواب أنه ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه وتابعوه بإحسان من إثبات الخالق سبحانه وإثبات صفاته على ما وردت به الآيات والأخبار من غير تفسير ولا بحث عما ليس في قوة البشر إدراكه وأن القرآن كلام الله غير مخلوق . قال على كرم الله وجهه . والله ما حكمت مخلوقاً إنما حكمت القرآن وأنه المسموع قوله عز وجل (حتى يسمع كلام الله) وأنه في المصاحف لقوله عز وجل (في رق منشور) ولا تتعدى مضمون الآيات ولا تتكلم في ذلك برأينا . وقد كان أحمد بن حنبل ينهى أن يقول الرجل لفظي بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق لئلا يخرج عن الاتباع للسلف إلى حدث .

والعجب ممن يدعى اتباع هذا الإمام ثم يتكلم في المسائل المحدثه . أخبرنا سعد الله بن علي البزار نا أبو بكر الطريثي نا هبة الله بن الحسن الطبري نا أبو حامد أحمد بن أبي طاهر الفقيه نا عمر بن أحمد الواعظ ثنا محمد بن هرون الحضرمي ثنا القاسم بن العباس الشيباني ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار

قال أدركت تسعة من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون من قال القرآن مخلوق فهو كافر . وقال مالك بن أنس من قال القرآن مخلوق فيستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه .

أخبرنا أبو البركات بن علي البزار نا أحمد بن علي الطريثي نا هبة الله الطبري ، ثنا محمد بن أحمد القاسم ، ثنا أحمد بن عثمان ، ثنا محمد بن ماهان ، ثنا عبد الرحمن ابن مهدي عن سفيان عن جعفر بن برقان أن عمر بن عبد العزيز قال لرجل : وسأله عن الأهواء فقال عليك بدين الصبي في الكتاب والإعرابي والههما سواهما قال ابن مهدي وثنا عبد الله بن المبارك عن الأوزاعي قال : قال : عمر بن عبد العزيز إذا رأيت قوما يتناجون في دينهم بشيء دون العامة فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة .

أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا محمد ابن أحمد بن الحسن ، ثنا بشر بن موسى ، ثنا خلاد بن يحيى عن سفيان الثوري : قال بلغني عن عمر أنه كتب إلى بعض عماله أوصيك بتقوى الله عز وجل . واتباع سنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم . وترك ما أحدث المحدثون بعده بما قد كفوا مؤنته : واعلم أن من سن السن قد علم ما في خلافا من الخطأ والزلل والتعمق فان السابقين الماضين عن علم توقفوا وتبصر ناقد قد كفوا . وفي رواية أخرى عن عمر . وأنهم كانوا على كشف الأمور أقوى وما أحدث إلا من اتبع غير سبيلهم ورجب بنفسه عنهم لقد قصر دونهم أقوام غفوه وطمع عنهم آخرون فعلوه .

أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا أحمد بن أحمد نا أحمد بن عبد الله الحافظ ثنا سليمان بن أحمد ، ثنا بشر بن موسى ، ثنا عبد الصمد بن حسان قال سمعت سفيان الثوري يقول عليكم بما عليه الجمالون والنساء في البيوت والصبيان في الكتاب من الإقراء والعمل .

قال المصنف : فإن قال قائل هذا مقام عجز لا مقام الرجال فقد أسلفنا جواب هذا . وقلنا إن الوقوف على العمل ضرورة لأن بلوغ ما يشفي العقل من التعليل لم يدركه من عاص من المتكلمين في البحار فلذلك أمروا بالوقوف على الساحل كما ذكرنا عنهم .

﴿ ذكر تليسه إبليس على الخوارج ﴾

قال المصنف: أول الخوارج وأقبحهم حالة ذوا الخويرة أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثنا أبي ثنا محمد بن فضيل ثنا عمار بن القعقاع عن ابن أبي يعمر عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بعث على رضي الله عنه من أئمن إلى رسول الله ﷺ بذهبة في أديم مقروط (١) لم تخلص من ترابها فقسمها رسول الله ﷺ بين أربعة بين زيد الخيل والأقرع بن حابس وعيينة بن حصن وعلقمة بن علاثة أو عامر بن الطفيل شك عمار فوجد من ذلك بعض أصحابه والأنصار وغيرهم فقال رسول الله ﷺ ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صياحا ومساء ثم أتاه رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناقي الجبهة كث اللحية مشمر الأزار مخلوق الرأس فقال اتق الله يا رسول الله فرفع رأسه إليه فقال ويحك أليس أحق الناس أن يتق الله أنا ثم أدبر فقال خالد يا رسول الله ألا أضرب عنقه فقال رسول الله ﷺ فلعنه يكون يصلي فقال انه رب مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه فقال رسول الله ﷺ إني لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم ثم نظر إليه النبي ﷺ وهو مقف فقال انه سيخرج من ضنئي (٢) هذا قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية .

قال المصنف: هذا الرجل يقال له ذوا الخويرة التميمي وفي لفظ أنه قال له إعدل فقال ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل فهذا أول خارجي خرج في الإسلام وآفته انه رضي برأى نفسه ولو وقف لعلم انه لا رأى فوق رأى رسول الله ﷺ وأتباع هذا الرجل هم الذين قاتلوا على بن أبي طالب كرم الله وجهه . وذلك انه لما طالت الحرب بين معاوية وعلى رضي الله عنهما رفع أصحاب معاوية المصاحف ودعوا أصحاب على إلى ما فيها وقال . تبعثون منكم رجلا ونبعث منا رجلا . ثم تأخذ عليهما أن يعملما بما في كتاب الله عز

(١) المقروظ المدموغ بالقرظ ، وفي نسخة لم تحصل أى تميز .

(٢) الضنئي . وهو بضادين معجمتين مكسورتين وآخره مهموز ، وهو أصل الشيء وروى بالمهملتين .

وجل : فقال الناس قد رضينا فبعثوا عمرو بن العاص فقال أصحابي على ابعت
أبا موسى فقال على لا أرى أن أولى أبا موسى : هذا ابن عباس قالوا لا نريد
رجلا منك فبعث أبا موسى وآخر القضاء إلى رهضان فقال عروة بن أذينة
تحكمون في أمر الله الرجال لا حكم إلا لله : ورجع على من صفين فدخل
الكوفة ولم تدخل معه الخوارج فأتوا حروراء (١) فنزل بها منهم اثنا عشر
ألفاً وقالوا لا حكم إلا لله وكان ذلك أول ظهورهم ونادى مناديهم أن أمير
القتال شبيب بن ربعي التيمي وأمير الصلاة عبد الله بن الكوايشكري .
وكانت الخوارج تتعبد إلا أن إعتقادهم أنهم أعلم من علي بن أبي طالب كرم
الله وجهه وهذا مرض صعب .

أخبرنا اسماعيل بن احمد نا محمد بن هبة الله الطبري نا محمد بن الحسين بن
الفضل نا عبد الله بن جعفر بن درستويه نا يعقوب بن سفيان ثي موسى بن
مسعود ثنا بكرمة بن عمار عن سماك بن رميل قال : قال عبد الله بن عباس إنه لما
اعتزلت الخوارج دخلوا داراً وهم ستة آلاف وأجمعوا على أن يخرجوا علي
علي بن أبي طالب فكان لا يزال يجيء إنسان فيقول يا أمير المؤمنين إن القوم
خارجون عليك فيقول دعوهم فاني لا أقاتلهم حتى يقاتلوني وسوف يفعلون .
فلما كان ذات يوم أتته قبل صلاة الظهر فقلت له يا أمير المؤمنين أبرد بالصلاة
لعلني أدخل على هؤلاء القوم فأكلهم . فقال إني أخاف عليك . فقلت كلا
وكنت رجلاً حسن الخلق لا أؤذي أحداً فأذن لي فلبست حلة من أحسن
ما يكون من اليمن وترجلت فدخلت عليهم نصف النهار فدخلت على قوم لم
أر قط أشد منهم اجتهداً . جباههم قرحة من السجود وأيادهم كأنها
ثفن (٢) الإبل . وعليهم قص مرحضة مشمرين مسهمة وجوههم من السهر
فسلمت عليهم فقالوا مرحباً بابن عباس ما جاء بك . فقلت أتيتكم من عند
المهاجرين والأنصار ومن عند صهر رسول الله ﷺ وعليهم نزل القرآن
وهم أعلم بتأويله منكم : فقالت طائفة منهم لا نخاصموا قريشاً فان الله عز وجل

(١) حروراء : قرية بالعراق قريبة من الكوفة .

(٢) الثفن : جمع ثفنة ركة البعير وغيرها مما يحصل فيه غلاظ من أثر البروك .

يقول (بل هم قوم خصمون) فقال إثنان أو ثلاثة لنكلمنه : فقلت هاتوا ما نقيم على صبر رسول الله ﷺ والمهاجرين والأنصار وعليهم نزل القرآن وليس فيكم منهم أحد : وهم أعلم بتأويله . قالوا ثلاثاً : قلت هاتوا : قالوا أما أحدهن فإنه حكم الرجال في أمر الله . وقد قال الله عز وجل (إن الحكم إلا لله) فما شأن الرجال والحكم بعد قول الله عز وجل . فقلت هذه واحدة وماذا : قالوا وأما الثانية فإنه قاتل وقتل ولم يسب ولم يغتم فإن كانوا مؤمنين فلم حل لنا قتالهم وقتلهم ولم يحل لنا سبهم قلت وما الثالثة قالوا فإنه محاب عن نفسه أمير المؤمنين فإنه إن لم يكن أمير المؤمنين فإنه لأمير الكافرين . قلت هل عندكم غير هذا . قالوا كفانا هذا . قلت لهم أما قولكم حكم الرجال في أمر الله أنا أقرأ عليكم في كتاب الله ما ينقض هذا . فإذا نقض قولكم أترجعون قالوا نعم قلت فإن الله قد صير من حكمه إلى الرجال في ربع درهم ثمن أرنب وتلى هذه الآية (لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم) إلى آخر الآية وفي المرأة وزوجها (وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها) إلى آخر الآية فنشدتكم بالله هل تعلمون حكم الرجال في إصلاح ذات بينهم وفي حقن دمائهم أفضل أم حكمهم في أرنب وبضع امرأة فأيهما ترون أفضل . قالوا بل هذه . قلت خرجت من هذه . قالوا نعم . قلت وأما قولكم قاتل ولم يسب ولم يغتم فتسبون أمكم عائشة رضي الله تعالى عنها . فوالله لئن قلتم ليست بأمتنا لقد خرجتم من الإسلام . ووالله لئن قلتم لنسيئنها ونستحل منها ما نستحل من غيرها لقد خرجتم من الإسلام . فأنتم بين ضلالتين لأن الله عز وجل قال (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم) أخرجت من هذه . قالوا نعم . قلت وأما قولكم محاب عن نفسه أمير المؤمنين فأنا آتيكم بمن ترضون أن النبي ﷺ يوم الحديبية صالح المشركين أبا سفيان بن حرب وسهيل بن عمرو . فقال لعلي رضي الله عنه أكتب لهم كتاباً فكتب لهم على . هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله فقال المشركون والله ما نعلم أنك رسول الله لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم اللهم إني أعلم أنك تعلم أني رسول الله أمح يا علي . اكتب هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله فوالله لرسول الله خير من علي وقد محاب نفسه .

قال فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم فقتلوا . أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت نا ولاد بن علي الكوفي نا محمد بن علي بن دحيم الشيباني ثنا أحمد بن حازم ثنا أحمد بن عبد الرحمن يعني ابن أبي ليلى ثنا سعيد بن جثيم عن القعقاع بن عمار عن أبي الخليل عن أبي الشائعة عن جندب الأزدي . قال لما عدلنا إلى الخوارج ونحن مع علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال فاتمينا إلى معسكرهم فاذا لهم دوى كدوى النحل من قراءة القرآن . قال المصنف : وفي رواية أخرى أن عليا رضي الله عنه لما حكم أتابد من الخوارج زرعة بن البرج الطائي وحر قوص بن زهير السعدي فدخل عليه فقالا له لا حكم إلا لله . فقال علي لا حكم إلا لله فقال له حر قوص تب من خطيئتك وارجع عن قضيتنا واخرج بنا إلى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا ولئن لم تدع تحكيم الرجال في كتاب الله عز وجل لأقاتلنك أطلب بذلك وجه الله واجتمعت الخوارج في منزل عبد الله بن وهب الراسي فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ما ينبغي لقوم يؤمنون بالرحمن وينسبون إلى حكم القرآن أن تسكون هذه الدنيا التي إيثارها عناء آثر عنده من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقول بالحق فاخرجوا بنا . فكتب إليهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . أما بعد فإن هذين الرجلين اللذين ارتضيا حكمين فقد خالفا كتاب الله واتبعا أهواءهما ونحن على الأمر الأول . فكتبوا إليه إنك لم تغضب لربك وإنما غضبت لنفسك فإن شهدت على نفسك بالكفر واستقبلت التوبة نظرنا فيما بيننا وبينك . وإلا فقد نابذناك على سواء والسلام ولقي الخوارج في طريقهم عبد الله بن خباب فقالوا هل سمعت من أبيك حديثاً تحذثه عن رسول الله ﷺ تحذثناه قال نعم سمعت أبي يحدث عن رسول الله ﷺ أنه ذكر فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي فإن أدركت ذلك فكن عبد الله المقتول . قالوا أأت سمعت هذا من أبيك تحذثه عن رسول الله قال نعم فقد موته إلى شفير النهر فضر بوا عنقه فسال دمه كأنه شراك نعل . وبقروا بطن أم ولده عمار في بطنها وكانت حبل ونزلوا تحت نخل مواقير بنهر وان فستطت رطبة فأخذها أحدهم فحذف بها فيه . فقال أحدهم أخذتها

بغير حدها وبغير ثمنها فلفظها من فيه . واختلط أحدهم سفيه فأخذ يهزه فمر به خنزير لأهل الذمة فضربه به يجربه فيه فقالوا هذا فساد في الأرض فلقى صاحب الخنزير فأرضاه في ثمنه . قال فبعث إليهم على رضى الله عنه أخرجو إلينا قاتل عبد الله بن خباب فقالوا كلنا قتله . فناداهم ثلاثاً كل ذلك يقولون هذا القول . فقال على رضى الله عنه لأصحابه دونكم القوم . فما لبثوا أن أنزلوهم وكان وقت القتال يقول بعضهم لبعض تهياً للقاء الرب الرواح الرواح إلى الجنة ! وخرج على على رضى الله عنه بعدهم جماعة منهم فبعث إليهم من قاتلهم ثم اجتمع عبد الرحمن بن ملجم بأصحابه وذكروا أهل النهر أون فترحموا عليهم وقالوا والله ما قنعنا بالبقاء في الدنيا شيء بعد إخواننا الذين كانوا لا يخافون في الله لومة لائم فلو أنا شربنا أنقسنا لله والتمسنا غير هؤلاء الأئمة الضلال فنأرنا بهم إخواننا وأرحنا منهم العباد .

أخبرنا محمد بن أبي طاهر البزار نا أبو محمد الجوهري نا ابن حياة نا أبو الحسن بن معروف نا الحسين بن الفهم نا محمد بن سعد عن أشياخ له . فقالوا انتدب ثلاثة نفر من الخوارج عبد الرحمن بن ملجم والبرك بن عبد الله وعمر بن بكر التيمي فاجتمعوا بمكة وتعاهدوا وتعاهدوا لئقتلن هؤلاء الثلاثة علياً ومعاوية وعمر بن العاص ونزح العباد منهم فقال ابن ملجم أنا لكم بعلي وقال البرك أنا لكم بمعاوية وقال عمر وأنا لكم بعمر وفتواثقوا لا ينقض رجل منهم رجلاً عن صاحبه ، فقدم ابن ملجم الكوفة فلما كانت الليلة التي عزم على قتل على رضى الله عنه فيها خرج على رضى الله عنه لصلاة الصبح فضربه فأصاب جبهته إلى قرنه ووصل إلى دماغه . فقال على رضى الله عنه لا يفوتكم الرجل فأخذ : فقالت أم كلثوم ياعدو الله قتلت أمير المؤمنين بأس قال فلم تبكين إذن ثم قال والله لقد سمعته يعنى فإن أخلفنى فأبعده الله وأسحقه . فلما مات على رضى الله عنه أخرج ابن ملجم ليقنل فقطع عبد الله بن جعفر يديه ورجليه فلم يجزع ولم يتكلم . فكحل عينيه بمسما رمحي . فلم يجزع وجعل يقرأ بقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق حتى ختمها وإن عينيه لتسيلان فعولج على قطع لسانه

فخرج . فقيل له لم تجزع فقال أكره أن أكون في الدنيا موافقا لا أذكر الله وكان رجلا أسمر في جبهته أثر السجود لعنة الله عليه .

قال المصنف : قلت ، ولما أراد الحسن رضى الله عنه أن يصلح معاوية خرج عليه من الخوارج الجراح بن سنان . وقال أشركت كما أشرك أبوك ثم طعنه في أصل فخذه . وما زالت الخوارج تخرج على الأمراء ولهم مذاهب مختلفة . وكان أصحاب نافع بن الأزرق يقولون نحن مشركون ما دمنا في دار الشرك فإذا خرجنا فنحن مسلمون . قالوا ومخالفونا في المذهب مشركون . ومرتكبوا الكبائر مشركون والقاعدون عن موافقتنا في القتال كفره وأباح هؤلاء قتل النساء والصبيان من المسلمين وحكموا عليهم بالشرك وكان تجدة بن عامر الثقفي من القوم يخالف نافع بن الأزرق وقال بتحريم دماء المسلمين وأموالهم : وزعم أن أصحاب الذنوب من موافقيه يعذبون في غير نار جهنم وأن جهنم لا يعذب بها إلا مخالفوه في مذهبه : وقال إبراهيم الخوارج قوم كفار وتحل لنا مناكحتهم وموارثتهم كما كان الناس في بدء الإسلام . وكان بعضهم يقول لو أن رجلا أكل من مال يقيم فلسين وجبت له النار . لأن الله عز وجل أوعد على ذلك النار .

قال المصنف : ولهم قصص تطول ومذاهب عجيسة لهم لم أر التطويل بذكرها وإنما المقصود النظر في حيل إبليس وتبليسه على هؤلاء الحمقى الذين عملوا بواقعاتهم واعتقدوا أن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه على الخطأ ومن معه من المهاجرين والأنصار على الخطأ وأنهم على الصواب . واستحلوا دماء الأطفال ولم يستحلوا أكل ثمرة بغير ثمنها وتعبدوا في العبادات وسهروا وجزع ابن ملجم عند قطع لسانه من فوات الذكر . واستحل قتل علي كرم الله وجهه ثم شهروا السيوف على المسلمين ولا أعجب من اقتناع هؤلاء بعلومهم واعتقادهم أنهم أعلم من علي رضى الله عنه ، فقد قال ذو الخويصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعدل فاعدلت وما كان إبليس ليتهدى إلى هذه الخايزى نعوذ بالله من الخذلان .

أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أبو بكر بن ملك ثنا عبد الله بن

أحمد ابن حنبل ثنى أبى قال قرأت على عبد الرحمن بن ملك عن يحيى بن سعيد عن محمد ابن ابراهيم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج قوم فيكم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم وأعمالكم مع أعمالهم يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرميّة ^(١) . أخرجاه في الصحيحين .

أخبرنا سعد الله بن على نا أبو بكر الطريثى ثنا هبة الله بن الحسن الطبرى نا أحمد بن عبيد ثنا على بن عبد الله بن مبشر ثنا أحمد بن سنان ثنا اسحاق بن يوسف الأزرق عن الأعمش عن عبد الله بن أبى أوفى وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخوارج كلاب أهل النار .

(فصل) قال المصنف : ومن رأى الخوارج أنه لا تختص الإمامة بشخص إلا ان يجتمع فيه العلم والهدى فإذا اجتمعا كان إماماً نبطياً ^(١) ومن رأى هؤلاء أحدث المعتزلة فى التحسين والتقييح إلى العقل وأن العدل ما يقتضيه ثم حدث القدريّة فى زمن الصحابة وصار معبد الجهنى وغيلان الدمشقى والجعد ابن درهم إلى القول بالقدر ونسج على منوال معبد الجهنى وأصل بن عطاء وانضم إليه عمرو بن عبيد . وفى ذلك الزمان حدثت سنة المرجئة حين قالوا لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة . ثم طالعت المعتزلة مثل أبى الهذيل العلاف والنظام ومعمّر والجاحظ كتب الفلاسفة فى زمان المأمون واستخرجوا منها ما خلطوه بأوضاع الشرع مثل لفظ الجوهر والعرض والزمان والمكان والكون . وأول مسألة أظهروها القول بخلق القرآن . وحينئذ سمي هذا الفصل فصل علم الكلام . وتلت هذه المسألة مسائل الصفات مثل العلم والقدرة والحياة والسمع والبصر . فقال قوم هى معانى زائدة على الذات ونفتها المعتزلة وقالوا عالم لذاته قادر لذاته . وكان أبو الحسن الأشعري على مذهب الجبائى ثم انفرد عنه إلى مثبتى الصفات . ثم أخذ

(١) الرميّة: الصيد الذى ترميه فينفذ فيه السهم .

(٢) النبطى : نسبة إلى النبط بفتح نين أخلاط الناس وأوباشهم .

بعض مثبتى الصفات فى اعتقاد التشييع وإثبات الانتقال فى النزول والله الهادى لما يشاء

(ذكر تليسه على الرفضه)

قال المصنف . وكما لبس إبليس على هؤلاء الخوارج حتى قاتلوا على ابن أبى طالب . حمل آخرين على الغلو فى حبه . فزادوه على الحد فمنهم من كان يقول هو الآله : ومنهم من يقول هو خير من الأنبياء . ومنهم من حمله على سب أبى بكر وعمر حتى إن بعضهم كفر أبابكر وعمر الى غير ذلك من المذاهب السخيفة التى يرغب عن تضييع الزمان بذكرها . وإنما نشير الى بعضها .

أخبرنا عبد الرحمن بن محمدنا أبو بكر أحمد بن على بن ثابت قال حدث أبو يعقوب إسحق بن محمد النخعى عن عبيد الله بن محمد بن عائشة وأبى عثمان المازنى وغيرهما وسمعت عبد الواحد بن على بن برهان الأسدى يقول إسحق ابن محمد النخعى الأحمر كان يقول : إن علياً هو الله : تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً : وبالدائن جماعة من الغلاة يعرفون بالاسحاقية ينسبون اليه : قال الخطيب ووقع الى كتاب لأبى محمد الحسن بن يحيى النوبختى من تصنيفه فى الرد على الغلاة : وكان النوبختى هذا من متكلمي الشيعة الأمامية : فذكر أصناف مقالات الغلاة إلى أن قال وقد كان من جرد الجنون فى الغلو فى عصرنا إسحق بن محمد المعروف بالأحمر كان يزعم أن علياً هو الله عز وجل : وأنه يظهر فى كل وقت فهو الحسن فى وقت وكذلك هو الحسين : وهو الذى بعث محمداً ﷺ .

قال المصنف . قلت : وقد اعتقد جماعة من الرفضه أن أبابكر وعمر كانا كافرين : وقال بعضهم ارتدا بعد موت رسول الله ﷺ : ومنهم من يقول بالتبرى من غير على . وقد روينا أن الشيعة طالبت زيد بن على بالتبرى من خالف علياً فى إمامته فامتنع من ذلك فرفضوه فسموا الرفضه : ومنهم أقوام قالوا الامامة فى موسى بن جعفر ثم فى ابنه على ثم إلى محمد بن على ثم إلى على بن محمد ثم إلى الحسن بن محمد العسكري ثم إلى ابنه محمد وهو الإمام الثانى عشر الإمام المنتظر الذى يزعمون أنه لم يمت وأنه سيرجع فى آخر الزمان فيملأ الأرض عدلاً : وكان أبو منصور العجلي يقول بانتظار محمد بن على

الباقر ويدعى أنه خليفة . وأنه عرج به إلى السماء فمسح الرب يده على رأسه . وزعم أنه الكسف الساقط من السماء وكانت طائفة من الراضة يقال لها الجناحية وهم أصحاب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذى الجناحين يقولون إن روح الإله دارت في أصلاب الأنبياء والأولياء إلى أن انتهى إلى عبد الله وأنه لم يميت : وهو المنتظر : ومنهم طائفة يقال لها الغرابية يثبتون شركة على في النبوة . وطائفة يقال لها المفوضة يقولون إن الله عز وجل خلق محمداً ثم فوض خلق العالم إليه . وطائفة يقال لها الذمامية يذمون جبريل ويقولون كان مأموراً بالنزول على علي فنزل على محمد : ومنهم من يقول أن أبا بكر ظلم فاطمة مبرأها . وقد رويناه على السفاح أنه خطب يوماً فقام رجل من آل علي رضي الله عنه قال أنا من أولاد علي رضي الله عنه . فقال يا أمير المؤمنين أعذني على من ظلمني قال ومن ظلمك قال أنا من أولاد علي رضي الله عنه والذي ظلمني أبو بكر رضي الله عنه حين أخذ فديك من فاطمة قال ودام على ظلمكم قال نعم . قال ومن قال بعده قال عمر رضي الله عنه قال ودام على ظلمكم قال نعم ومن قام بعده قال عثمان رضي الله عنه قال ودام على ظلمكم قال نعم . قال ومن قام بعده فجعل يلتفت كذا وكذا ينظر مكاناً يهرب إليه .

قال ابن عقيل الظاهر أن من وضع مذهب الراضة قصد الطعن في أصل الدين والنبوة وذلك أن الذي جاء به رسول الله ﷺ أمر غائب عنا وإنما نثق في ذلك بنقل السلف وجودة نظر الناظرين إلى ذلك منهم . فكأننا نظرنا إذ نظر لنا من نثق بدينه وعقله فإذا قال قائل أنهم أول ما بدأوا بعد موته بظلم أهل بيته في الخلافة وابنته في إرثها وما هذا إلا لسوء اعتقاد في المتوفى . فان الاعتقادات الصحيحة سيما في الأنبياء توجب حفظ قوانينهم بعدهم لاسيما في أهلهم وذريتهم . فإذا قالت الراضة أن القوم استحلوا هذا بعده خابت آمالنا في الشرع . لأنه ليس بيننا وبينه إلا النقل عنهم والثقة بهم . فإذا كان هذا محصوراً ما حصل لهم بعد موته خبنا في المنقول . وزالت ثقتنا فيما عولنا عليه من اتباع ذوى العقول . ولم نأمن أن يكون القوم لم يروا ما يوجب اتباعه فراعوه مدة الحياة وانقلبوا عن شريعته بعد الوفاة ولم يبق

على دينه إلا الأقل من أهله . فطاحت الاعتقادات . وضعفت النفوس . عن قبول الروايات في الأصل وهو المعجزات فهذا من أعظم المحن على الشريعة . قال المصنف . وغلو الرافضة في حب علي رضي الله عنه حملهم على أن وضعوا أحاديث كثيرة في فضائله أكثرها تشينه وتؤذيه . وقد ذكرت منها جملة في كتاب الموضوعات . منها أن الشمس غابت ففاتت علياً صلوات العصر فردت له الشمس . وهذا من حيث النقل موضوع : لم يروه ثقة ومن حيث المعنى فإن الوقت قد فات وعودها طلوع متجدد فلا يرد الوقت . وكذلك وضعوا أن فاطمة اغتسلت ثم ماتت وأوصت أن تسكن في ذلك الغسل . وهذا من حيث النقل كذب . ومن حيث المعنى قلة فهم . لأن الغسل عن حدث الموت فكيف يصح قبله ثم لهم خرافات لا يسندونها إلى مستند . ولهم مذاهب في الفقه ابتدعوها وخرافات تخالف الإجماع . فبقلت منها مسائل من خطأ ابن عقيل . قال نقلتها من كتاب المرتضى فيما انفردت به الإمامية . منها أنه لا يجوز السجود على ما ليس بأرض ولا من نبات الأرض . فأما الصوف والجلود والوبر فلا . وأن الاستحجار لا يجزئ في البول بل في الغائط خاصة . ولا يجزئ مسح الرأس إلا بياقي البلل الذي في اليد فإن استأنف للرأس بللاً مستأنفاً لم يجزه حتى لو نشفت يده من البلل احتاج إلى استئناف الطهارة . وانفردوا بتحريم من زنى بها وهي تحت زوج أبدأ فلو طلقها زوجها لم تحل للزاني بها بنكاح أبدأ . وحرّموا الكتبايات وأن الطلاق المعلق على شرط لا يقع وإن وجد شرطه . وأن الطلاق لا يقع إلا بحضور شاهدين عدلين . وأن من نام عن صلاة العشاء إلى أن مضى نصف الليل وجب عليه إذا استيقظ القضاء . أن يصبح صائماً كفارة لذلك التفريط . وأن المرأة إذا جزت شعرها فعليها الكفارة مثل قتل الخطأ . وأن من شق ثوبه في موت ابن له أو زوجة فعليه كفارة يمين . وأن من تزوج امرأة ولها زوج وهو لا يعلم لزمه الصدقة بخمسة دراهم . وأن شارب الخمر إذا حد ثانية قتل في الثالثة . ويحد شارب الفقاع كشارب الخمر ، وأن قطع السارق من أصول الأصابع ويبقى له الكف فان سرق مرة أخرى قلع الرجل اليسرى . فان سرق الثالثة خلد في الحبس إلى أن يموت .

وحرموا السمك الجري (كذا) وذباح أهل الكتاب . واشتروا في الذبح استقبال القبلة . في مسائل كثيرة يطول ذكرها خرقوا فيها الإجماع وسول لهم إبليس وضعها على وجه لا يستندون فيه إلى أثر ولا قياس . بل إلى الوقائع ومقاييس الرافضة أكثر من أن تحصى . وقد حرموا الصلاة لكونهم لا يغسلون أرجلهم في الوضوء والجماعة لطلبهم إماماً معصوماً وابتلوا بسب الصحابة . وفي الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لا تسبوا أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه . وقد أخبرنا محمد بن عبد الملك ويحيى بن علي قالوا أخبرنا محمد بن أحمد ابن المسلمة نا أبو طاهر المخلص ثنا البغوي ثنا محمد بن عباد المسكي ثنا محمد ابن طلحة المدني عن عبد الرحمن بن سالم بن عبد الله بن عويم بن ساعدة عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله اختارني واختار لي أصحاباً فجعل لي منهم ورراء وأنصاراً وأصهاراً فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً . قال المصنف . والمراد بالعدل الفريضة والصرف النافلة ، أخبرنا أبو البركات بن علي البزار نا أبو بكر الطريثي نا هبة الله بن الحسن الطبري نا عبيد الله بن محمد بن أحمد نا علي بن محمد بن أحمد بن يزيد الرياحي ثنا أبي ثنا الحسن بن عمار عن المنهال بن عمرو عن سويد بن غفلة قال مررت بنفر من الشيعة يتناولون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وينتقصونهما فدخلت على علي بن أبي طالب فقلت يا أمير المؤمنين مررت بنفر من أصحابك يذكرون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما بغير الذي هما له أهل ولولا أنهم يرون أنك تضممهما على مثل ما أعلنوا ما اجتروا على ذلك . قال علي . أعوذ بالله أعوذ بالله أن أضمرهما إلا الذي أئتمنتني النبي عليه . لعن الله من أضمرهما إلا الحسن الجليل أخوا رسول الله وصاحباؤه ووزيراؤه رحمة الله عليهما ثم نهض دافع العينين يركي قابضاً على يدي حتى دخل المسجد فصعد المنبر وجلس عليه متمكناً قابضاً على لحيته وهو ينظر فيها وهي بيضاء حتى اجتمع لنا الناس : ثم قام فنشهد بخطبة موجزة بليغة . ثم قال ما بال أقوام يذكرون

سیدی قریش وأبوی المسلمون بما أنا عنه متنزه . وما قالوه بریء . وعلى ما قالوا معاقب أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لا يجبهما إلا مؤمن . تقى ولا يبغضهما إلا فاجر شقى صحبا رسول الله ﷺ على الصدق والوفاء يأمران وينهيان ويغضبان ويعاقبان فما يتجاوزان فيما يصنعان رأى رسول الله ﷺ ولا كان رسول الله ﷺ يرى غير رأيهما . ولا يجب كحجبهما أحداً مضى رسول الله ﷺ وهو راض عنهما . ومضيا والمؤمنون عنهما راضون . أمره رسول الله ﷺ على صلاة المؤمنين فصلى بهم تسعة أيام في حياة رسول الله ﷺ فلما قبض الله نبيه واختار له ما عنده . ولاده المؤمنون ذلك . وفوضوا إليه الزكاة ثم أعطوه البيعة طائعين غير مكرهين . وأنا أول من سن له ذلك من بنى عبد المطلب وهو لذلك كاره . يود لو أن منا أحداً كفاه ذلك . وكان والله خير من أبقى أرحمه رحمة وأرأفه رأفة واسنّه ورعاً وأقدمه سناً وإسلاماً ، شبهه رسول الله ﷺ بميكائيل رافة ورحمة وإبراهيم عفواً ووقاراً فسار بسيرة رسول الله ﷺ حتى مضى على ذلك رحمة الله عليه . ثم ولى الأمر بعده عمر رضى الله عنه وكنت فيمن رضى . فأقام الأمر على منهاج رسول الله ﷺ وصاحبه . يتبع أثرهما كما يتبع الفصيل أثر أمه وكان والله رفيقاً رحيماً بالضعفاء ناصراً للظالمين على الظالمين . لا يأخذه في الله لومة لائم وضرب الله الحق على لسانه وجعل الصدق من شأنه : حتى أن كنا لنظن أن ملكاً ينطق على لسانه اعز الله بإسلامه الإسلام . وجعل هبته للدين قواماً وألقى له في قلوب المنافقين الرهبة . وفي قلوب المؤمنين المحبة . شبهه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بجبريل فظاً غليظاً على الأعداء . فمن لكم بمثلهما رحمة الله عليهما ورزقنا المضى في سبيلهما فمن أحبني فليحبهما ومن لم يحبهما فقد ابغضني وأنا منه برىء . ولو كنت تقدمت إليكم في أمرهما لعاقبت في هذا أشد العقوبة إلا فمن أوتيت به يقول بعد هذا اليوم فإن عليه ما على المفتري . إلا وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ثم الله اعلم بالخير أين هو . أقول قولي واستغفر الله لي ولكم .

أخبرنا سعد الله بن علي نا الطريثي نا هبة الله الطبري نا محمد بن عبد الرحمن نا البغوي ثنا سويد بن سعيد ثنا محمد بن حازم عن أبي خباب الكلبي عن أبي سليمان الهمداني عن علي كرم الله وجهه قال يخرج في آخر الزمان قوم لهم نبي يقال لهم الرافضة ينتحلون شيعتنا وليسوا من شيعتنا وآية ذلك أنهم يشتمون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما أينما أدركتموهم فاقتلوهم أشد القتل فانهم مشركون .

﴿ ذكر تليس ابليس على الباطنية ﴾

قال المصنف : الباطنية قوم تستروا بالاسلام ومالوا إلى الرفض وعقائدهم وأعمالهم تبين الاسلام بالمرّة فحصل قولهم تعطيل الصانع وإبطال النبوة والعبادات وإنكار البعث ولكنهم لا يظهرون هذا في أول أمرهم . بل يزعمون أن الله حق وإن محمداً رسول الله والدين صحيح لكنهم يقولون لذلك سر غير ظاهر وقد تلاعب بهم ابليس فبالغ وحسن لهم مذاهب مختلفة ولهم ثمانية أسماء .

﴿ الاسم الأول الباطنية ﴾ سموا بذلك لأنهم يدعون أن لظواهر القرآن والأحاديث بواطن تجرى من الظواهر مجرى اللب من القشير وانها بصورتها توهم الجهال صوراً حلية وهي عند العقلاء رموز وإشارات إلى حقائق خفية وإن من تقاعد عقله من الغوص على الخفايا والأسرار والبواطن والأغوار وقنع بظواهرها كان تحت الأغلال التي هي تكليفات الشرع . ومن ارتقى إلى علم الباطن انحط عنه التكليف واستراح من أعبائه قالوا وهم المرادون بقوله تعالى (ويضع عنهم أصرهم والأغلال التي كانت عليهم) ومرادهم أن ينزعوا من العقائد موجب الظواهر ليقدروا بالتحكم بدعوى الباطل على أبطال الشرائع .

﴿ الاسم الثاني الاسماعيلية ﴾ نسبوا إلى زعيم لهم يقال له محمد بن اسماعيل ابن جعفر ويزعمون أن دور الإمامة انتهى إليه . لأنه سابع . واحتجوا بأن السموات سبع والأرضين سبع وأيام الأسبوع سبعة . فدل على أن دور الأئمة يتم بسبعة . وعلى هذا فيما يتعلق بالمنصور فيقولون العباس ثم ابنه

عبد الله ثم ابنه علي ثم ابنه محمد بن علي ثم ابراهيم ثم السفاح ثم المنصور .
 وذكر أبو جعفر الطبري في تاريخه قال : قال علي بن محمد عن أبيه إن رجلاً من
 الروندية كان يقال له الأبلق وكان أبرص . فبكى بالعلو ودعا الروندية اليه
 وزعم أن الروح التي كانت في عيسى بن مريم صارت إلى علي بن أبي طالب
 كرم الله وجهه ثم في الأئمة واحداً بعد واحد إلى أن صارت إلى ابراهيم
 ابن محمد . واستحلوا الحرمات فكان الرجل منهم يدعو الجماعة إلى منزله
 فيطعمهم ويسقيهم ويحملهم على امرأته . فبلغ ذلك أسد بن عبد الله
 فقتلهم وصلبهم . فلم يزل ذلك فيهم إلى اليوم وعبدوا أبا جعفر وصعدوا
 الخضراء وألقوا نفوسهم كأنهم يطيطون فلا يبلغون الأرض إلا وقد
 هلكوا وخرج جماعتهم على الناس في السلاح وأقبلوا يصيحون يا أبا
 جعفر أنت أنت .

﴿ الاسم الثالث السبعة ﴾ لقبوا بذلك لأمرين ، أحدهما اعتقادهم أن
 دور الإمامة سبعة سبعة على ما بينا وأن الاتنها إلى السابع هو آخر الأدوار
 وهو المراد بالقيامة وأن تعاقب هذه الأدوار لا آخر له ، والثاني لقولهم أن
 تدبير العالم السفلي منوط بالسكواكب السبعة : زحل ثم المشتري ثم المريخ .
 ثم الزهرة ثم الشمس ثم عطارد . ثم القمر .

﴿ الاسم الرابع الباطنية ﴾ قال المصنف وهو اسم لطائفة منهم تبعوا
 رجلاً يقال له بابك الخرمي وكان من الباطنية وأصله أنه ولد زناً فظهر في
 بعض الجبال بناحية أذربيجان سنة إحدى ومائتين وتبعه خلق كثير واستفحل
 أمرهم واستباح المحظورات وكان إذا علم أن عند أحد بنتاً جميلة أو اختاً
 جميلة طلبها فانبعث اليه وإلا قتله وأخذها ومكث على هذا عشرين سنة فقتل
 ثمانين ألفاً وقليل خمسة وخمسين ألفاً وخمسمائة إنسان ^(١) وحاربه السلطان
 وهزم خلقاً من الجيوش حتى بعث المعتصم أفسين فخاربه فجاء بابك وأخيه
 في سنة ثلاث وعشرين ومائتين فلما دخلا قال لبابك أخوه يا بابك قد عملت
 ما لم يعمل أحد فاصبر الآن صبراً لم يصبره أحد . فقال ستري صبري فأمر

(١) وفي نسخة قتل مائتي ألف وخمسة وخمسين ألفاً وخمسمائة إنسان .

المعتصم بقطع يديه ورجليه فلما قطعوا مسح بالدم وجهه فقال المعتصم أنت في الشجاعة كذا وكذا ما بالك قد مسحت وجهك بالدم أجزعاً من الموت فقال لا . ولكني لما قطعت أطرافى نزف الدم . فخفت أن يقال عني إنه اصفر وجهه جزعاً من الموت قال فيظن ذلك بي فسرت وجهي بالدم كيلا يرى ذلك مني . ثم بعد ذلك ضربت عنقه وأضرمت عليه النار وفعل مثل ذلك بأخيه فما فيهما من صاح ولا تأوه ولا أظهر جزعاً لعنهما الله وقد بقي من الباطنية جماعة يقال ان لهم ليلة في السنة تجتمع فيها رجالهم ونساؤهم ويطلقون السرج ثم يتناهبون للنساء فيثب كل رجل منهم إلى امرأة ويزعمون أن من احتوى على امرأة يستحلها بالاصطياد لأن الصيد مباح .

﴿ الاسم الخامس المحمرة ﴾ قال المصنف : سموا بذلك لأنهم صبغوا ثيابهم بالحمر في أيام بابك ولبسوها .

﴿ الاسم السادس القرامطة ﴾ قال المصنف وللورخين في سبب تسميتهم بهذا قولان : أحدهما أن رجلاً من ناحية خوزستان قدم سواد الكوفة فأظهر الزهد ودعا إلى أمام من أهل بيت الرسول ﷺ ونزل على رجل يقال له كرمية لقب بهذا الحرة عينية وهو بالنبطية حاد العين فأخذه أمير تلك الناحية فحبسه وترك مفتاح البيت تحت رأسه ونام فرقت له جارية فأخذت المفتاح ففتحت البيت وأخرجته وردت المفتاح إلى مكانه . فلما طلب فلم يوجد زاد اقتتان الناس به فخرج إلى الشام فسمى كرمية باسم الذي كان نازلاً عليه ثم خفف فقبل قرمط ثم توارث مكانه أهله وأولاده . والثاني أن القوم قد لقبوا بهذا نسبة إلى رجل يقال له حمدان قرمط كان أجد دعائهم في الابتداء فاستجاب له جماعة فسموا قرامطة وقرمطية وكان هذا الرجل من أهل الكوفة وكان يميل إلى الزهد فصادفه أحد دعاة الباطنية في فريق وهو متوجه إلى قرية وبين يديه بقر يسوقها . فقال حمدان لذلك الراعي وهو لا يعرفه أين مقصدك فذكر قرية حمدان فقال له اركب بقرة من هذه لئلا تتعب فقال أنى لم أوامر بذلك فقال وكأنك لا تعمل إلا بأمر قال نعم قال وبأمر من تعمل قال بأمر مالك ومالك الدنيا

والآخرة . فقال ذلك اذن هو الله رب العالمين . فقال صدقت قال له فما غرضك في هذه القرية التي تقصدها قال أمرت أن أدعوا أهلها من الجهل إلى العلم ومن الضلالة إلى الهدى ومن الشقاء إلى السعادة . وأن أستنقذهم من ورطات الذل والفقر وأملأهم ما يستغنون به عن السكد : فقال له حمدان انتقذني أنتك الله وأفض على من العلم ما تحييني به فما أشد احتياجي إلى مثل هذا فقال ما أمرت أن أخرج السر المخزون إلى كل أحد إلا بعد الثقة به والعهد إليه . فقال اذكر عهدك فاني ملتزم به فقال له أن تجعل لي وللإمام على نفسك عهد الله وميثاقه ألا تخرج سرا الإمام الذي ألقيه إليك ولا نفس سرى أيضاً فالتزم حمدان عهده ثم اندفع الداعي في تعليمه فنون جهله حتى استغواه فاستجاب له ثم انتدب للدعاء وصار أصلا من أصول هذه البدعة فسمى أتباعه القرامطة والقرمطية . ثم لم يزل بنوه وأهله يتوارثون مكانه وكان أشدهم بأساً رجلا يقال له أبو سعيد ظهر في سنة ست وثمانين ومائتين وقوى أمره وقتل ما لا يحصى من المسلمين وخرب المساجد وأحرق المصاحف . وفتك بالحاج وسبى لأهله وأصحابه سننا وأخبرهم بمحالات . وكان إذا قاتل يقول وعدت النصر في هذه الساعة . فلما مات بنوا على قبره قبة وجعلوا على رأسها طائراً من جص . وقالوا إذا طار هذا الطائر خرج أبو سعيد من قبره وجعلوا عند القبر فرساً وخلعوا ثياباً وسلاحاً وقد سول ابليس لهذه الجماعة أنه من مات وعلى قبره فرس حشر راكبا وان لم يكن له فرس حشر ماشيا . وكان أصحاب أبي سعيد يصلون عليه إذا ذكروه ولا يصلون على رسول الله ﷺ فإذا سمعوا من يصل على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقولون أنا كل رزق أبي سعيد وتصلى على أبي القاسم . وخلف بعده ابنه أبا طاهر ففعل مثل فعله وهجم على السكبة فأخذ ما فيها من الذخائر وقلع الحجر الأسود فحمله إلى بلده واوهم الناس انه الله عز وجل

﴿ الاسم السابع الخرمية ﴾ وخرم ^(١) لفظ اعجمي ينبي عن الشيء المستلذ المستطاب الذي يرتاح الانسان له . ومقصود هذا الاسم تسليط

(١) خرم بضم الخاء وتشديد الراء مقنوعة بوزن سكر صفة مشبهة بالفارسي بمعنى جدلان ومسرور

الناس على اتباع اللذات وطلب الشهوات كيف كانت وطى بساط التكليف وحط أعباء الشرع عن العباد وقد كان هذا الاسم لقباً للزردكية وهم أهل الأباخة من المجوس الذين تبعوا في أيام قباد وأباحوا النساء المحرمات وأحلوا كل محظور فسموا هؤلاء بهذا الاسم لمشابهتهم إياهم في نهاية هذا المذهب وإن خالفوهم في مقدماته .

(الاسم الثامن التعليمية) لقبوا بذلك لأن مبدأ مذهبهم أبطال الرأي وإفساد تصرف العقول ودعاء الخلق إلى التعليم من الإمام المعصوم وأنه لا يدرك العلوم إلا بالتعليم .

(فصل) في ذكر السبب الباعث لهم على الدخول في هذه البدعة قال المصنف اعلم أن القوم أرادوا الانسلاخ من الدين فشاؤوا جماعه من المجوس والمزدكية والثنوية وملحدة الفلاسفة في إستنباط تدبير يخفف عنهم ما ناههم من استيلاء أهل الدين عليهم حتى آخر سؤهم عن النطق بما يعتقدونه من انكار الصانع وتكذيب الرسل وجحد البعث وزعمهم أن الأنبياء ممخرقون ومنمسون (١) ورأوا أمر محمد صلى الله عليه وسلم قد استطار في الأقطار وأنهم قد عجزوا عن مقاومته فقالوا سيلنا أن نتحل عقيدة طائفة من فرقهم أزكاهم عقلاً وأتحفهم رأياً وأقبلهم للحالات والتصديق بالأكاذيب وهم الروافض فنتحصن بالانتساب إليهم وتودد إليهم بالحزن على ما جرى على آل محمد من الظلم والذل ليمكننا شتم القدماء الذين نقلوا إليهم الشريعة فإذا هان أولئك عندهم لم يلتفتوا إلى ما نقلوا فأمكن استدراجهم إلى الانخداع عن الدين فان بقي منهم معتصم بظواهر القرآن والأخبار أو همناه أن تلك الظواهر لها أسرار وبواطن وأن المنخدع بظواهرها أحق وانما الفطنة في اعتقاد بواطنها ثم نبث إليهم عقائدها ونزعم أنها المراد بظواهرها عندهم فإذا تكثرت ناهيؤلاه سهل علينا استدراج باقي الفرق . ثم قالوا وطريقنا أن نختار رجلاً ممن يساعد على المذهب ويزعم أنه من أهل البيت وأنه يجب على كل الخلق كافة متابعتة وبتعين عليهم طاعته لكونه خليفة رسول الله ﷺ . والمعصوم من الخطأ والزلل من جهة الله

(١) ممخرقون: أي مكذبون بموهون ومنمسون أي ملبسون على الناس الحق بالباطل .

عز وجل : ثم لا تظهر هذه الدعوة على القرب من جوار هذا الخليفة الذي وسمناه بالعصمة : فان قرب الدار يهتك الأستار . وإذا بعدت الشقة وطالت المسافة فتي يقدر المستجيب للدعوة أن يفتش عن حال الإمام أو يطلع على حقيقة أمره . وقصدتهم بهذا كله الملك والاستيلاء على أموال الناس : والانتقال منهم لما عاملوهم به من سفك دماهم ونهب أموالهم قديما فهذا غاية مقصودهم ومبدأ أمرهم .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف : وللقوم حيل في استدلال الناس فهم يميزون من يجوز أن يطمع في استدراجه ممن لا يطمع فيه . فاذا طمعوا في شخص نظروا في طبعه : فان كان مائلا إلى الزهد دعوه إلى الأمانة والصدق وترك الشهوات . وان كان مائلا إلى الخلاعة قرروا في نفسه أن العبادة به . وان الورع حماقة وإنما الفطنة في اتباع اللذات من هذه الدنيا الفانية . ويثبتون عند أكل ذي مذهب ما يليق بمذهبه ثم يشككونه فيما يعتقدوه فيستجيب لهم أما رجل أبله أو رجل من أبناء الأكاصرة أو لادالمجوس عز قد انقطعت دولة أسلافه بدولة الإسلام أو رجل يميل إلى الاستيلاء ولا يساعده الزمان فيمدونه بنيل آماله . أو شخص يحب الترفع عن مقامات العوام ويروم بزعمه الاطلاع على الحقائق . أو رافضى يتدين بسبب الصحابة رضى الله عنهم . أو ملحد من الفلاسفة والشنوية والمتحيرين في الدين أو من قد غلبت عليه حب اللذات . وثقل عليه التكليف .

﴿ فصل ﴾ في ذكر نبذة من مذاهبهم . قال أبو حامد الطوسي الباطنية قوم يدعون الإسلام ويميلون إلى الرفض . وعقائدهم وأعمالهم تباين الاسلام . فمن مذاهبهم القول بأهلين قديمين لا أول لوجودهما من حيث الزمان . إلا أن أحدهما علة لوجود الثاني . قالوا . والسابق لا يوصف بوجود ولا عدم ولا هو موجود ولا هو معدوم ولا هو معلوم ولا هو مجهول . ولا هو موصوف ولا غير موصوف وحدث عن السابق الثاني وهو أول مبدع . ثم حديث النفس الكلية . وعندهم أن النبي عليه السلام عبارة عن شخص (١) فاضت عليه من السابق بواسطة الثاني قوة قدسية صافية . وزعموا أن جبريل عليه السلام عبارة عن العقل الفاضل عليه لا أنه شخص . واتفقوا

(١) ومن هذا القول الفاسد انتحل البهائيون مذهبهم فضلووا وأضلوا .

على أنه لا بد لكل عصر من إمام معصوم قائم بالحق يرجع إليه في تأويل الظواهر مساو للنبي عليه السلام في العصمة . وأنكروا المعاد وقالوا معنى المعاد عود الشيء إلى أصله وتعود النفس إلى أصلها . وأما التكليف . فالمنقول عنهم الإباحة المطلقة واستباحة المحظورات وقد ينكرون هذا إذا حكى عنهم وإنما يقولون بأنه لا بد للإنسان من التكليف . فإذا اطلع على بواطن الظواهر ارتفعت التكليف . ولما عجزوا عن صرف الناس عن القرآن والسنة صرفوهم عن المراد بهما إلى مخاريق زخرفوها إذ لو صرحوا بالنفي المحض لقتلوا : فقالوا معنى الجناية مبادرة المستجيب بأفشاء السر . ومعنى الغسل . تجديد العهد على من فعل ذلك . ومعنى الزنا إلقاء نطفة العلم الباطن في نفس من لم يسبق معه عقد العهد : والصيام الإمساك عن كشف السر والكعبة هي النبي . والباب على . والطوفان طوفان العلم أغرق به المتمسكون بالشبهة والسفينة الخرز الذي يحصن به من استجاب لدعوته . ونارا إبراهيم عبارة عن غضب نمرود لا عن نار حقيقة . وذبح اسحاق معناه أخذ العهد عليه . وعصى موسى حجته ، وأجوج وأما أجوج هم أهل الظاهر ، وذكر غيره أنهم يقولون إن الله عز وجل لما أوجد الأرواح ظهر لهم فيما بينهم كهم فلم يشكوا أنه واحد منهم فعرّفوه فأول من عرفه سلمان الفارسي . والمقباد . وأبو ذر وأول المنكرين الذي يسمى إبليس : عمر بن الخطاب . في خرافات ينبغي أن يسان الوقت العزيز عن التصنيع بذكرها : ومثل هؤلاء لم يتمسكوا بشبهة فتكون معهم مناظرة وإنما اخترعوا بواقعاتهم ما أرادوا فان اتفقت مناظرة لأحدهم فليقل له أعرفتم هذه الأشياء التي تذكرونها عن ضرورة . أو عن نظر . أو عن نقل عن الإمام المعصوم . فان قلتم ضرورة . فكيف خالفكم ذووا العقول السليمة . ولو ساغ للإنسان أن يهدي بدعوى الضرورة في كل ما يهواه جاز لخصمه دعوى الضرورة في نقض ما ادعاه . وان قلتم بالنظر فالنظر عندكم باطل . لأنه تصرف بالعقل وقضايا العقول عندكم لا يوثق بها ، وان قلتم عن إمام معصوم قلنا قلنا الذي دعاكم إلى قبول قوله بلا معجزة ، وترك قول محمد ﷺ مع المعجزات . ثم ما يؤمنكم أن يكون ما سمع من الإمام المعصوم له باطن غير ظاهر . ثم يقال لهم هذه البواطن والتأويلات يجب إخفاؤها أم إظهارها . فان قالوا يجب إظهارها قلنا فلم كتبها محمد صلى الله عليه وسلم . وان قالوا يجب إخفاؤها

قلنا ما وجب على الرسول إخفاؤه كيف لكم إفشاؤه . قال ابن عقيل هلك الإسلام بين طائفتين بين الباطنية والظاهرية . فأما أهل الباطن فانهم عطلوا ظواهر الشرع بما ادعوه من تفاسيرهم التي لا برهان لهم عليها حتى لم يبق في الشرع شيء إلا وقد وضعوا وراءه معنى . حتى أسقطوا إيجاب الوجوب . والنهي عن المنهى . وأما أهل الظاهر فانهم أخذوا بكل ما ظهر مما لا يد من تأويله . فحملوا الأسماء والصفات على ما عقولوه . والحق بين المزلتين . وهو أن تأخذ بالظاهر ما لم يصرفنا عنه دليل . ونرفض كل باطن لا يشهد به دليل من أدلة الشرع .

قال المصنف . ولوليت مقدم هذه الطائفة المعروفة بالباطنية لم أكن سالكا معه طريق العلم . بل التويخ والإزدراء على عقله وعقول أتباعه . بأن أقول أن الآمال طرقات تسلك ووجوها توصل . ووضع الآمل في جهة اليأس حق ومعلوم أن هذه الملل التي قد طبقت الأرض أقربها شريعة الإسلام التي تنظرون بها . وتطمعون في إفسادها قد تمكنت تمكنا يكون الطمع في تحقيقها فضلا عن إزالتها حمقا . فلها تجمع كل سنة بعرفة وتجمع كل أسبوع في الجوامع وتجمع كل يوم في المساجد . فتتحدثكم نفوسكم بتكدير هذا البحر الزاخر وتحقيق هذا الأمر الظاهر : في الآفاق يؤذن كل يوم على ما بين ألوف منابر بأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، وغاية ما أنتم عليه حديث في خلوة : أو متقدم في قلعة : أن نبس بكلمة يرمى رأسه وقتل قتل الكلاب فتحدث العاقل منكم نفسه بظهور ما أنتم عليه على هذا الأمر السكلي الذي طبق البلاد فما أعرف أحق منكم إلى أن يجيء إلى باب المناظرة بالبراهين العقلية .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف : والتهبت جمرة الباطنية المتأخرين في سنة أربع وتسعين وأربعمائة فقتل السلطان جلال الدولة بربقارق خلقاً منهم لما تحقق مذهبهم فبلغت عدة التتلي ثلاثمائة ونيفاً وتبعته أموالهم فوجد لأحدهم سبعون بيتاً من الآلى المحفور وكتب بذلك كتاب إلى الخليفة : فتقدم بالقبض على قوم يظن فيهم ذلك المذهب ولم يتجاسر أحد أن يشفع في أحد لثلاثين ميلاً إلى ذلك المذهب : وزاد تتبع العوام لكل من أرادوا . وصار كل من في نفسه شيء من إنسان يرميه بهذا المذهب فيقصيه وينتهب ماله . وأول

ما عرف من أحوال الباطنية في أيام الملك شاه جلال الدولة أنهم اجتمعوا
فصلوا صلاة العيد في ساوة . ففطن بهم الشحنة فأخذهم وحبسهم ثم أطلقهم .
ثم اغتالوا مؤذنا من أهل ساوة فاجتهدوا أن يدخل معهم فلم يفعل تخافوه
أن ينم عليهم فاعتالوه فقتلوه فبلغ الخبر إلى نظام الملك فتقدم يأخذ من يتهم
فيقتله فقتل المتهم وكان نجاراً وكانت أول فتكة لهم فتكهم بنظام الملك . وكانوا
يقولون قتلتم منا نجاراً فقتلناه به نظام الملك . واستفحل أمرهم بأصبهان فلما مات
الملك شاه وآل الأمر إلى أنهم كانوا يسرقون الإنسان ويقتلونه ويلقونه في
البئر . وكان الإنسان إذا دنا وقت العصر ولم يعد إلى منزله أيسوا منه . وقش
الناس المواضع فوجدوا امرأة في دار لا تبرح فوق حصير . فأزالوها فوجدوا
تحت الحصير أربعين قتيلاً . فقتلوا المرأة وأحرقوا الدار والمحلة . وكان يجلس
رجل ضرير على باب الزقاق الذي فيه هذه الدار ، فإذا مر إنسان سأله أن
يقوده خطوات إلى الزقاق فإذا حصل هناك جذبه من في الدار واستولوا عليه ،
فجدد المسلمون في طلبهم بأصبهان وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وأول قلعة تملكها
الباطنية قلعة في ناحية يقال لها الروزباد من نواحي الديلم وكانت هذه القلعة
لقاح صاحب ملكشاه وكان يستحفظها متهماً بمذهب القوم . فأخذ ألفاً
وما تقي دينار وسلم اليهم القلعة في سنة ثلاث وثمانين في أيام ملكشاه وكان
مقدمها الحسن بن الصباح وأصله من مرو وكان كاتباً للرئيس عبدالرازق ابن
بهرام إذ كان صلياً ثم إلى مصر وتلقى من دعائهم المذاهب وعاد داعية
القوم ورأساً فيهم وحصلت له هذه القلعة وكانت سيرته في دعائه ألا يدعو
إلا غيباً لا يفرق بين يمينه وشماله مثلاً ومن لا يعرف أمور الدنيا ويطعمه
الجوز والعسل والشونيز حتى ينسبط دماغه ثم يذكر له حينئذ ما تم على
أهل بيت المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وعليهم من الظلم والعدوان حتى
يستقر ذلك في نفسه ، ثم يقول إذا كانت الأزارقة والخوارج سمحوا بنفوسهم
في قتال بني أمية فما سبب بخلك بنفسك في نصرة إمامك فيتركه بهذه المقالة
طعمة لل سيف ، وكان ملكشاه قد أرسل إلى هذا ابن الصباح يدعو إلى الطاعة
ويتهده ان خالفه ويأمره بالكف عن بث أصحابه لقتل العلماء والأمرأ ،
فقال في جواب الرسالة والرسول حاضر الجواب ما تراه ، ثم قال لجماعة

وقوف بين يديه أريد أن أنقذكم إلى مولاكم في حاجة فن ينهض لها فاشرب كل منهم لذلك، فظن رسول السلطان أنها رسالة يحملها إليهم، فأوماً إلى شاب منهم فقال له أقتل نفسك فحذب سكينته وضرب بها غلصمته (١) فخر ميتاً وقال لآخر إرم نفسك من القلعة فألقى نفسه فتمزق، ثم التفت إلى رسول السلطان فقال أخبره أن عندي من هؤلاء عشرين ألفاً هذا حد طاعتهم لي وهذا هو الحواب، فعاد الرسول إلى السلطان ملكشاه فأخبره بما رأى فعجب من ذلك وترك كلامهم وصارت بأيديهم قلاع كثيرة ثم قتلوا جماعة من الأمراء والوزراء قال المصنف: وقد ذكرنا من صفة القوم في التاريخ أحوالاً عجيبة فلم نر التطويل بها هنا.

(فصل) ولم من زنديق في قلبه حقد على الاسلام خرج فبالغ واجتهد فخرخرف دعاوى يلقى بها من يصحبه: وكان غور مقصده في الاعتقاد الانسلاخ من ربة الدين. وفي العمل نيل الملذات واستباحة المحظورات: فمنهم بابك الخرمي حصل له مقصوده من اللذات ولكن بعد أن قتل الناس وبالع في الأذى ثم القرامطة وصاحب الزنج الذي خرج فاستغوى المالك السودان ووعدهم الملك: فنهب وقتل وبالع وكانت عواقبهم في الدنيا أقبح العواقب فما وفي ما نالوا بما نيل منهم ومنهم من لم يبرح على تعثيره ففاته الدنيا والآخرة مثل ابن الراوندي والمعري. أنبأنا محمد بن أبي طاهر عن أبي القاسم علي بن المحسن التنوخي عن أبيه قال كان ابن الراوندي ملازم الرافضة وأهل الإلحاد فاذا عوتب قال إنما أريد أن أعرف مذاهبهم ثم كاشف وناظر. قال المصنف: من تأمل حال (٢) بن الراوندي وجده من كبار الملحدة

(١) الغلصمة رأس الخلقوم وهو الموضع الناقى في الحلق والجمع غلاصم.

(٢) ومن تتبع شعر أبي العلاء المعري، وسيرة ابن الرواندي، علم أنهما على جانب عظيم من الإلحاد والزندقة إلا أن المعري يستتر كثيراً بخلاف ابن الرواندي وقد ظهر في زماننا بعض من ينمذهب بمذهبهما، وانفرد الأعمى المتفلسف يؤلف في سيرة أبي العلاء المعري، ويرغب الناس في مذهبه وشعره، ويروج مؤلفاته وينشرها بين الناس للإضلال، وقد سرى هذا المذهب إليهم من رحلتهم إلى =

وصنف كتاباً سماه الدامغ زعم أنه يدمغ به هذه الشريعة فسيحان من دمه
فأخذه وهو في شرح الشباب وكان يعترض على القرآن ويدعى عليه التناقض
وعدم الفصاحة : وهو يعلم أن فضحاء العرب تحيرت عند سماعه فكيف
بالألسن وأما أبو العلاء المعري فأشعاره ظاهرة الإلحاد : وكان يبالغ في
عداوة الأنبياء ولم يزل متخبطاً في تعثيره خائفاً من القتل إلى أن مات بخسرانه .
وما خلا زمان من خلف للفريقين إلا أن جمرة المنبسطين قد خبت بحمد الله .
فليس إلا باطنى مستتر ومتفلسف متكاتم هو أعز الناس وأخسهم قدراً .
وأردأهم عيشاً وقد شرحت أحوال جماعة من الفريقين في التاريخ فلم نر التطويل
بذلك والله الموفق .

﴿ الباب السادس في ذكر تلبس إبليس على العلماء في فنون العلم ﴾
قال المصنف : أعلم أن إبليس يدخل على الناس في التلبس من طرق منها
ظاهر الأمر . ولكن يغلب الإنسان في إثارة هواه فيغمض على علم يذله .
ومنها غامض وهو الذي يخفى على كثير من العلماء . ونحن نشير إلى فنون من
تلبسه يستدل بمذكورها على مغفلها إذ حصر الطرق يطول والله العاصم .
﴿ ذكر تلبسه على القراء ﴾ فن ذلك أن أحدهم يشتغل بالقراآت الشاذة
وتحصيها فيفنى أكثر عمره في جمعها ، وتصنيفها والأقراء بها ويشغله ذلك
عن معرفة الفرائض والواجبات ، فربما رأيت إمام مسجد يتصدى للأقراء
ولا يعرف ما يفسد الصلاة ، وربما حمله حب التصدر حتى لا يرى بعين الجهل
على أن يجلس بين يدي العلماء ويأخذ عنهم العلم (١) ولو تفكروا لعلموا
أن المراد حفظ القرآن وتقويم ألفاظه ثم فهمه ثم العمل به ثم الإقبال
على ما يصلح النفس ويظهر أخلاقها ثم التشاغل بالمهم من علوم الشرع ،
ومن الغبن الفاحش تضييع الزمان فيما غيره الأهم ، قال الحسن البصري أنزل

== مدارس أوروبا ، وتلقى العلوم الفلسفية عن أعداء الدين وهم يحسبون أنهم
يحسنون صنفاً ، كلا والله ، إنهم لفي سكرتهم يعمهون ، وفي شقاوتهم يسبحون ،
ولخذلان أنفسهم يعملون ولا يعلمون ، فإننا لله وإنا إليه راجعون .
(١) وفي نسخة وربما حمله حب التصدر حتى اجترى . بعين الجهل على أن يجيب
في فتوى بما يقع له وإن لم يحز في مذهبه .

القرآن ليعمل به . فاتخذ الناس تلاوته عملا . يعنى أنهم اقتصروا على التلاوة وتركوا العمل به . ومن ذلك أن أحدهم يقرأ فى مجراه بالشاذ ويترك المتواتر المشهور . والصحيح عند العلماء أن الصلاة لا تصح بهذا الشاذ وإنما مقصود هذا إظهار الغريب لاستجلاب مدح الناس وإقبالهم عليه وعنده أنه متشاغل بالقرآن . ومنهم من يجمع القراءات فيقول ملك ملك ملك وهذا لا يجوز لأنه إخراج للقرآن عن نظمه . ومنهم من يجمع السجدة والتلهيلات والتكبيرات وذلك مكروه . وقد صاروا يوقدون النيران الكثيرة للختمة فيجمعون بين تضييع المال والنشبه بالمجوس والتسبب إلى اجتماع النساء والرجال بالليل للفساد ويريمهم إبليس أن فى هذا إعزازا للإسلام . وهذا تليس عظيم لأن إعزاز الشرع باستعمال المشروع . ومن ذلك أن منهم من يتسامح بادعاء القراءة على من لم يقرأ عليه وربما كانت له إجازة منه . فقال أخبرنا تديلسا وهو يرى أن الأمر فى ذلك قريب لكونه يروى القراءات ويراها فعل خير وينسى أن هذا كذب يلزمه اثم الكذابين . ومن ذلك أن المقرئ المجيد يأخذ على اثنين وثلاثة ويتحدث مع من يدخل عليه والقلب لا يطيق جمع هذه الأشياء ثم يكتب خطه بأنه قد قرأ على فلان بقراءة فلان . وقد كان بعض المحققين يقول ينبغى أن يجتمع اثنان أو ثلاثة ويأخذوا على واحد ومن ذلك أن أقواما من القراء يتبارون بكثرة القراءة وقد رأيت من مشايخهم من يجمع الناس ويقيم شخصا ويقرأ فى النهار الطويل ثلاث ختمات فان قصر عيب وإن أتم مدح . وتجتمع العوام لذلك ويحسنونه كما يفعلون فى حق السعاة ويريمهم إبليس أن فى كثرة التلاوة ثوابا . وهذا من تليسه لأن القراءة ينبغى أن تكون لله تعالى لا للتحسين بها . وينبغى أن تكون على تمهل . وقال عز وجل (لتقرأه على الناس على مكث) وقال عز وجل (ورتل القرآن ترتيلا) ومن ذلك أن جماعة من القراء أحدثوا قراءة الالحان وقد كانت إلى حد قريب . وعلى ذلك فقد كرهها أحمد بن حنبل وغيره ولم يكرهها الشافعى . أنبأنا محمد بن ناصرنا أبو على الحسين بن سعد الهمداني نا أبو بكر أحمد بن على بن لال ثنا الفضل ابن الفضل ثنا السياحى (م ٨ — تليس إبليس)

ثنا الربيع بن سديان قال قال الشافعي أما استماع الحداث ونشيد الاعراب فلا بأس به ولا بأس بقراءة الألحان وتحسين الصوت .

قال المصنف وقلت إنما أشار الشافعي إلى ما كان في زمانه وكانوا يلحنون يسيراً فأما اليوم فقد صيروا ذلك على قانون الأغاني وكلما قرب ذلك من مشابهة الغناء زادت كراهته . فان أخرج القرآن عن حد وضعه حرم ذلك ومن ذلك أن قوماً من القراء يتساحون بشيء من الخطايا كالغيبة للنظر أو ربما أتوا أكبر من ذلك الذنب واعتقدوا أن حفظ القرآن يرفع عنهم العذاب واحتجوا بقوله عليه الصلاة والسلام . لو جعل القرآن في إهاب ما احترق . وذلك من تلبيس ابليس عليهم لأن عذاب من يعلم أكثر من عذاب من لم يعلم إذ زيادة العلم تقوى الحجة وكون القارئ لم يحترم ما يحفظ ذنب آخر . قال الله عز وجل : (أفمن يعلم أن ما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى) وقال في أزواج رسول الله ﷺ (من يأت منكناً بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين) .

وقد أخبرنا أحمد بن أحمد المتوكلي نا أحمد بن علي بن ثابت نا أبو الحسن ابن زرقويه نا اسماعيل الصفار ثنا زكريا بن يحيى ثنا معروف الكرخي قال قال بكر بن حبيش : إن في جهنم لوادياً تتعوذ جهنم من ذلك الوادى كل يوم سبع مرات . وإن في الوادى لجباً يتعوذ الوادى وجهنم من ذلك الجب كل يوم سبع مرات . وإن في الجب لحية يتعوذ الجب والوادى وجهنم من تلك الحية كل يوم سبع مرات . يبدأ بفسقة حملة القرآن فيقولون : أي رب يبدأ بنا قبل عبدة الأوثان . فقل لهم : ليس من يعلم كمن لا يعلم . قال المصنف فلنقتصر على هذا النموذج فيما يتعاق بالقرآن .

((ذكر تلبيس ابليس على أصحاب الحديث))

من ذلك أن قوماً استغرقوا أعمارهم في سماع الحديث والرحلة فيه وجمع الطرق الكثيرة وطلب الأسانيد العالية والمتون الغريبة وهؤلاء على قسمين قسم قصدوا حفظ الشرع بمعرفة صحيح الحديث من سقيمه وهم مشكورون على هذا القصد إلا أن ابليس يلبس عليهم بأن يشغلهم بهذا عما هو فرض عين من معرفة ما يجب عليهم والاجتهاد في أداء اللازم والتفقه في الحديث

(فان قال قائل) فقد فعل هذا خلق كثير من السلف كيحيى بن معين وابن المدينى والبخارى ومسلم فالجواب أن أولئك جمعوا بين معرفة المهم من أمور الدين والفقه فيه وبين ما طلبوا من الحديث وأعانهم على ذلك قصر الاسناد وقلة الحديث فأتسع زمانهم للامرين فأما في هذا الزمان فان طرق الحديث طالت والتصانيف فيه اتسعت وما في هذا الكتاب في تلك الكتب وإنما الطرق تختلف فقل أن يمكن أحداً أن يجمع بين الأمرين فترى المحدث يكتب ويسمع خمسين سنة ويجمع الكتب ولا يدرى ما فيها ولو وقعت له حادثة في صلاته لافتقر إلى بعض أحداث المتفقه الذين يترددون إليه لسماع الحديث منه وبهؤلاء تمكن الطاعنون على المحدثين فقالوا : زوامل أسفار لا يدرون ما معهم . فان أفلح أحدهم ونظر في حديثه فربما عمل بحديث منسوخ وربما فهم من الحديث ما يفهم العامي الجاهل وعمل بذلك وليس بالمراد من الحديث كما روينا أن بعض المحدثين روى عن رسول الله ﷺ أنه نهى أن يسقى الرجل ماء زرع غيره فقال جماعة ممن حضر قد كنا إذا فضل عنا ماء في بساتيننا سرحناه إلى جيراننا ونحن نستغفر الله . فما فهم القارىء ولا السامع ولا شعروا أن المراد وطء الحبالى من السبايا . قال الخطابى : وكان بعض مشايخنا يروى الحديث أن النبي ﷺ نهى عن الخلق قبل الصلاة يوم الجمعة باسكان اللام ، قال وأخبرنى : أنه بقى أربعين سنة لا يخلق رأسه قبل الصلاة قال فقلت له إنما هو الخلق جمع حلقة وإنما كره الاجتماع قبل الصلاة للعلم والمذاكرة وأمر أن يشتغل بالصلاة وينصت للخطبة . فقال قد فرجت على وكان من الصالحين . وقد كان ابن صاعد كبير القدر فى المحدثين لكنه لما قلت مخالطته للفقهاء كان لا يفهم جواب فتوى حتى أنه قد أخبرنا أبو منصور البزارنا أبو بكر أحمد بن على بن ثابت قال سمعت الرقائى يقول قال أبو بكر الأبهري الفقيه قال كنت عند يحيى بن محمد ابن صاعد فجاءته امرأة فقالت : أيها الشيخ ماتقول فى بئر سقطت فيه دجاجة فأتت فهل الماء طاهر أو نجس . فقال يحيى ويحك . كيف سقطت الدجاجة إلى البئر . قالت : لم تكن البئر مغطاة . فقال يحيى : ألا غطيها حتى لا يقع فيها شيء . قال الأبهري فقلت يا هذه إن كان الماء تغير فهو نجس وإلا فهو طاهر .

قال المصنف : وكان ابن شاهين قد صنف في الحديث مصنفات كثيرة أقلها جزء وأكثرها التفسير وهو ألف جزء وما كان يعرف من الفقه شيئاً . وقد كان فيهم من يقدم على الفتوى بالخطأ لئلا يرى بعين الجهل فكان فيهم من يصير بما يفتي به ضحكة فستل بعضهم عن مسألة من الفرائض فكتب في الفتوى تقسم على فرائض الله سبحانه وتعالى .

وأنا أنا محمد بن أبي منصور نا أحمد بن الحسين بن حبرون نا أحمد بن محمد العتيقي نا أبو عمر بن حياة نا سليمان بن إسحاق الحلاب نا إبراهيم الحربي قال بلغني أن امرأة جاءت إلى علي بن داود وهو يحدث وبين يديه مقدار ألف نفس فقالت له : حلفت بصدقة إزارى فقال لها بكم اشتريته قالت باثنين وعشرين درهما قال اذهبي فصومي اثنين وعشرين يوماً فلما مرت جعل يقول آه . آه غلطنا والله أمرناها بكفارة الظهار .

قال المصنف : قلت فانظروا إلى هاتين الفضيحتين فضيحة الجهل وفضيحة الإقدام على الفتوى بمثل هذا التخليط . واعلم أن عموم المحدثين حملوا ظاهر ما تعلق من صفات الباري سبحانه على مقتضى الحس فشبهوا لأنهم لم يخالطوا الفقهاء فيعرفوا حمل المتشابه على مقتضى الحكم وقد رأينا في زماننا من يجمع الكتب منهم ويكثر السماع ولا يفهم ما حصل . ومنهم من لا يحفظ القرآن ولا يعرف أركان الصلاة فتشاغل هؤلاء على زعمهم بفروض الكفاية عن فروض الأعيان وإيثار ما ليس بهم على المهم من تلبس إبليس .

القسم الثاني قوم أكثروا سماع الحديث ولم يكن مقصودهم صحيحاً ولا أرادوا معرفة الصحيح من غيره بجمع الطرق وإنما كان مرادهم العوالى والغرائب فطافوا البلدان ليقول أحدهم لقيت فلاناً ولى من الأسانيد ما ليس لغيرى وعندى أحاديث ليست عند غيرى . وقد كان دخل النبا إلى بغداد بعض طلبة الحديث وكان يأخذ الشيخ فيقعده في الرقة وهي البستان الذى على شاطئ دجلة فيقرأ عليه ويقول في مجموعات حديثي فلان وفلان بالركة ويوهم الناس أنها البلدة التي بناحية الشام ليظنوا أنه قد تعب في الأسفار لطلب الحديث . وكان يقعد الشيخ بين نهر عيسى والفرات ويقول حديثي فلان من وراء النهر يوهم أنه قد عبر خراسان في طلب الحديث . وكان يقول حديثي فلان في رحلتي الثانية والثالثة ليعلم الناس قدر تعبهم في طلب الحديث فما بورك له ومات في زمان الطلب .

قال المصنف : وهذا كله من الإخلاص بمعزل وإنما مقصودهم الرياسة والمباهاة ولذلك يتبعون شاذ الحديث وغريبه وربما ظفر أحدهم بحزم فيه سماع أخيه المسلم فأخفاه ليتفرده بالرواية وقد يموت هو ولا يرويه فيفوت الشخصين وربما رحل أحدهم إلى شيخ أول اسمه قاف أو كاف ليكتب ذلك في مشيخته فحسب ومن تلبس إبليس على أصحاب الحديث قدح بعضهم في بعض طلباً للثبني ويخرجون ذلك مخرج الجرح والتعديل الذي استعمله قدماء هذه الأمة للذب عن الشرع والله أعلم بالمقاصد ودليل مقصد خبيث هؤلاء سكوتهم عن أخذوا عنه وما كان القدماء هكذا فقد كان علي بن المديني يحدث عن أبيه وكان ضعيفاً ثم يقول وفي حديث الشيخ ما فيه . اخبرنا أبو بكر بن حبيب العامري نا أبو سعيد بن أبي صادق نا أبو عبد الله بن با كويه ثنا بكر أن بن أحمد الجيلي قال سمعت يوسف بن الحسين يقول : سألت حارثاً المحاسبي عن الغيبة فقال احذرها فانها شر مكتسب وما ظنك بشيء يسلبك حسناتك فيرضى به خصمك ومن تبعه في الدنيا كيف ترضى به خصمك يوم القيامة يأخذ من حسناتك أو تأخذ من سيئاته إذ ليس هناك درهم ولا دينار فأحذرهما وتعرف منبعها فان منبع غيبة الهمج والجهال من اشفاء الغيظ والحمية والحسد وسوء الظن وتلك مكشوفة غير خفية وأما غيبة العلماء فمنبعها من خدعة النفس على إبداء النصيحة وتأويل مالا يصح من الخبر ولو صح ما كان عوناً على الغيبة وهو قوله أترغبون عن ذكره اذكروه بما فيه ليحذره الناس . ولو كان الخبر محفوظاً صحيحاً لم يكن فيه إبداء شناعة على أخيك المسلم من غير أن تسأل عنه وإنما إذا جاءك مسترشد فقال أريد أن أزوج كريمي من فلان فعرفت منه بدعة أو أنه غير مأمون على حرم المسلمين صرفته عنه بأحسن صرف أو يحبك رجل آخر فيقول لك أريد أن أودع مالي فلاناً وليس ذلك الرجل موضعاً للأمانة فتصرفه عنه بأحسن الوجوه أو يقول لك رجل أريد أن أصلي خلف فلان أو أجعله إمامي في علم فتصرفه عنه بأحسن الوجوه ولا تشف غيظك من غيبته .

وأما منبع الغيبة من القراء والنسائك فمن طريق التعجب يبدى عوار الأخ ثم يتصنع بالدعاء في ظهر الغيب فيتمكن من لحم أخيه المسلم ثم يتزين بالدعاء له

وأما منبع الغيبة من الرؤساء والأساتذة فمن طريق إبداء الرحمة والشفقة حتى يقول مسكين فلان ابتلى بكذا وامتنح بكذا نعوذ بالله من الخذلان فيتنوع بإبداء الرحمة والشفقة على أخيه . ثم يتصنع بالدعاء له عند إخوانه ويقول إنما أبديت لكم ذلك لتكثروا دعاءكم له ونعوذ بالله من الغيبة تعريضاً أو تصريحاً فاتق الغيبة فقد نطق القرآن بكراهتها فقال عز وجل : « أوجب أحذكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه » وقد روى عن النبي ﷺ في ذلك أخبار كثيرة . ومن تلبس ابليس على علماء المحدثين رواية الحديث الموضوع من غير أن يبينوا أنه موضوع وهذه جناية منهم على الشرع ومقصودهم ترويح أحاديثهم وكثرة رواياتهم وقد قال ﷺ من روى عنى حديثاً يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين . ومن هذا الفن تدليسهم في الرواية فتارة يقول أحدهم فلان عن فلان أو قال فلان عن فلان يوم أنه سمع منه المنقطع ولم يسمع وهذا قبيح لأنه يجعل المنقطع في مرتبة المتصل ومنهم من يروى عن الضعيف والكذاب فينفي اسمه فربما سماه بغير اسمه وربما كناه وربما نسبه إلى جده لئلا يعرف وهذه جناية على الشرع لأنه يثبت حكماً بما لا يثبت به فأما إذا كان المروى عنه ثقة فنسبه إلى جده أو اقتصر على كنيته لئلا يرى أنه قد ردد الرواية عنه أو يكون المروى عنه في مرتبة الراوى فيستحى الراوى من ذكره فهذا على الكراهة والبعد من الصواب قريب بشرط أن يكون المروى عنه ثقة والله الموفق

﴿ ذكر تلبس ابليس على الفقهاء ﴾

قال المصنف : كان الفقهاء في قديم الزمان هم أهل القرآن والحديث فما زال الأمر يتناقص حتى قال المتأخرون يكفيننا أن نعرف آيات الأحكام من القرآن وأن نعتمد على الكتب المشهورة في الحديث كسنن أبي داود ونحوها ثم استهانوا بهذا الأمر أيضاً وصار أحدهم يحتج بآية لا يعرف معناها وبحديث لا يدري أصحيح هو أم لا وربما اعتمد على قياس يعارضه حديث صحيح ولا يعلم لقلة التفاته إلى معرفة النقل وإنما الفقه استخراج من الكتاب والسنة فكيف يستخرج من شيء لا يعرفه ومن القبيح تعليق حكم على حديث لا يدري أصحيح هو أم لا ولقد كانت معرفة هذا تصعب ويحتاج الإنسان إلى السفر الطويل والتعب الكثير حتى تعرف ذلك فصنفت الكتب وتقررت

السنن وعرف الصحيح من السقيم ولكن غلب على المتأخرين الكسل بالمرّة عن أن يطالعوا علم الحديث حتى إن رأيت بعض الأكابر من الفقهاء يقول في تصنيفه عن ألفاظ في الصحاح لا يجوز أن يكون رسول الله ﷺ قال هذا ورأيت يحتاج في مسألة فيقول دليلنا ما روى بعضهم أن رسول الله قال كذا ويجعل الجواب عن حديث صحيح قد احتج به خصمه أن يقول هذا الحديث لا يعرف وهذا كله جنابة على الاسلام .

ومن تليس إبليس على الفقهاء . أن جل اعتمادهم على تحصيل علم الجدل يطلبون بزعمهم تصحيح الدليل على الحكم والاستنباط لدقائق الشرع وعلل المذاهب ولو صحت هذه الدعوى منهم لتشاغلوا بجميع المسائل وإنما يتشاغلون بالمسائل الكبار ليتسع فيها الكلام فيتقدم المناظر بذلك عند الناس في خصام النظر فهم أحدهم بترتيب المجادلة والتفتيش على المناقضات طلباً للمفاخرات والمباهاة وربما لم يعرف الحكم في مسألة صغيرة تعم بها البلوى .

﴿ ذكر تليسه عليهم بادخالهم في الجدل كلام الفلاسفة ﴾
واعتمادهم على تلك الأوضاع

ومن ذلك إشارتهم للقياس على الحديث المستدل به في المسألة ليتسع لهم المجال في النظر . وان استدل أحد منهم بالحديث هجن ومن الأدب تقديم الاستدلال بالحديث . ومن ذلك أنهم جعلوا النظر جل اشتغالهم ولم يمزجوه بما يرقق القلوب من قراءة القرآن وسماع الحديث وسيرة الرسول ﷺ وأصحابه . ومعلوم أن القلوب لا تخشع بتكرار إزالة النجاسة والماء المتغير . وهي محتاجة إلى التذكار والمواعظ لتنهض لطلب الآخرة . ومسائل الخلاف وان كانت من علم الشرع إلا أنها لا تنهض بكل المطلوب . ومن لم يطالع على أسرار سير السلف وحال الذي تمذهب له لم يمكنهم سلوك طريقهم . وينبغي أن يعلم أن الطبع لص فاذا ترك مع أهل هذا الزمان سرق من طبائعهم فصار مثلهم . فاذا نظر في سير القدماء زاحمهم وتأدب بأخلاقهم وقد كان بعض السلف يقول حديث يرق له قلبي أحب إلى من مائة قضية من قضايا شريح . وأما قال هذا لأن رقة القاب مقصودة ولها أسباب . ومن ذلك أنهم اقتصروا

على المناظرة وأعرضوا عن حفظ المذهب وباقي علوم الشرع فترى الفقيه المقتضى يسأل عن آية أو حديث فلا يدرى . وهذا غبن فأين الأنفة من التقصير . ومن ذلك أن المجادلة إنما وضعت ليستبين الصواب . وقد كان مقصود السلف المناصحة باظهار الحق . وقد كانوا ينتقلون من دليل إلى دليل وإذا خفى على أحدهم شيء نبهه الآخر لأن المقصود كان إظهار الحق فصار هؤلاء إذا قاس الفقيه على أصل بعله يظنها . فقليل له ما الدليل على أن الحكم في الأصل معطل بهذه العلة فقال هذا الذى يظهر لى فان ظهر لكم ما هو أولى من ذلك فاذكروه فان المعترض لا يلزمى ذكر ذلك . ولقد صدق في أنه لا يلزمه ولكن فيما ابتدع من الجدل . بل في باب النسخ وإظهار الحق يلزمه ومن ذلك أن أحدهم يتبين له الصواب مع خصمه ولا يرجع ويضيق صدره كيف ظهر الحق مع خصمه . وربما اجتهد في رده مع علمه أنه الحق . وهذا من أقبح القبيح لأن المناظرة إنما وضعت لبيان الحق . وقد قال الشافعى رحمه الله ما ناظرت أحداً فأنكر الحجة إلا سقطت من عيني . ولا قبلها إلا همته : وما ناظرت أحداً فبالت مع من كانت الحجة إن كانت معه صرت إليه . ومن ذلك أن طلبهم للرياسة بالمناظرة تثير الكامن في النفس من حب الرياسة فاذا رأى أحدهم في كلامه ضعفاً يوجب قهر خصمه له خرج إلى المكابرة فان رأى خصمه قد استطال عليه بلفظ أخذته حمية الكبر فقال بل ذلك بالسب فصارت المجادلة مخاذلة ومن ذلك ترخصهم في الغيبة بحجة الحكاية عن المناظرة فيقول أحدهم : تكلمت مع فلان فما قال شيئاً . ويتكلم بما يوجب التشنق من غرض خصمه بتلك الحجة . ومن ذلك أن إبليس لبس عليهم بأن الفقه وحده علم الشرع ليس ثم غيره فان ذكر لهم محدث قالوا ذاك لا يفهم شيئاً وينسون أن الحديث هو الأصل فان ذكر لهم كلام يلين به القلب قالوا هذا كلام الوعاظ ومن ذلك إقدامهم على الفتوى وما بلغوا مرتبةها وربما أفتوا بواقعاتهم المخالفة للنصوص ولو توقفوا في المشكلات كان أولى .

فقد أخبرنا إسماعيل بن أحمد السمرقندى نا محمد بن هبة الله الطبرى ثنا محمد بن الحسين بن الفضل نا عبد الله بن جعفر بن درستويه ثنا يعقوب بن سفيان ثنا الحميدى ثنا سفيان ثنا عطاء بن السائب عن عبد الرحمن بن أبي ليلى .

قال . أدركت مائة وعشرين من أصحاب رسول الله ﷺ يسأل أحدهم عن المسألة فيردها هذا إلى هذا وهذا إلى هذا حتى ترجع إلى الأول قال يعقوب وثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن عطاء بن السائب قال سمعت عبد الرحمن بن أنس يلى أيضاً . يقول أدركت في هذا المسجد عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ ما منهم من يحدث حديثاً إلا ود أن أخاه كفاه الحديث ولا يسأل عن فتياً إلا ود أن أخاه كفاه الفتيا .

قال المصنف : وقد روينا عن إبراهيم النخعي أن رجلاً سأله عن مسألة فقال . ما وجدت من تسأله غيرى . وعن مالك بن أنس رضى الله عنه قال . ما أفتيت حتى سألت سبعين شيخاً هل ترون لى أن أفتى . فقالوا نعم . فقل له فلو نهوك قال لو نهوني انتهيت . وقال رجل لاجمى بن حنبل : إني حلفت ولا أدري كيف حلفت قال ليتك إذ دريت كيف حلفت دريت أنا كيف أفتيك . قال المصنف . وإنما كانت هذه سجية السلف لحشيتهم الله عز وجل وخوفهم منه ومن نظر في سيرتهم تأدب .

ومن تلبس إبليس على الفقهاء . مخالطتهم الأمراء والسلطين ومداهنتهم وترك الانكار عليهم مع القدرة على ذلك . وربما رخصوا لهم فيما لا رخصة لهم فيه لينالوا من دنياهم عرضاً فيقع بذلك الفساد لثلاثة أوجه . الأول الأمير يقول لولا أنى على صواب لأنكر على الفقيه وكيف لا أكون مصيباً وهو يأكل من مالى . والثانى العامى أنه يقول لا بأس بهذا الأمير ولا بماله ولا بأفعاله فان فلاناً الفقيه لا يبرح عنده . والثالث الفقيه فانه يفسد دينه بذلك .

وقد لبس إبليس عليهم فى الدخول على السلطان فيقول إنما ندخل لنشفع فى مسلم وينكشف هذا التلبس بأنه لو دخل غيره يشفع لما أعجبه ذلك وربما قدح فى ذلك الشخص لتفرده بالسلطان . ومن تلبس إبليس عليه فى أخذ أموالهم فيقول لك فيها حق . ومعلوم أنها إن كانت من حرام لم يحل له منها شيء وإن كانت من شبهة فتركها أولى وإن كانت من مباح جاز له الأخذ بمقدار مكانه من الدين لا على وجه إتفاقه فى إقامة الرعونة وربما اقتدى العوام

بظاهر فعله واستباحوا ما لا يستباح .

وقد لبس إبليس على قوم من العلماء . ينقطعون على السلطان إقبالا على التعبد والدين فيزين لهم غيبة من يدخل على السلطان من العلماء فيجمع لهم آفتين غيبة الناس ومدح النفس . وفي الجملة فالدخول على السلاطين خطر عظيم لأن النية قد تحسن في أول الدخول ثم تتغير باكرامهم وانعامهم أو بالطمع فيهم ولا يتأسك عن مداهم وترك الانكار عليهم . وقد كان سيفيان الثوري رضى الله عنه يقول : ما أخاف من إهاتهم لى إنما أخاف من إكرامهم فيممل قلبى اليهم . وقد كان علماء السلف يبعدون عن الأمراء لما يظهر من جورهم فتطلبهم الأمراء لحاجتهم اليهم فى الفتاوى والولايات فنشأ أقوام قويوت رغبتهم فى الدنيا فتعلموا العلوم التى تصلح للامراء وحملوها اليهم لينالوا من دنياهم . ويدلك على أنهم قصدوا بالعلوم الأمراء أن الأمراء كانوا قديماً يميلون إلى سماع الحجج فى الأصول فأظهر الناس علم الكلام . ثم مال بعض الأمراء إلى المناظرة فى الفقه فمال الناس إلى الجدل . ثم بعض الأمراء إلى المواعظ فمال خلق كثير من المتعلمين اليها ولما كان جمهور العوام يميلون إلى القصص كثر القصاص وقل الفقهاء .

ومن تليسه إبليس على الفقهاء : أن أحدهم يأكل من رفق المدرسة المبنية على المتشاعلين بالعلم فيمكث فيها سنين ولا يتشاعل ويقنع بما عرف أو ينتهى فى العلم فلا يبقى له فى الوقف حظ لأنه إنما جعل لمن يتعلم الا أن يكون ذلك الشخص معيداً أو مدرساً فان شغله دائم ومن ذلك ما يحكى عن بعض الأحداث المتفقهة من الانبساط فى المنهيات فبعضهم يلبس الحرير ويتجلى بالذهب ويحال على المكث فيأخذه إلى غير ذلك من المعاصى . وسبب انبساط هؤلاء مختلف . فمنهم من يكون فاسد العقيدة فى أصل الدين وهو يتفقه لبيستر نفسه أو ليأخذ من الوقف أو ليرأس أو لينظر . ومنهم من عقيدته صحيحة لكن يغلبه الهوى وحب الشهوات وليس عنده صارف عن ذلك لأن نفس الجدل والمناظرة تحرك إلى الكبر والعجب وإنما يتقوم الانسان بالرياضة ومطالعة سير السلف وأكثر القوم فى بعد عن هذا وليس

عندهم إلا ما يعين الطبع على شموخه حينئذ يسرح الهوى بلا زاد . ومنهم من يلبس عليه إبليس بأنك عالم وفقه ومفت والعلم يدفع عن أربابه وهيئات فان العلم أولى أن يحاجه ويضاعف عذابه كما ذكرنا في حق القراء . وقد قال الحسن البصري : إنما الفقيه من يخشى الله عز وجل . قال ابن عقيل : رأيت فقيهاً خراسانياً عليه حرير وخواتم ذهب فقلت له . ما هذا فقال خلع السلطان وكمد الأعداء فقلت له بل هو شجاعة الأعداء بك أن كنت مسلماً لأن إبليس عدوك وإذا بلغ منك مبلغك البسك ما يسخط الشرع فقد أشتمته بنفسك وهل خلع السلطان سائغة لنهى الرحمن يا مسكين . خلع عليك السلطان فأنخلعت به من الايمان وقد كان ينبغي أن يخلع بك السلطان لباس الفسق ويلبسك لباس التقوى ربما كم الله بخزيه حيث هوتم أمره هكذا لتك قلت هذه رعونات الطبع الآن تمت محنتك لأن عدوانك دليل على فساد باطنك . ومن تلبسه عليهم : أن يحسن لهم ازدراء الوعاظ ويمنعهم من الحضور عندهم فيقولون من هؤلاء هؤلاء قصاص ومراد الشيطان أن لا يحضروا في موضع يلين فيه القلب ويخشع . والقصاص لا يذمون من حيث هذا الاسم لأن الله عز وجل قال « نحن نقص عليك أحسن القصص » وقال . « فاقصص القصص » وإنما ذم القصص لأن الغالب منهم الاتساع بذكر القصص دون ذكر العلم المفيد ثم غالبهم يخلط فيما يورده . وربما اعتمد على ما أكثره محال فأما إذا كان القصص صدقاً ويوجب وعظاً فهو ممدوح وقد كان أحمد بن حنبل يقول : ما أحوج الناس إلى قاص صدوق .

﴿ ذكر تلبيسة على الوعاظ والقصاص ﴾

قال المصنف . كان الوعاظ في قديم الزمان علماء فقهاء . وقد حضر مجلس عبيد بن عمير عبيد الله بن عمر رضى الله عنه . وكان عمر بن عبد العزيز يحضر مجلس القاص . ثم خست هذه الصناعة فتعرض لها الجهال فبعد عن الحضور وعندهم المميزون من الناس وتعلق بهم العوام والنساء فلم يتشاغلوا بالعلم وأقبلوا على القصص وما يعجب الجفلة وتنوعت البدع في هذا الفن .

وقد ذكرنا آفاتهم في كتاب القصاص والمذكرين . إلا أنا نذكر هنا جملة
 فن ذلك : أن قوماً منهم كانوا يضعون أحاديث الترغيب والترهيب ولبس
 عليهم إبليس : بأننا نقصد حث الناس على الخير وكفهم عن الشر وهذا
 اقتيات منهم على الشريعة لأنها عندهم على هذا الفعل ناقصة تحتاج إلى تتممة
 ثم نسوا قوله ﷺ من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار . ومن
 ذلك أنهم تلهجوا ما يزعج النفوس ويضطرب القلوب فنوعوا فيه الكلام
 فتراهم ينشدون الأشعار الرائقة الغزلية في العشق . ولبس عليهم إبليس بأننا
 نقصد الإشارة إلى محبة الله عز وجل ومعلوم أن عامة من يحضرون العوام
 الذين بواسطتهم مشحونه بحب الهوى فيفضل القاص ويضل . ومن ذلك من
 يظهر من التواجد والتخاشع زيادة على ما في قلبه وكثرة الجمع توجب زيادة
 تعمل فتسمح النفس بفضل بكاء وخشوع فمن كان منهم كاذباً فقد خسر
 الآخرة . ومن كان صادقاً لم يسلم صدقه من رياء يخالطه . ومنهم من يتحرك
 الحركات التي يوقع بها على قراءة الألحان والألحان التي قد أخرجوها اليوم
 مشابهة للغناء فهي إلى التحريم أقرب منها إلى الكراهة والقارىء يضطرب
 والقاص ينشد الغزل مع تصفيق يديه وإيقاع برجليه فتشبه السكر ويوجب
 ذلك تحريك الطباع وتهيج النفوس وصياح الرجال والنساء وتمزيق الثياب
 لما في النفوس من دفائن الهوى ثم يخرجون فيقولون كان المجلس طيباً
 ويشيرون بالطيبة إلى ما لا يجوز . ومنهم من يجري في مثل تلك الحالة التي
 شرحناها لبكنه ينشد أشعار النوح على الموتى ويصف ما يجري لهم من البلاء
 ويذكر الغربة ومن مات غربياً فيبكي بها النساء ويصير المكان كالمأتم وإنما
 ينبغي أن يذكر الصبر على فقد الأحباب لا ما يوجب الجزع ، ومنهم من
 يتكلم في دقائق الزهد ومحبة الحق سبحانه فلبس عليه إبليس : إنك من جملة
 الموصوفين بذلك لأنك لم تقدر على الوصف حتى عرفت ما تصف وسلكت
 الطريق . وكشف هذا التلبس أن الوصف علم والسلوك غير العلم . ومنهم
 من يتكلم بالطامات والشطح الخارج عن الشرع ويستشهد بأشعار العشق
 وعرضه أن يكثر في جلسته الصياح ولو على كلام فاسد . وكمن منهم من يزوق

عبارة لا معنى تحتها وأكثر كلامهم اليوم في موسى والجبل وزليخا ويوسف ولا يكادون يذكرون الفرائض ولا ينهاون عن ذنب فتي يرجع صاحب الزنا ومستعمل الربا وتعرف المرأة حق زوجها وتحفظ صلاتها هيئات هؤلاء تركوا الشرع وراء ظهورهم ولهذا نفقت سلعهم لأن الحق ثقیل والباطل خفيف . ومنهم من يبحث على الزهد وقيام الليل ولا يبين للامة المقصود فربما تاب الرجل منهم وانقطع إلى زاوية أو خرج إلى جبل فبقیت عائلته لا شيء لهم . ومنهم من يتكلم في الرجاء والطمع من غير أن يميز ذلك بما يوجب الخوف والحذر فيزيد الناس جرأة على المعاصي ثم يقوى ما ذكر بميله إلى الدنيا من المراكب الفارهة والملابس الفاخرة فيفسد القلوب بقوله وفعله .

﴿ فصل ﴾ وقد يكون الوعظ صادقاً قاصداً للصيحة إلا أن منهم من شرب الرئاسة في قلبه مع الزمان فيجب أن يعظم وعلامته أنه إذا ظهر واعظ ينوب عنه أو يعينه على الخلق كره ذلك ولو صح قصده لم يكره أن يعينه على خلائق الخلق .

﴿ فصل ﴾ ومن القصاص من يخلط في مجلسه الرجال والنساء وترى النساء يكثرن الصياح وجداً على زعمهن فلا ينكر ذلك عليهن جمعاً للقلوب عليه . لقد ظهر في زماننا هذا من القصاص ما لا يدخل في التلبیس لأنه أمر صريح من كونهم جعلوا القصص معاشاً يستمتعون به الأمراء والظلمة والأخذ من أصحاب المكوس والتكسب به في البلدان ، وفيهم من يحضر المقابر فيذكر البلى وفراق الأحبة فيبكي النسوة ولا يبحث على الصبر .

﴿ فصل ﴾ وقد يلبس إبليس على الواعظ المحقق فيقول له : مثلك لا يعظ وإنما يعظ متيقظ فيحمله على السكوت والانقطاع وذلك من دسائس إبليس لأنه يمنع فعل الخير ويقول انك تلتذ بما تورده وتجد لذلك راحة . فربما دخل الرياء في قولك وطريق الوحدة أسلم . ومقصوده بذلك سد باب الخير . وعن ثابت قال . كان الحسن في مجلس فقيل للعلاء تكلم فقال أوهناك

أنا ثم ذكر الكلام ومؤنته وتبعته . قال ثابت . فأعجبني . قال ثم تكلم الحسن
وانا هناك يود الشيطان أنكم أخذتموها عنه فلم يأمر أحداً بخبر ولم ينه عن شر .

﴿ ذكر تليسه على أهل اللغة والأدب ﴾

قال المصنف : قد لبس على جمهورهم فشغلهم بعلوم النحو واللغة من
المهمات اللازمة التي هي فرض عين عن معرفة ما يلزمهم عرفانه من العبادات
وما هو أولى بهم من آداب النفوس وصلاح القلوب . وبما هو أفضل من
علوم التفسير والحديث والفقه . فأذهبوا الزمان كله في علوم لا تتراد لنفسها
بل لغيرها فان الانسان إذا فهم الكلمة فينبغي أن يترقى إلى العمل بها إذ هي
مرادة لغيرها . فتري الانسان منهم لا يكاد يعرف من آداب الشريعة إلا
القليل ولا من الفقه ولا يلتفت إلى تزكية نفسه وصلاح قلبه . ومع هذا
ففيهم كبر عظيم وقد خيل لهم إبليس أنكم من علماء الاسلام لأن النحو واللغة
من علوم الاسلام وبها يعرف معنى القرآن العزيز . ولعمري أن هذا لا يشكر
ولكن معرفة ما يلزم من النحو لإصلاح اللسان وما يحتاج اليه من اللغة في
تفسير القرآن والحديث أمر قريب وهو أمر لازم وما عدا ذلك فضل
لا يحتاج اليه وإنفاق الزمان في تحصيل هذا الفاضل وليس بهم مع ترك المهم
غلط وإشاره على ما هو أنفع وأعلى رتبة كالفقه والحديث غبن . ولو اتسع
العمر لمعرفة الكل كان حسناً . ولكن العمر قصير فينبغي إشاراً لأهم والأفضل .
(فصل) وبما ظنوه صواباً وهو خطأ ما أخبرنا به أبو الحسين بن فارس
قال : قيل لفقيه العرب هل يجب على الرجل إذا أشهد الوضوء قال : نعم .
قال والإشهاد أن يمدى الرجل .

قال المصنف : وذكر من هذا الجنس مسائل كثيرة وهذا غاية في الخطأ
لأنه متى كان الاسم مشتركاً بين مسميين كان إطلاق الفتوى على أحدهما دون
الآخر خطأ مثاله أن يقول : المستفتى . ما تقول : في وطء الرجل زوجته في
قرئها . فان القرء يقع عند اللغويين على الاطهار وعلى الحيض . فيقول الفقيه :
يجوز إشارة إلى الطهر أو لا يجوز إشارة إلى الحيض خطأ . وكذلك لو قال
السائل . هل يجوز للصائم أن يأكل بعد طلوع الفجر . لم يحز إطلاق الجواب .

فأذكره فقيه العرب هو خطأ من وجهين أحدهما أنه لم يستفصل في المحتملات والثاني أنه صرف الفتوى إلى أبعد المحتملات وترك الأظهر . وقد استحسنوا هذا وقلة الفقه أوجبت هذا الزلل .

﴿ فصل ﴾ ولما كان عموم اشتغالهم بأشعار الجاهلية ولم يجد الطبع صادراً عما وضع عليه من مطالعة الأحاديث ومعرفة سير السلف الصالح سالت بهم الطباع إلى هوة الهوى فانبث شرع البطالة يعبت فقل أن ترى منهم متشاعلاً بالتقوى أو ناظراً في مطعم فإن النحو يغلب طلبه على السلاطين فيأكل كل النجاسة من أموالهم الحرام كما كان أبو على الفارسي في ظل عضد الدولة وغيره . وقد يظنون جواز الشيء وهو غير جائز لقلة فقههم كما جرى للزجاج أبي اسحاق إبراهيم بن السري . قال : كنت أؤدب القاسم بن عبدالله فأقول له إن بلغت إلى مبلغ إليك ووليت الوزارة ماذا تصنع بي : فيقول : ما أحببت . فأقول له : أن تعطيني عشرين ألف دينار . وكانت غاية أمنيقي فما مضت إلا سنون حتى ولي القاسم الوزارة وأنا على ملازمتي له . وقد صرت نديمه فدعيتي نفسي إلى إذكاره بالوعد ثم هبته . فلما كان في اليوم الثالث من وزارته قال لي : يا أبا اسحاق . لم أرك أذكركني بالنذر . فقلت عولت على رعاية الوزير أيده الله وأنه لا يحتاج إلى إذكار لنذر عليه في أمر خادم واجب الحق . فقال لي : إنه المعتضد . ولولاه ما تعاظمني دفع ذلك إليك في مكان واحد ولكن أخاف أن يصير لي معه حديث فاسمع بأخذه متفرقا . فقلت إفعل . فقال . اجلس للناس وخذ رقاعهم في الحوائج الكبار واستجعل عليها ولا تمتنع من مسائلتي شيئاً تخاطب فيه صحيحاً كان أو محالاً إلى أن يحصل لك مال النذر ففعلت ذلك وكنت أعرض عليه كل يوم رقاعاً فيوقع فيها وربما قال لي كم ضمن لك على هذا فأقول كذا وكذا فيقول غبت هذا يساوي كذا وكذا فاستزد فاراجع القوم ولا أزال أما كسهم ويزيدوني حتى أبلغ الحد الذي رسمه . قال . فعرضت عليه شيئاً عظيماً فحصل عندي عشرون ألف دينار وأكثر منها في مدة مديدة . فقال لي بعد شهر . يا أبا اسحاق حصل مال النذر : فقلت . لا فسكت وكنت أعرض ثم يسألني في كل شهر أو نحوه هل حصل المال فأقول لا خوفاً من انقطاع الكسب إلى أن حصل عندي ضعف المال . وسألني يوماً فاستحييت

من الكذبت المتصل . فقلت . قد حصل ذلك بسعادة الوزير فقال فرجت والله عني فقد كنت مشغول القلب إلى أن يحصل لك . قال ثم أخذ الدواة ووقع لي إلى خازنه بثلاثة آلاف دينار صلة فأخذتها وامتنعت أن أعرض عليه شيئاً ولم أدر كيف أقع منه فلما كان من الغد جئته وجلست على رسي فأومأ إليّ هات مامعك ليستدعي مني الرقاع على الرسم فقلت ما أخذت من أحد رقعة لأن النذر قد وقع الوفاء به ولم أدر كيف أقع من الوزير فقال يا سبحان الله أتراني كنت أقطع عنك شيئاً قد صار لك عادة وعلم به الناس وصارت لك به منزلة عندهم وجاء وغدو ورواح إلى بابك ولا يعلم سبب انقطاعه فيظن ذلك لضعف جاهك عندي أو تغير ربتك أعرض عليّ رسمك وخذ بلا حساب . فقبلت يده وباكرته من غد بالرقاع وكنت أعرض عليه كل يوم شيئاً إلى أن مات وقد تأملت مالى هذا .

قال المصنف : أنظروا ما يصنع قلة الفقه فان هذا الرجل الكبير القدر في معرفته النحو واللغة لو علم أن هذا الذي جرى له لم يجز شرعاً ما حكاه وتبجح به . فان إيصال الظالمات واجب ولا يجوز أخذ البرطيل عليها ولا على شيء مما نصب الوزير له من أمور الدولة وبهذا تبين مرتبة الفقه على غيره .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الشعراء ﴾

قال المصنف : وقد لبس عليهم فأراهم أنهم من أهل الأدب وأنهم قد خصوا بفطنة تميزوا بها عن غيرهم . ومن خصكم بهذه الفطنة بما عفا عن زلكم . فتراهم يهيمون في كل واد من الكذب والقذف والهجاء وهتك الأعراض والإقرار بالواحد . وأقل أحوالهم . أن الشاعر يمدح الانسان فيخاف أن يهجو فيعطيه انتقام شره أو يمدحه بين جماعة فيعطيه حياء من الحاضرين . وجميع ذلك من جنس المصادرة . وترى خلقاً من الشعراء وأهل الأدب لا يتحاشون من لبس الحرير . والكذب في المدح خارجاً عن الحد . ويحكون اجتماعهم على الفسق وشرب الخمر وغير ذلك . ويقول أحدهم : اجتمعت أنا وجماعة من الأدباء ففعلنا كذا وكذا — هيات هيات ليس الأدب إلا مع الله عز وجل

باستعمال التقوى له . ولا قدر للظن في أمور الدنيا ولا بحسن العبارة عند الله إذا لم يتقه . وجمهور الأدباء والشعراء إذا ضاق بهم رزق تسخطوا فكفروا وأخذوا في لوم الأقدار كقول بعضهم :

لئن سمت همتي في الفضل عالية فإن حظي بطن الأرض ملتصق
كم يفعل الدهر بي ما لا أسر به وكم يسيء زمان جائر حق
وقد نسي هؤلاء أن معاصيهم تضيق أرزاقهم فقد رأوا أنفسهم مستحقين
للنعم مستوجبين للسلامة من البلاء ولم يتلجأوا ما يجب عليهم من امثال
أوامر الشرع فقد ضلت فطنتهم في هذه الغفلة .

﴿ ذكر تلبس إبليس على الكاملين من العلماء ﴾

قال المصنف : إن أقواما علت همهم فحصلوا علوم الشرع من القرآن
والحديث والفقه والأدب وغير ذلك . فأتاهم إبليس بخفي التلبس فأراهم
أنفسهم بعين عظيمة لما نالوا وأفادوا غيرهم . فنههم من يستغزوه لطول عنائه
في الطلب فحسن له اللذات وقال له إلى متى هذا التعب فأرح جوارحك من
كلف التكليف وافسح لنفسك في مشتهاها . فان وقعت في زلة فالعلم يدفع
عنك العقوبة . وأورد عليه فضل العلماء . فان خذل هذا العبد وقبل هذا
التلبس يهلك وإن وفق فينبغي له أن يقول : جوابك من ثلاثة أوجه .
أحدها إنه إنما فضل العلماء بالعمل ولولا العمل به ما كان له معنى . وإذا لم
أعمل به كنت كمن لم يفهم المقصود به ويصير مثلي كمثل رجل جمع الطعام
وأطعم الجوع ولم يأكل فلم ينفعه ذلك من جوعه . والثاني أن يعارضه بما
ورد في ذم من لم يعمل بالعلم لقوله ﷺ « أشد الناس عذابا يوم القيامة
عالم لم ينفعه الله بعلمه » وحكايته ﷺ عن رجل يلقى في النار فتندلق أفتابه
فيقول كنت أمر بالمعروف ولا آتية وأنهى عن المنكر وآتية وقول أبي
الدرداء رضي الله عنه ويل لمن يعلم مرة وويل لم علم ولم يعمل سبع مرات .
والثالث أن يذكر له عقاب من هلك من العلماء التاركين للعمل بالعلم كابليس
وبلعام . ويكفي في ذم العالم إذا لم يعمل قوله تعالى « كمثل الحمار يحمل أسفارا » .

﴿ فصل ﴾ وقد لبس إبليس على أقوام من المحكمين في العلم والعمل من

جهة أخرى . فحسن لهم الكبر بالعلم ، والحسد للنظر ، والرياء لمطلب الرياسة فتارة يريهم أن هذا كالحق الواجب لهم . وتارة يقوى حب ذلك عندهم فلا يتركونه مع علمهم بأنه خطأ - وعلاج هذا لمن وفق إدمان النظر في اشم الكبر والحسد والرياء وإعلام النفس أن العلم لا يدفع شر هذه المكتسبات بل يضاعف عذابها لتضاعف الحجة بها . ومن نظر في سير السلف من العلماء العاملين اسنهر نفسه فلم يتكبر . ومن عرف الله لم يراء ومن لاحظ جريان أقداره على مقتضى إرادته لم يحسد .

وقد يدخل ابليس على هؤلاء بشبهة ظريفة فيقول : طلبكم للرفعة ليس بتكبر لأنكم نواب الشرع فانكم تطلبون اعزاز الدين ودحض أهل البدع وإطلاقكم اللسان في الحساد غضب للشرع إذ الحساد قد ذموا من قام به وما تظنون رياء فليس برياء لأن من تخاشع منكم وتباكى اقتدى به الناس كما يقتدون بالطبيب إذا احتذى أكثر من من اقتدائهم بقوله إذا وصف . وكشف هذا التلبس : أنه لو تكبر متكبر على غيرهم من جنسهم وصعد في المجلس فوقه أو قل حاسد عنه شيئاً لم يغضب هذا العالم لذلك كغضبه لنفسه وإن كان المذكور من نواب الشرع فعلم أنه إنما لم يغضب لنفسه بل للعلم . وأما الرياء فلا عذر فيه لأحد ولا يصاح أن يجعل طريقاً لدعاية الناس وقد كان أيوب السخيتاني إذا حدث بحديث فرق ومسح وجهه وقال . ما أشد الزكام ، وبعد هذا فالأعمال بالنيات والناقد بصير وكم من ساكت عن غيبة المسلمين إذا اغتبيوا عنده فرح قلبه . وهو آثم بذلك من ثلاثة أوجه . أحدها الفرح فانه حصل بوجود هذه المعصية من المغتاب . والثاني لسروره بثلب المسلمين . والثالث أنه لا ينكر .

﴿ فصل ﴾ وقد لبس ابليس على الكاملين في العلوم فيسهرون ليلهم ويدأبون نهارهم في تصانيف العلوم ويريههم ابليس أن المقصود نشر الدين ويكون مقصودهم الباطن انتشار الذكر وعلو الصيت والرياسة وطلب الرحلة من الآفاق إلى المصنف .

وينكشف هذا التلبس بأنه لو انتفح بمصنفاته الناس من غير تردد إليه

أوقرت على نظيره في العلم فرح بذلك ان كان مراده نشر العلم وقد قال بعض السلف ما من علم علمته إلا أحببت أن يستفيدة الناس من غير أن ينسب إليّ ومنهم من يفرح بكثرة الاتباع ويلبس عليه إبليس بأن هذا الفرح لكثرة طلاب العلم وإنما مراده كثرة الأصحاب واستطارة الذكر ومن ذلك العجب بكلماتهم وعليهم وينكشف هذا التلبس بأنه لو انقطع بعضهم إلى غيره ممن هو أعلم منه ثقل ذلك عليه . وما هذه صفة المخلص في التعليم لأن مثل المخلص مثل الأطباء الذين يداوون المرضى الله سبحانه وتعالى فإذا شفي بعض المرضى على يد طبيب منهم فرح الآخر . وقد ذكرنا آنفاً حديث بن أبي ليلى ونعيده بإسناد (١) آخر عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال أدركت عشرين ومائة من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار ما منهم رجل يسأل عن شيء إلا ود أن أخاه كفاه ولا يحدث بحديث إلا ود أن أخاه كفاه .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف : وقد يتخلص العلماء الكاملون من تلبسات إبليس الظاهرة فيأتيهم بخفي من تلبسه . بأن يقول له . ما لقيت مثلك ما أعرفك بمذاخلي ومخارجي فإن سكن إلى هذا هلك بالعجب وإن سلم من المسألة له سلم . وقد قال السري السقطي : لو أن رجلاً دخل بستاناً فيه من جميع ما خلق الله عز وجل من الأشجار عليها من جميع ما خلق الله تعالى من الأطياف غاطبه كل طائر بلغته وقال السلام عليك يا وليّ الله فسكنت نفسه إلى ذلك كان في أيديها أسيراً : والله الهادي لا إله إلا هو .

﴿ الباب السابع في تلبس إبليس على الولاة والسلاطين ﴾

قال المصنف : قد لبس عليهم إبليس من وجوه كثيرة نذكر أهماتها . فالوجه الأول أنه يريد أن الله عز وجل يحبهم ولولا ذلك ما ولاهم سلطانه ولا جعلهم نواباً عنه في عباده . وينكشف هذا التلبس بأنهم ان كانوا نواباً عنه في الحقيقة فليحكموا بشرعه وليتبعوا مراضيه . فحينئذ يحجبهم لطاعته . فأما صورة الملك والسلطنة فانه قد أعطاها خلقاً ممن يبغضه وقد بسط الدنيا

(١) كذا في الأصول بدون ذكر السند .

لكثير ممن لا ينظر اليه . وسلط جماعة من أولئك على الأولياء والصالحين فقتلوه وفهروهم فكان ما أعطاهم عليهم لا لهم . ودخل ذلك في قوله تعالى « إنما نأمر بالعدل والإحسان » والثاني أنه يقول لهم الولاية تفتقر إلى هيئة فيتكبرون عن طلب العلم ومجالسة العلماء فيعملون بأرائهم فيتلفون الدين والمعلوم أن الطبع يسرق من خصال المخالطين فإذا خالطوا مؤثرى الدنيا الجهال بالشرع سرق الطبع من خصالهم مع ما عنده منها ولا يرى ما يقاومها ولا ما يزجره عنها وذلك سبب الهلاك . والثالث أنه يخوفهم الأعداء ويأمرهم بتشديد الحجاب فلا يصل اليهم أهل المظالم . ويتوأنى من جعل بضد رفع المظالم . وقد روى أبو مريم الأسدي عن النبي ﷺ . قال : من ولأه الله شيئاً من أمر المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله عز وجل دون حاجته وخلته وفقره . والرابع أنهم يستعملون من لا يصلح ممن لا علم عنده ولا تقوى . فيجتلب الدعاء عليهم بظلمه الناس . ويطعمهم الحرام باليوع الفاسدة ويحد من لا يجب عليه الحد . ويظنون أنهم يتخلصون من الله عز وجل بما جعلوه في عنق الوالى - هيئات إن العامل على الزكاة إذا وكل الفساق بتفريقها تخافوا ضمن . والخامس أنه يحسن لهم العمل برأيهم فيقطعون من لا يجوز قطعه ويقتلون من لا يحل قتله . ويوهمهم أن هذه سياسة وتحت هذا من المعنى أن الشريعة ناقصة تحتاج إلى إتمام ونحن نتمها بأرائنا . وهذا من أقبح التلبيس لأن الشريعة سياسة إلهية ومحال أن يقع في سياسة الإله خلل يحتاج معه إلى سياسة الخلق قال الله عز وجل . « ما فرطنا في الكتاب من شيء » . وقال : « لا معقب لحكمه » . فدعى السياسة مدعى الخلل في الشريعة . وهذا يزاحم الكفر . وقد روينا عن عضد الدولة أنه كان يميل إلى جارية فكانت تشغل قلبه فأمر بتفريقها لئلا يشتغل قلبه عن تدبير الملك . وهذا هو الجنون المطبق لأن قتل مسلم بلا جرم لا يحل . واعتقاده أن هذا جائز كفر وأن اعتقده غير جائز لكنه رآه مصلحة فلا مصلحة فيما يخالف الشرع . والسادس أنه يحسن لهم الانبساط في الأموال ظانين أنها بحكمهم .

وهذا تلبس يكشفه وجوب الحجر على المفرط في مال نفسه فكيف
 بالمستأجر في حفظ مال غيره. وإنما له من المال بقدر عمله فلا وجه للانبساط
 قال ابن عقيل . وقد روى عن حماد الراوية أنه أنشد الوليد بن يزيد أبياتاً
 فأعطاه خمسين ألفاً وجاريتين . قال وهذا بما يروى على وجه المدح لهم وهو
 غاية القدح فيهم لأنه تذكير في بيت مال المسلمين . وقد يزين لبعضهم منع
 المستحقين وهو نظير التذكير . والسابع أنه يحسن لهم الانبساط في المعاصي
 ويلبس عليهم أن حفظكم للسبيل وأمن البلاد بكم يمنع عنكم العقاب. وجواب
 هذا أن يقال : إنما وليتم لتحتفظوا البلاد وتؤمنوا السبل . وهذا واجب
 عليهم . وما انبسطوا فيه من المعاصي منهي عنه فلا يرفع هذا ذلك . والثامن
 أنه يلبس على أكثرهم بأنه قد قام بما يجب من جهة أن ظواهر الأحوال
 مستقيمة . ولو حقق النظر لرأى اختلافاً كثيراً . وقد روينا عن القاسم بن
 طلحة بن محمد الشاهد . قال : رأيت علي بن عيسى الوزير وقد وكل بدور
 البطيخ رجلاً برزق يطوف على باعة العنب فإذا اشترى أحد سلة عنب خمرى
 لم يعرض له وإن اشترى سلتين فصاعداً طرح عليها الملح لئلا يتمكن من عملها
 خمرأ . قال : وأدركت السلاطين يمنعون المنجمين من القعود في الطرق حتى
 لا يفشو العمل بالنجوم . وأدركنا الجند ليس فيهم أحد معه غلام أمرد له طرة
 ولا شعر إلى أن بدى ، بحكم العجم . والتاسع أنه يحسن لهم استجلاب الأموال
 واستخراجها بالضرب العنيف وأخذ كل ما يملكه الخائن واستحلافه وإنما
 الطريق إقامة البيئة على الخائن . وقد روينا عن عمر بن عبد العزيز أن غلاماً
 كتب له : أن قوماً خانوا في مال الله ولا أقدر على استخلاص ما في أيديهم
 إلا أن أنا لهم بعذاب . فكتب إليه : لأن يلقوا الله بخيانتهم أحب إلي من
 أن ألقاه بدمائهم . والعاشر أنه يحسن لهم التصديق بعد الغضب . يريهم أن
 هذا يمحو ذلك . ويقول . إن درهما من الصدقة يمحو إثم عشرة من الغضب .
 وهذا محال لأن إثم الغضب باق ودرهم الصدقة ان كان من الغضب لم يقبل
 وإن كانت الصدقة من الحلال لم يدفع أيضاً لإثم الغضب لأن إعطاء الفقير
 لا يمنع تعلق الذمة بحق آخر . والحادي عشر . أنه يحسن لهم مع الإصرار

على المعاصي زيارة الصالحين وسؤالهم الدعاء ويريه أن هذا يخفف ذلك الإثم . وهذا الخير لا يدفع ذلك الشر . وفي الحديث عن الحسين بن زياد قال سمعت منيعاً يقول مر تاجر بعشار فخبسوا عليه سفينته فجاء إلى مالك بن دينار فذكر له ذلك . فقام مالك فمشى معه إلى العشار . فلما رأوه . قالوا يا أبا يحيى ألا بعثت إلينا في حاجتك قال : حاجتي أن تخلوا عن سفينة هذا الرجل . قالوا قد فعلنا قال وكان عندهم كوز يجعلون ما يأخذون من الناس من الدراهم فيه . فقالوا : ادع لنا يا أبا يحيى قال : قولوا للكوز يدعو لكم كيف أدعو لكم وألف يدعون عليكم : أترى يستجاب لواحد ولا يستجاب لألف . والثاني عشر : أن من الولاة من يعمل لمن فوقه فيأمره بالظلم فيظلم ويلبس عليهم إبليس بأن الإثم على الأمير لا عليك . وهذا باطل لأنه معين على الظلم وكل معين على المعاصي عاص فان رسول الله ﷺ لعن في الخبر عشرة . ولعن آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه . ومن هذا الفن أن يحيى المال لمن هو فوقه وقد علم أنه يذرفيه ويخون فهذا معين على الظلم أيضاً . وفي الحديث بإسناد مرفوع إلى جعفر بن سليمان . قال : سمعت مالك بن دينار يقول . كفى بالمرء خيانة أن يكون أميناً للخونة . والله الهادي إلى الصواب .

﴿ الباب الثامن ﴾

﴿ ذكر تابيس إبليس على العباد في العبادات ﴾

قال المصنف : إعلم أن الباب الأعظم الذي يدخل منه إبليس على الناس هو الجهل . فهو يدخل منه على الجاهل بأمان . وأما العالم فلا يدخل عليه إلا مسارقة وقد لبس إبليس على كثير من المتعبدین بقلة علمهم لأن جمهورهم يشتغل بالتعبد ولم يحكم العلم . وقد قال الربيع بن خثيم . تفقه ثم اعتزل : فأول تلبيسه عليهم إشارتهم التعبد على العلم والعلم أفضل من النوافل فأراهم أن المقصود من العلم العمل . وما نهوا من العمل إلا عمل الجوارح وما علموا أن العمل عمل القلب وعمل القلب أفضل من عمل الجوارح قال مطرف بن عبد الله : فضل العلم خير من فضل العبادة . وقال يوسف بن أسباط . باب

من العلم تتعلمه أفضل من سبعين غزاة، وقال المعافى بن عمران : كتابة حديث واحد أحب إلى من صلاة ليلة .

قال المصنف : فلما مر عليهم هذا التلييس وآثروا التعبد بالجوارح على العلم تمكن إبليس من التلييس عليهم في فنون التعبد .

﴿ ذكر تلييسه عليهم في الاستطابة والحدث ﴾

من ذلك . أنه يأمرهم بطول المسك في الخلاء وذلك يؤذى السكبد وإنما ينبغي أن يكون بمقدار . ومنهم من يقوم فيمشى ويتنحنج ويرفع قدماً ويحط أخرى وعنده أنه يستنقى بهذا وكلما زاد في هذا نزل البول - ويان هذا أن الماء يرشح إلى المثانة ويجمع فيها فإذا تهيأ الإنسان للبول خرج ما اجتمع فإذا مشى وتنحنج وتوقف رشح شيء آخر فالرشح لا ينقطع وإنما يكفيه أن يحتلب ما في الذكر بين أصبعيه ثم يتبعه الماء : ومنهم من يحسن له استعمال الماء الكثير وإنما يحزبه يعد زوال العين سبع مرات على أشد المذاهب فإن استعمل الأحجار فيما لم يتعد المخرج أجزأه ثلاثة أحجار إذا أتق بهن ومن لم يقنع بما قنع الشرع به فهو مبتدع شرعاً لا متبع والله الموفق .

﴿ ذكر تلييسه عليهم في الوضوء ﴾

منهم من يلبس عليه في النية فتراه يقول . أرفع الحدث . ثم يقول . أستسبح الصلاة ثم يعيد فيقول : أرفع الحدث . وسبب هذا التلييس الجهل بالشرع لأن النية بالقلب لا باللفظ فتكلف اللفظ أمر لا يحتاج إليه ثم لا معنى لتكرار اللفظ . ومنهم من يلبس عليه بالنظر في الماء المتوضأ به . فيقول : من أين لك أنه طاهر ويقدر له فيه كل احتمال بعيد . وفتوى الشرع يكفيه بأن أصل الماء الطهارة فلا يترك الأصل بالاحتمال . ومنهم من يلبس عليه بكثرة استعمال الماء وذلك يجمع أربعة أشياء مكروهة . الإسراف في الماء ، وتضييع العمر القيم فيما ليس بواجب ولا مندوب ، والتعاطي على الشريعة إذا لم يقنع بما قنعت به من استعمال الماء القليل . والدخول فيما نهت عنه من الزيادة على الثلاث ، وربما أطال الوضوء ففات وقت الصلاة أو فات أوله وهو الفضيلة أوفاته الجماعة .

وتليس إبليس على هذا : بأنك في عبادة ما لم تصح لا تصح الصلاة ، ولو تدبر أمره لعلم أنه في مخالفة وتفريط ، وقد رأينا من ينظر في هذه الوسواس ولا يبالي بمطعمه ومشربه ولا يحفظ لسانه من غيبة قلبه قلب الأمر ، وفي الحديث عن عبدالله بن عمرو بن العاص ، أن النبي ﷺ مر بسعد وهو يتوضأ ، فقال : ما هذا السرف يأسعد ، قال : أرى الوضوء سرف ، قال : نعم وإن كنت على نهر جار ، وفي الحديث عن أبي عن النبي ﷺ ، قال : للوضوء شيطان يقال له الوهان فاتقوه ، أو قال : فاحذروه ، وعن الحسن رضي الله عنه قال : شيطان الوضوء يدعى الوهان يضحك بالناس في الوضوء ، ويأسند مرفوع إلى أبي نعامة إن عبدالله بن مغفل سمع ابنه يقول اللهم إني أسألك الفردوس وأسألك ، فقال عبدالله : سل الله الجنة وتعوذ به من النار ، فإني سمعت النبي ﷺ يقول : سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الدعاء والطهور ، وعن ابن شاذب ، قال : كان الحسن يعرض بابن سيرين يقول : يتوضأ أحدهم بقرية ويغتسل بمزادة صبا صبا ، وذلك أدلكا ، تعذيباً لأنفسهم . وخلافاً لسنة نبيهم ﷺ ، وكان أبو الوفاء بن عقيل يقول ، أجلّ محصول عند العقلاء الوقت ، وأقل متعبد به الماء . وقد قال ﷺ ، صبو على بول الأعرابي ذنباً من ماء ، وقال في المنى أمطه عنك بأذخرة ، قال : وفي الحذاء طهوره بأن يدلك بالأرض ، وفي ذيل المرأة يطهره ما بعده ، وقال : يغسل بول الجارية وينضح بول الغلام . وكان يحمل بنت أبي العاص بن الربيع في الصلاة . ونهى الراعي عن إعلام السائل له عن الماء وما يرده . وقال ما أبقيت لنا طهور : وقال : يا صاحب الماء لا تخبره . وقد صالح رسول الله ﷺ الأعراب وركب الحمار معوريا . وما عرف من خلقه التعبد بكثرة الماء . وتوضأ من سقاية المسجد . ومعلوم حال الأعراب الذين يأتي أحدهم من البادية كأنه بهيمة ، أو ما سمعت أن أحدهم أقدم على البول في المسجد كل ذلك لتعليمنا وإعلامنا أن الماء على أصل الطهارة ، وتوضأ من غدير كأن ماءه نقاعة الحناء ، فأما قوله استنزهوا البول فان للتزهد حداً معلوماً وهو أن لا يغفل عن محل قد أصابه حتى يتبعه الماء ، فأما الاستئثار فانه اذا

علق نما وانقطع الوقت بما لا يقصى بمثله الشرع .
 قال المصنف : وكان أسود بن سالم وهو من كبار الصالحين يستعمل ماء
 كثيراً في وضوئه ثم ترك ذلك فسأله رجل عن سبب تركه ، فقال : نمت ليلة
 فاذا بها تف يهتف بي يا أسود ما هذا . يحيى بن سعيد الانصارى حدثني عن
 سعيد بن المسيب . قال : اذا جاوز الوضوء ثلاثاً لم يرفع إلى السماء . قال :
 قلت لا أعود لا أعود ، فأنا اليوم يكفيني كف من ماء .

﴿ ذكر تلبيسه عليهم في الأذان ﴾

ومن ذلك التلحين في الأذان وقد كرهه مالك بن أنس وغيره من العلماء
 كراهية شديدة لأنه يخرجهم عن موضع التعظيم إلى مشابهة الغناء : منه أنهم
 يخلطون أذان الفجر بالتذكير والتسبيح والمواظع ويجعلون الأذان وسطاً
 فيخلط . وقد كره العلماء كل ما يضاف إلى الأذان . وقد رأينا من يقوم
 بالليل كثيراً على المنارة فيعظ ويذكر . ومنهم من يقرأ سوراً من القرآن
 بصوت مرتفع فيمنع الناس من نومهم ويخلط على المهتجين قراءتهم وكل
 ذلك من المنكرات .

﴿ ذكر تلبيسه عليهم في الصلاة ﴾

من ذلك تلبيسه عليهم في الثياب التي يستتر بها فترى أحداً يغسل الثوب
 الطاهر مراراً وربما لمسه مسلم فيغسله . ومنهم من يغسل ثيابه في دجلة لا يرى
 غسلها في البيت يحزى ، ومنهم من يدلها في البئر كفعل اليهود وما كانت
 الصحابة تعمل هذا بل قد صلوا في ثياب فارس لما فتحوها واستعملوا أوطنتهم
 وأكسيتهم . ومن الموسوسين من يقطر عليه قطرة ماء فيغسل الثوب كله
 وربما تأخر لذلك عن صلاة الجماعة ، ومنهم من ترك الصلاة جماعة لأجل مطر
 يسير يخاف أن ينتضح عليه . ولا يظن ظان أتى أمتنع من النظافة والورع
 ولكن المبالغة الخارجة عن حد الشرع المضیعة للزمان هي التي نهى عنها .
 ومن ذلك تلبيسه عليهم في نية الصلاة فمنهم من يقول أصلي صلاة كذا ثم
 يعيد هذا ظناً منه أنه قد نقض النية والنية لا تنقض وان لم يرض اللفظ .

ومنه من يكبر ثم ينقض ثم يكبر ثم ينقض فاذا ركع الإمام كبر الموسوس وركع معه - فليس شعري ما الذي أحضر النية حينئذ وماذا إلا لأن إبليس أراد أن يفوته الفضيلة . وفي الموسوسين من يحلف بالله لا كبرت غير هذه المرة . وفيهم من يحلف بالله بالخروج من ماله أو بالطلاق وهذه كلها تلبيسات إبليس . والشريرة سمجة سهلة سليمة من هذه الآفات وما جرى لرسول الله ﷺ ولا لأصحابه شيء من هذا . وقد بلغنا عن أبي حازم أنه دخل المسجد فوسوس إليه إبليس أنك تصلي بغير وضوء فقال ما بلغ نصحك إلى هذا .

وكشف هذا التلبيس أن يقال الموسوس : إن كنت تريد إحضار النية فالنية حاضرة لأنك قمت لتؤدي الفريضة وهذه هي النية ومحلها القلب لا اللفظ إن كنت تريد تصحيح اللفظ فاللفظ لا يجب ثم قد قلته صحيحا فواجهه الإعادة أفتراك تظن وقد قلت إنك ما قلت هذا مرض .

قال المصنف : وقد حكى لي بعض الأسياف عن ابن عقيل حكاية عجيبة أن رجلا لقيه فقال . إني أغسل العضو وأقول ما غسلته . وأكبر وأقول ما كبرت فقال له ابن عقيل . دع الصلاة فإنها ما تجب عليك . فقال قوم لابن عقيل : كيف تقول هذا . فقال لهم قال النبي ﷺ : رفع القلم عن المجنون حتى يفيق . ومن يكبر ويقول ما كبرت فلايس بعاقل والمجنون لا تجب عليه الصلاة .

قال المصنف : واعلم أن الوسوسة في نية الصلاة سببها خبل في العقل وجهل بالشرع . ومعلوم أن من دخل عليه عالم فقام له وقال : نويت أن أتصعب قائما تعظيما لدخول هذا العالم لأجل عليه مقبلا عليه بوجهي : - سفه في عقله فإن هذا قد تصور في ذهنه منذ رأى العالم . فقيام الانسان إلى الصلاة ليؤدي الفرض أمر يتصور في النفس في حالة واحدة لا يطول زمانه وإنما يطول زمان نظم هذه الألفاظ والألفاظ لا تلزم والوسواس جهل محض . وإن الموسوس يكلف نفسه أن يحضر في قلبه الظهيرة والأدائية والفرضية في حالة واحدة مفصلة بألفاظها وهو يطالعها وذلك محال . ولو كلف

نفسه ذلك في القيام للعالم لتعذر عليه فمن عرف هذا عرف النية. ثم إنه يجوز تقديمها على التكبير بزمان يسير مالم يفسخها. فما وجه هذا التعب في الصاقها بالتكبير على أنه اذا حصلها ولم يفسخها فقد التصقت بالتكبير. وعن مسور قال: أخرج الى مع بن عبد الرحمن كتابا وحلف بالله أنه خط أبيه وإذا فيه قال عبد الله: والذي لاله غيره ما رأيت أحدا كان أشد على المنتطحين من رسول الله ﷺ ولا رأيت بعده أشد خوفا عليهم من أبي بكر. وإني لاظن عمر كان أشد أهل الأرض خوفا عليهم.

(فصل) ومن الموسوسين من إذا صحت له النية وكبر ذهل عن باقي صلاته كأن المقصود من الصلاة التكبير فقط. وهذا تليس يكشفه أن التكبير يراد للدخول في العبادة. فكيف تهمل العبادة وهي كالدار ويقتصر على التشاغل بحفظ الباب.

(فصل) ومن الموسوسين من تصح له التكبيرة خلف الامام وقديقي من الركعة يسير فيستفتح ويستعيد فيركع الامام. وهذا تليس أيضاً لأن الذي شرع فيه من التعوذ والاستفتاح مسنون والذي تركه من قراءة الفاتحة وهو لازم للآموم عند جماعة من العلماء فلا ينبغي أن يقدم عليه سنة.

قال المصنف: وقد كنت أصلي وراء شيخنا أبي بكر الدينوري الفقيه في زمان الصبا فرآني مرة أفعل هذا فقال: يا بني إن الفقهاء قد اختلفوا في وجوب قراءة الفاتحة خلف الامام ولم يختلفوا في أن الاستفتاح سنة فاشتغل بالواجب ودع السنن (فصل) وقد لبس إبليس على قوم فتركوا كثير آ من السنن لواقعات وقعت

لهم. فمنهم من كان يتخلف عن الصف الأول ويقول إنما أراد قرب القلوب ومنهم من لم ينزل يده أعلى يد في الصلاة وقال أكره أن أظهر من الخشوع ما ليس في قلبي. وقد روينا هذين الفعلين عن بعض أكابر الصالحين. وهذا أمر أوجب قلة العلم في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ. أنه قال: لو يعلم الناس ما لهم في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا. وفي أفراد مسلم من حديثه عن النبي ﷺ أنه قال. خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وأما وضع اليد على اليد فسمعه روى أبو داود في سننه أن ابن الزبير قال. وضع

اليدين على اليدين من السنة. وإن ابن مسعود كان يصلي فوضع يده اليسرى على اليمنى فقرأه النبي ﷺ فوضع يده اليمنى على اليسرى.

قال المصنف. ولا يكبرن عليك انكارنا على من قال. أراد قرب القلوب ولا أضع يد أعلى يد وان كان من الأكابر. فإن الشرع هو المنكر لأنحن. وقد قيل لأحمد بن حنبل رحمه الله عليه إن ابن المبارك يقول. كذا وكذا. فقال. إن ابن المبارك لم ينزل من السماء. وقيل له قال: إبراهيم بن أدهم. فقال. جثتموني ببنيات الطريق عليكم بالأصل. فلا ينبغي أن يترك الشرع لقول معظم في النفس فإن الشرع أعظم والخطأ في التأويل على الناس يجري. ومن الجائز أن تكون الأحاديث لم تبلغه (فصل) وقد لبس إبليس على بعض المصلين في مخارج الحروف فتراه يقول

الحمد الحمد. فيخرج بأعادة الكلمة عن قانون أدب الصلاة. وتارة يلبس عليه في تحقيق التشديد. وتارة في إخراج الضاد المغضوب. ولقد رأيت من يقول المغضوب فيخرج بصاقه مع إخراج الضاد لقوة تشديده وإنما المراد تحقيق الحرف فحسب: وإبليس يخرج هؤلاء بالزيادة عن حد التحقيق ويشغلهم بالمبالغة في الحروف عن فهم التلاوة وكل هذه الوسوس من إبليس. وعن سعيد بن عبد الرحمن بن أبي العمياء أن سهل بن أبي أمامة حدثه: أنه دخل هو وأبوه على أنس بن مالك رضي الله عنه وهو يصلي صلاة خفيفة كأنها صلاة مسافر فلها سلم قال يرحمك الله رأيت هذه الصلاة المكتوبة كصلاة رسول الله ﷺ أم شيء تنفله. قال: إنها صلاة رسول الله ﷺ ما أخطأت إلا شيئاً سهوت عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فتلک بقاياهم في الصوامع والديورات «رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم» وفي أفراد مسلم من حديث عثمان بن أبي العاص قال. قلت لرسول الله ﷺ إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقرأتك يلبسها علي. فقال رسول الله ﷺ. ذاك الشيطان يقال له خنزب فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه ثلاثاً أو اتفل عن يسارك. ففعلت ذلك فأذهب الله عني.

(فصل) وقد لبس إبليس على خلق كثير من جهلة المتعبدین فرأوا أن العبادة هي القيام والقعود فحسب. وهم يدأبون في ذلك ويخلون في بعض واجباتهم ولا يعلمون وقد تأملت جماعة يسلمون إذا سلم الإمام وقد بقي عليهم من التشهد

الواجب شيء وذلك لايحمله الامام عنهم . ولبس على آخرين منهم فهم يطيلون الصلاة ويكثرون القراءة ويتركون المسنون في الصلاة ويرتكبون المكروه فيها . وقد دخلت على بعض المتعبدين وهو يتنفل بالنهار ويجهر بالقراءة فقلت له إن الجهر بالقراءة بالنهار مكروه فقال لي أنا أطرّد النوم عنى بالجهر فقلت له إن السنن لا تترك لأجل سهرك ومتى غلبك النوم فتم فان للنفس عليك حقاً . وعن بريدة قال قال رسول الله ﷺ من جهر بالقراءة في النهار فارجموه بالبحر .

(فصل) وقد لبس إبليس على جماعة من المتعبدين فأكثرُوا من صلاة الليل وفيهم من يسهره كله ويفرح بقيام الليل وصلاة الضحى أكثر مما يفرح بأداء الفرائض ثم يقع قبيل الفجر فتفتوته الفريضة . أو يقوم فيتهيا لها فتفتوته الجماعة أو يصبح كسلان فلا يقدر على السكسب لعائلته . ولقد رأيت شيخاً من المتعبدين يقال له حسين القزويني يمشي كثيراً من النهار في جامع المنصور فسألت عن سبب مشيه فقيل لي لثلاثين يوماً . فقلت : هذا جهل بمقتضى الشرع والعقل . أما الشرع فان النبي ﷺ قال : ان لنفسك عليك حقاً فقم ونم . وكان يقول : عليكم هديا قصد أفانه من يشاهد هذا الذين يغلبه . وعن أنس بن مالك قال دخل رسول الله ﷺ المسجد وحبل ممدود بين سارين فقال ما هذا قالوا لزينب تصلي فاذا كسلت أو فترت أمسكت به . فقال : حلوه . ثم قال : ليصلي أحدكم نشاطه فاذا كسل أو فتر فليقعده . وعن عائشة قالت . قال رسول الله ﷺ إذا نعس أحدكم فليرقه حتى يذهب عنه النوم فانه اذا صلى وهو ينعس لعله يذهب ليستغفر فيذهب فيسب نفسه .

قال المصنف : هذا حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم وانفرد بالذي قبله البخاري . وأما العقل فان النوم يحدد القوى التي قد كلت بالسهر فتدفعه الانسان وقت الحاجة اليه أثر في بدنه وعقله فنعود بالله من الجهل (فان قال قائل) فقد رويت لنا أن جماعة من السلف كانوا يحيون الليل . فالجواب : أولئك تدرجوا حتى قدروا على ذلك وكانوا على ثقة من حفظ صلاة الفجر في الجماعة . وكانوا يستعينون بالقائلة مع قلة المطعم وصح لهم ذلك . ثم لم يبلغنا أن رسول الله ﷺ سهر ليلة لم ينم فيها فسنته هي المتبوعة .

(فصل) وقد لبس إبليس على جماعة من قوام الليل فتحدثوا بذلك

بالنهار . فربما قال أحدهم فلان المؤذن أذن بوقت ليعلم الناس أنه كان متبها . فأقل ما في هذا إن سلم من الرياء أن ينقل من ديوان السر إلى ديوان العلانية فيقل الثواب .

(فصل) وقد لبس على آخرين انفرادوا في المساجد للصلاة والتعبد فعرفوا بذلك واجتمع اليهم ناس فصلوا بصلاتهم وشاع بين الناس حالهم وذلك من دسائس إبليس وبه تقوى النفس على التعبد لعلها أن ذلك يشيع ويوجب المدح وعن زيد بن ثابت أن النبي ﷺ قال . إن أفضل صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة . قال المصنف . أخرجاه في الصحيحين وكان عامر بن عبد قيس يكره أن يروه يصلي وكان لا يتنفل في المسجد وكان يصلي كل يوم ألف ركعة . وكان ابن أبي ليلى إذا صلى ودخل عليه داخل اضطجع .

(فصل) وقد لبس على قوم من المتعبدين وكانوا ييكون والناس حوهم وهذا قد يقع عليه فلا يمكن دفعه فمن قدر على ستره فأظهره فقد تعرض للرياء . وعن عاصم قال كان أبو وائل إذا صلى في بيته نشج نشجوا ولو جعلت له الدنيا على أن يفعله وأحد يراه مافعله . وقد كان أيوب السخيتاني . اذا غلبه البكاء قام .

(فصل) وقد لبس على جماعة من المتعبدين فتراهم يصلون الليل والنهار ولا ينظرون في اصلاح عيب باطن ولا في مطعم : والنظر في ذلك أولى بهم من كثرة التنفل .

((ذكر تلبسه عليهم في قراءة القرآن))

وقد لبس على قوم بكثرة التلاوة فهم يهزون هزا من غير ترتيل ولا تثبت وهذه حالة ليست بمحمودة وقد روى عن جماعة من السلف أنهم كانوا يقرؤون القرآن في كل يوم أو في كل ركعة . وهذا يكون نادرا منهم ومن داوم عليه فإنه وان كان جائزا إلا أن الترتيل والتثبت أحب إلى العلماء وقد قال رسول الله ﷺ لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث .

قال المصنف . وقد لبس ابليس على قوم من القراء فهم يقرأون القرآن في منارة المسجد بالليل بالأصوات المجةمة المرتفعة الجزء والجزأين فيجمعون بين أذى الناس في منعهم من النوم وبين التعرض للرياء . ومنهم من يقرأ في مسجده وقت الأذان لأنه حين اجتماع الناس في المسجد .

قال المصنف . ومن أعجب ما رأيت فيهم أن رجلاً كان يصلي بالناس صلاة الصبح يوم الجمعة ثم يلتفت فيقرأ المعوذتين ويدعو دعاء الختمة ليعلم الناس أني قد ختمت الختمة . وما هذه طريقة السلف فإن السلف كانوا يسترون عبادتهم وكان عمل الربيع بن خثيم كله سرّاً فربما دخل عليه الداخل وقد نشر المصحف فيغطيه بثوبه . وكان أحمد بن حنبل يقرأ القرآن كثيراً ولا يدرى متى يختم .

قال المصنف قد سبق ذكر جملة من تلبس ابليس على القراء والله أعلم بالصواب وهو الموفق .

﴿ ذكر تليسه عليهم في الصوم ﴾

قال المصنف . وقد لبس على أقوام ففسن لهم الصوم الدائم . وذلك جائز إذا أفطر الإنسان الأيام المحرم صومها إلا أن الآفة فيه من وجهين أحدهما أنه ربما عاد بضعف القوى فأعجز الإنسان عن الكسب لعائلته ومنعه من إعفاف زوجته وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال ، ان لزوجك عليك حقاً ، فكم من فرض يضيع بهذا النفل . والثاني أنه يفوت الفضيلة فانه قد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال ، أفضل الصلاة صلاة داود عليه الصلاة والسلام كان يصوم يوماً . وبالإسناد عن عبد الله بن عمرو قال لقيني رسول الله ﷺ ، فقال ، ألم أحدث عنك أنك تقوم الليل ، وأنت الذي تقول لأقومن الليل ولاصومن النهار ، قال أحسبه قال ، نعم يا رسول الله قد قلت ذلك . فقال فقم ونم وصم وافطر . وصم من كل شهر ثلاثة أيام ، ولك مثل صيام الدهر ، قال قلت يا رسول الله إني أطيع أكثر من ذلك قال . فصم يوماً وافطر يومين ، قلت إني أطيع أفضل من ذلك . قال . فصم يوماً وافطر يوماً

وهو أعدل الصوم وهو صيام داود عليه السلام . قلت انى أطيق أفضل من ذلك ، فقال رسول الله ﷺ ، لا أفضل من ذلك ، أخرجاه في الصحيحين . فان قال قائل ، فقد بلغنا عن جماعة من السلف أنهم كانوا يسردون الصوم فالجواب ، أنهم كانوا يقدرّون على الجمع بين ذلك وبين القيام بحقوق العائلة ولعل أكثرهم لم تكن له عائلة ولا حاجة إلى الكسب ، ثم ان فيهم من فعل هذا في آخر عمره على أن قول رسول الله ﷺ ، لا أفضل من ذلك قطع هذا الحديث ، وقد داوم جماعة من القدماء على الصوم مع خشونة المطعم وقلته ومنهم من ذهب عينه ، ومنهم من نشف دماغه ، وهذا تفريط في حق النفس الواجب وحمل عليها ما لا تطيق فلا يجوز .

﴿ فصل ﴾ وقد يشيع عن المتعبد أنه يصوم الدهر فيعلم بشياع ذلك فلا يفطر أصلاً وإن أفطر أخفى إفطاره لئلا ينكسر جاهه وهذا من خفي الرياء ، ولو أراد الإخلاص وستر الحال لأفطر بين يدي من قد علم أنه يصوم ثم عاد إلى الصوم ولم يعلم به ، ومنهم من يخبر بما قد صام فيقول اليوم منذ عشرين سنة ما أفطرت ، ويلبس عليه بأنك إنما تخبر ليقتدى بك وإله أعلم بالمقاصد ، قال سفيان الثوري رضى الله عنه ، إن العبد ليعمل العمل في السر فلا يزال به الشيطان حتى يتحدث به فينتقل من ديوان السر إلى ديوان العلانية وفيهم من عادته صوم الإثنين والخميس فإذا دعى إلى طعام ، قال ، اليوم الخميس ، ولو قال أنا صائم كانت محنة وإنما قوله اليوم الخميس معناه أنى أصوم كل خميس ، وفي هؤلاء من يرى الناس بعين الاحتقار لكونه صائماً وهم مفطرون ، ومنهم من يلزم الصوم ولا يبالي على ماذا أفطر ، ولا يتحاشى في صومه عن غيبة ولا عن نظرة ولا عن فضول كلمة وقد خيل له إبليس أن صومك يدفع إثمك وكل هذا من التليسه .

﴿ ذكر تليسه عليهم في الحج ﴾

قال المصنف . قد يسقط الإنسان الفرض بالحج مرة ثم يعود لا عن رضاء الوالدين وهذا خطأ . وربما خرج وعليه ديون أو مظالم وربما خرج

للزهوة وربما حج بال فيه شبهة . ومنهم من يحب أن يتلقى ويقال الحجاج وجمهورهم يضيع في الطريق فرائض من الطهارة والصلاة ويجمعون حول الكعبة يعلوب دنسة وبواطن غير نقية . وإبليس يريهم صورة الحج فيخرجهم وإنما المراد من الحج القرب بالتقوى لا بالأبدان . وإنما يكون ذلك مع القيام بالتقوى وكم من قاصد إلى مكة همته عدد حجاته فيقول لي عشرون وقفة ، وكم من مجاور قد طال مكثه ولم يشرع في تنقية باطنه وربما كانت همته متعلقة بفتوح يصل إليه من كان وربما قال أن لي اليوم عشرين سنة مجاوراً . وكم قد رأيت في طريق مكة من قاصد إلى الحج يضرب رفقاءه على الماء ويضايقهم في الطريق .

وقد لبس إبليس على جماعة من القاصدين إلى مكة فهم يضيعون الصلوات ويطففون إذا باعوا ويظنون أن الحج يدفع عنهم . وقد لبس إبليس على قوم منهم فابتدعوا في المناسك ما ليس منها فرأيت جماعة يتصنعون في إحرامهم فيكشفون عن كتف واحدة ويقفون في الشمس أياماً فتكشط جلودهم وتنتفخ رؤوسهم ويتزينون بين الناس بذلك . وفي أفراد البخاري من حديث بن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ رأى رجلاً يطوف بالكعبة بزمام فقطعه . وفي لفظ آخر . رأى رجلاً يقود إنساناً بخزامة في أنفه فقطعها بيده ثم أمره أن يقوده بيده .

قال المصنف : وهذا الحديث يتضمن النهي عن الابتداع في الدين وإن قصدت بذلك الطاعة .

﴿ فصل ﴾ وقد لبس على قوم يدعون التوكل فخرجوا بلا زاد وظنوا أن هذا هو التوكل وهم على غاية الخطأ . قال رجل للامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه أريد أن أخرج إلى مكة على التوكل من غير زاد . فقال له أحمد فاخرج في غير القافلة . قال : لا إلا معهم : قال فعلى جراب الناس توكلت؟ فنسأل الله أن يوفقنا .

قال المصنف : قد لبس إبليس على خلق كثير فخرجوا إلى الجهاد ونيتهم المباهاة . والرياء ليقال فلان غاز وربما كان المقصود أن يقال شجاع أو كان طلب الغنيمة وإنما الأعمال بالنيات . وعن أبي موسى قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله أرأيت الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء فأى ذلك في سبيل الله . فقال رسول الله ﷺ من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله . أخرجاه في الصحيحين . وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال إياكم أن تقولوا مات فلان شهيداً أو قتل فلان شهيداً فإن الرجل ليقاتل لينغم ويقاتل لينذر ويقاتل ليرى مكانه . وبالإسناد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال . أول الناس يقضى فيه يوم القيامة ثلاثة رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال ما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى قتلت قال كذبت ولكنك قاتلت ليقال هو جرىء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار . ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها . فقال : ما عملت فيها قال تعلمت فيك العلم وعلمته وقرأت القرآن فقال كذبت ولكنك تعلمت ليقال هو عالم فقد قيل وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار . ورجل وسع الله عليه فأعطاه من أصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال ما عملت فيها فقال ما تركت من سبيل أنت تحبه أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك . قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار . انفرد بإخراجه مسلم . وبإسناد مرفوع عن أبي حاتم الرازي قال سمعت عبدة بن سليمان يقول . كنا في سرية مع عبد الله بن المبارك في بلاد الروم فصادفنا العدو فلما التقي الصفان خرج رجل من العدو فدعا إلى البراز فخرج إليه رجل فطارده ساعة فطعنه فقتله ثم آخر فقتله ثم آخر فقتله ثم دعا إلى البراز فخرج إليه رجل فطارده ساعة فطعنه الرجل فقتله . فازدحم الناس عليه فكنت فيمن ازدحم عليه فاذا

هو بلثم وجهه بكفه فأخذت بطرف كفه فمدته فاذا هو عبدالله بن المبارك فقال . وأنت يا أبا عمرو ممن يشنع علينا قلت فانظروا رحمكم الله إلى هذا السيد المخلص . كيف جاف على إخلاصه برؤية الناس له ومدحهم إياه فستر نفسه . وقد كان إبراهيم بن أدهم : يقاتل فاذا غنموا لم يأخذ شيئاً من الغنيمة ليوفر له الأجر .

﴿ فصل ﴾ وقد لبس إبليس على المجاهد اذا غنم . فربما أخذ من الغنيمة ما ليس له أخذه فأما أن يكون قليل العلم فيرى أن أموال الكفار مباحة لمن أخذها ولا يدرى أن الغلول من الغنائم معصية . وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة . قال خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خير ففتح الله علينا . فلم نغنم ذهباً ولا ورقاً غنمنا المتاع والطعام والثياب . ثم انطلقنا إلى الوادي ومع رسول الله ﷺ عنده له فلها نزلنا قام عبد رسول الله ﷺ يحل رحله فرمى بسهم فكان فيه حتفه . فلما قلنا له هنيئاً له الشهادة يا رسول الله فقال كلا والذي نفس محمد بيده أن الشملة لتلتهب عليه ناراً أخذنا من الغنائم يوم خيبر لم تصبها المقاسم قال ففرع الناس . فجاء رجل بشراك أو شراكين فقال : أصبته يوم خيبر فقال رسول الله ﷺ شراك من نار أو شراك من نار .

﴿ فصل ﴾ وقد يكون الغازي عالماً بالتحريم إلا أنه يرى الشيء الكثير فلا يصبر عنه . وربما ظن أن جهاده يدفع عنه ما فعل . وها هنا يتبين أثر الإيمان والعلم . روينا باسناد عن هبيرة بن الأشعث ، عن أبي عبيدة العنبري . قال : لما هبط المسلمون المداين وجمعوا الأقباض . أقبل رجل بحق معه فدفعه إلى صاحب الأقباض فقال الذين معه . ما رأينا مثل هذا قط . ما يعده ما عندنا ولا ما يقاربه فقال له هل أخذت منه شيئاً فقال : أما والله . لولا الله ما أتيتكم به ، فعرفوا أن لكل رجل شأنًا فقالوا . من أنت . فقال والله لا أخبركم لتحمدوني ولا أغريكم لتقرظوني ، ولكني أحمد الله وأرضى بشوابه ، فاتبعوه رجلاً حتى انتهى إلى أصحابه ، فسأل عنه فاذا هو عامر بن عبد قيس .

﴿ ذكر تلبسه على الأمرين بالمعروف والناهي عن المنكر ﴾

وهم قسمان عالم وجاهل ، فدخل إبليس على العالم من طريقين

الطريق الأول ، التزين بذلك وطلب الذكر والعجب بذلك الفعل ، روينا بإسناد عن أحمد بن أبي الخوارى ، قال سمعت أبا سلمان يقول ، سمعت أبا جعفر المنصور يبكي في خطبته يوم الجمعة فاستقبلني الغضب وحضرتي نية أن أقوم فأعظه بما أعرف من فعله اذا نزل ، قال ، فكرهت أن أقوم إلى خليفة فأعظه والناس جلوس يرمقوني بأبصارهم فيعرض لى تزين فيأمرني فأقتل على غير صحيح فجلست وسكت .

والطريق الثاني . الغضب للنفس : وربما كان ابتداء . وربما عرض في حالة الأمر بالمعروف لأجل ما يلقى به المنكر من الالهانة فتصير خصومة لنفسه كما قال عمر بن عبد العزيز لرجل ، لولا أنى غضبان لعاقبتك ، وإنما أراد أنك أغضبتني خفت أن تمتزج العقوبة من غضب الله ولى .

﴿ فصل ﴾ فأما اذا كان الأمر بالمعروف جاهلا فان الشيطان يتلاعب به وإنما كان إفساده في أمره أكثر من إصلاحه . لأنه ربما نهى عن شيء جائز بالاجماع وربما أنكر ما تأول فيه صاحبه وتبع فيه بعض المذاهب . وربما كثر الباب وتسور الحيطان وضرب أهل المنكر وقذفهم فان أجابوه بكلمة تصعب عليه صار غضبه لنفسه : وربما كشف ما قد أمر الشرع بستره وقد سئل أحمد بن حنبل عن القوم يكون معهم المنكر مغطى مثل طنبور ومسكر قال . اذا كان مغطى فلا تكسره . وقال في رواية أخرى . إكسره . وهذا محمول على أنه يكون مغطى بشيء خفيف يصفه فيتبين والأولى على أنه لا يتبين . وسئل عن الرجل يسمع صوت الطبل والمزمار ولا يعرف مكانه فقال . ولا عليك ما غاب عنك فلا تفتش . وربما رفع هذا المنكر أهل المنكر إلى من يظلمهم وقد قال أحمد بن حنبل : إن علمت أن الساطان يقيم الحدود فأرفع اليه .

﴿فصل﴾ ومن تلبس إبليس على المنكر أنه إذا أنكر جلس في جمع يصف ما فعل ويتباهى به ويسب أصحاب المنكر سب الحق عليهم ويلعنهم ولعل القوم قد تابوا وربما كانوا خيراً منه لندمهم وكبره ويندرج في ضمن حديثه كشف عورات المسلمين لأنه يعلم من لا يعلم والستر على المسلم واجب مهما أمكن . وسمعت عن بعض الجهلة بالإنكار أنه يهجم على قوم ما يتيقن ما عندهم ويضربهم بالضرب المبرح ويكسر الأواني وكل هذا يوجهه الجهل . فأما العالم إذا أنكر فأنت منه على أمان . وقد كان السلف يتلطفون في الإنكار ورأى صلة بن أشيم رجلاً يكلم امرأة . فقال : إن الله يراك . سترنا الله وإياك . وكان يمر بقوم يلعبون . فيقول : يا إخواني ما تقولون فيمن أراد سفرأ فنام طول الليل ولعب طول النهار متى يقطع سفره . فانتبه رجل منهم فقال : يا قوم إنما يعلنا هذا فتاب وصحبه .

﴿فصل﴾ وأولى الناس بالتلطف في الإنكار على الأمراء فيصلح أن يقال لهم : إن الله قد رفعكم فاعرفوا قدر نعمته . فإن النعم تدوم بالشكر فلا يحسن أن تقابل بالمعاصي .

﴿فصل﴾ وقد لبس إبليس على بعض المتعبدین فيرى منكراً فلا ينكره ويقول إنما يأمر وينهى من قد صلح وأنا ليس بصالح فكيف أمر غيري . وهذا غلط لأنه يجب عليه أن يأمر وينهى ولو كانت تلك المعصية فيه . إلا أنه متى أنكر متزهاً عن المنكر أثر إنكاره وإذا لم يكن متزهاً لم يكدهم عمل إنكاره فينبغي للمنكر أن ينزه نفسه ليؤثر إنكاره . قال ابن عقيل رأينا في زماننا أبا بكر الاقفالي في أيام القائم إذا نهض لإنكار منكر استتبع معه مشايخ لا يأكلون إلا من صنعة أيديهم كأبي بكر الخباز شيخ صالح أضر من إطلاعه في التنوير وتبعه : وجماعة ما فيهم من يأخذ صدقة ولا يندس بقبول عطاء صوام النهار قوام الليل أرباب بكاء فإذا تبعه مخطئ رده وقال متى لقينا الجيش بمخطئ انهزم الجيش .

﴿الباب التاسع﴾

في ذكر تلبيس إبليس على الزهاد والعباد

قد يسمع العاى ذم الدنيا فى القرآن المجيد والأحادىث فىرى أن النجاة تركها ولا يدرى ما الدنيا المذمومة فىلبس عليه إبليس : بأنك لا تنجو فى الآخرة إلا بترك الدنيا فىخرج على وجهه إلى الجبال فىبعد عن الجمعة والجماعة والعلم وىصير كالوحش وىخىل إليه أن هذا هو الزهد الحقيقى . كيف لا وقد سمع عن فلان أنه هام على وجهه وعن فلان أنه تعب فى جبل وربما كانت له عائلة فضاعت أو والدة فبكت لفراقه وربما لم يعرف أركان الصلاة كما ينبغى وربما كانت عليه مظالم لم يخرج منها : وإنما ىتمكن إبليس من التلبس على هذا لقلة عليه ومن جهله رضاه عن نفسه بما يعلم ولو أنه وفق لصحبة فقيه يفهم الحقائق لعرفه أن الدنيا لا تدم لذاتها وكيف يذم ما من الله تعالى به وما هو ضرورة فى بقاء الآدى وسبب فى إعانتة على تحصيل العلم والعبادة من مطعم ومشرب وملبس ومسجد ىصلى فيه وإنما المذموم أخذ الشئ من غير حله أو تناوله على وجه السرف لا على مقدار الحاجة : وىصرف النفس فيه بمقتضى رعواتها لا بإذن الشرع : وأن الخروج إلى الجبال المنفردة منهى عنه فإن النبى ﷺ نهى أن ىبيت الرجل وحده وأن التعرض لترك الجماعة والجمعة خسرا لا ربح والبعد عن العلم والعلماء يقوى سلطان الجهل : وفراق الوالد والوالدة فى مثل هذا عقوق والعقوق من الكبائر ، وأما من سمع عنه أنه خرج إلى جبل فأحوالهم تحتمل أنهم لم يكن لهم عيال ولا والد ولا والدة فخرجوا إلى مكان ىتعبدون فيه مجتمعين : ومن لم يحتمل حالهم وجها صحیحاً فهم على الخطأ من كانوا . وقد قال بعض السلف : خرجنا إلى جبل نتعبد فجاءنا سفیان الثورى فردنا .

﴿فصل﴾ ومن تلبسه على الزهاد : إعراضهم عن العلم شغلا بالزهد فقد استبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير وبيان ذلك : أن الزاهد لا ىتعدى نفعه عتبة بابيه والعالم نفعه متعدد . وكما قد رد إلى الصواب من متعبد .

(فصل) ومن تلبسه عليهم : أنه يوهمهم أن الزهد ترك المباحات فمنهم من لا يزيد على خبز الشعير . ومنهم من لا يذوق الفاكهة . ومنهم من يقال المطعم حتى يبس بدنه ويعذب نفسه بلبس الصوف ويمنعها الماء البارد وما هذه طريقة الرسول ﷺ ولا طريق أصحابه وأتباعهم . وإنما كانوا يجوعون إذا لم يجدوا شيئاً فاذا وجدوا أكلوا . وقد كان رسول الله ﷺ يأكل اللحم ويحبه ويأكل الدجاج ويحب الحلوى ويستعذب له الماء البارد ويختار الماء البائت فان الماء الجاري يؤذى المعدة ولا يروى . وقد كان رجل يقول : أنا لا أكل الخبيص لأنى لا أقوم بشكره . فقال الحسن البصرى : هذا رجل أحمق وهل يقوم بشكر الماء البارد . وقد كان سفيان الثوري إذا سافر حمل في سفرته اللحم المشوى والغالوج . وينبغي للإنسان أن يعلم أن نفسه مطيته ولا بد من الرفق بها ليصل بها إلى المقصود فلأخذ ما يصلحها وليترك ما يؤذيها من الشبع والإفراط في تناول الشهوات فان ذلك يؤذى البدن والدين .

ثم إن الناس يختلفون في طباعهم فان الأعراب إذا لبسوا الصوف واقتصروا على شرب اللبن لم نلهم لأن مطايا أبدانهم تحمل ذلك . وأهل السواد إذا لبسوا الصوف وأكلوا الكواخ لم نلهم أيضاً ولا نقول في هؤلاء من قد حمل على نفسه لأن هذه عادة القوم . فأما إذا كان البدن مترفاً قد نشأ على التمتع فإنما نهى صاحبه أن يحمل عليه ما يؤذيه . فان تزهد وآثر ترك الشهوات إما لأن الحلال لا يحتمل السرف أو لأن الطعام اللذيذ يوجب كثرة التناول فيكثر النوم والكسل فهذا يحتاج أن يعلم ما يضر تركه وما لا يضر فيأخذ قدر القوام من غير أن يؤذى النفس . وقد ظن قوم أن الخبز القفار يكفي في قوام البدن ولو كفى إلا أن الاقتصار يؤدي من جهة ان أخلاط البدن تفتقر إلى الحامض والحلو والحر والبارد والممسك والمسهل . وقد جعل في الطبع ميل إلى الملايم فتارة يميل إلى الحامض وتارة يميل إلى الحلو ولذلك أسباب مثل أن يقل عندها البلغم الذي لا بد في قوامها منه فتشتاق إلى اللبن ويكثر عندها الصفراء فتميل إلى الحموضة فن كفه عن التصرف

على مقتضى ما قد وضع في طبعها مما يصلحها فقد آذاها إلا أن يكفها عن الشبع والشره وما يخاف عاقبته فان ذلك يفسدها . فأما الكف المطلق فخطأ فافهم هذا ولا يلتفت إلى قول الحارث المحاسبى وأبى طالب المكي فيما ذكرنا من تقليل المطعم ومجاهدة النفس بترك مباحاتها فان اتباع الشارع وصحابته أولى . وكان ابن عقيل يقول : ما أعجب أموركم في المتدين إما أهواء متبعة أو رهبانية مبتدعة ، بين تحرير أذيال المرح في الصبا واللعب . وبين إهمال الحقوق وإطراح العيال واللاحق بزوايا المساجد فها عبدوا على عقل وشرع . (فصل) ومن تلبسه عليهم أنه يوههم أن الزهد هو القناعة بالدون من المطعم والملبس فحسب . فهم يقنعون بذلك وقلوبهم راغبة في الرياسة وطلب الجاه فتراهم يترصدون لزيارة الأمراء إياهم ويكرمون الأغنياء دون الفقراء ويتخاشعون عند لقاء الناس كأنهم قد خرجوا من مشاهدة ، وربما رد أحدهم المال لثلاث يقال قد بدا له من الزهد وهم من تردد الناس إليهم وتقييل أيديهم في أوسع باب من ولايات الدنيا لأن غاية الدنيا الرياسة .

(فصل) وأكثر ما يلبس به إبليس على العباد والزهاد خفي الرياء . فأما الظاهر من الرياء فلا يدخل في التلبس مثل إظهار النحول وصفار الوجه وشعث الشعر ليستدل به على الزهد . وكذلك خفض الصوت لآظهار الخشوع وكذلك الرياء بالصلاة والصدقة ومثل هذه الظواهر لا تخفى . وإنما نشير إلى خفي الرياء . وقد قال النبي ﷺ (إنما الأعمال بالنيات) ومتى لم يرد بالعمل وجه الله عز وجل لم يقبل . قال مالك بن دينار : قولوا لمن لم يكن صادقا لا تتعب .

واعلم أن المؤمن لا يريد بعمله إلا الله سبحانه وتعالى ، وإنما يدخل عليه خفي الرياء فيلبس الأمر فتجانه منه صعوبة . وفي الحديث مرفوعا عن يسار قال لى يوسف ابن أسباط : تعلموا صحة العمل من سقمه فاني تعلمته في اثنتين وعشرين سنة . وفي الحديث مرفوعا عن ابراهيم الحنظلي قال سمعت بقية بن الوليد يقول سمعت ابراهيم بن أدهم يقول : تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان ، دخلت عليه في صومعته فقلت له يا سمعان : منذ كم أنت في

صومعتك هذه . قال : منذ سبعين سنة . قلت : ما طعامك . قال : يا حنيفي وما دعاك إلى هذا قلت أحببت أن أعلم . قال : في كل ليلة حمصة . قلت : فما الذي يهيج من قلبك حتى تكفيك هذه الحمصة . قال : ترى الدين بمحذاتك قلت نعم . قال : إنهم يأتونني في كل سنة يوماً واحداً فيزينون صومعتي ويطوفون حولها يعظمونني بذلك وكلما تشاقلت نفسي عن العبادة ذكرتُها تلك الساعة . فأنا احتمل جهد سنة لعز ساعة ، فاحتمل يا حنيفي جهد ساعة لعز الأبد ، فوقر في قلبي المعرفة . فقال أزيدك . قلت : نعم . قال انزل عن الصومعة فنزلت فأدلى إلى ركوة فيها عشرون حمصة فقال لي أدخل الدير فقد رأوا ما أدليت إليك فلما دخلت الدير اجتمعت النصارى فقالوا يا حنيفي ما الذي أدلى إليك الشيخ . قلت : من قوته قالوا وما تصنع به نحن أحق ساوم قلت عشرين ديناراً فأعطوني عشرين ديناراً فرجعت إلى الشيخ فقال أخطأت لو ساومتهم عشرين ألفاً لأعطوك ، هذا عز من لا يعبد فأنظر كيف تكون بعز من تعبد يا حنيفي ، أقبل على ربك .

قلت : ولخوف الرياء ستر الصالحون أعمالهم حذراً عليها وبهجوها بضدها ، فكان ابن سيرين يضحك بالنهار ويبكي بالليل ، وكان في ذيل أيوب السختاني بعض الطول ، وكان ابن أدهم إذا مرض يرى عنده ما يأكله الأصحاء وبالإسناد عن عبد الله بن المبارك عن بكار بن عبد الله أنه سمع وهب ابن منبه يقول : كان رجل من أفضل أهل زمانه وكان يزار فيعظهم فاجتمعوا إليه ذات يوم فقال : إنا قد خرجنا من الدنيا وفارقنا الأهل والأموال مخافة الطغيان وقد خفت أن يكون قد دخل علينا في هذه حالة من الطغيان أكثر مما يدخل على أهل الأموال في أموالهم ، أرانا يجب أحداً أن تقضى له حاجته ، وإن أشتري بيعاً أن يقارب لمكان دينه ، وإن لقي حي ووقر لمكان دينه فشاع ذلك الكلام حتى بلغ الملك فعجب به فركب إليه ليسلم عليه وينظر إليه فلما رآه الرجل قيل له : هذا الملك قد أتاك ليسلم عليك . فقال وما يصنع قال للكلام الذي وعظت به . فسأل غلامه هل عندك طعام فقال شيء من ثمر الشجر مما كنت تفتط به فأمر به فأتى على مسح فوضع بين يديه ، فأخذ

يأكل منه وكان يصوم النهار ولا يفطر ، فوقف عليه الملك فسلم عليه فأجابه
باجابة خفية وأقبل على طعامه يأكله . فقال الملك : أين الرجل فقيل له : هو
هذا . قال هذا الذى يأكل قالوا نعم ، قال فما عند هذا من خير فأدبر . فقال
الرجل : الحمد لله الذى صرفك عنى بما صرفك به . وفى رواية أخرى عن
وهب ، أنه لما أقبل الملك قدم الرجل طعامه فجعل يجمع البقول فى اللقمة
الكبيرة ويغمسها فى الزيت فيأكل أكلا عنيفاً . فقال له الملك : كيف أنت
يا فلان فقال كالناس . فرد الملك عنان دابته وقال ما فى هذا من خير فقال :
الحمد لله الذى أذهب عني وهو لائم لى . وباسناد عن عطاء قال : أراد
أبو الوليد بن عبد الملك أن يولى يزيد بن مرتد فبلغ ذلك يزيد فلبس فروة
فجعل الجلد على ظهره والصوف خارجا وأخذ بيده رغيفا وعرقا وخرج بلا
رداء ولا قلنسوة ولا نعل ولا خف فجعل يمشى فى الأسواق ويأكل .
فقيل للوليد : إن يزيد قد اختلط وأخبر بما فعل فتركه ومثل هذا كثير .

(فصل) ومن الزهاد من يستعمل الزهد ظاهراً وباطناً ، لكنه قد علم
أنه لا بد أن يتحدث بتركة للدنيا أصحابه أو زوجته . فيهن عليه الصبر كما هان
على الراهب الذى ذكرنا قصته مع ابراهيم بن أدهم . ولو أنه أراد الاخلاص
فى زهده لأكل مع أهله قدر ما ينمحي به جاه النفس ويقطع الحديث عنه
فقد كان داود بن أبي هند ، صام عشرين سنة ولم يعلم به أهله . كان يأخذ
غذاه ويخرج إلى السوق فيتصدق به فى الطريق ، فأهل السوق يظنون أنه
قد أكل فى البيت ، وأهل البيت يظنون أنه قد أكل فى السوق هكذا كان الناس .

(فصل) ومن المتزهدين : من قوته الانقطاع فى مسجد أو رباط أو جبل
فلذته علم الناس بانفراده وربما احتج لانقطاعه بأنى أخاف أن أرى فى خروجي
المنكرات . وله فى ذلك مقاصد : منها الكبر واحتقار الناس ، ومنها أنه
يخاف أن يقصروا فى خدمته ، ومنها حفظ ناموسه ورياسته فان مخالطة الناس
تذهب ذلك وهو يريد أن يبقى إطرأؤه وذكره . وربما كان مقصوده ستر
عيوبه ومقابحه وجهله بالعلم فيرى هذا . ويحب أن يزار ولا يزور ويفرح
بمجيء الأمراء إليه واجتماع العوام على بابه وتقيلهم يده . فهو يترك عيادة

المرضى وشهود الجنائز وبقول أصحابه : أعذروا الشيخ فهذه عادته - لا كانت عادة تخالف الشريعة ، ولو احتاج هذا الشخص إلى القوت ولم يكن عنده من يشتريه له صبر على الجوع لئلا يخرج لشراء ذلك بنفسه فيضيع جاهه لمشييه بين العوام . ولو أنه خرج فاشترى حاجته لانقطعت عنه الشهرة ولكن في باطنه حفظ الناموس . وقد كان رسول الله ﷺ يخرج إلى السوق ويشترى حاجته ويحملها بنفسه . وكان أبو بكر رضى الله عنه يحمل الثياب على كتفه فيبيع ويشترى . والحديث باسناد عن محمد بن القاسم . قال : روى عن عبد الله بن حنظلة قال : مر عبد الله بن سلام وعلى رأسه حزمة حطب فقال له ناس : ما يحملك على هذا وقد أغناك الله . قال : أردت أن أدفع به الكبير وذلك إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا يدخل الجنة عبد في قلبه مثقال ذرة من الكبر .

﴿فصل﴾ قال المصنف . وهذا الذى ذكرته من الخروج لشراء الحاجة ونحوها من التبذل كان عادة السلف القدماء وقد تغيرت تلك العادة كما تغيرت الأحوال والملابس . فلا أرى للعالم أن يخرج اليوم لشراء حاجته لأن ذلك يكشف نور العلم عند الجهلة وتعظيمه عندهم مشروع . ومراعاة قلوبهم في مثل هذا يخرج إلى الرياء واستعمال ما يوجب الهيبة في القلوب لا يمنع منه . وليس كل ما كان في السلف مما لا يتغير به قلوب الناس يومئذ ينبغي أن يفعل اليوم قال الأوزاعي : كننا نضحك ونمزح فاذا صرنا يقتدى بنا فلا أرى ذلك يسعنا وقد روينا عن إبراهيم بن أدهم . أن أصحابه كانوا يوماً يمتازحون فصدق رجل الباب فأمرهم بالسكوت والسكون . فقالوا له . تعلمنا الرياء فقال . انى أكره أن يعصى الله فيكم .

قال المصنف . وإنما خاف قول الجهلة ، انظروا إلى هؤلاء الزهاد كيف يفعلون وذلك أن العوام لا يحتملون مثل هذا للمتعبدين .

﴿فصل﴾ ومن هؤلاء قوم لو سئل أحدهم أن يلبس اللين من ثوبه ما فعل لئلا يتوكس جاهه في الزهد ولو خرج روحه لا يأكل والناس يرونه ويحفظ نفسه في التبسم فضلاً عن الضحك . ويوهمه ابليس أن هذا لإصلاح

الخلق وإنما هو رياء يحفظ به قانون الناموس فتراه مطاطية الرأس عليه آثار الحزن فإذا خلا رأيته ليث شرى .

﴿فصل﴾ وقد كان السلف يدفعون عنهم كل ما يوجب الإشارة إليهم ويهربون من المكان الذى يشار إليهم فيه والحديث باسناد عن عبد الله بن خفيف . قال قال يوسف بن اسباط . خرجت من سبج رابلا حتى أتيت المصيبة وجراي على عنقي . فقام ذا من حانوته يسلم على وذا يسلم . فطرح جرابي ودخلت المسجد أصلى ركعتين فأحد قوابي واضطلع رجل فى وجهي فقلت فى نفسى كم بقاء قلبى على هذا . فأخذت جرابي ورجعت بعرفى وعنائى إلى سبج فما رجعت إلى قلبى سنتين .

﴿فصل﴾ ومن الزهاد من يلبس الثوب المحرق ولا يخطه ويترك إصلاح عمامته وتسريح لحيته ليرى أنه ما عنده من الدنيا خير . وهذا من أبواب الرياء فان كان صادقا فى إعراضه عن أغراضه كما قيل لداود الطائى : ألا نسرح لحيتك فقال : إني عنها لمشغول فليعلم أنه سلك غير الجادة ، إذ ليست هذه طريقة الرسول ﷺ ولا أصحابه فانه كان يسرح شعره وينظر فى المرأة ويدهن ويتطيب وهو أشغل الخلق بالآخرة . وكان أبو بكر وعمر رضى الله عنهما يخفضان بالحناء والكمم وهما أخوف الصحابة وأزهدهم . فمن أدعى رتبة تزيد على السنة وأفعال الأكابر لم يلتفت إليه .

﴿فصل﴾ ومن الزهاد من يلزم الصمت الدائم وينفرد عن مخالطة أهله فيؤذيهم بقبح أخلاقه وزيادة انقباضه وينسى قول النبى ﷺ إن لأهلك عليك حقاً . وقد كان رسول الله ﷺ يمزح فيلاعب الأطفال ويحدث أزواجه وسابق عائشة إلى غير ذلك من الأخلاق اللطيفة فهذا المتزهد الجاعل زوجته كالإيم وولده كاليتيم لانفراده عنهم وقبح أخلاقه لأنه يرى أن ذلك يشغله عن الآخرة ولا يدري لقلة علمه أن الانبساط إلى الأهل من العون على الآخرة ، وفى الصحيحين أن النبى ﷺ قال لجابر : هلا تزوجت بكرا تلاعبها وتلاعبك ، وربما غلب على هذا المتزهد التجفف فترك مباضعة الزوجة فيضيع فرضاً بنافلة غير ممدوحة .

﴿فصل﴾ ومن الزهاد من يرى عمله فيعجبه فلو قيل له . أنت من أوتاد الأرض رأى ذلك حقاً . ومنهم من يترصد لظهور كرامته ويخيل إليه أنه بـ قرب من الماء قدر أن يمشى عليه ، فإذا عرض له أمر فدعا فلم يجب تدمر في باطنه فكأنه أجبر يطلب أجر عمله . ولو رزق الفهم لعلم أنه عبد مملوك والمملوك لا يمين بعمله ، ولو نظر إلى توفيقه للعمل لرأى وجوب الشكر بخاف من التقصير فيه . وقد كان ينبغي أن يشغله خوفه على العمل من التقصير فيه عن النظر إليه كما كانت رابعة تقول . أستغفر الله من قلة صدقي في قولي . وقيل لها هل عمات عملا ترين أنه يقبل منك . فقالت : إذا كان فخافني أن يرد عليّ .

﴿فصل﴾ ومن تلبس إبليس على قوم من الزهاد الذي دخل عليهم فيه من قلة العلم أنهم يعملون بواقعاتهم ولا يلتفتون إلى قول الفقيه ، قال ابن عقيل . كان أبو اسحق الخراز صالحاً وهو أول من لقنى كتاب الله وكان من عادته الإمساك عن الكلام في شهر رمضان . فكان يخاطب بآي القرآن فيما يعرض إليه من الحوائج فيقول : في أذنه « أدخلوا عليهم الباب » : ويقول لابنه في عشية الصوم « من بقلها وقتائها ، أمرأ له أن يشتري البقل . فقلت له هذا الذي تعتقده عبادة هو معصية . فصعب عليه . فقلت : أن هذا القرآن العزيز أنزل في بيان أحكام شرعية فلا يستعمل في أغراض دنيوية وما هذا إلا بمثابة صرك الصدر والأشنان في ورق المصحف أو توسدك له . فهجرني ولم يصنع إلى الحجة .

قال المصنف قلت : وقد يسمع الزاهد القليل العلم أشياء من العوام فيفتي به حدثي أبو حكيم إبراهيم بن دينار الفقيه ، أن رجلاً استفتاه فقال ما تقول : في امرأة طلقت ثلاثاً فولدت ذكرأ هل تحل لزوجها . قال : فقلت لا . وكان عندي الشريف الدحالي (١) وكان مشهوراً بالزهد عظيم القدر بين العوام . فقال لي . بلى تحل . فقلت : ما قال بهذا أحد ، فقال : والله لقد أفتيت بهذا من ههنا إلى البصرة .

(١) وفي النسخة الثانية الرحالي .

قال المصنف : فانظر ما يصنع الجهل بأهله ويضاف اليه حفظ الجاه خوفاً أن يرى الزاهد بعين الجهل . وقد كان السلف ينكرون على الزاهد مع معرفته بكثير من العلم أن يفتى لأنه لم يجمع شروط الفتوى فكيف لو رأوا تخييط المتزهدين اليوم في الفتوى بالواقعات وبالاسناد عن اسماعيل بن شبة قال دخلت على أحمد بن حنبل وقد قدم أحمد بن حرب من مكة فقال لي أحمد ابن حنبل من هذا الخراساني الذي قد قدم . قلت : من زهده كذا وكذا ومن ورعه كذا وكذا . فقال : لا ينبغي لمن يدعى ما يدعيه أن يدخل نفسه في الفتيا .

﴿ فصل ﴾ ومن تلبسه على الزهاد . احتقارهم العلماء وذمهم إياهم فهم يقولون المقصود العمل ولا يفهمون أن العلم نور القلب . ولو عرفوا مرتبة العلماء في حفظ الشريعة وأنهم مرتبة الأنبياء لعدوا أنفسهم كالكم عند الفصحاء والعمى عند البصراء والعلماء أدلة الطريق والخلق وراءهم . وسليم هؤلاء يمشي وحده . وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد أن النبي ﷺ قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه . والله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم .

﴿ فصل ﴾ وما يعيبون به العلماء . تفسح العلماء في بعض المباحات التي يتقون بها على دراسة العلم . وكذلك يعيبون جامع الأموال . ولو فهموا معنى المباح لعلموا أنه لا يذم فاعله . وغاية الأمر أن غيره أولى منه . أفيحسن لمن صلى الليل أن يعيب على من أدى الفرض ونام . ولقد رويناه بإسناد عن محمد بن جعفر الخولاني ، قال : حدثني أبو عبد الله الخواص وكان من أصحاب حاتم الأصم . قال : دخلنا مع حاتم البلخي إلى الري ومعه ثلاثمائة وعشرون رجلاً من أصحابه يريد الحج . وعليهم الصوف والزمانقات ليس فيهم من معه جراب ولا طعام . فنزلنا على رجل من التجار متنسك فضافنا تلك الليلة فلما كان من الغد . قال لحاتم . يا أبا عبد الرحمن لك حاجة فاني أريد أن أعود فقيهاً لنا هو عليل فقال حاتم إن كان لكم فقيه عليل فعيادة الفقيه لها فضل كبير والنظر إلى الفقيه عبادة وأنا أجيء معك ، وكان العليل محمد بن مقاتل قاضي الري ، فقال له مر بنا يا أبا عبد الرحمن فجاؤا إلى باب داره فاذا

البواب فبقى حاتم متفكر آ يقول يارب دار عالم على هذه الحال ، ثم أذن لهم فدخلوا فاذا بدارقوراء وآلة حسنة وبزة وفرش وستور ، فبقى حاتم متفكراً ينظر حتى دخلوا إلى المجلس الذي فيه محمد بن مقاتل ، واذا بفراش حسن وطيب وهو عليه راقد وعند رأسه مذبة وناس وقوف ، فقعده الرازي وبقى حاتم قائماً فأومى إليه محمد بن مقاتل بيده أن اجلس فقال حاتم ، لا اجلس ، فقال له ابن مقاتل فلك حاجة قال نعم ، قال وما هي قال مسألة أسألك عنها قال فاسئلي قال حاتم قم فاستو جالساً حتى أسألك عنها فأمر غلمانه فأسندوه ، فقال حاتم عليك هذا من أين جئت به فقال حدثني الثقات عن الثقات من الأئمة قال عمن أخذوه قال عن التابعين قال والتابعون عمن أخذوه قال عن أصحاب رسول الله ﷺ ، قال وأصحاب رسول الله ﷺ عمن أخذوه قال عن رسول الله ﷺ ، قال ورسول الله ﷺ من أين جاء به قال عن جبريل عن الله عز وجل ، فقال حاتم فقيم أداه جبريل عن الله عز وجل إلى النبي ﷺ وأداه النبي ﷺ إلى الصحابة وأداه الصحابة إلى تابعيهم وأداه التابعون إلى الأئمة وأداه الأئمة إلى الثقات وأداه الثقات إليكم ، هل سمعت في هذا العلم من كانت داره في الدنيا أحسن وفراشه ألين ورينته أكثر كان له المنزلة عند الله عز وجل أكبر ، قال ، لا ؛ قال ، فكيف سمعت قال سمعت من زهد في الدنيا ورغب في الآخرة وأحب المساكين وقدم لآخرته كان عند الله عز وجل له منزلة أكثر وإليه أقرب ؛ قال حاتم ، وأنت بمن اقتديت أبا أنبي ﷺ وبأصحابه والتابعين من بعدهم والصالحين على أثرهم أو فرعون ونمرود فإنهما أول من بنى بالحرص والاجر . يا علماء السوء ان الجاهل المتكالب على الدنيا الراغب فيها يقول : هذا العالم على هذه الحالة ألا أكون أنا قال نخرج من عنده وازداد محمد بن مقاتل مرضاً وبلغ أهل الري ماجرى بين حاتم وبين ابن مقاتل فقالوا لحاتم أن محمد بن عبيد الطنافسي بقزوين أكثر شيئاً من هذا فصار إليه فدخل عليه وعناه الخلق يحدّثهم فقال له رحمك الله أنا رجل أعجمي جئتكم لتعلمني مبدء ديني ومفتاح صلاتي كيف أتوضأ للصلاة فقال : نعم وكرامة ، يا غلام اناء فيه ماء فجاءه بإناء فيه ماء ، فقعده محمد بن عبيد فتوضأ ثلاثاً ثم قال له هكذا فتوضأ ،

قال حاتم مكانك رحمك الله حتى أتوضأ بين يديك ليكون أوكد لما أريد ،
فقام الطنافسى وقعد حاتم مكانه فتوضأ وغسل وجهه ثلاثة حتى إذا بلغ الذراع
غسل أربعاً ، فقال الطنافسى ، أسرفت قال حاتم فيماذا أسرفت قال غسelt
ذراعك أربعاً قال ياسبحان الله أنا فى كف ماء أسرفت وأنت فى جميع هذا
الذى أراه كله لم تسرف فعلم الطنافسى أنه أراد به بذلك فدخل البيت ولم يخرج
إلى الناس أربعين يوماً وخرج حاتم إلى الحجاز فلما صار إلى المدينة أحب أن
يخصم علماء المدينة ، فلما دخل المدينة قال يا قوم أى مدينة هذه قالوا مدينة
الرسول ﷺ قال فأين قصر رسول الله ﷺ حتى أذهب إليه فأصلى فيه ركعتين
قالوا ما كان لرسول الله ﷺ قصر إنما كان له بيت لاط ، قال ، فأين قصور
أهله وأصحابه وأزواجه قالوا ما كان لهم قصور إنما كان لهم بيوت لاطئة . فقال حاتم
فهذه مدينة فرعون . قال : فسبوه وذهبوا به إلى الوالى . وقالوا هذا العجمى
يقول . هذه مدينة فرعون . فقال الوالى . لم قلت ذلك قال حاتم . لا تعجل
على أيها الأمير أنا رجل غريب دخلت هذه المدينة فسألت أى مدينة هذه قالوا
مدينة رسول ﷺ ، وسألت عن قصر رسول الله ﷺ وقصور أصحابه قالوا .
إنما كانت لهم بيوت لاطئة . وسمعت الله عز وجل يقول . « لقد كان لكم فى
رسول الله أسوة حسنة » . فأنتم بمن تأسيتم برسول الله ﷺ أو بفرعون .
قال المصنف قلت الويل للعلماء من الزاهد الجاهل الذى يقتنع بعلمه فى رى
الفضل فرضاً . فان الذى أنكره مباح والمباح مأذون فيه والشرع لا يأذن فى
شئ ثم يعاتب عليه . فما أقبح الجهل ولو أنه قال لهم : لو قصرتم فيما أنتم فيه
لتقتدى الناس بكم كان أقرب حالة ولو سمع هذا بأن عبد الرحمن بن عوف ،
والزبير بن العوام . وعبد الله بن مسعود رضوان الله عليهم ، وفلان وفلانا
من الصحابة خلفوا مالا عظيماً أترأه ماذا كان يقول وقد اشترى تميم الدارى
حالة بألف درهم وكان يقوم فيها بالليل ففرض على الزاهد التعلم من العلماء فإذا
لم يتعلم فليسكت والحديث باسناد عن مالك بن دينار رضى الله عنه قال إن
الشیطان ليلعب بالقراء كما يلعب الصبيان بالجوز . وباسناد عن حبيب الفارسى
يقول ، والله أن الشيطان ليلعب بالقراء كما يلعب الصبيان بالجوز .

قال المصنف : قلت المراد بالقراء الزهاد ، وهذا اسم قديم لهم معروف والله الموفق للصواب واليه المرجع والمآب .

﴿ الباب العاشر ﴾

في ذكر تلبيسه على الصوفية من جملة الزهاد

قال المصنف : الصوفية من جملة الزهاد وقد ذكرنا تلبيس إبليس على الزهاد إلا أن الصوفية انفردوا عن الزهاد بصفات وأحوال وتوسموا بسمت فاحتجنا إلى إفراهم بالذكر ، والتصوف طريقة كان ابتدأها الزهد السكلي ثم ترخص المنتسبون إليها بالسمع والرقص فقال إليهم طلاب الآخرة من العوام لما يظهر منه من التزهّد . ومال إليهم طلاب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة واللعب فلا بد من كشف تلبيس إبليس عليهم في طريقة القوم ولا يتكشف ذلك إلا بكشف أصل هذه الطريقة وفروعها وشرح أمورها والله الموفق للصواب .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف . كانت النسبة في زمن رسول الله ﷺ إلى الإيمان والإسلام . فيقال مسلم ومؤمن . ثم حدث اسم زاهد وعابد . ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعب فدخلوا عن الدنيا وانقطعوا إلى العبادة واتخذوا في ذلك طريقة تفردوا بها . وأخلاقاً تخلقوا بها ورأوا أن أول من انفرد به بخدمة الله سبحانه وتعالى عند بيته الحرام رجل يقال له صوفة واسمه الغوث ابن مرفان نسبوا إليه لمشابهم أياه في الانقطاع إلى الله سبحانه وتعالى فسموا بالصوفية . أنبأنا محمد بن ناصر عن أبي اسحاق إبراهيم بن سعيد الحبال . قال قال أبو محمد عبد الغنى بن سعيد الحافظ . قال سألت وليد بن القاسم . إلى أي شيء ينسب الصوفي . فقال . كان قوم في الجاهلية يقال لهم صوفة انقطعوا إلى الله عز وجل وقطنوا الكعبة فمن تشبه بهم فهم الصوفية قال عبد الغنى فهو لاء المعروفون بصوفة ولد الغوث بن مر بن أخى تميم بن مر . وبلا سناد إلى الزبير بن بكار قال . كانت الاجازة بالحج للناس من عرفة إلى الغوث بن مر بن أد بن طابخة ثم كانت في ولده وكان يقال لهم صوفة . وكان اذا حانت

الاجازة قالت العرب . أجز صوفة . قال الزبير . قال أبو عبيدة وصوفة وصوفان يقال لكل من ولى من البيت شيئاً من غير أهله أو قام بشيء من أمر المناسك يقال لهم صوفة وصوفان . قال الزبير حدثني أبو الحسن الأثرم عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي . قال إنما سمي الغوث بن مرصوفة لأنه ما كان يعيش لأمه ولد . فنذرت لئن عاش لتعلقن برأسه صوفة ولتجعلنه ريط السكبة . ففعلت . فقيل له صوفة ولولده من بعده . قال الزبير . وحدثني إبراهيم بن المنذر عن عبد العزيز بن عمران . قال أخبرني عقاب بن شبة قال قالت أم تميم بن مر وقد ولدت نسوة فقالت لله على أن ولدت غلاماً لأعبدنه للبيت . فولدت الغوث بن مر فلما ربطته عند البيت أصابه الحر فمتر به وقد سقط واسترخى . فقالت ما صار ابني إلا صوفة فسمى صوفة وكان الحج واجازة الناس من عرفه إلى منى ومن منى إلى مكة لصوفة فلم تزل الاجازة في عقب صوفة حتى أخذتها عدوان فلم تزل في عدوان حتى أخذتها قریش .

((فضل)) قال المصنف . وقد ذهب قوم إلى أن التصوف منسوب إلى أهل الصفة . وإنما ذهبوا إلى هذا لأنهم رأوا أهل الصفة على ما ذكرنا من صفة صوفة في الانقطاع إلى الله عز وجل وملازمة الفقراء . أهل الصفة كانوا فقراء يقدمون على رسول الله ﷺ وما لهم أهل ولا مال فبنيت لهم صفة في مسجد رسول الله ﷺ وقيل أهل الصفة . والحديث باسناد عن الحسن . قال بنيت صفة لضعفاء المسلمين فجعل المسلمون يوصلون إليها ما استطاعوا من خير . وكان رسول الله ﷺ يأتيهم فيقول . السلام عليكم يا أهل الصفة . فيقولون . وعليك السلام يا رسول الله فيقول كيف أصبحتم . فيقولون بخير يا رسول الله . وباسناد عن نعيم بن الجهم عن أبيه عن أبي ذر قال . كنت من أهل الصفة وكنا إذا أمسينا حضرنا باب رسول الله ﷺ فيأمر كل رجل فينصرف برجل فيبقى من بقي من أهل الصفة عشرة أو أقل فيؤثرنا النبي ﷺ بعشائه فنتعشى فإذا فرغنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . ناموا في المسجد . قال المصنف . وهؤلاء القوم إنما قعدوا في المسجد ضرورة . وإنما أكلوا

من الصدقة ضرورة . فلما فتح الله على المسلمين استغنوا عن تلك الحال وخرجوا ونسبة الصوفي إلى أهل الصفة غلط لأنه لو كان كذلك لقليل صني ، وقد ذهب إلى أنه من الصوفانة وهي بقلة رعناء قصيرة . فنسبوا إليها لاجتزائهم بنبات الصحراء وهذا أيضاً غلط لأنه لو نسبوا إليها لقليل صوفاني . وقال آخرون هو منسوب إلى صوفة القفا . وهي الشعرات النابتة في مؤخره كأن الصوفي عطف به إلى الحق وصرفه عن الخلق . وقال آخرون . بل هو منسوب إلى الصوف . وهذا يحتمل . والصحيح الأول .

وهذا الاسم ظهر للقوم قبل سنة مائتين ولما أظهره أوائلهم تكلموا فيه وعبروا عن صفته بعبارات كثيرة وحاصلها أن التصوف عندهم رياضة النفس . ومجاهدة الطبع برده عن الأخلاق الرذيلة ، وحمله على الأخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر والإخلاص والصدق إلى غير ذلك من الخصال الحسنة التي تكسب المداخل في الدنيا والثواب في الآخرة . والحديث باسناد عن الطوسي يقول سمعت أبا بكر بن المشاقف يقول سألت الجنيد بن محمد عن التصوف . فقال الخروج عن كل خلق رديء ، والدخول في كل خلق سني وباسناد عن عبد الواحد بن بكر قال سمعت محمد بن خفيف يقول : قال . رويم كل الخلق قعدوا على الرسوم . وقعدت هذه الطائفة على الحقائق . وطالب الخلق كلهم بأنفسهم بطواهر الشرع وهم طالبوا أنفسهم بحقيقة الورع ومداومة الصدق .

قال المصنف : وعلى هذا كان أوائل القوم فلبس إبليس عليهم في أشياء ثم لبس على من بعدهم من تابعيهم فكما مضى قرن زاد طمعه في القرن الثاني فزاد تلبيسه عليهم إلى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن .

وكان أصل تلبيسه عليهم أنه صدهم عن العلم وأراهم أن المقصود العمل فلما أطفأ مصباح العلم عندهم تخبطوا في الظلمات . ففهم من أراه أن المقصود من ذلك ترك الدنيا في الجملة فرفضوا ما يصلح أبدانهم . وشبهوا المال بالعقارب ، ونسوا أنه خلق للصالح وبالغوا في الحمل على النفوس حتى أنه كان فيهم من لا يضطجع . وهؤلاء كانت مقاصدهم حسنة غير أنهم على غير الجادة . وفيهم

من كان لقلّة عليه يعمل بما يقع إليه من الأحاديث الموضوعة وهو لا يدري . ثم جاء أقوام فتكلموا لهم في الجوع والفقر والوساوس والخطرات وصنفوا في ذلك مثل الحارث المحاسبي . وجاء آخرون فهدبوا مذهب التصوف وأفردوه بصفات ميزوه بها من الاختصاص بالمرقعة والسماح والوجد والرقص والتصفيق وتميزوا بزيادة النظافة والطهارة . ثم مازال الأمر ينمى والأشياخ يضعون لهم أوضاعاً ويتكلمون بواقعاتهم . ويتفق بعدهم عن العلماء لا بل رؤيتهم ما هم فيه أو في العلوم حتى سموه العلم الباطن وجعلوا علم الشريعة العلم الظاهر . ومنهم من خرج به الجوع إلى الخيالات الفاسدة فادعى عشق الحق والهيمن فيه فكانهم تخيلوا شخصاً مستحسن الصورة فهاموا به . وهؤلاء بين الكفر والبدعة ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق . ففسدت عقائدهم . فمن هؤلاء من قال بالحلول ومنهم من قال بالاتحاد . ومازال إبليس يخبطهم بفنون البدع حتى جعلوا لأنفسهم سنناً وجاء أبو عبد الرحمن السلي فصنف لهم كتاب السنن وجمع لهم حقائق التفسير فذكر عنهم فيه العجب في تفسيرهم القرآن بما يقع لهم من غير إسناد ذلك إلى أصل من أصول العلم . وإنما حملوه على مذاهبهم . والعجب من ورعهم في الطعام وانبساطهم في القرآن . وقد أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن القزاز . قال : أخبرنا أبو بكر الخطيب قال قال لي محمد بن يوسف القطان النيسابوري قال كان أبو عبد الرحمن السلي غير ثقة ولم يكن سمع من الأصم إلا شيئاً يسيراً فلما مات الحاكم أبو عبد الله ابن البيع حدث عن الأصم بتاريخ يحيى بن مهين وبأشياء كثيرة سواه . وكان يضع للصوفية الأحاديث .

قال المصنف : وصنف لهم أبو نصر السراج كتاباً سماه لمع الصوفية ذكر فيه من الاعتقاد القبيح والكلام المرذول ما سنذكر منه جملة إن شاء الله تعالى . وصنف لهم أبو طالب المسكي قوت القلوب فذكر فيه الأحاديث الباطلة وما لا يستند فيه إلى أصل من صلوات الأيام والليالي وغير ذلك من الموضوع وذكر فيه الاعتقاد الفاسد . وردد فيه قول - قال بعض المكشفين - وهذا كلام فارغ وذكر فيه عن بعض الصوفية إن الله عز وجل يتجلى في الدنيا

أولياؤه . أخبرنا أبو منصور القزاز أخبرنا أبو بكر الخطيب قال قال أبو طاهر محمد بن العلاف . قال : دخل أبو طالب المكي إلى البصرة بعد وفاة أبي الحسين ^(١) بن سالم فانتفى إلى مقالته وقدم بغداد فاجتمع الناس عليه في مجلس الوعظ فخلط في كلامه فحفظ عنه أنه قال . ليس على المخلوق أضرار من الخالق . فبدعه الناس وهجروه فامتنع من الكلام على الناس بعد ذلك قال الخطيب . وصنف أبو طالب المكي كتاباً سماه قوت القلوب على لسان الصوفية وذكر فيه أشياء منكورة مستتبعة في الصفات .

قال المصنف : وجاء أبرنيم الأصبهاني فصنف لهم كتاب الحلية . وذكر في حدود التصوف أشياء منكورة قبيحة ولم يستح أن يذكر في الصوفية أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً وسادات الصحابة رضى الله عنهم . فذكر عنهم فيه العجب وذكر منهم شريحاً القاضي والحسن البصري وسفيان الثوري وأحمد ابن حنبل وكذلك ذكر السلي في طبقات الصوفية الفضيل وإبراهيم بن أدهم ومعمروفاً السكرخي وجعلهم من الصوفية بأن أشار إلى أنهم من الزهاد .

فالتصوف مذهب معروف يزيد على الزهد ويدل على الفرق بينهما أن الزهد لم يذمه أحد وقد ذموا التصوف على ما سيأتى ذكره وصنف لهم عبد السكريم ابن هوازن القشيري كتاب الرسالة فذكر فيها العجائب من الكلام في الفناء . والبقاء . والقبض . والبسط . والوقت . والحال . والوجد والوجود . والجمع . والتفرقة . والصحو . والسكر . والذوق . والشرب . والمحو . والإثبات . والتجلي . والمحاضرة . والمكاشفة . واللوائح . والطواع . واللوامع . والتكوير . والتسكين . والشرعية . والحقيقة . إلى غير ذلك من التخليط الذي ليس بشيء وتفسيره أعجب منه ، وجاء محمد بن طاهر المقدسي فصنف لهم صفوة التصوف فذكر فيه أشياء يستحي العاقل من ذكرها سنذكر منها ما يصلح ذكره في مواضعه إن شاء الله تعالى .

وكان شيخنا أبو الفضل بن ناصر الحافظ يقول . كان ابن طاهر يذهب مذهب الاباحة : قال وصنف كتاباً في جواز النظر إلى المراد أورد فيه حكاية

(١) في نسخة أبي الحسن .

عن يحيى بن معين قال: رأيت جارية بمصر مليحة صلى الله عليها. فقيل له: تصلى عليها فقال صلى الله عليها وعلى كل مليح: قال شيخنا ابن ناصر. وليس ابن طاهر بمن يحتج به، وجاء أبو حامد الغزالي فصنف لهم كتاب الأخياء على طريقة القوم وملاؤه بالأحاديث الباطلة وهو لا يعلم بطلانها وتسكّم في علم المكاشفة وخرج عن قانون الفقه. وقال ان المراد بالكوكب والشمس والقمر اللواتي رآهن إبراهيم صلوات الله عليه أنوار هي حجب الله عز وجل ولم يرد هذه المعروفة. وهذا من جنس كلام الباطنية. وقال في كتابه المفصح بالأحوال. إن الصوفية في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتاً ويقتبسون منهم فوائد ثم يترقى الحال من مشاهدة الصورة إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق.

قال المصنف: وكان السبب في تصنيف هؤلاء مثل هذه الأشياء قلة علمهم بالسنن والاسلام والآثار وأقبالهم على ما استحسنوه من طريقة القوم. وإنما استحسنوها لأنه قد ثبت في النفوس مدح الزهد وما رأوا حالة أحسن من حالة هؤلاء القوم في الصورة ولا كلاماً أرق من كلامهم. وفي سير السلف نوع خشونة ثم أن ميل الناس إلى هؤلاء القوم شديد لما ذكرنا من أنها طريقة ظاهرها النظافة والتعبد وفي ضمنها الراحة والسباع والطباع تميل إليها. وقد كان أوائل الصوفية ينفرون من السلاطين والأمراء فصاروا أصدقاء.

(فصل) وجمهور هذه التصانيف التي صنفتم لهم لا تستند إلى أصل وإنما هي واقعات تلقفها بعضهم عن بعض ودونوها وقد سموها بالعلم الباطن. والحديث باسناد إلى أبي يعقوب اسحق بن حية قال سمعت احمد بن حنبل وقد سئل عن الوسوس والخطرات. فقال. ما تسكّم فيها الصحابة ولا التابعون. قال المصنف: وقد روينا في أول كتابنا هذا عن ذي النون نحو هذا وروينا عن احمد بن حنبل أنه سمع كلام الحارث المحاسبي. فقال لصاحب له. لا أرى لك أن تجالسهم. عن سعيد بن عمرو البردعي، قال شهدت أبا زرعة وسئل عن الحارث المحاسبي وكتبه، فقال للسائل. إياك وهذه الكتب. هذه الكتب كتب بدع وضلالات، عليك بالآثر فانك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب.

قيل له . في هذه الكتب عبرة . قال : من لم يكن له في كتاب الله عز وجل عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة . بلغكم أن مالك بن أنس ، وسفيان الثوري ، والاوزاعي ، والأئمة المتقدمة ، صنفوا هذه الكتب في الخطرات والوساوس وهذه الأشياء هؤلاء قوم خالفوا أهل العلم يأتوننا مرة بالحارث المحاسبي ومرة بعبد الرحيم الديلمي ومرة بجاتم الأصم ومرة بشقيق ، ثم قال : ما أسرع الناس إلى البدع .

أخبرنا محمد بن عبد الباقي نا أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب التيمي عن أبي عبد الرحمن السلمي قال : أول من تكلم في بلدته في ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية ذوالنون المصري فأنكر عليه ذلك عبد الله بن عبد الحكم وكان رئيس مصر وكان يذهب مذهب مالك وهجره لذلك علماء مصر لما شاع خبره أنه أحدث علما لم يتكلم فيه السلف حتى رموه بالزندقة . قال السلمي . وأخرج أبو سليمان الداراني من دمشق . وقالوا أنه يزعم أنه يرى الملائكة وأنهم يكلمونه ، وشهد قوم على أحمد بن أبي الحواري : أنه يفضل الأولياء على الأنبياء فهرب من دمشق إلى مكة ، وأنكر أهل بسطام على أبي يزيد البسطامي ما كان يقول حتى أنه ذكر للحسين بن عيسى أنه يقول : لي معراج كما كان للنبي ﷺ معراج فأخرجوه من بسطام ، وأقام بمكة سنتين ثم رجع إلى جرجان فأقام بها إلى أن مات الحسين بن عيسى ثم رجع إلى بسطام ، قال السلمي وحكى رجل عن سهيل بن عبد الله التستري أنه يقول : إن الملائكة والجن والشياطين يحضرونه وإنه يتكلم عليهم فأنكر ذلك عليه العوام حتى نسبوه إلى القبايح فخرج إلى البصرة فمات بها ، قال السلمي وتكلم الحارث المحاسبي في شيء من الكلام والصفات فهجره أحمد بن حنبل فاخفى إلى أن مات . قال المصنف : وقد ذكر أبو بكر الخلال في كتاب السنة عن أحمد بن حنبل أنه قال : حذروا من الحارث أشد التحذير الحارث أصل البلية يعني في حوادث كلام جهنم ذاك جالسهم فلان وفلان وآخر جهنم إلى رأى جهنم ما زال مأوى أصحاب الكلام حارث بمنزلة الأسد المرابط انظر أي يوم يثب على الناس .

(فصل) قال المصنف : وقد كان أوائل الصوفية يقولون بأن التعويل على الكتاب والسنة وإنما لبس الشيطان عليهم لقلّة علمهم . ويأسناد عن جعفر الخلدي يقول سمعت الجنيد يقول قال أبو سليمان الداراني قال ربما تقع في نفسى النكتة من نسكت القوم أياً ما فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين الكتاب والسنة ويأسناد عن طيفور البسطامي يقول سمعت موسى بن عيسى يقول قال لى أبو يزيد لو نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى يرتفع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهى وحفظ الحدود .

ويأسناد عن أبي موسى يقول سمعت أبا يزيد البسطامي قال : من ترك قراءة القرآن والتكشف ولزوم الجماعة وحضور الجنائز وعبادة المرضى وادعى بهذا الشأن فهو مبتدع . ويأسناد عن عبد الحميد الحنبلي يقول سمعت سرياً يقول : من ادعى باطن علم ينقض ظاهر حكم فهو غلط وعن الجنيد أنه قال : مذهبنا هذا مقيد بالأصول الكتاب والسنة ، وقال أيضاً علمنا منوط بالكتاب والسنة من لم يحفظ الكتاب ويكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به ، وقال أيضاً ما أخذنا التصوف عن القليل والقال لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات لأن التصوف من صفاء المعاملة مع الله سبحانه وتعالى وأصله التفرق عن الدنيا كما قال حارثة : عرفت نفسى في الدنيا فأسهرت ليل وأظلمات نهارى . وعن أبي بكر الشنفاف : من ضيع حدود الأمر والنهى في الظاهر حرم مشاهدة القلب في الباطن ، وقال الحسين النورى لبعض أصحابه . من رأيت يدعى مع الله عز وجل حالة تخرجه عن حد علم الشرع فلا تقربنه ، ومن رأيت يدعى حالة لا يدل عليها دليل ولا يشهد لها حفظ ظاهر فاتهمه على دينه ، وعن الجريري قال : أمرنا هذا كله مجموع على فضل واحد هو أن تلزم قلبك المراقبة ويكون العلم على ظاهره قائماً . وعن أبي جعفر قال : من لم يزن أقواله وأفعاله وأحواله بالكتاب والسنة ولم يهتم خاطره فلا تعده في ديوان الرجال .

(فضل) قال المصنف : وإذا قد ثبت هذا من أقوال شيوخهم وقعت

من بعض أشياخهم غلطات بعدهم عن العلم فان كان ذلك صحيحاً عنهم توجه الرد عليهم إذ لا محاباة في الحق وإن لم يصح عنهم حذرنا من مثل هذا القول وذلك المذهب من أى شخص صدر . فأما المشبهون بالقوم وليسوا منهم فأغلطهم كثرة . ونحن نذكر بعض ما بلغنا من أغلاط القوم والله يعلم أننا لم نقصد ببيان غلط الغالط إلا تنزيه الشريعة والغيرة عليها من الدخل وما علينا من القائل والفاعل وإنما نؤدى بذلك أمانة العلم وما زال العلماء يبين كل واحد منهم غلط صاحبه قصداً لبيان الحق لا لظهار عيب الغالط ولا اعتبار بقول جاهل يقول : كيف يرد على فلان الزاهد المتبرك به . لأن الانقياد إنما يكون إلى ما جاءت به الشريعة لا إلى الأشخاص ، وقد يكون الرجل من الأولياء وأهل الجنة وله غلطات فلا تمنع منزلته بيان زلله .

واعلم إن من نظر إلى تعظيم شخص ولم ينظر بالدليل إلى ما صدر عنه كان كمن ينظر إلى ماجرى على يد المسيح صلوات الله عليه من الأمور الخارقة ولم ينظر إليه فادعى فيه الالهية . ولو نظر إليه وأنه لا يقوم إلا بالطعام لم يعطه إلا ما يستحقه . وقد أخبرنا اسماعيل بن أحمد السمرقندي باسناد إلى يحيى بن سعيد قال : سألت شعبية وسفيان بن سعيد وسفيان بن عيينة ومالك بن أنس عن الرجل لا يحفظ أو يتهم في الحديث . فقالوا جميعاً يبين أمره : وقد كان الامام أحمد بن حنبل يمدح الرجل ويبالغ ثم يذكر غلطه في الشيء بعد الشيء وقال نعم الرجل فلان لولا أن خلط فيه وقال عن سري السقطي : الشيخ المعروف بطيب المطعم ثم حكى له عنه أنه قال أن الله عز وجل لما خلق الحروف سجدت الباء فقال : نفروا الناس عنه .

﴿ سياق ما يروى عن الجماعة منهم من سوء الاعتقاد ﴾

ذكر تليسه إبليس إبليس في السماع وغيره

عن أبي عبد الله الرملي قال تكلم أبو حمزة في جامع طرسوس فقلوه فبينما هو ذات يوم يتكلم إذ صاح غراب على سطح الجامع فرعق أبو حمزة وقال : ليك ليك . فنسبوه إلى الزندقة وقالوا حلولي ننديق . وبيع فرسه

بالمناداة على باب الجامع هذا فرس الزنديق ، وبإسناد إلى أبي بكر الفرغاني أنه قال : كان أبو حمزة إذا سمع شيئاً يقول : لييك لبيك فأطلقوا عليه أنه حلولى . ثم قال أبو علي وإنما جعله داعياً من الحق أيقظه الذكر . وعن أبي علي الروزباري قال أطلق على أبي حمزة أنه حلولى وذلك أنه كان إذا سمع صوتاً مثل هبوب الرياح وخرير الماء وصياح الطيور كان يصيح ويقول لبيك لييك فرموه بالحلول . قال السراج وبلغني عن أبي حمزة أنه دخل دار الجارث المحاسبي فصاحت الشاه ماع فشقق أبو حمزة شهقة وقال : لييك ياسيدي فغضب الجارث المحاسبي وعمد إلى سكين وقال إن لم تتب من هذا الذي أنت فيه أذبحك . قال أبو حمزة : إذا أنت لم تحسن تسمع هذا الذي أنا فيه فلم تأكل النخالة بالرماد .

وقال السراج وأنكر جماعة من العلماء على أبي سعيد أحمد بن عيسى الخرا ونسبوه إلى الكفر بألفاظ وجدوها في كتاب صنفه وهو كتاب السرومنة قوله : عبد طائع ما أذن له فلزم التعظيم لله فقدس الله نفسه قال : وأبو العباس أحمد بن عطاء نسب إلى الكفر والزندقة قال وكم من مرة قد أخذ الجنيد مع علمه وشهد عليه بالكفر والزندقة وكذلك أكثرهم . وقال السراج : ذكر عن أبي بكرة محمد بن موسى الفرغاني الواسطي أنه قال من ذكر افتري ومن صبر اجتري . وإياك أن تلاحظ حبيباً أو كليماً أو خليلاً وأنت تجد إلى ملاحظة الحق سيلاً . فقل له : أولاً أصلي عليهم قال : صل عليهم بلا وقار ولا تجعل لها في قلبك مقدار . قال السراج : وبلغني أن جماعة من الحلوليين زعموا أن الحق عز وجل اصطفى أجساماً حل فيها بمعاني الربوبية وأزال عنها معاني البشرية ومنهم من قال بالنظر إلى الشواهد المستحسنات ومنهم من قال حال في المستحسنات . قال وبلغني عن جماعة من أهل الشام أنهم يدعون الرؤية بالقلوب في الدنيا كالرؤية بالعيان في الآخرة قال السراج . وبلغني أن أبا الحسين النوري شهد عليه غلام الخليل أنه سمعه يقول : أنا أعشق الله عز وجل وهو يعشقني فقال النوري : سمعت الله يقول « يحبهم ويحبونه » وليس العشق بأكثر من المحبة . قال القاضي

أبو يعلى : وقد ذهبت الحلولية إلا أن الله عز وجل يعشق .
قال المصنف وهذا جهل من ثلاثة أوجه : أحدها من حيث الاسم فإن
العشق عند أهل اللغة لا يكون إلا لما ينكح والثاني أن صفات الله عز وجل
منقولة فهو يحب ولا يقال يعشق ويحب ولا يقال يعشق كما يقال يعلم ولا يقال
يعرف والثالث من أين له أن الله تعالى يحبه فهذه دعوى بلا دليل وقد قال
النبي ﷺ من قال إني في الجنة فهو في النار .

وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال حكى عن عمرو المكي أنه قال : كنت
أماشي الحسين بن منصور في بعض أزقة مكة وكنت أقرأ القرآن فسمع
قراة فقال يمكنني أن أقول مثل هذا ففارقته . وعن محمد بن يحيى الرازي .
قال سمعت عمرو بن عثمان يلعن الحلاج ويقول . لو قدرت عليه لقتلته بيدي
فقلت بأي شيء وجد عليه الشيخ فقال قرأت آية من كتاب الله عز وجل فقال
يمكنني أن أقول أو أولف مثله وأتكلم به . وبإسناد عن أبي القاسم الرازي
يقول قال أبو بكر بن مشاد . قال . حضر عندنا بالدينور رجل ومعه مخللة
فما كان يفارقها لا بالليل ولا بالنهار ففتشوا المخللة فوجدوا فيها كتابا للحلاج
عنوانه من الرحمن الرحيم إلى فلان بن فلان فوجه إلى بغداد فأحضر وعرض
عليه . فقال . هذا خطي وأنا كتبته . فقالوا كنت تدعى النبوة فصرت تدعى
الزبوية . فقال . ما أدعى الزبوية ولكن هذا عين الجمع عندنا هل السكاتب
إلا الله تعالى واليد فيه آلة . فقيل له : هل معك أحد . فقال . نعم ابن عطاء
وأبو محمد الجريري وأبو بكر الشبلي . وأبو محمد الجريري يتستر والشبلي يتستر
فان كان فابن عطاء فأحضر الجريري وسئل فقال قائل . هذا كافر يقتل من
يقول هذا وسئل الشبلي فقال من يقول هذا يمنع وسئل ابن عطاء عن مقالة
الحلاج فقال بمقالته وكان سبب قتله . وبإسناد عن ابن باكوية قال : سمعت
عيسى بن بردل القزويني وقد سئل أبو عبد الله بن خفيف عن معنى هذه الآيات .

سبحان من أظهر ناسوته	سر سنا لاهوته الشاقب
ثم بدا في خلقه ظاهراً	في صورة الآكل والشارب
حتى لقد غاب عنه خلقه	كاحظة الحاجب بالحاجب

فقال الشيخ . على قائله لعنة الله . قال عيسى بن فورك هذا شعر الحسين ابن منصور . قال : إن كان هذا اعتقاده فهو كافر إلا أنه ربما يكون متقولاً عليه . وبإسناد عن علي بن المحسن القاضي عن أبي القاسم اسماعيل بن محمد بن زنجي عن أبيه أن بنت السمرى أدخلت على حامد الوزير . فسأله عن الحلاج فقالت . حملني أبي اليه فقال . قد زوجتك من ابني سليمان وهو مقيم بنيسابور فتي جرى شيء تشكرينه من جهته فصومي يومك واضعدي في آخر النهار إلى السطح وقومي على الرماد واجعلي فطرك عليه وعلى ملح جريش واستقبلي بوجهك واذكري لي ما أنكرت به منه فاني أسمع وأرى . قالت : وكنت ليلة نائمة في السطح فأحسست به قد غشياني فانتبعت مذعورة لما كان منه . فقال إنما جئت لأوقظك للصلاة . فلما نزلنا قالت ابنته . اسجدي له . فقلت : أو يسجد أحد لغير الله . فسمع كلامي . فقال . نعم إله في السماء وإله في الأرض . قال المصنف : اتفق علماء العصر على إباحة دم الحلاج . فأول من قال إنه حلال الدم أبو عمرو والقاضي ووافقه العلماء . وإنما سكبت عنه أبو العباس سريج قال وقال لا أدري ما يقول . والاجماع دليل معصوم من الخطأ وبإسناد عن أبي هريرة . قال قال رسول الله ﷺ . ان الله أجاركم أن تجتمعوا على ضلالة كلهم . وبإسناد عن أبي القاسم يوسف بن يعقوب النعماني قال سمعت والدي يقول سمعت أبا بكر محمد بن داود الفقيه الأصهباني يقول : إن كان ما أنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ حقاً فسا يقول الحلاج باطل وكان شديداً عليه .

قال المصنف : وقد تعصب للحلاج جماعة من الصوفية جهلاً منهم وقلة مبالاة بإجماع الفقهاء . وبإسناد عن محمد بن الحسين النيسابوري قال سمعت ابراهيم بن محمد النصر ابادي كان يقول . إن كان بعد النبيين والصديقين موحد فهو الحلاج قلت . وعلى هذا أكثر قصاص زماننا وصوفية وقتنا جهلاً من الكل بالشرع وبعداً عن معرفة النقل . وقد جمعت في أخبار الحلاج كتاباً بينت فيه حيله ومخاريقه وما قال العلماء فيه والله المعين على قبح الجهال .

وبإسناد عن أبي نعيم الحافظ قال سمعت عمر البنا البغدادي بمكة يحكي

أنه لما كانت محنة غلام الخليل ونسبة الصوفية إلى الزندقة . أمر الخليفة بالقبض عليهم فأخذ النورى فى جماعة قأدخلوا على الخليفة فأمر بضرب أعناقهم فتقدم النورى مبتدراً إلى السيف ليضرب عنقه . فقال له السيف . مادعاك إلى البدار . قال آثرت حياة أصحابى على حياى هذه اللحظة فتوقف السيف فرفع الأمر إلى الخليفة فرد أمرهم إلى قاضى القضاة اسماعيل بن أسحاق فأمر بتخليتهم . وبإسناد إلى أبى العباس أحمد بن عطاء . قال كان يسعى بالصوفية ببغداد غلام الخليل إلى الخليفة فقال ههنا قوم زنادقة فأخذ أبو الحسين النورى ، وأبو حمزة الصوفى ، وأبو بكر الدقاق ، وجماعة من أقران هؤلاء واستتر الجنيد بن محمد بالفقه على مذهب أبى ثور . فأدخلوا إلى الخليفة فأمر بضرب أعناقهم فأول من بدر أبو الحسين النورى . فقال له السيف لم بادرت أنت من بين أصحابك ولم ترع . قال : أحبت أن أوتر أصحابى بالحياة مقدار هذه الساعة فرد الخليفة أمرهم إلى القاضى فأطلقوا .

قال المصنف : ومن أسباب هذه القصة قول النورى . أنا أعشق الله والله يعشقنى . فشهد عليه بهذا . ثم تقدم النورى إلى السيف ليقتل إعانة على نفسه فهو خطأ أيضاً . وبإسناد عن ابن باكويه قال سمعت أبا عمرو تلميذ الرقى قال سمعت الرقى يقول : كان لنا بيت ضيافة فجاءنا فقير عليه خرقتان يكنى بأبى سليمان فقال . الضيافة . فقلت لابنى إمض به إلى البيت فأقام عندنا تسعة أيام فأكل فى كل ثلاثة أيام أكلة . فسمته المقام فقال . الضيافة ثلاثة أيام . فقلت له : لا تقطع عنا أخبارك فغاب عنا اثنتى عشرة سنة ثم قدم فقلت من أين . فقال : رأيت شيخاً يقال له أبو شعيب المقفع مبتلى فأقمت عنده أخدمه سنة فوقع فى نفسى أن أسأله أى شىء كان أصل بلائه فلما دنوت منه ابتدأنى قبل أن أسأله فقال وما سؤالك عما لا يعينيك . فصبرت حتى تم لى ثلاث سنين . فقال فى الثالثة لا بد لك فقلت له ان رأيت . فقال . بينما أنا أصلى بالليل إذ لاح لى من المحراب نور فقلت إخساً يا ملعون فان رنى عز وجل غنى عن أن يبرز للخلق ثلاث مرات قال ثم سمعت نداء من المحراب يا أبا شعيب . فقلت لبيك فقال تحب أن أقبضك فى وقتك أو نجازيك على

لما مضى لك أو نبليك ببلاء نرفعك به في عليين فاخترت البلاء فسقطت عيناى
ويداى ورجلاى قال فكشيت أخدمه تمام اثنتى عشرة سنة : فقال يوماً من
الأيام أدن منى فدنوت منه فسمعت أعضائه يخاطب بعضها بعضاً أبرز حتى
برزت أعضاؤه كلها بين يديه وهو يسبح ويقدس ثم مات .

قال المصنف : وهذه الحكاية توهم أن الرجل رأى الله عز وجل فلما أنكر
عوقب . وقد ذكرنا أن قوماً يقولون أن الله عز وجل يرى في الدنيا .
وقد حكى أبو القاسم عبد الله بن أحمد البلخى في كتاب المقالات قال قد
حكى قوم من المشبهة أنهم يجيزون رؤية الله تعالى بالأبصار في الدنيا وأنهم
لا ينسكرون أن يكون بعض من تلقاهم في السكك وإن قوماً يجيزون مع
ذلك مصافحته وملازمته وملازمته ويدعون أنهم يزورونه ويزورهم وهم
يسمون بالعراق أصحاب الباطن وأصحاب الوسوس وأصحاب الخطرات .
قال المصنف : وهذا فوق القبيح نعوذ بالله من الخذلان .

﴿ ذكر تلبس إبليس على الصوفية في الطهارة ﴾

قال المصنف : قد ذكرنا تلبسه على العباد في الطهارة إلا أنه قد زاد في
حق الصوفية على الحد فقوى وسواسهم في استعمال الماء الكثير حتى بلغنى
أن ابن عقيل دخل رباطاً فتوضأ فضحكوا لقلة استعماله الماء وما علموا أن
من أسبغ الوضوء برطل من الماء كفاه . وبلغنا عن أبي حامد الشيرازى أنه
قال لفقير : من أين تتوضأ . فقال : من النهر ، بي وسوسة في الطهارة قال :
كان عهدى بالصوفية يسخرون من الشيطان . والآن يسخر بهم الشيطان ،
ومنهم من يمشى بالمداس على البوارى وهذا لا بأس به إلا أنه ربما نظر المبتدى
إلى من يقتدى به فيظن ذلك شريعة وما كان خيار السلف على هذا ، والعجب
من يبالغ في الاحتراز إلى هذا الحد متصفاً بتنظيف ظاهره وباطنه محشو
بالوسخ والسكدر والله الموفق .

﴿ ذكر تلبس إبليس عليهم في الصلاة ﴾

قال المصنف : وقد ذكرنا تلبسه على العباد في الصلاة وهو بذلك يلبس
على الصوفية ويزيد ، وقد ذكر محمد بن طاهر المقدسى أن من سنتهم التي ينفردون

بها وينتسبون إليها صلاة ركعتين بعد لبس المرقعة والتوبة واحتج عليه بحديث
تامة بن أثال أن النبي ﷺ أمره حين أسلم أن يغتسل .

قال المصنف : وما أقبح بالجاهل إذا تعاطى ما ليس من شغله فان ثامة
كان كافراً فأسلم وإذا أسلم الكافر وجب عليه الغسل في مذهب جماعة من
الفقهاء منهم أحمد بن حنبل ، وأما صلاة ركعتين فما أمر بها أحد من العلماء
لمن أسلم وليس في حديث ثامة ذكر صلاة فيقاس عليه ، وهل هذا إلا
ابتداع في الواقع سموه سنة . ثم من أقبح الأشياء قوله أن الصوفية ينفردون
بسنة ، لأنها إن كانت منسوبة إلى الشرع فالمسلمون كلهم فيها سواء والفقهاء
أعرف بها فما وجه انفراد الصوفية بها وإن كانت بأرائهم فأنما انفردوا بها
لأنهم اخترعوها .

﴿ ذكر تليسه إبليس على الصوفية في المساكن ﴾

قال المصنف : أما بناء الأربطة فان قوماً من المتعبدین الماضين اتخذوها
للانفراد بالتعب . وهؤلاء إذا صح قصدهم فهم على الخطأ من ستة أوجه .
أحدها أنهم ابتدعوا هذا البناء وإنما بنیان أهل الإسلام المساجد : والثاني
أنهم جعلوا المساجد نظيراً يقلل جمعها . والثالث أنهم أفاتوا أنفسهم نقل
الخطأ إلى المساجد . والرابع أنهم تشبهوا بالنصارى بانفرادهم بالأديرة .
والخامس أنهم تعذبوا وهم شباب وأكثرهم محتاج إلى الكساح . والسادس
أنهم جعلوا لأنفسهم علماً ينطق بأنهم زهاد فيوجب ذلك زيارتهم والتبرك
بهم . وإن كان قصدهم غير صحيح فانهم قد بنوا دكاكين للكبوة (١) ومناخا
للبطالة وأعلاماً لإظهار الزهد . وقد رأينا جمهور المتأخرين منهم مستريحين
في الأربطة من كد المعاش متشاغلين بالأكل والشرب والغناء والرقص
يطلبون الدنيا من كل ظالم ولا يتورعون من عطاء ما كس . وأكثر أربطتهم
قد بناها الظلمة ووقفوا عليها الأموال الخبيثة . وقد لبس عليهم إبليس أن
ما يصل إليكم رزقكم فأسقطوا عن أنفسكم كلفة الورع . فهمتهم دوران
المطبخ والطعام والماء المبرد . فأين جوع بشر ، وأين ورع سرى ، وأين جد
(١) الكبوة : النرد وقيل الطبل .

الجديد . وهؤلاء أكثر زمانهم ينقضى في التفكك بالحديث أو زيارة أبناء الدنيا فإذا أفلح أحدهم أدخل رأسه في زمرانقته فغلبت عليه السوداء فيقول حدثني قلبي عن ربي . ولقد بلغني أن رجلاً قرأ القرآن في رباط فنعهه وأن قوماً قرأوا الحديث في رباط فقالوا لهم ليس هذا موضعه والله الموفق .

﴿ ذكر تلبس إبليس على الصوفية في الخروج عن الأموال والتجرد عنها ﴾
كان إبليس يلبس على أوائل الصوفية لصدقهم في الزهد فيريهم عيب المال ويخوفهم من شره فيتجردون من الأموال ويجلسون على بساط الفقر وكانت مقاصدهم سالحة وأفعالهم في ذلك خطأ لقلة العلم . فأما الآن فقد كفى إبليس هذه المؤنة فإن أحدهم إذا كان له مال أنفقه تبذيراً وضياعاً والحديث باسناد عن محمد بن الحسين السليمي قال سمعت أبا نصر الطوسي : قال سمعت جماعة من مشايخ الري يقولون ورث أبو عبد الله المقرئ من أبيه خمسين ألف دينار سوى الضياع والعقار فخرج عن ذلك كله وأنفقه على الفقراء .

وقد روى مثل هذا عن جماعة كثيرة وهذا الفعل لا ألوم صاحبه إذا كان يرجع إلى كفاية قد ادخرها لنفسه أو إن كانت له صناعة يستغني بها عن الناس أو كان المال عن شبهة فتصدق به فأما إذا أخرج المال الحلال كله ثم احتاج إلى ما في أيدي الناس وأفقر عياله فهو إما أن يتعرض لمن لاخوان أو اصدقائهم أو أن يأخذ من أرباب الظلم والشبهات فهذا هو الفعل المذموم المنهى عنه . ولست أتعجب من المتزهدين الذين فعلوا هذا مع قلة عليهم وإنما العجب من أقوام لهم عقل وعلم كيف حشوا على هذا وأمروا به مع مصادمته للعقل والشرع وقد ذكر الحارث المحاسبي في هذا كلاماً طويلاً وشيده أبو حامد الغزالي ونصره والحارث عندي أعذر من أبي حامد لأن أبا حامد كان أفقه غير أن دخوله في التصوف أوجب عليه نصرة ما دخل فيه . فمن كلام الحارث المحاسبي في هذا أنه قال : أيها المقتنون متى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى وأفضل من تركه . فقد أزريت بمحمد صلى الله عليه وسلم والمرسلين وزعمت أن محمد صلى الله عليه وسلم لم ينصح الأمة إذ نهاهم عن جمع المال وقد علم أن

جمعه خير لهم وزعمت أن الله لم ينظر لعباده حين نهام عن جمع المال وقد علم أن جمعه خير لهم وما ينفعلك الاحتجاج بمال الصحابة . ودان عوف في القيامة أن لو لم يؤت من الدنيا إلا قوتاً . قال ولقد بلغني أنه لما توفي عبد الرحمن ابن عوف قال ناس من أصحاب رسول الله ﷺ إنا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك قال كعب سبحانه الله وما تخافون على عبد الرحمن كسب طيباً وأنفق طيباً فبلغ ذلك أبا ذر فخرج مغضباً يريد كعباً فمر بلحي بغير فأخذه بيده ثم انطلق يطلب كعباً فقيل لكعب إن أبا ذر يطلبك فخرج هارباً حتى دخل على عثمان يستغيث به وأخبره الخبر فأقبل أبو ذر يقتص الأثر في طلب كعب حتى انتهى إلى دار عثمان فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هارباً من أبي ذر فقال له أبو ذر : هيه يا ابن اليهودية تزعم أنه لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف لقد خرج رسول الله ﷺ يوماً فقال الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا ثم قال : يا أبا ذر وأنت تريد الأكثر وأنا أريد الأقل فرسول الله ﷺ يريد هذا وأنت تقول يا ابن اليهودية لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف . كذبت وكذب من قال بقولك ، فلم يرد عليه حرفاً حتى خرج .

قال الحارث : فهذا عبد الرحمن مع فضله يوقف في عرصة القيامة بسبب مال كسبه من حلال للتعفف ولصنائع المعروف فيمنع من السعي إلى الجنة مع فقراء المهاجرين وصار يحبون آثارهم حبواً . وقد كان الصحابة رضي الله عنهم إذا لم يكن عندهم شيء فرحوا وأنت تذخر المال وتجمعه خوفاً من الفقر وذلك من سوء الظن بالله وقلة اليقين بضمانه وكفى به أثماً وعساك تجمع المال لتعيم الدنيا وزهرتها ولذاتها وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال من أسف على دنيا فاته قرب من النار مسيرة سنة . وأنت تأسف على ما فاتك غير مكترث بقربك من عذاب الله عز وجل . ويحك هل تجد في دهرك من الحلال كما وجدت الصحابة وأين الحلال فتجمعه . ويحك إني لك ناصح أرى لك أنك تقنع بالبلغة ولا تجمع المال لأعمال البر فقد سئل بعض أهل العلم عن الرجل يجمع المال لأعمال البر فقال تركه أبر منه . وبلغنا أن بعض خيار التابعين سئل عن رجلين أحدهما طلب الدنيا حالاً

فأصابها فوصل بها رحمه وقدم منها لنفسه والآخر جانبها ولم يطلبها ولم يذلها فأبهم ما أفضل فقال : بعيد والله ما بينهما الذي جانبها أفضل كما بين مشارق الأرض ومغاربها .

قال المصنف : فهذا كله كلام الحارث المحاسبي ذكره أبو حامد وشيذه وقواه بحديث ثعلبة فإنه أعطى المال ففنع الزكاة قال أبو حامد : فمن راقب أحوال الأنبياء والأولياء وأقوالهم لم يشك في أن فقد المال أفضل من وجوده وإن صرف إلى الخيرات ، إذ أقل ما فيه اشتغالهم باصلاحه عن ذكر الله عز وجل فينبغي للريد أن يخرج من ماله حتى لا يبقى له إلا قدر ضرورته فما بقي له درهم يلتفت إليه قلبه فهو محجوب عن الله عز وجل . قال المصنف : وهذا كله بخلاف الشرع والعقل وسوء فهم للبراد بالمال .

(فصل) في رد هذا الكلام أما شرف المال فإن الله عز وجل عظم قدره وأمر بحفظه إذ جعله قواماً للآدمي الشريف فهو شريف . فقال تعالى « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً » ونهى عز وجل أن يسلم المال إلى غير رشيد . فقال « فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم » وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن إضاعة المال وقال لسعد : لأن تترك ورثتك أغنياء خير لك من أن تتركهم عالة يتكففون الناس ، وقال : ما نفعتي مال كمال أبي بكر . والحديث باسناد مرفوع عن عمرو بن العاص . قال : بعث إلى رسول الله ﷺ فقال : خذ عليك ثيابك وسلاحك ثم ائتنى ، فأتيته فقال : أئني أريد أن أبعثك على جيش فيسلمك الله ويغنمك ، وأرغب لك من المال رغبة صالحة . فقلت يا رسول الله ما أسلمت من أجل المال ولكنني أسلمت رغبة في الإسلام . فقال يا عمرو نعم المال الصالح للرجل الصالح . والحديث باسناد عن أنس بن مالك ، أن رسول الله ﷺ دعا له بكل خير . وكان في آخر دعائه أن قال اللهم أكثر ماله وولده وبارك له . وباسناد عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك أن عبيد الله بن كعب بن مالك قال : سمعت كعب بن مالك يحدث حديث توبته . قال : فقلت يا رسول الله أن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله عز وجل وإلى رسوله ﷺ فقال : أمسك بعض مالك فهو خير لك .

قال المصنف : فهذه الأحاديث مخرجة في الصحاح وهي على خلاف ما تعتقده المتصوفة من أن إكثار المال حجاب وعقوبة وأن حبسه ينافي التوكل . ولا ينكر أنه يخاف من فتنته وأن خلقاً كثيراً اجتنبوه لحوف ذلك وأن جمعه من وجهة يعز وسلامة القلب من الافتنان به يبعد واشتغال القلب مع وجوده بذكر الآخرة يندر ولهذا خيف فتنته . فأما كسب المال فإن من اقتصر على كسب البلغة من حلها فذلك أمر لا بد منه . وأما من قصد جمعه والاستكثار منه من الحلال نظرنا في مقصوده ، فإن قصد نفس المفاخرة والمباهاة فيش المقصود ، وإن قصد إعفاف نفسه وعائلته وادخر لحوادث زمانه وزمانهم وقصد التوسعة على الإخوان واغناء الفقراء وفعل المصالح أثيب على قصده وكان جمعه بهذه النية أفضل من كثير من الطاعات . وقد كان نيات خلق كثير من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين في جمع المال سليمة لحسن مقاصدهم لجمعه فحرصوا عليه وسالوا زيادته . وبإسناد عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ أقطع الزبير حضر (١) فرسه بأرض يقال لها ثرثر . فأجرى فرسه حتى قام ، ثم رمى سوطه فقال : أعطوه حيث بلغ السوط وكان سعد بن عباد يدعو فيقول : اللهم وسع على . قال المصنف : وأبلغ من هذا أن يعقوب عليه الصلاة والسلام لما قال له بنوه « وزداد كيل بعير » مال إلى هذا وأرسل ابنه بنيامين معهم . وأن شعبياً طمع في زيادة ما يناله فقال « فإن أتممت عشر آفن عندك » . وأن أيوب عليه السلام لما عوفى نثر عليه رجل (٢) جراد من ذهب فأخذ يحشو في ثوبه يستكثر منه فقليل له : أما شبعنا . قال : يارب من يشبع من فضلك وهذا أمر مركوز في الطباع فاذا قصد به الخير كان خيراً محضاً .

وأما كلام المحاسبي خطأ يدل على الجهل بالعلم وقوله : إن الله عز وجل نهى عباده عن جمع المال . وأن رسول الله ﷺ نهى أمته عن جمع المال . فهذا محال إنما النهي عن سوء القصد بالجمع أو عن جمعه من غير حله .

(١) الخضر بضم المعجمة عدو الفرس .

(٢) هو الجراد الكثير .

وما ذكره من حديث كعب وأبي ذر فحال من وضع الجهال وخفاء صحته عنه ألحقه بالقوم . وقد روى بعض هذا وإن كان طريقه لا يثبت . وبإسناد عن مالك بن عبد الله الزيادي عن أبي ذر أنه جاء يستأذن على عثمان فأذن له ويده عصاه ، فقال عثمان : يا كعب إن عبد الرحمن توفي وترك ما لا فائدة فيه ؟ فقال : إن كان يصل فيه حق الله تعالى فلا بأس به ، فرفع أبو ذر عصاه فضرب كعباً وقال سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما أحب لو أن لي هذا الجبل ذهباً أنفقته ويتقبل مني . أذر خلقي ست أواق . أنشدك الله يا عثمان أسمعت هذا ؟ ثلاث مرات قال نعم .

قال المصنف : وهذا الحديث لا يثبت وابن لهيعة مطعون فيه . قال يحيى لا يحتج بحديثه . والصحيح في التاريخ أن أبا ذر توفي سنة خمس وعشرين وعبد الرحمن توفي سنة اثنتي وثلاثين ، فقد عاش بعد أبي ذر سبع سنين . ثم لفظ ما ذكره من حديثهم يدل على أن حديثهم موضوع . ثم كيف تقول الصحابة رضي الله عنهم . إنا نخاف على عبد الرحمن ، أو ليس الإجماع متفقاً على إباحة جمع المال من حله ، فما وجه الخوف مع الإباحة ، أو يأذن الشرع في شيء ثم يعاقب عليه ، هذا قلة فهم وفقه ، ثم تعلقه بعبد الرحمن وحده دليل على أنه لم يسير سير الصحابة ، فإنه قد خلف طالحة ثلاثمائة بهار في كل بهار ثلاثة قناطير ، والبهار الحمل ، وكان مال الزبير خمسين ألف ألف ومائتي ألف ، وخلف ابن مسعود رضي الله عنه تسعين ألفاً ، وأكثر الصحابة كسبوا الأموال وخلفوها ولم ينسكروا أحد منهم على أحد .

وأما قوله : أن عبد الرحمن يحبو حبوا يوم القيامة . فهذا دليل على أنه لا يعرف الحديث ، أو كان هذا مناماً وليس هو في اليقظة أعوذ بالله من أن يحبوا عبد الرحمن في القيامة ، أفتر . . من يسبق إذا جاء عبد الرحمن بن عوف وهو من العشرة المشهود لهم بالجنة . ومن أهل بدر المغفور لهم ومن أصحاب الشورى . ثم الحديث يرويه عمار بن ذاذان ، وقال البخاري : ربما اضطرب حديثه ، وقال أحمد : يروى عن أنس أحاديث مناكير ، وقال أبو حاتم الرازي : لا يحتج به ، وقال الدارقطني : ضعيف ، أخبرنا ابن الحصين مرفوعاً إلى عمار عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال : بينما عائشة رضي

الله عنها في بيتها سمعت صوتاً في المدينة . فقالت : ما هذا ؟ فقالوا غير لعبد الرحمن بن عوف قدمت من الشام تحمل من كل شيء ، قال وكانت سبعائة بعير ، فارتجت المدينة من الصوت . فقالت عائشة رضى الله عنها : سمعت رسول الله ﷺ يقول : قد رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبواً . فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف فقال : إن استطعت لأدخلها قائماً . فجعلها بأقمتها وأحماها في سبيل الله عز وجل .

وقوله : ترك المال الحلال أفضل من جمعه . ليس كذلك بل متى صح القصد فجمعه أفضل بلا خلاف عند العلماء . والحديث الذي ذكره عن رسول الله ﷺ من أسف على دنيا فاتته الخ محال : ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم قط . وقوله : هل تجد في دهرك حلالاً . فيقال له : وما الذي أصاب الحلال والنبي ﷺ يقول : الحلال بين والحرام بين . أتري يريد بالحلال وجود حبة مذ خرجت من المعدن ما تقلبت في شبهة ، هذا يبعد وما طولبنا به . بل لو باع المسلم يهوديا كان الثمن حلالاً بلا شك . هذا مذهب الفقهاء وأعجب لسكوت أبي حامد بل لنصرته ما حكى وكيف يقول أن فقد المال أفضل من وجوده وإن صرف إلى الخيرات . ولو أدعى الاجماع على خلاف هذا لصح ، ولكن تصوفه غير فتواه . وعن المروزي قال سمعت رجلاً يقول لأبي عبد الله إني في كفاية فقال : الزم السوق تصل به الرحم وتعود المرضى . وقوله ينبغى المرید أن يخرج من ماله ، قد بينا أنه إن كان حراماً أو فيه شبهة أو إن يفتح هو باليسير أو بالكسب جاز له أن يخرج منه . وإلا فلا وجه لذلك ، وأما ثعلبة فما ضره المال إنما ضره البخل بالواجب .

وأما الانبياء فقد كان لآبراهيم عليه الصلاة والسلام زرع ومال ولشعيب ولغيره وكان سعيد بن المسيب رضى الله عنه يقول لا خير فيمن لا يطلب المال يقضى به دينه ويصون به عرضه ويصل به رحمه فإن مات تركه ميراثاً لمن بعده وخلف ابن المسيب أربعائة دينار وقد ذكرنا ما خلفت الصحابة . وقد خلف سفيان الثوري رضى الله عنه مائتين وكان يقول : المال في هذا الزمان سلاح وما زال السلف يمدحون المال ويجمعونه للنوائب وإعانة الفقراء . وإنما تجافاه قوم منهم إثارة للتشاغل بالعبادات وجمع الهمم فقتنعوا

بالسير ولو قال هذا القائل أن التقلل منه أولى قرب الأمر ولكنه زاحم به مرتبة الاثم .

(فصل) واعلم أن الفقر مرض فمن ابتلى به فصبر أثيب على صبره ، ولهذا يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام لمكان صبرهم على البلاء والمال نعمة والنعمة تحتاج إلى شكر ، والغنى وإن تعب وخاطر كالمفتى والمجاهد والفقير كالمعتزل في زاوية . وقد ذكر أبو عبد الرحمن السلمي في كتاب سنن الصوفية باب كراهية أن يخلف الفقير شيئاً . فذكر حديث الذي مات من أهل الصفة وخلف دينارين . فقال رسول الله ﷺ : كيتان .

قال المصنف : وهذا احتجاج من لا يفهم الحال فإن ذلك الفقير كان يزاحم الفقراء في أخذ الصدقة وحبس مامعه فلذلك قال : كيتان ، ولو كان المسكروه نفس ترك المال لما قال رسول الله ﷺ : إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس ولما كان أحد من الصحابة يخلف شيئاً . وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : حث رسول الله ﷺ على الصدقة فحث بنصف مالى . فقال رسول الله ﷺ : وما أبقيت لأهلك . فقلت مثله ، فلم ينكر عليه رسول الله ﷺ قال ابن جرير الطبرى وفى هذا الحديث دليل على بطلان ما يقوله جهلة المتصوفة أن ليس للانسان إدخار شيء فى يومه لغده ، وإن فاعل ذلك قد أساء الظن بربه ولم يتوكل عليه حتى توكله . قال ابن جرير : وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام اتخذوا الغنم فانها بركة . فيه دلالة على فساد قول من زعم من المتصوفة أنه لا يصح لعبد التوكل على ربه إلا بأن يصبح ولا شيء عنده من عين ولا عرض ويمسى كذلك . ألا ترى كيف أدخّر رسول الله ﷺ لأزواجه قوت سنة .

(فصل) وقد خرج أقوام من أموالهم الطيبة ثم عادوا يتعرضون للأوساخ ويطلبون وهذا لأن حاجة الإنسان لا تنقطع ، والعاقل يعد للمستقبل وهؤلاء مثلهم فى إخراج المال عند بداية تزهدهم مثل من روى فى طريق مكة فبدد الماء الذى معه . والحديث باسناد عن جابر بن عبد الله قال قدم أبو حصين السلمي بذهب من معدنهم فقصى ديناً كان عليه وفضل معه مثل بيضة الحمامة ، فأتى بها رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ضع هذه حيث أراك الله أو حيث رأيت ، قال فجأته عن يمينه فأعرض عنه ثم

جاءه عن يساره فأعرض عنه ثم جاءه من بين يديه فنكس رسول الله ﷺ رأسه . فلما أكثر عليه أخذها من يديه فحذف بها لو أصابته لعقرته ، ثم أقبل عليه رسول الله ﷺ ، فقال يعمد أحكم إلى ماله فيصدق به ثم يقعد فيتكفف الناس ، وإنما الصدقة عن ظهر غنى وأبدأ بمن تعول . وقد رواه أبو داود في سننه من حديث محمود بن لبيد عن جابر بن عبد الله . قال كنا عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل بمثل البيضة من ذهب فقال ، يا رسول الله أصبت هذه من معدن فحذفها فهي صدقة ما أملك غيرها . فأعرض عنه رسول الله ﷺ . ثم أتاه من قبل ركنه الأيمن فقال مثل ذلك فأعرض عنه ثم أتاه من قبل ركنه الأيسر فأعرض عنه رسول الله ﷺ . ثم أتاه من خلفه فأخذها رسول الله ﷺ فحذف بها فلو أصابته لأقصعته أو لعقرته . فقال رسول الله ﷺ . يأتي أحكم بما يملك فيقول هذه صدقة ثم يقعد يتكفف الناس خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى . وفي رواية أخرى : خذ عنا مالك لا حاجة لنا به . وروى أبو داود من حديث أنى سعيد الخدري رضى الله عنه ، قال : دخل رجل المسجد فأمر رسول الله ﷺ أن يطرحوا ثياباً فطرحوا . فأمر له منها بثوبين ثم حث على الصدقة . فجاء فطرح أحد الثوبين فصاح به : خذ ثوبك . قال المصنف : ونقلت من خط أنى الوفاء بن عقيل . قال قال : ابن شاذان دخل جماعة من الصوفية على الشبلى ، فأنفذ إلى بعض المياسير يسأله ما لا ينفقه عليهم ، فرد الرسول وقال يا أبا بكر . أنت تعرف الحق فهلا طلبت منه ، فقال للرسول : أرجع إليه وقل له الدنيا سفلة أطلبها من سفلة مثلك واطلب الحق من الحق . فبعث إليه بمائة دينار . قال ابن عقيل : ان كان أنفذ إليه المائة دينار للافتداء من هذا الكلام القبيح وأمثاله . فقد أكل الشبلى الخبيث من الرزق وأطعم أضيافه منه .

﴿ فصل ﴾ وقد كان لبعضهم بضاعة فأنفقها . وقال . ما أريد أن تكون ثقتى إلا بالله وهذا قلة فهم لأنهم يظنون أن التوكل قطع الأسباب وإخراج الأموال أخبرنا القزاز قال أخبرنا الخطيب قال أخبرنا أبو نعيم الحافظ قال أنبأنا جعفر الخلدی فی کتابه قال سمعت الجنید يقول دقمت على أبي يعقوب الزيات

بابه في جماعة من أصحابنا . فقال : ما كان لكم شغل في الله عز وجل يشغلكم عن المجيء إلى ^١ ، فقلت له : إذا كان يجئنا إليك من شغلنا به فلم نقطع عنه : فسألته عن مسألة في التوكل فأخرج درهما كان عنده ثم أجازني . فأعطى التوكل حقه ثم قال : استحييت من الله أن أجيبك وعندى شيء .

قال المصنف . لو فهم هؤلاء معنى التوكل وأنه ثقة القلب بالله عز وجل لا إخراج صور المال . ما قال هؤلاء هذا الكلام . ولكن قل فهمهم وقد كان سادات الصحابة والتابعين يتجرون ويجمعون الأموال وما قال مثل هذا أحد منهم . وقد روينا عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه . أنه قال حين أمر بترك الكسب لأجل شغله بالخلافة ، فنأين أطمع عيالي . وهذا القول منكر عند الصوفية يخرجون قائله من التوكل وكذلك يشكرون على من قال هذا الطعام يضرنى . وقد رورا في ذلك حكاية عن أبي طالب الرازي قال . حضرت مع أصحابنا في موضع فقدموا اللبن وقال لي كل فقلت لا آكله فإنه يضرنى فلما كان بعد أربعين سنة صليت يوماً خلف المقام ودعوت الله عز وجل وقلت . اللهم انك تعلم أني ما أشركت بك طرفة عين . فسمعت هاتفاً يهتف بي ويقول — ولا يوم اللبن .

قال المصنف . وهذه الحكاية الله أعلم بصحتها — واعلم أن من يقول هذا يضرنى . لا يريد أن ذلك يفعل الضرر بنفسه وإنما يريد أنه سبب الضرر كما قال الخليل صلوات الله وسلامه عليه . « رب إنهم أضللت كثيرًا من الناس » . وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال ما نفعني مال كمال أبي بكر . وقوله — ما نفعني مقابل لقول القائل — ماضرنى . وصح عنه أنه قال . ما زالت أكلة خيبر تعادني فهذا أو ان قطعت أبهرى (١) . وقد ثبت أنه لارتبة أولى من رتبة النبوة وقد نسب النفع إلى المال والضرر إلى الطعام فالتحاشى عن سلوك طريقه ﷺ تعاط على الشريعة فلا يلتفت إلى هذيان من هذى في مثل هذا .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف : وقد بينا أنه كان أوائل الصوفية يخرجون من

(١) الأبهر عرق في الظهر ، فإذا انقطع لم تبق معه حياة : وتعادنى بالدال المشددة تأتيني المرة بعد المرة .

أموالهم زهداً فيها . وذكرنا أنهم قصدوا بذلك الخير إلا أنهم غلطوا في هذا الفعل . كما ذكرناه من مخالفتهم بذلك الشرع والعقل . فأما متأخروهم فقد مالوا إلى الدنيا وجمع المال من أى وجه كان إيثراً للراحة وحباً للشهوات . فمنهم من يقدر على الكسب ولا يعمل ويجلس في الرباط أو المسجد ويعتمد على صدقات الناس وقلبه معلق بطرق الباب . ومعنوم ان الصدقة لا تحل لغنى ولا لذى مرة (١) سوى ولا يبالون من بعث إليهم فر بما بعث الظالم والمالك فلم يردوه . وقد وضعوا في ذلك بينهم كلمات منها تسمية ذلك - بالفتوح ومنها ان رزقنا لا بد ان يصل إلينا . ومنها انه من الله فلا يرد عليه ولا نشكر سواه . وهذا كله خلاف الشريعة وجهل بها وعكس ما كان السلف الصالح عليه . فان النبي ﷺ قال . الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه وقد جاء أبو بكر الصديق رضى الله عنه من أكل الشبهة . وكان الصالحون لا يقبلون عطاء ظالم ولا يمن في ماله شبهة . وكثير من السلف لم يقبل صلة الإخوان عفاً وتزهاً وعن أن بكر المروزي قال ذكرت لأبي عبد الله رجلاً من المحدثين فقال رحمه الله أى رجل كان لو لا خلة واحدة . ثم سكت . ثم قال . ليس كل الحلال يكملها الرجل فقلت له أليس كان صاحب سنة . فقال . لعمرى لقد كتبت عنه ولكن خلة واحدة كان لا يبالى ممن أخذ .

قال المصنف : ولقد بلغنا ان بعض الصوفية دخل على بعض الأمراء الظلمة فوعظه فأعطاه شيئاً فقبله . فقال الأمير كلنا صيادون وإنما الشباك تختلف ثم أين هؤلاء من الأنفة من الميل للدنيا فان النبي ﷺ قال اليد العليا خير من اليد السفلى - واليد العليا هي المعطية هكذا فسرہ العلماء وهو الحقيقة وقد تأوله بعض القوم فقال العليا هي الآخذة قال ابن قتيبة ولا أرى هذا إلا تأويل قوم استطابوا السؤال .

(فصل) قال المصنف . ولقد كان أوائل الصوفية ينظرون في حصول الأموال من أى وجه ويفتشون عن مطاعهم وسئل أحمد بن حنبل عن السرى (١) المرة بكسر الميم القوة .

السقطى فقال الشيخ المعروف بطبيب المطعم وقال السرى صحبت جماعة إلى الغزو فاكتر بنا داراً فنصبت فيها تنوراً فتورعوا أن يأكلوا من خبز ذلك التنور فأما من يرى ما قد تجدد من صوفية زماننا من كونهم لا يبالون من أين أخذوا فإنه يعجب . ولقد دخلت بعض الأربطة فسألت عن شيخه فقيل لي قد مضى إلى الأمير فلان يهنته بخلعة قد خلعت عليه وكان ذلك الأمير من كبار الظلمة فقلت ويحكم ما كفاكم أن فتحتم الدكان حتى تطوفون على رؤوسكم بالسلع يقعد أحدكم عن الكسب مع قدرته عليه مع ولا على الصدقات والصلوات ثم لا يكفيه حتى يأخذ ممن كان ثم لا يكفيه حتى يدور على الظلمة فيستعطي منهم ويهنتهم بملبوس لا يحل وولاية لا عدل فيها والله انكم أضر على الإسلام من كل مضر .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف وقد صار جماعة من أشياخهم يجمعون المال من الشبهات ثم ينقسمون فمنهم من يدعى الزهد مع كثرة المال وحرصه على الجمع وهذه الدعوى مضادة للحال ومنهم من يظهر الفقر مع جمعه المال وأكثر هؤلاء يضيئون على الفقراء بأخذهم الزكاة ولا يجوز لهم ذلك وقد كان أبو الحسن البسطامي شيخ رباط ابن المحيان (١) يلبس الصوف صيفاً وشتاءً وتقصده الناس يتبركون به فمات تخلف أربعة آلاف دينار .

قال المصنف وهذا فوق القبيح وقد صح عن النبي ﷺ أن رجلاً من أهل الصفة مات تخلف دينارين فقال ﷺ كيتان .

﴿ ذكر تلبس إبليس على الصوفية في لباسهم ﴾

قال المصنف لما سمع أوائل القوم أن النبي ﷺ كان يرقع ثوبه وأنه قال لعائشة رضي الله عنها لا تخلعي ثوباً حتى ترقعيه وإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان في ثوبه رقاع وإن أويسا القرني كان يلتقط الرقاع من المزابل فيغسلها في الفرات ثم يخيطنها فيلبسها اختاروا المرقعات وقد أبعدها في القياس فإن رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا يوثرون البذاذة ويعرضون عن الدنيا زهداً وكان أكثرهم يفعل هذا لأجل الفقر كما روينا عن مسلبة بن عبد الملك

(١) وفي النسخة الثانية المحليان ، وفي نسخة أخرى الملحيان .

انه دخل على عمر بن العزيز وعليه قميص وسخ فقال لامرأته فاطمة اغسلي قميص أمير المؤمنين فقالت والله ماله قميص غيره . فأما إذا لم يكن هذا لفقر وقصد البذاذة فما له من معنى .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف فأما صوفية زماننا فانهم يعمدون إلى ثوبين أو ثلاثة كل واحد منها على لون فيجعلوها خرقة ويلفقونها فيجمع ذلك الثوب وصفين الشهرة والشهوة فان لبس مثل هذه المرفعات أشهى عند خلق كثير من الديباج وبها يشتهر صاحبها انه من الزهاد افتراهم يصيرون بصورة الرقاع كالسلف كذا قد ظنوا وان إبليس قد لبس عليهم وقال أتم صوفية لأن الصوفية كانوا يلبسون المرفعات وأتم كذلك أتراهم ما علموا ان التصوف معنى لاصورة وهؤلاء قد فاتهم التشبيه في الصورة والمعنى أما الصورة فان القدماء كانوا يرقعون ضرورة ولا يقصدون التحسن بالمرقع ولا يأخذون أثواباً جدداً مختلفة الألوان فيقطعون من كل ثوب قطعة ويلفقونها على أحسن التوقيع ويخطونها ويسمونهم رقيقة وأما عمر رضى الله عنه لما قدم بيت المقدس حين سأل القسيسون والرهبان عن أمير المسلمين فعرضوا عليهم أمراء الحساكر مثل أنى عبيدة وخالد بن الوليد وغيرهما ، فقالوا ، ليس هذا المصور عندنا ، ألكم أميراً أولاً ، فقالوا ، لنا أمير غير هؤلاء ، فقالوا هو أمير هؤلاء ، قالوا ، نعم هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقالوا ارسلوا اليه ننظره فان كان هو سلمنا اليكم من غير قتال وان لم يكن هو فلا ، فلو حاصرتمونا ما تقدررون علينا فأرسلوا المسلمين إلى عمر رضى الله عنه وأعلموه بذلك فقدم عليهم وعليه ثوب مرقع سبع عشرة رقعة بينهار رقعة من أديم فلما رآه الروحانية والقسوس على هذه الصفة سلموا بيت المقدس اليه من غير قتال ، فأين هذا بما يفعله جهال الصوفية في زماننا فنسأل الله العفو والعافية ، وأما المعنى فان أولئك كانوا أصحاب رياضة وزهد .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف . ومن هؤلاء المذمومين من يلبس الصوف تحت الثياب ويلوح بكمه حتى يرى لباسه ، وهذا لص ليلى ، ومنهم من يلبس الثياب اللينة على جسده ثم يلبس الصوف فوقها وهذا لص نهاري مكشوف . وجاء

آخرون فأرادوا التشبه بالصوفية وصعب عليهم البذاذة وأحبوا التمتع ولم يروا الخروج من صورة التصوف لئلا يتعطل المعاش فلبسوا القوط الرفيعة واعتمدوا بالرومي الرفيع إلا أنه بغير طراز القميص والعامة على أحدهم بثمان خمسة أثواب من الحرير .

وقد لبس إبليس عليهم أنكم صوفية نفيس النفس . وإنما أرادوا أن يجمعوا بين رسوم التصوف وتنعم أهل الدنيا . ومن علاماتهم مصادقة الأمراء ومفارقة الفقراء كبراً وتعظيماً . وقد كان عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليه يقول : يا بني إسرائيل : ما لكم تأتونني وعليكم ثياب الرهبان ، وقلوبكم قلوب الذئاب الضواري . لبسوا لباس الملوك وألبسوا قلوبكم بالخشية .

وأخبرنا محمد بن أبي القاسم قال أخبرنا محمد بن أحمد الحداد قال أخبرنا أبو نعيم الحافظ ثنا أحمد بن جعفر بن معبد ثنا يحيى بن مطرف ثنا أبو ظفر ثنا جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار ، قال . إن من الناس ناساً إذا لقوا القراء ضربوا معهم بسهم ، وإذا لقوا الجبابرة وأبناء الدنيا أخذوا معهم بسهم ، فكونوا من قراء الرحمن بارك الله فيكم .

أخبرنا محمد بن أحمد بن أبو نعيم ثنا الحسين بن محمد بن العباس الفقيه ثنا أحمد بن محمد اللالي ثنا أبو حاتم ثنا هبة ثنا حزم . قال سمعت مالك بن دينار يقول : انكم في زمان أشهب لا يبصر زمانكم إلا البصير . انكم في زمان كثير تفاحشهم قد انتفخت الستهم في أفواههم فطلبوا الدنيا بعمل الآخرة فاحذروهم على أنفسكم لا يوقعوكم في شباكم .

أخبرنا محمد بن ناصر وابن عبد الباقي قال أخبرنا محمد بن أحمد بن أحمد بن عبد الله الحافظ ثنا أحمد بن جعفر بن حمدان ثنا عبد الله بن أحمد ثني . هني الشامى ثنا ضمرة عن سعيد بن شبل قال : نظر مالك بن دينار إلى شاب ملازم للمسجد فجلس إليه . فقال له : هل لك أن أكلم بعض العشارين يجررون عليك شيئاً وتكون معهم ، قال : ماشئت يا أبا يحيى : قال فأخذ كفاً من تراب فجعله على رأسه .

أخبرنا محمد بن أحمد نا أحمد ثنا قارون بن عبد الكبير الخطاطي ثنا

هشام بن علي السيرافي ثنا قطن بن حماد بن واقد ثنا أبي ثنا مالك بن دينار . قال : كان قتي يتفري فكان يأتيني . فابتلى : فولى الجسر فبينما هو يصلى إذ مرّت سفينة فيها بط . فنادى بعض أعوانه : قرب لنا خذ للعامل بطة : فأشار بيده سبحانه الله أى بطتين قال فكان أبى اذا حدث بهذا الحديث بكى وأضحك الجلساء . أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعيد بن أبى صادق نا ابن باكوية قال سمعت محمد بن خفيف يقول قلت لرويم أوصنى فقال هو بذل الروح وإلا فلا تشغل بترهات الصوفية . أخبرنا بن ناصر نا أبو عبد الله الحميدى نا أبو بكر أحمد بن محمد الأردستاني ثنا عبد الرحمن السلى قال سمعت أبى يقول بلغنى ان رجلا قال للشبلى : قد ورد جماعة من أصحابك وهم فى الجامع فمضى فرأى عليهم المرقعات والقوط فأنشأ يقول :

أما الحيام فانها كخيامهم وأرى نساء الحى غير نساها
قال المصنف رحمه الله قلت واعلم ان هذه البهجة فى تشبيه هؤلاء بأولئك
لا تخفى إلا على كل غبي فى الغاية . فأما أهل الفطنة فيعلمون أنه تنميس بارد
والأمر فى ذلك على نحو قول الشاعر :

تشبهت حور الطباء بهم ان سكنت فيك ولا مثل سكن
أصامت بناطق ونافر بآنس وذو خلا بذى شجن
مشتبه أعرفه وإنما مغالطا قلت لصحبي دار من

((فصل)) قال المصنف . وإنما أكره لبس القوط المرقعات لأربعة
أوجه أحدها أنه ليس من لباس السلف وإنما كان السلف يرقعون ضرورة .
والثانى أنه يتضمن إدعاء الفقر وقد أمر الانسان ان يظهر نعمة الله عليه .
والثالث أنه إظهار للزهد وقد أمرنا بستره . والرابع أنه تشبه هؤلاء المتبرحين
عن الشريعة ومن تشبه يقوم فهو منهم .

وقد أخبرنا ابن الحسين نا بن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد
ثنى أبى ثنا أبو النصر ثنا عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان ثنا حسان بن عطية عن
أبى منيب الحرسي عن ابن عمر . قال قال رسول الله ﷺ من تشبه يقوم فهو
منهم . وقد أنبأنا أبو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر قال أخبرنى أبى . قال :

لما دخلت بغداد في رحلتى الثانية قصدت الشيخ أبا محمد عبدالله بن أحمد السكرى لأقرأ عليه أحاديث - وكان من المنكرين على هذه الطائفة - فأخذت في القراءة فقال أيها الشيخ أنك لو كنت من هؤلاء الجهال الصوفية لعذرتك . أنت رجل من أهل العلم تشتغل بحديث رسول الله ﷺ وتسعى في طلبه . فقلت . أيها الشيخ وأى شيء أنكرت على حتى أنظر فإن كان له أصل في الشريعة لزمته ، وإن لم يكن له أصل في الشريعة تركته فقال ما هذه الشواذك (١) التى فى مرقتك فقلت أيها الشيخ هذه أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهمما تخبر أن رسول الله ﷺ كان له جبة مكفوفة الجيب والكمين والفرجين بالديباج وإنما وقع الإنكار لأن هذه الشواذك ليست من جنس الثوب والديباج ليس من الجبة فاستدلنا بذلك على أن لهذا أصلاً فى الشرع يجوز مثله .

قال المصنف . قلت لقد أصاب السكرى فى إنكاره وقل فقه ابن طاهر فى الرد عليه فإن الجبة المكفوفة الجيب والكمين قد جرت العادة بلبسها كذلك فلا شهرة فى لبسها . فأما الشواذك فتجمع شهرة الصورة ، وشهرة دعوى الزهد . وقد أخبرتك أنهم يقطعون الثياب الصالح ليحلقوا شواذك لا عن ضرورة يقصدون الشهرة لحسن ذلك والشهرة بالزهد ولهذا وقعت الكراهية . وقد كرهها جماعة من مشايخهم كما بينا .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامرى نا أبو سعد بن أبى صادق ثنا أبو عبدالله بن باكويه قال سمعت الحسين بن أحمد الفارسى يقول سمعت الحسين بن هند يقول سمعت جعفر الحذاء يقول : لما فقد القوم القوائد من القلوب اشتغلوا بالظواهر وتزينوها معنى بذلك - أصحاب المصبغات والقوط - أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبى صادق ثنا بن باكويه أخبرنا أبو يعقوب الخراط . قال سمعت الثورى يقول : كانت المرقعات غطاء على الدر فصارت جيفاً على مزابل قال ابن باكويه : وأخبرنى أبو الحسن الحنظلى . قال نظر محمد بن محمد ابن على السكتانى إلى أصحاب المرقعات فقال : إخوانى إن كان لباسكم موافقاً لسرايركم لقد أحببتكم أن يطلع الناس عليها ، وإن كانت مخالفة لسرايركم فقد هلكتم ورب الكعبة . أخبرنا محمد بن ناصر أنبأنا أبو بكر بن خلف ثنا

(١) نوع من الشريط معمول من الحرير المصبغ .

محمد بن الحسين السلمي . قال سمعت نصر بن أبي نصر يقول : قال أبو عبد الله محمد بن عبد الخالق الدينوري لبعض أصحابه . لا يعجبك ما ترى من هذه اللبسة الظاهرة عليهم ، فأزبنوا الظواهر إلا بعد أن خربوا البواطن . وقال ابن عقيل . دخلت يوماً الحمام فرأيت على بعض أوتاد السلخ جبة مشوزكة مرقعة بقوط . فقلت للحمامي . أرى سلخ الحية . فمن داخل . فذكر لي بعض من يتصف بالبلاء حوشاً للأموال .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف : وفي الصوفية من يرقع المرقعة حتى تصير كشيفة خارجة عن الحد أخبرنا أبو منصور القزاز قال أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت نا القاضي أبو محمد الحسن بن رامين الأسد آبادي نا أبو محمد عبد الله بن محمد الشيرازي نا جعفر الخالدي ثنا بن خباب أبو الحسين صاحب ابن السكري قال أوصى لي ابن السكري بمرقعة فوزنت فردة كم من أكامها فاذا فيه أحد عشر رطلا ، قال جعفر ، وكانت المرقعات تسمى في ذلك الوقت السكيل (١) .

﴿ فصل ﴾ وقد قررنا أن هذه المرقعة لا تلبس إلا من يد شيخ . وجعلوا لها إسناداً متصلاً كله كذب ومحال وقد ذكر محمد بن طاهر في كتابه فقال باب السنة في لبس الخرقة من يد الشيخ فجعل هذا من السنة واحتج بحديث أم خالد ان النبي ﷺ أتى بثياب فيها خمصة (٢) سوداء فقال من ترون أكسوه هذه . فسكت القوم : فقال رسول الله ﷺ اتئون بأمر خالد ، قالت فأتي بي فألبسنيها بيده . وقال . أبل وأخلق .

قال المصنف وإنما ألبسها رسول الله ﷺ لكونها صنية . وكان أبوها خالد بن سعيد بن العاص . وأما همنية بنت خلف . قد هاجروا إلى أرض الحبشة فولدت لهما هناك أم خالد واسمها أمة ثم قدموا فأكرمها رسول الله ﷺ لصغر سنهما وكما اتفق فلا يصير هذا سنة . وما كان من عادة رسول الله ﷺ لباس الناس . ولا فعل هذا أحد من أصحابه ولا تابعيهم .

ثم ليس من السنة عند الصوفية أن يلبس الصغير دون الكبير ولا أن تكون الخرقة سوداء بل مرقعة أو فوطة فهلا جعلوا السنة لبس الخرق السود كما جاء في حديث أم خالد ، وذكر محمد بن طاهر في كتابه فقال : باب السنة

(١) في النسخة الثانية - السكيل - بالباء الموحدة . (٢) كذا في النسختين

فما شرط الشيخ على المريد في لبس المرقعة . واحتج بحديث عبادة ، بأعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر ، قال المصنف فانظر إلى هذا الفقه الدقيق ، وأين اشتراط الشيخ على المريد من اشتراط رسول الله ﷺ الواجب الطاعة على البيعة الاسلامية اللازمة .

﴿ فصل وأما لبسهم المصبغات . فانها ان كانت زرقاء فقد فاتهم فضيلة البياض ، وان كانت فوطا فهو ثوب شهرة وشهرته أكثر من شهرة الأزرق وان كانت مرقعة فهي أكثر شهرة . وقد أمر الشرع بالثياب البيض ونهى عن لباس الشهرة . فأما أمره بالثياب البيض فأخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن ابن علي التيمي نا احمد بن جعفر ثنا عبدالله بن احمد بن حنبل ثنى أبي ثناء على ابن عاصم نا عبدالله بن عثمان بن حثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال قال رسول الله ﷺ البسوا من ثيابكم البيض فانها من خير ثيابكم وكفنوا فيها موتاكم . قال عبدالله ، وحدثني أبي ثناء يحيى بن سعيد عن سفيان ثنى حبيب بن أبي ثابت عن ميمون بن أبي شبيب عن سمرة بن جندب عن النبي ﷺ . قال . البسوا الثياب البيض فانها أطهر وأطيب . وكفنوا فيها موتاكم . قال الترمذى . هذان حديثان صحيحان ، وفي الباب عن ابن عمر ، قال ، وهذا الذى يستحبه أهل العلم ، وقال احمد بن حنبل واسحاق ، أحب الثياب إلينا أن نكفن فيها البياض ، وقد ذكر محمد بن طاهر فى كتابه فقال ، باب السنة فى لبسهم المصبغات ، واحتج بأن النبي صلوات الله عليه وسلامه ، لبس حلة حمراء ، وأنه دخل يوم الفتح وعليه عمامة سوداء .

قال المصنف : قلت ولا ينكر أن رسول الله ﷺ لبس هذا ولا أن لبسه غير جائز ، وقد روى أنه كان يعجبه الخبرة ، وإنما المسنون الذى يأمر به ويدأوم عليه وقد كانوا يلبسون الأسود والأحمر ، فأما القوط والمرقع فانه لبس شهرة .

﴿ فصل ﴾ وأما النهى عن لباس الشهرة وكراهته . فأخبر أبو منصور ابن خيرون أنبأنا أبو بكر الخطيب نا ابن زرقويه ثنا جعفر بن محمد الخلدى ثنا محمد بن عبدالله أبو جعفر الحضرمى ثنا روح بن عبدالمؤمن ثنا وكيع بن محرز الشامى ثنا عثمان بن جهم عن زر بن حبیش عن أبي ذر . عن النبي ﷺ أنه قال من لبس ثوب شهرة أعرض الله عنه حتى يضعه . أخبرنا عبد الحق

ابن عبد الخالق قال أنبأنا المبارك ابن عبد الجبار نا أبو الفرج الحسين بن على الطنجيرى وأنبأنا هبة الله بن محمد أنبأنا الحسين بن على التميمى قالاً أخبرنا أبو حفص بن شاهين ثنا خزيمة بن سليمان بن حيدرة ثنا محمد بن الهيثم ثنا أحمد ابن أبي شعيب الحرافى ثنا مجلد بن يزيد عن أبي نعيم عن عبد الرحمن بن حرملة عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة وزيد بن ثابت رضى الله عنهما عن النبي ﷺ . أنه نهى عن الشهرتين فليل يارسول الله وما الشهرتان قال؟ رقة الثياب وغلظها. ولينها وخشوتها، وطولها وقصرها ولكن سداد بين ذلك واقتصاد. أخبرنا محمد بن ناصر نا محمد بن على بن ميمون نا عبد الوهاب بن محمد الغندجافى نا أبو بكر بن عبدان نا محمد بن سهل ثنا محمد بن اسماعيل البخارى . قال . قال موسى بن حماد بن سلمة عن ليث عن مهاجر عن ابن عمر قال من لبس ثوباً مشهوراً أذله الله يوم القيامة . قال المصنف . وقد روى لنا مرفوعاً قال أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبى ثنا حجاج ثنا شريك عن عثمان بن أبى راشد عن مهاجر الشامى عن ابن عمر . قال قال رسول الله ﷺ . من لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب المذلة يوم القيامة . أخبرنا محمد بن ناصر نا المبارك بن عبد الجبار وعبد القادر بن محمد بن يوسف قالاً أخبرنا أبو اسحاق البرمكى نا أبو بكر بن نجيب ثنا أبو جعفر بن ذريح ثنا هناد ثنا أبو معاوية عن ليث عن مهاجر بن أبى الحسن عن ابن عمر رضى الله عنه قال . من لبس ثوب شهرة من الثياب ألبسه الله ثوب ذلة . وعن ليث عن شهر عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال من ركب مشهوراً من الدواب أعرض الله عنه ما دام عليه وإن كان كريماً .

قال المصنف . وقد روينا أن ابن عمر رضى الله عنهما رأى على ولده ثوباً قبيحاً دوناً فقال لا تلبس هذا . فان هذا ثوب شهرة . أخبرنا اسماعيل بن أحمد نا اسماعيل بن مسعدة نا حمزة بن يوسف نا أبو أحمد بن عدى ثنا أحمد بن محمد بن الهيثم الدورى ثنا محمد بن على بن الحسن بن شقيق قال حدثنا محمد بن مزاحم ثنا بكير بن معروف عن مقاتل بن بريدة عن أبيه بريدة قال شهدت

مع رسول الله ﷺ فتح خير وكنت فيمن صعد الثلبة فقاتلت حتى رأى مكانى وأتيت وعلى ثوب أحمر . فما علمت انى ركبت فى الاسلام ذنباً أعظم منه للشهرة وقال سفيان الثورى . كانوا يكرهون الشهرة الثياب الجياد التى يشتهر بها ويرفع الناس اليه فيها أبصارهم والثياب الرديئة التى يحتقر فيها ويستبدل ، وقال معمر . عاتبت أيوب على طول قيصره . فقال . إن الشهرة فيما مضى كانت فى طوله وهى اليوم فى تشميره .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف ومن الصوفية من يلبس الصوف ويحتج بأن النبى ﷺ لبس الصوف . وبما روى فى فضيلة لبس الصوف ، فأما لبس رسول الله ﷺ الصوف فقد كان يلبسه فى بعض الأوقات لم يكن لبسه شهرة عند العرب . وأما ما روى فى فضل لبسه فمن الموضوعات التى لا يثبت منها شيء . ولا يخلو لبس الصوف من أحد أمرين : إما أن يكون متعوداً لبس الصوف وما يجانس من غليظ الثياب فلا يكره ذلك له لأنه لا يشهر به . وإما أن يكون مترفاً لم يتعوده فلا ينبغي له لبسه من وجهين . أحدهما أنه يحمل بذلك على نفسه ما لا تطيق ولا يجوز له ذلك والثانى أنه يجمع بلبسه بين الشهرة وإظهار الزهد . وقد أخبرنا حمد بن منصور الهمداني نا أبو على أحمد بن سعد بن على العجلي نا أبو ثابت هجير بن منصور بن على الصوفى إجازة ثنا أبو محمد جعفر ابن محمد بن الحسن بن اسماعيل الأهرى ثنا روزبه ثنا محمد بن اسماعيل بن محمد الطائى ثنا بكر بن سهل الدمياطى ثنا محمد بن عبد الله بن سليمان ثنا داود ثنا عباد بن العوام عن عباد بن كثير عن أنس قال قال رسول الله ﷺ من لبس الصوف ليعرفه الناس كان حقاً على الله عز وجل أن يكسوه ثوباً من جرب حتى تتساقط عروقه . أنبأنا زاهر بن طاهر قال أنبأنا أبو عثمان الصابونى وأبو بكر البيهقي قالاً أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم ثنا أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن يحيى ثنا العباس بن منصور ثنا سهل بن عمار ثنا نوح بن عبد الرحمن الصيرفى ثنا محمد بن عبيد الهمداني ثنا عباد بن منصور عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما . قال قال رسول الله ﷺ ان الأرض لتعج إلى ربها من الذين يلبسون الصوف رياء .

أخبرنا محمد بن ناصر نا جعفر بن أحمد نا الحسن بن علي التيمي ثنا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أنى ثنا عبد الصمد ثنا خالد بن شوذب قال شهدت الحسن وأتاه فرقد فأخذ الحسن بكسائه فده اليه وقال يافر يقديا ابن أم فريقد . ان البر ليس فى هذا الكساء وانما البر ما وقر فى الصدر وصدقه العمل . أنبأنا محمد بن عبد الباقي نا أبو محمد الجوهري نا أبو عمر بن حياة نا أحمد بن معروف ثنا الحسين بن الفهم ثنا محمد بن سعد قال حدثنا عمرو بن عاصم ثنا يزيد بن عوانة ثنى أبو شداد المجاشعي . قال : سمعت الحسن - وذكر عنده الذين يلبسون الصوف - فقال . ما لهم تعاقدوا ثلاثاً أ كنوا الكبر فى قلوبهم ، وأظهروا التواضع فى لباسهم . والله لأحدثهم أشد عجباً بكسائه من صاحب المطرف بمطرفه . أنبأنا ابن الحسين أنبأنا أبو علي التيمي نا أبو حفص بن شاهين ثنا محمد بن سعيد بن يحيى البرزورى ثنا عبد الله بن أيوب المخرمى قال حدثنا عبد المجيد يعنى ابن أبي رواد عن ابن طهمان يعنى إبراهيم عن أبي مالك الكوفى عن الحسن أنه جاءه رجل ممن يلبس الصوف وغليه جبة صوف وعمامة صوف ورداء صوف فجلس فوضع بصره فى الأرض فجعل لا يرفع رأسه وكان الحسن خال فيه العجب . فقال الحسن ها إن قوماً جعلوا كبرهم فى صدورهم شنعوا والله دينهم بهذا الصوف . ثم قال إن رسول الله ﷺ كان يتعوذ من زى المنافقين . قالوا يا أبا سعيد وما زى المنافقين قال خشوع اللباس بغير خشوع القلب . قال ابن عقيل هذا كلام رجل قد عرف الناس ولم يعره اللباس . ولقد رأيت الواحد من هؤلاء يلبس الجبة الصوف . فاذا قال له القائل . يا أبا فلان . ظهر منه ومن أوباشه الإنكار فعلم أن الصوف قد عمل عند هؤلاء ما لا يعمل به الديباج عند الأوباش . أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن أحمد نا حمد بن أحمد الحداد نا أبو نعيم الحافظ ثنا أبو حامد بن جبلة ثنا محمد بن اسحاق ثنا اسماعيل بن أبى الحارث ثنا هارون بن معروف عن ضمرة قال سمعت رجلاً يقول قدم حماد بن أبى سليمان البصرة فجاءه فرقد السنجى وعليه ثوب صوف فقال له حماد . ضع عنك نصرانيتك هذه . فلقد رأيتنا ننتظر إبراهيم يعنى النخعى فيخرج علينا وعليه معصفرة . أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم

الحافظ ثنا عبدالله بن محمد ثنا ابراهيم بن شريك الأسدي ثنا شهاب بن عباد ثنا حماد عن خالد الحذاء ان أبا قلابة قال . إياكم وأصحاب الأكسية . أخبرنا محمد ابن ناصر وعمر بن طفر قالوا نا محمد بن الحسن الباقلاني نا القاضي أبو العلاء الواسطي ثنا أبو نصر احمد بن محمد الساذكي نا أبو الخير احمد بن حمد البزار ثنا محمد بن اسماعيل البخاري ثنا علي بن حجر ثنا صالح بن عمر الواسطي عن أبي خالد قال . جاء عبد الكريم أبو أمية إلى أبي العالية وعليه ثياب صوف . فقال له أبو العالية . إنما هذه ثياب الرهبان ان كان المسلمون اذا تزاوروا تجملوا . أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا محمد بن احمد نا احمد بن عبدالله الأصبهاني ثنا أبو محمد بن حبان ثنا احمد بن الحسين الحذاء ثنا احمد بن ابراهيم الدورقي ثنا العيص بن اسحاق : قال سمعت الفضيل يقول : تزينت لهم بالصوف فلم ترهم يرفعون بك رأساً ، تزينت لهم بالقرآن فلم ترهم يرفعون بك رأساً ، تزينت لهم بشيء يعد شيء كل ذلك إنما هو لحب الدنيا . أنبأنا بن الحصين . قال نا أبو علي بن المذهب قال أخبرنا أبو حفص بن شاهين قال ثنا اسماعيل بن علي قال ثنا الحسن بن علي بن شبيب قال ثنا احمد بن أبي الخوارى . قال قال أبو سليمان : يلبس أحدهم عباءة بثلاثة دراهم ونصف . وشهوته في قلبه بخمسة دراهم . أما يستحي أن يجاوز شهوته لباسه . ولو ستر زهده بثوبين أبيضين من أبصار الناس كان أسلم له قال احمد بن أبي الخوارى قال لي سليمان ابن أبي سليمان - وكان يعدل بأبيه . أى شيء أرادوا بلباس الصوف . قلت . التواضع . قال : لا يتكبر أحدهم الا اذا لبس الصوف . أخبرنا المبارك بن احمد الانصارى نا عبدالله بن احمد السمرقندي ثنا أبو بكر الخطيب نا الحسن بن الحسين العالى (١) نا أبو سعيد احمد بن محمد بن رميح ثنا روح بن عبد المجيب ثنا احمد بن عمر بن يونس قال أبصر الثوري رجلاً صوفياً فقال له الثوري هذا بدعة . أخبرنا محمد بن عبد الباقي نا حمد بن احمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا عبد المنعم بن عمر ثنا احمد بن محمد بن زياد . قال سمعت أبا داود يقول . قال سفيان الثوري لرجل عليه صوف لباسك هذا بدعة .

أنبأنا زاهر بن طاهر . أنبأنا أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي نا أبو عبد الله محمد ابن عبد الله الحاكم قال أخبرني محمد بن عمر ثنا محمد بن المنذر قال سمعت أحمد بن شدداد يقول سمعت الحسن بن الربيع يقول سمعت عبد الله بن المبارك يقول لرجل رأى عليه صوفاً مشهوراً - أكره هذا أكره هذا . أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق نا ابن باكويه في عبد الواحد بن بكر ثنا علي بن أبي عثمان بن زهير ثنا عثمان بن أحمد ثنا الحسن بن عمرو . قال سمعت بشر بن الحارث يقول : دخل على الموصلي على المعافى - وعليه جبة صوف - فقال له : ماهذه الشهرة يا أبا الحسن . فقال يا أبا مسعود أخرج أنا وأنت . فانظر أينما أشهر . فقال له المعافى : ليس شهرة البدن كشهرة اللباس . أخبرنا اسماعيل بن أبي بكر المقرئ نا طاهر بن أحمد نا علي بن محمد بن بشر نا عثمان ابن أحمد الدقاق ثنا الحسن بن عمرو قال سمعت بشر بن الحارث يقول : دخل بديل على أيوب السختياني وقد مد على فراشه سبينة « ١ » حمراء تدفع التراب فقال بديل : ماهذا . فقال أيوب : هذا خير من الصوف الذي عليك . أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق قال أخبرنا أبو عبد الله بن باكويه ثنا إعلان بن أحمد ثنا حبيب بن الحسن ثنا الفضل بن أحمد ثنا محمد بن يسار . قال سمعت بشر بن الحارث - وسئل عن لبس الصوف . فشق عليه وتبين الكراهة في وجهه ثم قال : لبس الخنز والمعصفر أحب إلى من لبس الصوف في الأمصار . أخبرنا يحيى بن ثابت بن بندار قال أخبرنا أبي نا الحسين بن علي الطناجيري نا أحمد بن منصور البرسري ثنا محمد بن مخلد ثنا أحمد بن منصور ثني يزيد السقار فبق محمد بن إدريس الأنباري . قال . رأيت فتى عليه مسوح قال فقلت له من لبس هذا من العلماء . من فعل هذا من العلماء ، قال قد رأيت بشر بن الحارث فلم ينكر علي . قال يزيد فذهبت إلى بشر . فقلت له يا أبا نصر رأيت فلاناً عليه جبة مسوح فأناكرت عليه فقال : قدر آتى أبو نصر فلم ينكر علي . قال : فقال لي بشر - لم تستشرفني يا أبا خالد . لو قلت له . لقال لي . لبس فلان ، ولبس فلان . أخبرنا أحمد بن منصور الحمداني نا أبو علي أحمد بن

« ١ » في النسخة الثانية شينة حمراء تدفع الرياء والسبئية أزر للنساء .

سعد بن علي العجلي نا أبو ثابت هجير بن منصور بن علي الصوفي إجازة نا أبو محمد جعفر بن محمد بن الحسين بن اسماعيل الصوفي ثنا ابن روزبه ثنا عبد الله ابن أحمد بن نصر القنطري ثنا إبراهيم بن محمد الإمام ثنا هشام بن خالد ، قال سمعت أبا سليمان الداراني يقول لرجل لبس الصوف ، إنك قد أظهرت آلة الزاهدين ، فإذا أورثك هذا الصوف ، فسكت الرجل ، فقال له : يكون ظاهره قطنياً وباطنك صوفياً . أخبرنا يحيى بن علي المدبر نا أبو بكر محمد ابن علي الخياط نا الحسن بن الحسين بن حمكان سمعت أبا محمد الحسن بن عثمان ابن عبدربه البزار يقول : سمعت أبا بكر بن الزيات البغدادى يقول سمعت ابن سيرويه يقول : دخل أبو محمد بن أخى معروف الكرخى على ابى الحسن ابن بشار وعليه جبة صوف فقال له أبو الحسن : يا أبا محمد صوفت قلبك أو جسمك ، صوف قلبك واللبس القوهى على القوهى (١) . أخبرنا عبد الوهاب ابن المبارك الحافظ نا جعفر بن أحمد بن السواح نا عبد العزيز بن حسن الضراب قال : حدثنا أبى ثنا أحمد بن مروان ثنا أبو بكر بن أبى الدنيا ثنا أحمد بن سعيد قال : سمعت النضر بن شميل يقول : قلت لبعض الصوفية ، تتبع جبتك الصوف ، فقال : إذا باع الصياد شبكته بأى شيء يصطاد .

قال أبو جعفر بن جرير الطبرى : ولقد أخطأ من آثر لباس الشعرو الصوف على لباس القطن والكتان ، مع وجود السيل إليه من حله ، ومن أكل البقول والعدس واختاره على خبز البر ، ومن ترك أكل اللحم خوفاً من عارض شهوة النساء ﴿فصل﴾ قال المصنف : وقد كان السلف يلبسون الثياب المتوسطة لا المرتفعة ولا الدون . ويتخيرون أجودها للجمعة والعيد ولقاء الإخوان ولم يكن غير الأجود عندهم قبيحاً ، وقد أخرج مسلم فى صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أنه رأى حلة سيرة تباع عند باب المسجد ، فقال لرسول الله ﷺ لو اشتريتها ليوم الجمعة وللوفود إذا قدموا عليك ، فقال رسول الله ﷺ إنما يلبس هذه من لا خلاق له فى الآخرة فما أنكر عليه ذكر التجمل بها ، وإنما أنكر عليه لكونها خيراً .

قال المصنف رحمه الله : وقد ذكرنا عن أبى العالية أنه قال : كان المسلمون

إذا تزاوخوا تجملوا . أخبرنا أبو بكر بن عبد الباقي أنبأنا الحسن بن علي الجوهري نا أبو عمر بن حياة نا أحمد بن معروف نا الحسين بن الفهم ثنا محمد بن سعد نا اسماعيل بن إبراهيم الأسدي عن ابن عون عن محمد قال : كان المهاجرون والأنصار يلبسون لباساً مرتفعاً ، وقد اشترى تميم الداري حلة بألف ، ولكنه كان يصلي بها . قال ابن سعد وأخبرنا عفان ثنا حماد بن زيد ثنا أيوب عن محمد ابن سيرين أن تميم الداري اشترى حلة بألف درهم وكان يقوم فيها بالليل إلى صلاته . قال وحدثنا عفان قال حدثنا حماد ابن سلمة عن ثابت ، أن تميم الداري كانت له حلة قد ابتاعها بألف كان يلبسها الليلة التي ترجى فيها ليلة القدر . وأخبرنا الفضل بن دكين ثنا همام عن قتادة أن ابن سيرين أخبره أن تميم الداري اشترى رداء بألف فكان يصلي بأصحابه فيه .

قال المصنف رحمه الله قلت : وقد كان ابن مسعود من أجود الناس ثوباً وأطيبهم ريحاً ، وكان الحسن البصري يلبس الثياب الجياد ، قال كثرهم بن جوشن خرج الحسن وعليه جبة يمنية ورداء يمني فنظر إليه فرقد ، فقال : يا أستاذ لا ينبغي لمثلك أن يكون هكذا ، فقال الحسن : يا ابن أم فرقد أما علمت أن أكثر أصحاب النار أصحاب الأكسية وكان مالك بن أنس يلبس الثياب العذنية الجياد وكان ثوب أحمد بن حنبل يشترى بنحو الدينار وقد كانوا يؤثرون البذاذة إلى حد وربما لبسوا خلقان الثياب في بيوتهم فإذا خرجوا تجملوا ولبسوا مالا يشتهرون به من الدون ولا من الأعلى . أخبرنا أحمد بن منصور الحمداني نا أبو علي أحمد بن سعد على العجلي ثنا أبو ثابت هجير بن منصور بن علي الصوفي إجازة نا أبو محمد جعفر ابن محمد بن الحسين الصوفي ثنا ابن روزه ثنا أبو سليمان محمد بن الحسين بن علي بن إبراهيم الحراني ثنا محمد بن الحسن بن قتيبة ثنا محمد بن خلف ثنا عيسى بن حازم ، قال : كان لباس إبراهيم بن أدهم كتنا قطناً فروة لم أر عليه ثياب صوف ولا ثياب شهرة . أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم أحمد بن عبد الله قال : سمعت محمد بن إبراهيم يقول سمعت محمد بن ريان يقول : رأى علي ذو النون خفاً أحمر فقال انزع هذا يا بني فإنه شهرة ما لبسه رسول الله ﷺ إنما لبس النبي ﷺ خفين أسودين ساذجين . أخبرنا محمد بن ناصر نا محمد ابن علي بن ميمون نا عبد الكريم بن

محمد المحاملى نا على بن عمر الدار قطنى نا أبو الحسن أحمد بن محمد بن سالم نا أبو سعيد عبد الله بن شبيب المدنى ثنى الزبير عن أبي عروة الأنصارى عن فليح بن سليمان عن الربيع بن يونس قال قال أبو جعفر المنصور : العرى الفادح خير من الزى الفاضح .

﴿فصل﴾ قال المصنف : واعلم أن اللباس الذى يزرى بصاحبه يتضمن إظهار الزهد، وإظهار الفقر وكأنه لسان شكوى من الله عز وجل ويوجب احتقار اللابس وكل ذلك مكروه ومنهى عنه . أخبرنا محمد بن ناصر نا على بن الحصين ابن أيوب نا أبو على بن شاذان ثنا أبو بكر بن سليمان النجاد ثنا أبو بكر ابن عبد الله ابن محمد القرشى ثنا عبد الله بن عمر القواريرى ثنا هشام بن عبد الملك ثنا شعبة عن ابن اسحاق عن الأحوص عن أبيه ، قال : أتيت رسول الله ﷺ وأنا قشف الهيئة ، فقال : هل لك مال ، قلت : نعم قال من أى المال ، قلت : من كل المال قد آتاني الله عز وجل من الإبل والخيل والرقيق والغنم ، قال : فإذا آتاك الله عز وجل مالا فليز عليك . أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبي ثنامسكين بن بكير ثنى الأوزاعى عن حسان بن عطية عن محمد بن المنكدر عن جابر ، قال : أتانا رسول الله ﷺ زائرا فى منزلى فرأى رجلا شعثا ، فقال : أما كان يجده هذا ما يسكن به رأسه ، ورأى رجلا عليه ثياب وسخة ، فقال : أما كان يجده هذا ما يغسل به ثيابه . أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك ومحمد بن ناصر قالانا أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو محمد الحسن بن على الجوهري وأبو القاسم على بن المحسن التنوخى قالانا أبو عمر محمد بن العباس بن حياة ثنا أبو بكر بن الأنبارى ثنى أبي ثنا أبو عكرمة الضبي ثنا مسعود بن بشر عن أبي عبيدة معمر بن المثنى ، قال : مضى على بن أبي طالب إلى الربيع بن زياد يعوده . فقال له : يا أمير المؤمنين أشكو إليك عاصما أخى ، قال : ماشأنه ، قال : ترك الملاذ ولبس العباءة فغم أهله ، وأحزن ولده ، فقال : على عاصما ، فلما حضر بش فى وجهه

(١) كذا فى النسختين ولعله الملائة وكان لبسها من عاداتهم .

وقال : أتري الله أحل لك الدنيا وهو يكره أخذك منها ، أنت والله أهون على الله من ذلك . فوالله لا بتذالك نعم الله بالفعال ! أحب إليه من ابتذالك بالمقال ، فقال : يا أمير المؤمنين إني أراك تؤثر لبس الخشن وأكل الشعير فتتنفس الصعداء . ثم قال ويحك يا عاصم ، ان الله افترض على أئمة العدل أن يقدرُوا أنفسهم بالعوام لئلا يتبيع بالفقير فقره . قال أبو بكر الأنباري : المعنى لئلا يزيد ويغلو ، يقال — تبيع به الدم — إذا زاد وجاوز الحد .

﴿فصل﴾ قال المصنف : فان قال قائل تجويد اللباس هوى للنفس . وقد أمرنا بمعاهدتها . وتزين للخلق وقد أمرنا أن تكون أفعالنا لله لا للخلق . فالجواب : انه ليس كل ما تهواه النفس يذم ولا كل التزين للناس يكره . وإنما ينهى عن ذلك إذا كان الشرع قد نهى عنه . أو كان على وجه الرياء في باب الدين فان الإنسان يجب أن يرى جميلا وذلك حظ النفس ولا يلام فيه ولهذا يسرح شعره ، وينظر في المرأة ، ويسوى عمامته ، ويلبس بطانة الثوب الخشن إلى داخل . وظهارته الحسنة إلى خارج . وليس في شيء من هذا ما يكره ولا يذم . أخبرنا المبارك بن علي الصيرفي نا علي بن محمد بن العلاف نا عبد الملك بن محمد بن بشران نا أحمد بن إبراهيم الكندي نا محمد بن جعفر الخراطي ثنا بنان بن سليمان ثنا عبد الرحمن بن هاني عن العلاء بن كثير عن مكحول عن عائشة قالت : كان نفر من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه على الباب فخرج يريدهم ، وفي الدار ركوة فيها ماء . فجعل ينظر في الماء ويسوى شعره ولحيته ، فقلت يا رسول الله وأنت تفعل هذا ! قال نعم . إذا خرج الرجل إلى إخوانه فليهيء من نفسه فان الله جميل يحب الجمال . أخبرنا محمد ابن ناصر أنبأنا عبد المحسن بن محمد بن علي ثنا مسعود بن ناصر بن أبي زيد نا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن أحمد نا أبو القاسم عبد الله بن أحمد الفقيه نا الحسن بن سفيان ثنا عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله العرزمي عن أبيه عن أم كلثوم عن عائشة قالت : خرج رسول الله ﷺ فمر بركوة لنا فيها ماء فنظر إلى ظله فيها . ثم سوى لحيته ورأسه ثم مضى فلما رجع قلت يا رسول الله تفعل هذا ؟ قال : وأى شيء فعلت ؟ نظرت في ظل الماء فهيات من

لحياتي ورأسى . إنه لا بأس أن يفعله الرجل المسلم إذا خرج إلى إخوانه أن يهيء من نفسه .

قال المصنف رحمه الله : فان قيل ، فما وجه ما رويتم عن سرى السقطي أنه قال : لو أحسست بإنسان يدخل على فقلت كذا بلحيتي - وأمر يده على لحيته كأنه يريد أن يسويها من أجل دخول الداخل عليه - لخشيت أن يعذبني الله على ذلك بالنار . فالجواب : أن هذا محمول منه على أنه كان يقصد بذلك الرياء في باب الدين من إظهار التخشع وغيره . فأما إذا قصد تحسين صورته لئلا يرى منه ما لا يستحسن فان ذلك غير مذموم . فمن اعتقده مذموماً فما عرف الرياء ولا فهم المذموم . أخبرنا سعد الخير بن محمد الأنصاري نا على بن عبد الله بن محمد النيسابوري نا أبو الحسين عبد الغافر ابن محمد الفارسي نا محمد بن عيسى بن عمرو بن ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا محمد بن المثنى ثنى يحيى بن حماد قال . أخبرنا شعبة عن أبان بن تغلب عن فضيل الفقيمي عن إبراهيم النخعي عن علقمة عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال : لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر . فقال رجل : إن أحداً يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة قال : إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس . انفرد به مسلم وبعناه الكبر كبر من بطر الحق . وغمط بمعنى ازدرى واحتقر .

﴿فصل﴾ وقال المصنف رحمه الله : وقد كان في الصوفية من يلبس الثياب المرتفعة . أخبرنا محمد بن ناصر نا ابو طاهر محمد بن احمد بن أبي الصقر نا على بن الحسن بن جحاف ، قال ابو عبد الله احمد بن عطاء ، كان أبو العباس بن عطاء يلبس المرتفع من البر كالدبقي ، ويسبح بسبح اللؤلؤ ويؤثر ما طال من الثياب .

قال المصنف رحمه الله : قلت وهذا في الشهرة كالمرقعات وإنما ينبغي أن تكون ثياب أهل الخير وسطاً ، فانظر إلى الشيطان كيف يتلاعب بهؤلاء بين طرفي نقيض .

﴿فصل﴾ قال المصنف رحمه الله : وقد كان في الصوفية من إذا لبس ثوباً

خرق بعضه . وربما أفسد الثوب الرفيع القدر . أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت نا الحسن بن غالب المقرئ قال : سمعت عيسى بن علي الوزير يقول ، كان ابن مجاهد يوماً عند أبي ، فقبل له الشبلي ، فقال ، يدخل ، فقال ابن مجاهد ، سأسكته الساعة بين يديك ، وكان من عادة الشبلي إذا لبس شيئاً خرق فيه موضعاً ، فلما جلس ، قال له ابن مجاهد ، يا أبا بكر أين في العلم فساد ما ينتفع به فقال له الشبلي أين في العلم فطفق مسحاً بالسوق والأعناق ، قال فسكت ابن مجاهد فقال له أبي أردت أن تسكته فأسكتك ، ثم قال له قد أجمع الناس إنك مقرئ الوقت فأين في القرآن إن الحبيب لا يعذب حبيبه ، قال فسكت ابن مجاهد ، فقال له أبي : قل يا أبا بكر فقال قوله تعالى « وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه » قل فلم يعذبكم بذنوبكم ، فقال ابن مجاهد ، كأني ما سمعتها قط .

قال المصنف رحمه الله قلت ، هذه الحكاية أنا مرتاب بصحتها لأن الحسن ابن غالب كان لا يوثق به . أخبرنا القزاز نا أبو بكر الخطيب ، قال : ادعى الحسن ابن غالب أشياء تبين لنا فيها كذبه واختلاقه ، فإن كانت صحيحة فقد أبانت عن قلة فهم الشبلي حين احتج بهذه الآية . وقلة فهم ابن مجاهد حين سكت عن جوابه وذلك أن قوله « فطفق مسحاً بالسوق والأعناق » لأنه لا يجوز أن ينسب إلى نبي معصوم أنه فعل الفساد . والمفسرون قد اختلفوا في معنى الآية ، فمنهم من قال مسح على أعناقها وسوقها ، وقال : أنت في سبيل الله ، فهذا إصلاح ، ومنهم من قال : عقرها ، وذبح الخيل وأكل لحمها جائز فما فعل شيئاً فيه جناح ، فأما إفساد ثوب صحيح لا لغرض صحيح فانه لا يجوز ومن الجائز أن يكون في شريعة سامان جواز ما فعل ولا يكون في شرعنا .

أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ أنبأنا محمد بن أحمد بن أبي الصقر ثنا علي بن الحسن بن جحاف الدمشقي ، قال أبو عبد الله أحمد بن عطاء كان مذهب أبي علي الروزباري تحريق أحكامه وتفريق قيصه ، قال فكان يخرق الثوب المشتمل فيرتدى بنصفه ويأثر بنصفه حتى أنه دخل الحمام يوماً وعليه ثوب ولم يكن مع أصحابه ما يتأزرون به ، فقطعه على عدد ثم فآزروا به وتقدم إليهم أن يدفعوا الخرق إذا خرجوا للحمامي ، قال ابن عطاء : قال لي أبو سعيد الكازروني : كنت معه في هذا اليوم وكان الرداء الذي قطعه يقوم بنحو ثلاثين ديناراً .

قال المصنف رحمه الله : ونظير هذا التفريط ما أنبأنا به زاهر بن طاهر قال أنبأنا أبو بكر البيهقي نا أبو عبدالله الحاكم قال سمعت عبدالله بن يوسف يقول سمعت أبا الحسن البوشنجي . يقول : كانت لي قبجة ^(١) طلبت بمائة درهم فحضرني ليلة غريبان فقلت للوالدة : عندك شيء لضيفي . قالت . لا إلا الخبز . فذبحت القبجة وقدمتها إليهما .

قال المصنف رحمه الله : قد كان يمكنه أن يستقرض ثم يبيعها ويعطى فلقد فرط . أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن احمد قال أنبأنا رزق الله بن عبدالوهاب قال أنبأنا أبو عبدالرحمن السلمي . قال : سمعت جدي يقول : دخل أبو الحسين الدراج البغدادي الري . وكان يحتاج الى لفاف لرجله فدفع اليه رجل منديلا ديقيا فشقة نصفين وتلفف به . فقيل له : لو بعته واشتريت منه لفافاً وأنفقت الباقي ، فقال رحمه الله : أنا لا أخون المذهب .

قال المصنف : وقد كان احمد الغزالي ببغداد فخرج إلى المحول فوقف على ناعورة تأن فرمى طيلسانه عليها فدارت فتقطع الطيلسان . قال المصنف رحمه الله قلت ؛ فانظر إلى هذا الجهل والتفريط والبعد من العلم فإنه قد صح عن رسول الله ﷺ : أنه نهى عن إضاعة المال ولو أن رجلاً قطع ديناراً صحيحاً وأنفقه كان عند الفقهاء مفراً فكيف بهذا التنبذ المحرم . ونظير هذا تمزيقهم الثياب المطروحة عند الوجد على ماسياتى ذكره إن شاء الله ثم يدعون أن هذه حالة ولا خير في حالة تنافي الشرع . أفترأى عبيد نفوسهم أم أمروا أن يعملوا بأرائهم ، فإن كانوا يعرفوا أنهم يخالفون الشرع بفعلهم هذا ثم فعلوه أنه لعناد . وإن كانوا لا يعرفون فلعمري إنه لجهل شديد . أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا محمد بن أحمد نا أبو نعيم احمد بن عبدربه الحافظ . قال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبدالله الرازي يقول : لما تغير الحال على أبي عثمان وقت وفاته . مزق ابنه أبو بكر قميصاً كان عليه . ففتح أبو عثمان عينه . وقال يا بني خلاف السنة في الظاهر ورياء باطن في القلب .

(١) القبجة واحد القبيج للذكر والأنثى ، وهو الحجل طائر معروف .

﴿فصل﴾ قال المصنف : وفي الصوفية من يبالغ في تقصير ثوبه وذلك شهرة أيضاً . أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب ثنا احمد بن جعفر ثنا عبد الله ابن احمد ثنى أبي ثنا محمد بن أبي عدى عن العلاء عن أبيه . أنه سمع أبا سعيد : سئل عن الأزار فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول : أزار المسلم إلى أنصاف الساقين . لا جناح أولاً حرج عليه ما بينه وبين الكعبين . ما كان أسفل من ذلك فهو النار . أخبرنا المحمّدان بن ناصر وابن عبد الباقي قالنا ثنا احمد بن احمد نا أبو نعيم احمد بن عبد الله ثنا أبو حامد ابن جبلة ثنا محمد بن إسحاق ثنا إبراهيم بن بن سعيد الجوهري . قال : كتب إلى عبد الرزاق عن معمر قال كان في قيص أيوب بعض التذليل . فقل له . فقال الشهرة اليوم في التشمير . وقد روى إسحاق بن إبراهيم بن هانيء قال دخلت يوماً على أبي عبد الله احمد بن حنبل وعلى قيص أسفل من الركبة وفوق الساق . فقال . أي شيء هذا وأنكره . وقال . هذا بالمرّة لا ينبغي .

﴿فصل﴾ قال المصنف . وقد كان في الصوفية من يجعل على رأسه خرقة مكان العمامة وهذا أيضاً شهرة لأنه على خلاف لباس أهل البلد وكل ما فيه شهرة فهو مكروه . أخبرنا يحيى بن ثابت بن بندار نا أبي الحسين بن علي الطناجيري نا احمد بن منصور البوسري ثنا محمد بن مخلد ثنى محمد بن يوسف قال قال عباس بن عبد العظيم العنبري . قال بشر بن الحارث ، إن ابن المبارك دخل المسجد يوم جمعة وعليه قلنسوة ، فنظر الناس ليس عليهم قلانس فأخذها فوضعها في كفه .

﴿فصل﴾ قال المصنف : وقد كان في الصوفية من استكثر من الثياب وسوسة فيجعل للخلاء ثوباً وللصلاة ثوباً . وقد روى هذا عن جماعة منهم أبو يزيد وهذا لا بأس به إلا أنه ينبغي خشية أو يتخذ سنة . أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا احمد بن احمد نا أبو نعيم احمد بن عبد الله ثنا أبو حامد احمد بن محمد بن عبد الوهاب ثنا محمد بن إسحاق النيشابوري ثنا محمد بن الصباح ثنا حاتم يعني ابن اسماعيل ثنى جعفر عن أبيه . أن علي بن الحسين قال . يابني لو اتخذت ثوباً للعائط ، رأيت الذباب يقع على الشيء ثم يقع على الثوب ، ثم أنيته ،

فقال : ما كان لرسول الله ﷺ ولا لأصحابه الا ثوب فرط .
 (فصل) قال المصنف ، وقد كان فيهم من لا يكون له سوز ثوب
 واحد زهد آفي الدنيا ، وهذا أحسن إلا أنه إذا أمكن اتخاذ ثوب للجمعة والعيد
 كان أصلح واحسن . أخبرنا عبد الأول بن عيسى نا عبد الرحمن بن محمد بن
 المظفر نا عبد الله بن احمد بن حياء نا إبراهيم بن حريم بن حميد ثني ابن أبي
 شيبة ثنا محمد بن عمر عن عبد الحميد بن جعفر عن محمد بن يحيى بن حبان
 عن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه قال خطبنا رسول الله ﷺ في يوم
 جمعة فقال ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم جمعة سوى ثوب مهنته . أخبرنا
 محمد بن عبد الباقي نا محمد الحوهرى نا أبو عمر بن حياء نا احمد بن معروف
 الحساب نا الحارث بن أبي أسامة ثنا محمد بن سعد نا محمد بن عبد الرحمن بن
 أبي الزناد عن عبد الحميد بن سهيل عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال محمد بن
 عمر وحدثني غير محمد بن عبد الرحمن أيضاً ببعض ذلك قالوا كان لرسول
 الله ﷺ برد يمنية وازار من نسج عمان فكان يلبسهما في يوم الجمعة ويوم
 العيد ثم يطويان .

((ذكر تلبس ابليس على الصوفية في مطاعمهم ومشاربهم (١)))
 قال المصنف رحمه الله : قد بالغ ابليس في تلبسه على قدماء الصوفية
 فأمرهم بتقليل المطعم وخشونته ومنعهم شرب الماء البارد . فلما بلغ إلى المتأخرين
 استراح من التعب واشغل بالتعجب من كثرة أكلهم ورفاهية عيشهم .
 ((ذكر طرف مما فعله قدمائهم))

قال المصنف رحمه الله : كان في القوم من يبق الأيام لا يأكل إلا أن
 تضعف قوته . وفيهم من يتناول كل يوم الشيء اليسير الذي لا يقيم البدن
 فرروى لنا عن سهل بن عبد الله أنه كان في بدايته يشتري بدرهم دبساً وبدرهمين
 سمناً وبدرهم دقيق الأرز فيخلطه ويجعله ثلاثمائة وستين كرة فيفطر كل ليلة
 على واحدة . وحكى عنه أبو حامد الطوسي قال كان سهل يقات ورق النبق
 مدة وأكل دقاق التبن مدة ثلاث سنين واقتات بثلاث دراهم في ثلاث سنين .
 أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامري نا أبو سعد بن أبي صادق نا ابن باكويه
 (١) في الاصل وملابسهم وهو تحريف من الناسخ .

ثني أبو الفرج بن حمزة التكريتي ثني أبو عبد الله الحصري قال سمعت أبا جعفر الحداد يقول . أشرف على أبو تراب يوماً وأنا على بركة ماء ولي ستة عشر يوماً لم آكل شيئاً ولم أشرب فيها ماء فقال ما جلوسك ههنا فقلت أنا بين العلم واليقين وأنا أنظر من يغلب فأكون معه فقال سيكون لك شأن . أخبرنا أبو بكر ابن حبيب نا ابن أبي صادق ثنا ابن باكويه ناعبد العزيز بن الفضل ثنا علي بن عبد الله العمري ثنا محمد بن فليح ثني إبراهيم بن البنا البغدادي قال صحبت ذا النون من أخميم إلى الاسكندرية فلما كان وقت إفطاره أخرجت قرصاً وملحاً كان معي وقلت لهم فقال لي ملحك مدقوق . قلت نعم . قال لست تفلح فنظرت إلى مزوده فإذا فيه قليل سويق شعير يستف منه . أخبرنا ابن ظفر نا ابن السراج نا عبد العزيز بن علي الأزجي نا ابن جهضم ثنا محمد بن عيسى ابن هارون الدقاق ثنا أحمد بن أنس ثنا ابن أبي الخوارى . سمعت أبا سليمان يقول الزبد بالعسل اسراف . قال ابن جهضم وحدثنا محمد بن يوسف البصري قال سمعت أبا سعيد صاحب سهل يقول : بلغ أبا عبد الله الزيري وزكريا الساجي وابن أبي أوفى . ان سهل بن عبد الله يقول . انا حجة الله على الخلق . فاجتمعوا عنده فاقبل عليه الزيري فقال له . بلغنا أنك قلت - أنا حجة الله على الخلق - فبماذا ، أنبي أنت ؟ أصديق انت . قال سهل ، لم أذهب حيث تظن ولكن إنما قلت هذا لأخذى الحلال . فتعالوا كلكم حتى نصصح الحلال . قالو . فأنت ، قد صححت . قال نعم ، قال وكيف ، قال سهل قسمت عقلي ومعرفتي وقوتي على سبعة أجزاء . فتركه حتى يذهب منها ستة أجزاء ويبقى جزء واحد فإذا خفت أن يذهب ذلك الجزء ويتلف معه نفسي خفت أن أكون قد اعنت عليها وقتلتها دفعت إليها من البلغة ما يرد الستة الأجزاء .

أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبي صادق نا ابن باكويه قال أخبرني أبو عبد الله ابن مفلح قال خبرني أبي أخبرني أبو عبد الله بن زيد ^(١) قال لي : منذ أربعين سنة ما أطعمت نفسي طعاماً إلا في وقت ما أحل الله لها الميتة . أخبرنا ابن ناصر نا أبو الفضل محمد بن علي بن أحمد السهلي ثني أبو الحسن علي بن محمد القوهي

(١) في النسخة الثانية ، ابن وتد .

ثنا عيسى بن محمد عن أبيه محمد بن عيسى ثنا موسى بن عيسى ثنا عيسى بن آدم
ابن أخي أبي يزيد ، قال . جاء رجل إلى أبي يزيد قال أريد أن أجلس في مسجدك
الذي أنت فيه ، قال لا تطيق ذلك . فقال ، ان رأيت ان توسع لي في ذلك .
فأذن له فجلس يوماً لا يطعم فصبر فلما كان في اليوم الثاني . قال له يا أستاذ :
لا بد مما لا بد منه . فقال : يا غلام لا بد من الله . قال ، يا أستاذ نريد القوت .
قال ، يا غلام القوت عندنا إطاعة الله . فقال ، يا أستاذ أريد شيئاً يقيم جسدي
في طاعته عز وجل . فقال ، يا غلام ان الأجسام لا تقوم إلا بالله عز وجل .
أخبرنا المحمّدان بن ناصر وابن عبد الباقي قالنا نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم
الحافظ . قال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان
يقول سمعت أبا عثمان الأديمي يقول سمعت إبراهيم الخواص يقول . حدثني
أخ لي كان يصحب أبا تراب نظر إلى صوفي مد يده إلى قشر البطيخ وكان قد
طوى ثلاثة أيام . فقال له تمد يدك إلى قشر البطيخ أنت لا يصلح لك التصوف .
إلزم السوق . أخبرنا محمد بن أبي القاسم أنه نا رزق الله بن عبد الوهاب نا
أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا القاسم القيرواني يقول سمعت بعض
أصحابنا يقول . أقام أبو الحسن النصبي بالحرم أياماً مع أصحاب لهم سبعة لم
يأكلوا فخرج بعض أصحابه ليتطهر فرأى قشر بطيخ فأخذه فأكله . فرآه انسان
فاتبعه بشيء وجاء برفق فوضعه بين يدي القوم . فقال الشيخ ، من جنى منك
هذه الجنابة فقال الرجل أنا وجدت قشر بطيخ فأكلته فقال كن مع جنائتك
ومع هذا الرفق وخرج من الحرم ومعه أصحابه وتبعه الرجل . فقال . ألم
أقول لك كن مع جنائتك ، فقال الرجل ، أنا نائب إلى الله تعالى مما جرى مني ،
فقال الشيخ : لا كلام بعد التوبة .

أخبرنا عمر بن ظفر نا ابن السراج نا أبو القاسم الأزجي نا أبو الحسن بن جهضم
ثنا إبراهيم بن محمد الشنوزي قال سمعت بنان بن محمد يقول كنت بمكة
بجاوراً فرأيت بها إبراهيم الخواص وأتى عليّ أيام لم يفتح عليّ بشيء وكان
بمكة مزين يحب الفقراء وكان من أخلاقه إذا جاءه الفقير يحتجم اشترى له
لحماً فطبخه فأطعمه فقصدته وقلت أريد أن أحتجم فأرسل من يشتري لحماً

وأمر باصلاحه وجلس بين يديه فجعلت نفسى تقول : ترى يكون فراغ القدر مع فراغ الحجامه . ثم استيقظت وقلت . يا نفس إنما جئت تحتجمن لتطعمى عاهدت الله تعالى ألا ذقت من طعامه شيئاً . فلما فرغ انصرفت فقال سبحانه الله أنت تعرف الشرط . فقلت . ثم عقد : فسكت . وجئت إلى المسجد الحرام ولم يقدر لى شيء آكله : فلما كان من الغد بقيت إلى آخر النهار ولم يتفق أيضاً فلما قت لصلاة العصر سقطت وغشى على واجتمع حولى ناس وحسبوا أنى مجنون فقام ابراهيم وفرق الناس وجلس عندى يحدثنى . ثم قال تأكل شيئاً . قلت قرب الليل . فقال : أحسنتم يا مبتدئون اثبتوا على هذا تفلحوا ثم قام فلما صلينا العشاء الآخرة إذا هو قد جاءنى ومعه قصعة فيها عدس ورغيفان ودورق ماء فوضعه بين يدى وقال : كل ذلك فأكلت الرغيفين والعدس فقال فيك فضل تأكل شيئاً آخر قلت نعم فمضى وجاء بقصعة عدس ورغيفين فأكلتهما وقلت قد اكتفيت فاضطجعت فماقت ليلتى ونمت إلى الصباح ما صليت ولا طفت

أنبأنا أبو المظفر عبد المنعم بن غيد الكريم ثنا أبى قال سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول سمعت منصور بن عبد الله الأصفهاني يقول سمعت أبا على الروزبارى يقول : اذا قال الصوفى بعد خمسة أيام أنا جائع فألزموه السوق وأمروه بالكسب . أنبأنا عبد المنعم ثنا أبى قال سمعت ابن باكوية يقول سمعت أبا احمد الصغير يقول : أمرنى أبو عبد الله بن خفيف أن أقدم اليه كل ليلة عشر حبات زبيب لافطاره فأشفقت عليه ليلة فحملت اليه خمسة عشر حبة فنظر إلى وقال من أمرك بهذا وأكل عشر حبات وترك الباقي .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا على بن أبى صادق نا ابن باكوية قال سمعت عبد الله بن خفيف يقول : كنت فى ابتدائى بقيت أربعين شهراً أفطر كل ليلة بكف باقلاء فضيت يوماً فاقتصدت نخرج من عرقى شبه ماء اللحم وغشى على . فتجبر الفصاد وقال . ما رأيت جسداً لأدم فيه إلا هذا .

((فصل)) قال المصنف : وقد كان فيهم قوم لا يأكلون اللحم حتى قال

بعضهم أكل درهم من اللحم يتسلى القلب أربعين صباحاً . وكان فيهم من يمتنع من الطيبات كلها ويحتج بما أخبرنا به علي بن عبد الواحد الدينوري نا أبو الحسن القزويني نا أبو حفص بن الزيات ثنا ابن ماجه ثنا أزهري بن جميل ثنا بزيغ عن هشام عن أبيه عن عائشة . قالت قال رسول الله ﷺ : أحرموا أنفسكم طيب الطعام فإنما قوى الشيطان أن يجري في العروق بها . وفيهم من كان يمتنع من شرب الماء الصافي . وفيهم من يمتنع من شرب الماء البارد فيشرب الحار . ومنهم من كان يجعل ماءه في دن مدفون في الارض فيصير حاراً . ومنهم من يعاقب نفسه بترك الماء مدة . وأخبرنا محمد بن ناصب أنبأنا أبو الفضل محمد ابن علي السهلي قال : سمعت عبد الواحد بن بكر الورياني ثني محمد بن سعدان ثني عيسى بن موسى البسطامي قال سمعت أني يقول قال سمعت عمي خادم أبي يزيد يقول : ما أكلت شيئاً بما يأكله بنو آدم أربعين سنة . قال : وأسهل ما لاقت نفسي مني أني سألتها أمراً من الأمور فأبت فعزمت أن لا أشرب الماء سنة فما شربت الماء سنة . وحكي أبو حامد الغزالي عن أبي يزيد أنه قال : دعوت نفسي إلى الله عز وجل فجمحت فعزمت عليها أن لا أشرب الماء سنة ولا أذوق النوم سنة فوفت لي بذلك .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف وقد رتب أبو طالب المكي للقوم ترتيبات في المطاعم فقال : استحب للرريد ألا يزيد على رغيقين في يوم وليلة قال : ومن الناس من كان يعمل في الأوقات فيقلها : وكان بعضهم يزن قوته بكربة من كرب النخل وهي تجف كل يوم قليلاً فينقص من قوته بمقدار ذلك ، قال ، ومنهم من كان يعمل في الأوقات فيأكل كل يوم ثم يتدرج إلى يومين وثلاثة ، قال ، والجوع ينقص دم الفؤاد فيبيضه وفي بياضه نوره ، ويذيب شحم الفؤاد وفي ذوبانه رفته ، وفي رفته مفتاح المكاشفة .

قال المصنف رحمه الله تعالى ، وقد صنف لهم أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي كتاباً سماه رياضة النفوس قال فيه ، فينبغي للبتيدي في هذا الأمر أن يصوم شهرين متتابعين توبة من الله ثم يفطر فيطعم اليسير

ويأكل كسرة أكسرة ، ويقطع الآدام والفواكه واللذة، ومجالسة الإخوان ،
والنظر في الكتب، وهذه كلها أفراس للنفس فيمنع النفس لذتها حتى تملأ غما .
قال المصنف ، وقد أخرج لهم بعض المتأخرين الأربعينية . يبقى أحدهم
أربعين يوماً لا يأكل الخبز ولكنه يشرب الزيوتات ويأكل الفواكه الكثيرة
اللاذبة ، فهذه نبذة من ذكر أفعالهم في مطاعمهم يدل مذكورها على مغفلها .
(فصل) في بيان تلبيس إبليس عليهم في هذه الأفعال وإيضاح الخطأ فيها .
قال المصنف رحمه الله ، أما ما نقل عن سهل ففعل لا يجوز لأنه حمل على
النفس ما لا تطيق ثم إن الله عز وجل أكرم الآدميين بالحنطة وجعل قشورها
لبها ثم فلا تصلح مزاحمة البهائم في أكل التبن وأى غداء في التبن ومثل هذه الأشياء
أشهر من أن تحتاج إلى رد وقد حكى أبو حامد عن سهل أنه كان يرى أن صلاة الجائع
الذى قد أضعفه الجوع قاعداً أفضل من صلاته قائماً إذا قواه الأكل .
قال المصنف رحمه الله ، وهذا خطأ بل إذا تقوى على القيام كان أكله
عبادة لأنه يعين على العبادة وإذا تجوع إلى أن يصلى قاعداً فقد تسبب إلى
ترك الفرائض فلم يجوز له ولو كان تناول ميتة مباح هذا فكيف وهو حلال
ثم أى قربة في هذا الجوع المعطل أدوات العبادة ، وأما قول الحداد وأنا
أنظر أن يغلب العلم أم اليقين فانه جهل محض لأنه ليس بين العلم واليقين
تضاد إنما اليقين أعلى مراتب العلم ، وأين من العلم واليقين ترك ما يحتاج إليه
النفس من المطعم والمشرب وإنما أشار بالعلم إلى ما أمره الشرع ، وأشار
باليقين إلى قوة الصبر وهذا تخليط قبيح ، وهؤلاء قوم شددوا فيما ابتدعوا
وكانوا كقريش في تشددهم حتى سموا بالخمس فجحدوا الأصل وشددوا في
الفرع ، وقول الآخر ، ملحك مدقوق لست تفلح من أقبح الأشياء وكيف
يقال عمن استعمل ما أبيع له لست تفلح وأما سويق الشعير فإنه يورث القولنج
وقول الآخر الزبد بالعسل إسراف قول مردول لأن الإسراف ممنوع منه
شرعاً وهذا مأذون فيه وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه كان يأكل القثاء
بالرطب ، وكان يحب الحلوى والعسل ، وأما ما روينا عن سهل أنه قال قسمت
قوتي وعقلي سبعة أجزاء ففعل يذم به ولا يمدح عليه إذ لم يأمر الشرع بمثله

وهو إلى التحريم أقرب لأنه ظلم للنفس وترك لحقها وكذلك قول الذي قال: ما أكلت إلى وقت أن يباح لي أكل الميتة : فإنه فعل برأيه المرذول . وحمل على النفس مع وجود الحلال . وقول أبي يزيد : القوت عندنا لله . كلام ركيك فإن البدن قد بي على الحاجة إلى الطعام حتى إن أهل النار في النار يحتاجون إلى الطعام . وأما التقييح على من أخذ قشر البطيخ بعد الجوع الطويل فلا وجه له والذي طوى ثلاثاً لم يسلم من لوم الشرع ، وكذلك الذي عاهد أن لا يأكل حين احتجم حتى وقع في الضعف فإنه فعل ما لا يحل له ، وقول إبراهيم له أحسنتم بامبتدون خطأ أيضاً فإنه كان ينبغي أن يلزمه بالفطر ولو كان في رمضان إذ من له أيام لم يأكل وقد احتجم وغشى عليه لا يجوز له أن يصوم .

أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر بن ثابت ثنى الأزهرى ثنا على ابن عمر ثنا أبو حامد الحضرمى ثنا عبد الرحمن بن يونس السواح ثنا بقية بن الوليد عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ من أصابه جهد في رمضان فلم يفطر فمات دخل النار . قال المصنف رحمه الله قلت ، كل رجاله ثقات وقد أخبرنا به غالباً محمد ابن عبد الباقي نا أبو يعلى محمد بن الحسين نا علي بن عمر السكري ثنا احمد بن محمد الأسدى ثنا عبد الرحمن بن يونس فذكره وقال ، من أصابه جهد في رمضان فلم يفطر دخل النار .

قال المصنف رحمه الله وأما تقليل ابن خفيف ففعل قبيح لا يستحسن وما يورده هذا الأخبار عنهم إيراداً مستحسناً لها إلا جاهل بأصول الشرع ، فأما العالم المتمكن فإنه لا يهوله قول معظم فكيف بفعل جاهل مبرسم ، وأما كونهم لا يأكلون اللحم فهذا مذهب البراهمة الذين لا يرون ذبح الحيوان والله عز وجل أعلم بمصالح الأبدان فأباح اللحم لتقويتها فأكل اللحم يقوى القوة وتركه يضعفها ويسىء الخلق ، وقد كان رسول الله ﷺ يأكل اللحم ويحب الذراع من الشاة ، ودخل يوماً فقدم إليه طعام من طعام البيت فقال ، لم أر لكم مرة تفور ، وكان الحسن البصرى يشتري كل يوم لحماً ، وعلى هذا كان السلف إلا أن يكون فيهم فقير فيعده عهده باللحم

لأجل الفقر ، وأما من منع نفسه الشهوات فإن هذا على الإطلاق لا يصح لأن الله عز وجل لما خلق بني آدم على الحرارة والبرودة واليوسة والرطوبة وجعل صحته موقوفة على تعادل الإخلاط الدم والبلغم والمرّة الصفراء والمرّة السوداء فتارة يزيد بعض الإخلاط فتتميل الطبيعة إلى ما ينقصه مثل أن تزيد الصفراء فيميل الطبع إلى الخوض أو ينقص البلغم فتتميل النفس إلى المرطبات فقد ركب في الطبع الميل إلى ما تميل إليه النفس وتوافقه فإذا مالت النفس إلى ما يصلحها فتمتعت فقد قوبلت حكمة الباري سبحانه وتعالى يردها ثم يؤثر ذلك في البدن فيكان هذا الفعل مخالفاً للشرع والعقل ، ومعلوم أن البدن مطية الآدمي ومتى لم يرفق بالمطية لم تبلغ ، وإنما قلت علوم هؤلاء فتكلموا بآرائهم الفاسدة فإن أسندوا فإلى حديث ضعيف أو موضوع أو يكون فهمهم منه رديئاً ، ولقد عجبت لأبي حامد الغزالي الفقيه كيف نزل مع القوم من رتبة الفقه إلى مذاهبهم حتى إنه قال لا ينبغي للبريد إذا تأقت نفسه إلى الجماع أن يأكل ويحجم فيعطى نفسه شهوتين فتقوى عليه .

قال المصنف رحمه الله . وهذا قبيح في الغاية فإن الإدام شهوة فوق الطعام فبئني أن لا يأكل إداماً والماء شهوة أخرى . أو ليس في الصحيح أن رسول الله ﷺ طاف على نسائه بغسل واحد فها لا تقتصر على شهوة واحدة . أو ليس في الصحيحين أن رسول الله ﷺ كان يأكل القثاء بالرطب وهاتان شهوتان . أو ما أكل عند أبي الهيثم بن التيهان خبزاً وشواء وبسراً وشرب ماء بارداً ، أو ما كان الثوري يأكل اللحم والعنب والقالودج ثم يقوم فيصلي أو ما تعلف الفرس الشعير والتبن والقت . وتطعم الناقة الخبط والحض . وهل البدن إلا ناقة وإنما نهى بعض القدماء عن الجمع بين إدامين على الدوام لئلا يتخذ ذلك عادة فيحوج إلى كلفة وإنما تجتنب فضول الشهوات لئلا يكون سبباً لكثرة الأكل وجلب النوم . ولئلا تتعود فيقل الصبر عنها فيحتاج الإنسان إلى تضييع العمر في كسبها وربما تناو لها من غير وجهها . وهذا طريق السلف في ترك فضول الشهوات . والحديث الذي احتجوا به أحرموا أنفسهم طيب الطعام حديث موضوع عملته يدأ بزيع الراوى . وأما إذا اقتصر الإنسان على خبز الشعير والملح الجريش

فانه ينحرف مزاجه لأن خبز الشعير يابس مجفف والملح يابس قابض يضر الدماغ والبصر ، وتقليل الطعام يوجب تنشيف المعدة وضيقها وقد حكى يوسف الهمداني عن شيخه عبد الله الحوفي أنه كان يأكل خبز البلوط بغير إدام وكان أصحابه يسألونه أن يأكل شيئاً من الدهن والدسومات فلا يفعل . قال المصنف رحمه الله : وهذا يورث القولنج الشديد . واعلم أن المذموم من الأكل إنما هو فرط الشبع وأحسن الآداب في الطعام أدب الشارع ﷺ . أخبرنا ابن التخصين نا ابن المذهب نا أبو بكر بن حمدان نا عبد الله بن أحمد ثنى أبي ثنا أبو المغيرة ثنا سليمان بن سليم الكشاني ثنا يحيى بن جابر الطائي . قال . سمعت المقدام بن معدى كرب يقول . سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه . حسب ابن آدم أكالات يقمن صلبه . فان كان لا بد فلتك طعام وثلث شراب وثلث لنفسه .

قال المصنف رحمه الله قلت . فقد أمر الشرع بما يقيم النفس حفظاً لها وسعياً في مصلحتها . ولو سمع أبقراط هذه القسمة في قوله . ثلث وثلث وثلث . لدهش من هذه الحكمة لأن الطعام والشراب يربوان في المعدة فيتقارب ملئها فيبقى للنفس من الثلث قريب فهذا أعدل الأمور فان نقص منه قليلاً لم يضر وإن زاد النقصان أضعف القوة وضيق المجاري على الطعام . ﴿ فصل ﴾ قال المصنف رحمه الله : ولما علم أن الصوفية إنما يأمرزون بالتقليل شبانهم ومبتدئينهم ومن أضر الأشياء على الشباب الجوع فإن المشايخ يصبرون عليه والكهول أيضاً فأما الشبان فلا صبر لهم على الجوع . وسبب ذلك أن حرارة الشباب شديدة فلذلك يجود هضمة ويكثر تحال بدنه فيحتاج إلى كثرة الطعام كما يحتاج السراج الجديد إلى كثرة الزيت . فإذا صابر الشباب الجوع وتثبتته في أول النشوء قمع نشوء نفسه فكان كمن يعرّقب أصول الحيطان ثم تمتد يد المعدة لعدم الغذاء إلى أخذ الفضول المجتمعة في البدن فتغذيه بالاخلاط فيفسد الدهن والجسم وهذا أصل عظيم يحتاج إلى تأمل . ﴿ فصل ﴾ قال المصنف رحمه الله . وذكر العلماء التقليل الذي يضعف البدن . أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا عبد العزيز

ابن علي الأزجي نا ابراهيم بن جعفر الساجي نا أبو بكر عبيد العزيز بن جعفر نا أبو بكر احمد بن محمد بن هارون الخلال نا عبدالله بن ابراهيم بن يعقوب الجليل قال سمعت أبا عبدالله احمد بن حنبل . قال . له عقبه بن مكرم . هؤلاء الذين يأكلون قليلا ويقللون من مطعمهم . فقال ما يعجبني سمعت عبدالرحمن بن مهدي يقول فعل قوم هذا فقطعهم عن الفرص . قال الخلال . وأخبرني أبو بكر احمد بن محمد بن عبدالله بن صدقة ثنا اسحق بن داود بن صبيح . قال قلت لعبدالرحمن بن مهدي . يا أبا سعيد إن يبلدنا قوماً من هؤلاء الصوفية . فقال . لا تقرب هؤلاء فانا قد رأينا من هؤلاء قوماً أخرجهم الأمر إلى جنون . بعضهم أخرجهم إلى الزندقة . ثم قال . خرج سفيان الثوري في سفر فشيخته وكان معه سفرة فيها فالودج وكان فيها حمل . قال الخلال . وأخبرني المروزي قال سمعت أبا عبدالله احمد بن حنبل . وقال له رجل : اني منذ خمس عشرة سنة قد ولع في إبليس . وربما وجدت وسوسة أتفكر في الله عز وجل فقال . لعلك كنت تذن الصوم . افطر وكل دسما وجالس القصاص .

قال المصنف رحمه الله . وفي هؤلاء القوم من يتناول المطاعم الرديئة ويهجر الدسم فيجمع في معدته أخلاط فجأة فتغذي المعدة منها مدة لأن المعدة لا بد لها من شيء تهضمه . فاذا هضمت ما عندها من الطعام ولم تجد شيئاً تناولت الاخلاط فهضمتها وجعلتها غذاء . وذلك الغذاء الرديء يخرج إلى الوسواس والجنون وسوء الأخلاق . وهؤلاء المتقللون يتناولون مع التقليل أرداداً المأكولات فتكثر أخلاطهم فتشتغل المعدة بهضم الاخلاط . ويتفق لهم تعود التقليل بالتدرج فتضيق المعدة فيمكنهم الصبر عن الطعام أياً ما . ويعينهم على هذا قوة الشباب فيعتقدون الصبر عن الطعام كرامة . وإنما السبب ما عرفتك . وقد أنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم قال حدثني أبي قال كانت امرأة قد طعنت في السن فسئلت عن حالها . فقالت : كنت في حال الشباب أجد من نفسي أحوالاً أظنها قوة الحال . فلما كبرت زالت عني . فعلت أن ذلك كان قوة الشباب فتوهمتها أحوالاً . قال سمعت أبا علي الدقاق يقول ما سمع أحد هذه الحكاية من الشيوخ إلا رق لهذه العجوز وقال أنها كانت منصفه .

وقال المصنف . فان قيل كيف تمنعون من التقليل وقد رويت أن عمر رضي الله عنه كان يأكل كل يوم إحدى عشرة لقمة . وإن ابن الزبير كان يبق أسبوعاً لا يأكل وإن ابراهيم التيمي بقي شهرين . قلنا . قد يجري للانسان من هذا الفن في بعض الأوقات غير أنه لا يدوم عليه . ولا يقصد الترقى اليه . وقد كان في السلف من يجوع عوزاً وفيهم من كان الصبر له عادة لا يضر بدنه . وفي العرب من يبق أياماً لا يزيد على شرب اللبن . ونحن لا نأمر بالشبع إنما نهى عن تجوع يضعف القوة ويؤذي البدن . وإذا ضعف البدن قلت العبادة . فان حملت البدن قوة الشباب جاء الشيب فأقذع بالراكب . وقد أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ نا عبد القادر بن يوسف نا أبو إسحق البرمكي ثنا أبو يعقوب ابن سعد النسائي ثنا جدي الحسن بن سفيان ثنا حرملة بن يحيى ثنا عبد الله بن وهب ثنا سفيان بن عيينة عن مالك بن أنس عن إسحق بن عبيد الله بن أبي طلحة عن أنس رضي الله عنه . قال : كان يطرح لعمر بن الخطاب رضي الله عنه الصاع من التمر فياً كله حتى حشفه . وقد روينا عن ابراهيم بن أدهم : أنه اشترى زبداً وعسلاً وخبزاً حوارى . ففعل له : هذا كله تأكله فقال : اذا وجدنا أكلنا أكل الرجال واذا عدمنا صبرنا صبر الرجال .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف رحمه الله : وأما الشرب من الماء الصافي : فقد تخيره رسول الله ﷺ . أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا احمد بن جعفر ثنا فليح بن سليمان عن سعيد بن الحارث عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ : أتى قوماً من الأنصار يعود مريضاً فاستسقى وجدول قريب منه ، فقال ان كان عندكم ماء بات في شئ وإلا كرعنا ، اخرج به البخاري . وأخبرنا منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب نا أبو عمر بن مهدي ثنا الحسين بن اسماعيل المحاملي ثنا محمد بن عمرو بن أبي مدعور ثنا عبد العزيز بن محمد نا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها : أن رسول الله ﷺ كان يستقي له الماء العذب من بئر السقيا .

قال المصنف : وينبغي أن يعلم أن الماء الكدري ولد الحصا في السكلى والسدد في السكبد ، وأما الماء البارد فانه اذا كانت برودته معتدلة فانه يشد المعدة ، ويقوى

الشهوة ، ويحسن اللون ، ويمنع عفن الدم وصعود البخارات إلى الدماغ ويحفظ الصحة وإذا كان الماء حاراً أفسد الهضم وأحدث الترهل وأذبل البدن ، وأدى إلى الاستسقاء والدق فإن سخن بالشمس خيف منه البرص ، وقد كان بعض الزهاد يقول إذا أكلت الطيب وشربت الماء البارد متى تحب الموت وكذلك قال أبو حامد الغزالي . إذا أكل الإنسان ما يستلذه قسا قلبه وكره الموت وإذا منع نفسه شهواتها وحرّمها لذاتها اشتتت نفسه الافلات من الدنيا بالموت . قال المصنف رحمه الله وأعجباً كيف يصدر هذا الكلام من فقيه أترى لو تقلبت النفس في أي فن كان من التعذيب ما أحبت الموت ثم كيف يجوز لنا تعذيبها وقد قال عز وجل : ولا تقتلوا أنفسكم ، ورضي منا بالافطار في السفر رفقاؤها وقال يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، أو ليست مطيتنا التي عليها وصولنا وكيف لا نأوى ها وهي التي بها قطعنا السهل والحزونا

وأما معاقبة أني يزيد نفسه بترك الماء سنة فإنها حالة مذمومة لا يراها مستحسنة إلا الجهال ووجه ذمها أن للنفس حقاً ومنع الحق مستحقه ظلم ، ولا يحل للإنسان أن يؤذى نفسه ، ولا أن يقعد في الشمس في الصيف بقدر ما يتأذى ، ولا في الثلج في الشتاء . والماء يحفظ الرطوبات الأصلية في البدن وينفذ الأغذية وقوام النفس بالأغذية فإذا منعها أغذية الآدميين ومنعها الماء فقد أعان عليها وهذا من أخفش الخطأ . وكذلك منعه إياها النوم ، قال ابن عقيل ، وليس للناس إقامة العقوبات ولا استيفائها من أنفسهم ، يدل عليه أن إقامة الإنسان الحد على نفسه لا يجزى فإن فعله أعاده الامام . وهذه النفوس ودائع الله عز وجل حتى ان التصرف في الأموال لم يطلق لأربابها الا على وجوه مخصوصة .

قال المصنف رحمه الله قلت : وقد روينا في حديث الهجرة أن النبي ﷺ تزود طعاماً وشراباً . وأن أبا بكر فرش له في ظل صخرة وحلب له لبناً في قدح ثم صب ماء على القدح حتى برد أسفله ، وكل ذلك من الرفق بالنفس . وأما ما رتبته أبو طالب المسكي فحمل على النفس بما يضعفها . وإنما يمدح الجوع إذا كان بمقدار . وذكر المكاشفة من الحديث الفارغ وأما ما صنفه الترمذی فكان ابتداء شرع برأيه الفاسد . وما وجه صيام شهرين متتابعين عند التوبة

وما فائدة قطع الفواكه المباحة وإذا لم ينظر في الكتب فبأى سيرة يقتدى .
وأما الأربعينية فحديث فارغ رتبوه على حديث لا أصل له من أخلص الله أربعين
صباحاً لم يجب الاخلاص (١) أبداً فما وجه تقديره بأربعين صباحاً ثم لو
قدرنا ذلك فالاخلاص عمل القلب فما بال المطعم ثم ما الذى حسن منع الفاكمة
ومنع الخبز وهل هذا كله إلا جهل . وقد أنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم
القشيري قال حدثنا أنى قال حجج الصوفية أظهر من حجج كل أحد وقواعد
مذهبهم أقوى من قواعد كل مذهب . لأن الناس أما أصحاب نفل وأثر وأما
أرباب عقل وفكر وشيوخ هذه الطائفة ارتقوا عن هذه الجملة والذى للناس
غيب فلم يظهر فهم أهل الوصال والناس أهل الاستدلال فينبغي لمريدهم
أن يقطع العلائق وأولها الخروج من المال ثم الخروج من الجاه وأن لا ينام
إلا غلبة وأن يقلل غذاءه بالتدريج .

قال المصنف رحمه الله قلت : من له أدنى فهم يعرف أن هذا الكلام
تخليط فان من خرج عن النقل والعقل فليس بمعدود فى الناس وليس أحد
من الخلق إلا وهو مستدل وذكر الوصال حديث فارغ . فنسأل الله عز وجل
العصمة من تخليط المريدين والأشياخ والله الموفق .

﴿ فصل فى ذكر أحاديث تبين خطأهم فى أفعالهم ﴾

أخبرنا يحيى بن على المدبر نا أبو بكر محمد بن على الخياط ثنا الحسن بن
الحسين بن حنبل ثنا عبدان بن يزيد العطار . وأخبرنا محمد بن أبى منصور
أنبأنا الحسن بن أحمد الفقيه ثنا محمد بن أحمد الحافظ ثنا أبو عبد الله محمد
ابن عيسى البرورجرى ثنا عمر بن مرداس قال حدثنا محمد بن بكير
الحضرمى ثنا القاسم بن عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم العمرى عز
عبيد الله بن عمر عن على بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب . قال :
جاء عثمان بن مظعون إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله غلبني حديث النفس
فلم أحب أن أحدث شيئاً حتى أذكر لك ذلك فقال رسول الله ﷺ وما تحدثك
نفسك يا عطار . قال : تحدثني نفسي بأن أخصي . فقال : مهلاً يا عثمان

(١) من جب الشيء إذا قطع

أخبرنا محمد بن أبي طاهر الجوهري نا أبو عمر بن حياة نا أحمد بن معروف نا الحسن بن الفهم ثنا محمد بن سعد نا الفضل بن دكين ثنا إسرائيل ثنا أبو اسحاق عن أبي بردة ، قال : دخلت امرأة عثمان بن مظعون على نساء النبي ﷺ فرأيتها سيئة الهيئة ، فقلن لها : مالك فها في قريش رجل أغنى من بعلك ، قالت : مالنا منه شيء ، أما ليله فقائم ، وأما نهاره فصائم . فدخلن إلى النبي ﷺ فذكرن ذلك له فلقبه فقال : يا عثمان أمالك بي أسوة . فقال بأبي وأمي أنت وما ذاك قال تصوم النهار وتقوم الليل . قال : إني لأفعل قال لا تفعل أن لعينك عليك حقاً وإن

لجسدك عليك حقاً ، وإن لأهلك عليك حقاً ، فصل ونم وسم وافطر . قال ابن سعد وأخبرنا عارم بن الفضل ثنا حماد بن زيد ثنا معاوية بن عباس الحرمي عن أبي قلابة أن عثمان بن مظعون اتخذ بيتاً فقعد يتعبد فيه ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتاه فأخذ بعضا دقي باب البيت الذي هو فيه وقال : يا عثمان إن الله عز وجل لم يعثنى بالرهبانية مرتين أو ثلاثا . وإن خير الدين عند الله الخفيفة السمحة . أخبرنا محمد بن ناصر نا محمد بن علي بن ميمون نا عبد الوهاب بن محمد الغندجاني نا أبو بكر بن عبدان نا محمد بن سهل ثنا البخاري قال قال موسى ابن اسماعيل بن حماد بن زيد بن مسلم ثنا أبو معاوية بن قرة عن كهمس الهلالي قال : أسليت وأتيت النبي ﷺ فأخبرته بإسلامي . فسكثت حولاً ثم أتيته وقد ضمرت ونحل جسمي تخفض في البصر ثم صعدته ، قلت : أما تعرفني ، قال : ومن أنت ، قلت : أنا كهمس الهلالي ، قال : فما بلغ بك ما أرى ، قلت : ما أفطرت بعدك نهاراً ، ولانمت ليلاً . قال : ومن أمرك أن تعذب نفسك صم شهر الصبر ومن كل شهر يوماً ، قلت : زدني قال : صم شهر الصبر ومن كل شهر يومين ، قلت : زدني . قال صم شهر الصبر ومن كل شهر ثلاثة أيام أنبأنا محمد بن عبد الملك بن خيرون أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ثنا أبو حازم عمر بن أحمد العبدوري نا أبو أحمد محمد بن الغطريف ثنا أبو بكر الذهبي ثنا حميد بن الربيع ثنا عبدة بن حميد عن الأعمش عن جرير بن حازم عن أيوب عن أبي قلابة بلغ به ﷺ أن ناساً من أصحابه احتلموا النساء واللحم اجتمعوا فذكرنا ترك النساء واللحم فأوعده فيه وعيداً شديداً ، وقال : لو كنت تقدمت فيه لفعلت . ثم قال : إني لم أرسل بالرهبانية ، إن خير الدين الخفيفة السمحة .

قال المصنف رحمه الله : وقد رويناه في حديث آخر عن النبي ﷺ أنه قال : إن الله عز وجل يحب أن يرى آثار نعمته على عبده في ما كله ومشربه ، وقال بكر بن عبد الله : من أعطى خيراً فرؤى عليه سمي حبيب الله محدثاً بنعمة الله عز وجل ومن أعطى خيراً فلم ير عليه سمي بغيض الله عز وجل معادياً لنعمة الله عز وجل .

﴿فصل﴾ قال المصنف رحمه الله : وهذا الذي نهينا عنه من التقلل الزائد في الحد ، قد انعكس في صوفية زماننا فصارت همهم في المأكل كما كانت همة متقدميهم في الجوع . لهم الغداء والعشاء والحلوى ، وكل ذلك أو أكثره حاصل من أموال وسخة ، وقد تركوا كسب الدنيا ، وأعرضوا عن التعب وافتشوا فراش البطالة فلاهمة لأكثرهم إلا الأكل واللعب . فإن أحسن محسن منهم قالوا : طرح شكرآ . وإن أساء مسمى . قالوا : استغفر ، ويسمون ما يلزمه إياء واجبآ . وتسمية ما لم يسمه الشرع واجبآ جناية عليه . أخبرنا عبد الرحمن ابن محمد القزاز نا أحمد بن علي بن ثابت نا محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد الحافظ النيسابوري ثنا أبو زكريا يحيى بن محمد العبري ثنا أحمد بن سلة ثنا محمد بن عبدوس السراج البغدادى ، قال : قام أبو مرحوم القاضى بالبصرة يقص على الناس فأبكى فلما فرغ من قصصه قال من يطعمنا إرزة في الله فقام شاب من المجلس فقال أنا فقال إجلس يرحمك الله فقد عرفنا موضعك ثم قام الثانية ذلك الشاب فقال إجلس فقد عرفنا موضعك فقام الثالثة فقال أبو مرحوم لأصحابه قوموا بنا إليه فقاموا معه فأتوا منزله قال فأتينا بقدر من باقلاء فأكلنا بلا ملح ثم قال أبو مرحوم على بخوان خماسى وخمس مكايك أرز ، وخمسة أمان سمن ، وعشرة أمان سكر ، وخمسة أمان صنوبر ، وخمسة أمان فستق ، فجئ بها كلها ، فقال أبو مرحوم لأصحابه : يا إخوانى كيف أصبحت الدنيا قالوا مشرق لونها ، مبيضة شمسها ، قال : اخرجوا فيها أنهارها قال فأتى بذلك السمن فأجرى فيها ثم أقبل أبو مرحوم على أصحابه فقال يا إخوانى كيف أصبحت الدنيا ، قالوا مشرق لونها ، مبيضة شمسها ، مجرة فيها أنهارها فقال يا إخوانى إغرسوا فيها أشجارها قال فأتى بذلك الفستق والصنوبر ، فألقى فيها ثم أقبل أبو مرحوم على أصحابه فقال : يا إخوانى كيف أصبحت الدنيا ، قالوا : مشرق لونها ، مبيض شمسها ، مجرى فيها أنهارها ، وقد غرست فيها أشجارها ، وقد تدلت لثامها ، قال : يا إخوانى ارموا الدنيا بجحارتها قال : فأتى بذلك السكر فألقى فيها ، ثم أقبل أبو مرحوم على أصحابه ، فقال يا إخوانى كيف أصبحت الدنيا قالوا : مشرق لونها مبيضة شمسها وقد أجريت فيها أنهارها وقد غرست فيها أشجارها ، وقد تدلت لثامها ، فقال يا إخوانى : ما لنا وللدنيا

أضر بوا فيها براحتها ، قال : فجعل الرجل يضرب فيها براحته ويدفعه بالخمس قال أبو الفضل أحمد بن سلبية ذكرته لأبي حاتم الرازي فقال إمله على فأمليته عليه فقال : هذا شأن الصوفية .

قال المصنف رحمه الله قلت : وقد رأيت منهم من إذا حضر دعوة بالغ في الأكل ثم اختار من الطعام فرما ملأ كفيه من غير إذن صاحب الدار وذلك حرام بالإجماع ولقد رأيت شيخاً منهم قد أخذ شيئاً من الطعام ليحمله معه فوثب صاحب الدار فأخذه منه .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في السماع والرقص والوجد ﴾
قال المصنف رحمه الله : أعلم أن سماع الغناء يجمع شيئين ، أحدهما : أنه يلهى القلب عن التفكير في عظمة الله سبحانه والقيام بخدمته ، والثاني : أنه يميله إلى اللذات العاجلة التي تدعو إلى استيفائها من جميع الشهوات الحسية ومعظمها الشكاح وليس تمام لذته إلا في المتجددات ولا سبيل إلى كثرة المتجددات من الحل فلهذا يبحث على الزنا فيبين الغناء والزنا تناسب من جهة أن الغناء لذة الروح والزنا أكبر لذات النفس ولهذا جاء في الحديث : الغناء رقية الزنا . وقد ذكر أبو جعفر الطبري أن الذي اتخذ الملاحى رجل من ولد قاييل يقال له ثوبال . اتخذ في زمان مهلائيل بن قينان آلات اللهو من المزامير والطبول والصيدان فأنهمك ولد قاييل في اللهو وتناهى خبرهم إلى من بالجبل من نسل شيث فنزل منهم قوم وفشت الفاحشة وشرب الخمر .

قال المصنف رحمه الله : وهذا لأن الالتذاذ بشيء يدعو إلى التذاذ بغيره خصوصاً ما يناسبه ولما يئس إبليس أن يسمع من المتعبدين شيئاً من الأصوات المحرمة كالعود نظر إلى المغنى الحاصل بالعود فدرجه في ضمن الغناء بغير العود وحسنه لهم وإنما مراده التدرج من شيء إلى شيء والفقيه من نظر في الأسباب والنتائج وتأمل المقاصد فإن النظر إلى الأمر مباح أن أمن ثوران الشهوة فإن لم يؤمن لم يجز . وتقيل الصبية التي لها من العمر ثلاث سنين جاز إذ لا شهوة تقع هناك في الأغلب فإن وجد شهوة حرم ذلك ، وكذلك الخلوة بدوات المحارم فإن خيف من ذلك حرم فتأمل هذه القاعدة .

(فصل) قال المصنف رحمه الله : وقد تكلم الناس في الغناء فأطالوا فمنهم من حرمه ومنهم من أباحه من غير كراهة ومنهم من كرهه مع الإباحة وفصل الخطاب أن نقول ينبغي أن ينظر في ماهية الشيء ثم يطلق عليه التحريم أو الكراهة أو غير ذلك والغناء اسم يطلق على أشياء منها غناء الحجيح في الطرقات فإن أقوماً من الأعاجم يقدمون للحج فينشدون في الطرقات أسعاراً يصفون فيها السكبة وزمزم والمقام وربما ضربوا مع إنشادهم بطل فسماع تلك الأشعار مباح وليس إنشادهم إياها مما يطرب ويخرج عن الاعتدال وفي معنى هؤلاء الغزاة : فإنهم ينشدون أشعاراً يحرضون بها على الغزو . وفي معنى هذا إنشاد المبارزين للقتال للأشعار تفاخراً عند النزال وفي معنى هذا أشعار الحداة في طريق مكة كقول قائلهم :

بشرها دليلها وقالوا غداً ترين الطلح والجبالا

وهذا يحرك الابل والأدى . إلا أن ذلك التحريك لا يوجب الطرب المخرج عن حد الاعتدال . وأصل الحداة ما أنبأنا به يحيى بن الحسن بن البنا نا أبو جعفر بن المسلمة نا المخلص نا أحمد بن سليمان الطوسي ثنا الزبير بن بكار ثني إبراهيم بن المنذر ثنا أبو البحتري وهب عن طلحة المسكن عن بعض علمائهم : أن رسول الله ﷺ مال ذات ليلة بطريق مكة إلى حاد مع قوم فسلم عليهم فقال ان حاديننا نام (١) فسمعنا حادينكم فلت اليكم . فهل تدرون اني كان الحداة قالوا لا والله قال إن أباهم مضر خرج إلى بعض رعاته فوجد إبله قد تفرقت فأخذ عصا فضرب بها كف غلامه فعدا العلام في الوادي وهو يصيح يا يداه يا يداه (٢) فسمعت الابل ذلك فعطفت عليه فقال مضر لو اشتق مثل هذا لانتفعت به الابل واجتمعت فاشتقت الحداة .

قال المصنف رحمه الله . وقد كان لرسول الله ﷺ حادي يقال له أنجشة يحدو فتعنى (٣) الابل . فقال رسول الله ﷺ : يا أنجشة رويدك سوقاً بالقوارير

(١) في النسخة الثانية . ان حاديننا ونا - أى تعب .

(٢) في النسخة الثانية وإداه مرة فقط .

(٣) العنق بفتح الحين . نوع من السير سريع فسيح .

وفي حديث سلمة بن الأكوع قال خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر فسرنا ليلاً فقال رجل من القوم لغامر بن الأكوع . ألا تسمعنا من هنياتك . وكان عامر رجلاً شاعراً فنزل يحدو بالقول يقول .

لاهم لولا أنت ما اهتدنا ولا تصدقنا ولا صلينا
فالقين سكة علينا وثبت الاقدام إذ لا قينا
قال رسول الله ﷺ . من هذا السائق : قالوا . عامر بن الأكوع فقال
رحمه الله .

قال المصنف رحمه الله . وقد روينا عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال
أما صنع الحداء ونشيد الاعراب فلا بأس به .
قال المصنف رحمه الله . ومن إنشاد العرب قول أهل المدينة عند قدوم
رسول الله ﷺ عليهم .

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داعي

ومن هذا الجنس كانوا ينشدون أشعارهم بالمدينة . وربما ضربوا عليه
بالدف عند إنشاده . ومنه ما أخبرنا به ابن الحصين نا بن المذهب نا أحمد بن
جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثنا أبي ثنا أبو المعيرة ثنا الأوزاعي ثنا الزهري
عن عروة عن عائشة رضي الله عنها . أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان
في أيام منى تضربان بدفين ورسول الله ﷺ مسجى عليه بثوبه - فانتبرا
أبو بكر - فكشف رسول الله ﷺ عن وجهه . وقال . دعني يا أبا بكر
فإنها أيام عيد . أخرجاه في الصحيحين .

قال المصنف رحمه الله . والظاهر من هاتين الجاريتين صغر السن لأن
عائشة كانت صغيرة وكان رسول الله ﷺ يسرب (١) إليها الجوارى فيلعبن
معهما . وقد أخبرنا محمد بن ناصر نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو إسحاق
البرمكي أنبأنا عبد العزيز بن جعفر ثنا أبو بكر الحلال أخبرنا منصور بن الوليد

(١) في الثانية : وهو تفسير يسرب

ابن جعفر بن محمد حدثهم : قال . قلت لأبي عبد الله أحمد بن حنبل حديث الزهري عن عروة عن عائشة عن جوار يغنين - أى شيء هذا الغناء . قال . غناء الركب : أتيناكم أتيناكم . قال الخلال وحدثنا أحمد بن فرج الحمصي ثنا يحيى بن سعيد ثنا أبو عقيل عن نهبه عن عائشة رضى الله عنها . قالت : كانت عندنا جارية يتيمة من الأنصار فزوجناها رجلاً من الأنصار فكنت فيمن أهداها إلى زوجها . فقال رسول الله ﷺ يا عائشة إن الأنصار أناس فيهم غزل : فما قلت : قالت دعونا بالبركة : قال : أفلا قلت :

أتيناكم أتيناكم خيونا نخيكم
ولولا الذهب الأحمر ما حلت بواديكم
ولو لالهة السمرا لم تسمن عذاركم

أخبرنا أبو الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثنا أبي ثنا أسود بن عامر نا أبو بكر عن أجلى عن أبي الزبير عن جابر ابن عبد الله رضى الله عنه : قال قال رسول الله ﷺ لعائشة رضى الله عنها : أهديتم الجارية إلى بيتها . قالت نعم . قال : فهلا بعثتم معها من يغنيهم يقول :
أتيناكم أتيناكم خيونا نخيكم
فإن الأنصار قوم فيهم غزل .

قال المصنف رحمه الله : فقد بان بما ذكرنا ما كانوا يغنون به وليس مما يطرب ولا كانت دفوفهن على ما يعرف اليوم . ومن ذلك أشعار ينشدونها المتزهدون بتطريب وتلحين تزعج القلوب إلى ذكر الآخرة ويسمونهم الزهديات كقول بعضهم :

يا غاديا في غفلة ورائحا إلى متى تستحسن القبايح
وكم إلى كم لا تخاف موقفا يستنطق الله به الجوارحا
يا عجباً منك وأنت مبصر كيف تجنبت الطريق الواضحا

فهذا مباح أيضاً وإلى مثله أشار أحمد بن حنبل في الإباحة فيما أنبأنا به أبو عبد العزيز كاوس نا المظفر بن الحسن الهمداني نا أبو بكر بن لالي ثنا م ١٥ - تلبس ابليس

الفضل بن الفضل الكندي قال سمعت عبدوس يقول سمعت أبا حامد الخلفاني يقول لأحمد بن حنبل : يا أبا عبد الله هذه القصائد الرقاق التي في ذكر الجنة والنار أي شيء تقول فيها فقال : مثل أي شيء قلت يقولون :

إذا ما قال لي ربي أما استحييت تعصيني
وتخفى الذنب من خلقي وبالعصيان تأتيني
فقال : أعد علي ، فأعدت عليه ، فقام ودخل بيته ورد الباب - فسمعت
نحيبه من داخل البيت وهو يقول :

إذا ما قال لي ربي أما استحييت تعصيني
وتخفى الذنب من خلقي وبالعصيان تأتيني
ومن الأشعار أشعار تنشدتها النواح ، يشيرون بها الأحزان والبكاء ،
فيتهي عنها لما في ضمناها (١)

فأما الأشعار التي ينشدتها المغنون المتهيثون للغناء ويصفون فيها المستحسنات
والخمر وغير ذلك مما يحرك الطباع ويخرجها عن الاعتدال ويشير كأنها من
حب اللهو وهو الغناء المعروف في هذا الزمان مثل قول الشاعر :

ذهي اللون تحسب من وجنته النار تقتدح
خوفوني من فضيحتة ليتة وافي وأفتضح

وقد أخرجوا لهذه الأغاني ألحاناً مختلفة كلها تخرج سامعها عن حيز
الاعتدال ، وتثير حب الهوى ، ولهم شيء يسمونه البسيط يزجج القلوب عن
مهل ثم يأتون بالانشيد بعده فيجمع القلوب . وقد أضافوا إلى ذلك ضرب
القضيب والإيقاع به على وفق الإنشاد والدف بالجلجل ، والشبابة النائية
عن الزمر فهذا الغناء المعروف اليوم .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف رحمه الله . وقبل أن نتكلم في إباحته . أو
تحريمه ، أو كراهته : نقول . ينبغي للعاقل أن ينصح نفسه وإخوانه . ويحذر
نلبس إبليس في إجراء هذا الغناء مجرى الأقسام المتقدمة التي يطلق عليها

(١) كذا في النسختين : وقد سقط ذكر العلة

اسم الغناء . فلا يحمل الكل محملاً واحداً . فيقول قد أباحه فلان وكرهه فلان . فنبدأ بالكلام في النصيحة للنفس والاخوان فنقول .

معلوم أن طباع الأدميين تتقارب ولا تكاد تتفاوت فإذا ادعى الشاب السليم البدن الصحيح المزاج أن رؤية المستحسنات لا تزعجه ولا تؤثر عنده ولا تضره في دينه كذبناه لما نعلم من استواء الطباع — فإن ثبت صدقه عرفنا أن به مرضاً خرج به عن حيز الاعتدال ، فإن تعلل فقال . إنما أنظر إلى هذه المستحسنات معتبراً فأتعجب من حسن الصنعة في دمج العينين ، ورقة الأنف ونقاء البياض ، قلنا له في أنواع المباحات ما يكفي في العبارة وههنا ميل طبعك يشغلك عن الفكرة ولا يدع لبلوغ شهوتك وجود فكرة . فإن ميل الطبع شاغل عن ذلك ، وكذا من قال ان هذا الغناء المطرب المزيج للطباع المحرك لها إلى العشق وحب الدنيا لا يؤثر عندي ولا يلفت قلبي إلى حب الدنيا الموصوفة فيه — فانا نكذبه لموضع اشتراك الطباع ثم ان كان قلبه بالخوف من الله عز وجل غائباً عن الهوى لأحضر هذا المسموع الطبع وان كانت قد طالت غيبته في سفر الخوف ، وأقبح القبيح البهرجة ، ثم كيف تمر البهرجة على من يعلم السر وأخفى . ثم ان كان الأمر كما زعم هذا المتصوف فينبغي أن لا نبيحه إلا لمن هذه صفته والقوم قد أباحوه على الإطلاق للشباب المبتدى . والصبي الجاهل . حتى قال أبو حامد الغزالي . ان التشبيب بوصف الحدود . والأصداغ ، وحسن القد . والقامة . وسائر أوصاف النساء . الصحيح انه لا يحرم .

قال المصنف رحمه الله . فأما من قال اني لا أسمع الغناء للدنيا . وإنما آخذ منه إشارات فهو يخطيء من وجهين . أحدهما أن الطبع يسبق إلى مقصوده قبل أخذ الإشارات فيكون كمن قال اني أنظر إلى هذه المرأة المستحسنة لا تفكر في الصنعة — والثاني انه يقل فيه وجود شيء يشار به إلى الخالق وقد جل الخالق تبارك وتعالى أن يقال في حقه انه يعشق . ويقع الهيمان به . وإنما نصيبتنا من معرفته الهيبة والتعظيم فقط وإذا قد انتهت النصيحة فنذكر ما قيل في الغناء .

﴿ فصل ﴾ أما مذهب أحمد رحمه الله . فانه كان الغناء في زمانه إنشاد قصائد الزهد إلا أنهم لما كانوا يلحنونها اختلفت الرواية عنه . فروى عنه ابنه عبدالله انه قال : الغناء ينبت النفاق في القلب ، لا يعجنى . وروى عنه اسماعيل بن اسحاق الثقفي : أنه سئل عن استماع القصائد فقال : أكرهه ، هو بدعة ، ولا يجالسون . وروى عنه أبو الحارث أنه قال : التغير (١) بدعة ، فقل له : أنه يرقق القلب . فقال هو بدعة . وروى عنه يعقوب الهاشمي : التغير بدعة محدث . وروى عنه يعقوب بن غياث (٢) أكره التغير وأنه نهى عن استماعه .

قال المصنف : فهذه الروايات كلها دليل على كراهية الغناء ، قال أبو بكر الخلال كره أحمد القصائد لما قيل له أنهم يتماجنون ثم روى عنه ما يدل على أنه لا بأس بها . قال المروزي . سألت أبا عبدالله عن القصائد . فقال . بدعة . فقلت له : أنهم يهجرون . فقال لا يبلغ بهم هذا كله .

قال المصنف . وقد روينا أن أحمد سمع قوالا عند ابنه صالح فلم ينكر عليه . فقال له صالح يا أبت أليس كنت تنكر هذا . فقال . إنما قيل لي أنهم يستعملون المنكر فكرهته ، فأما هذا فإني لا أكرهه . قال المصنف رحمه الله قلت وقد ذكر أصحابنا عن أبي بكر الخلال وصاحبه عبد العزيز إباحة الغناء . وإنما أشار إلى ما كان في زمانهما من القصائد الزهديات . وعلى هذا يحمل ما لم يكرهه أحمد . ويدل على ما قلت أن أحمد بن حنبل سئل عن رجل مات وترك ولداً وجارية مغنية . فاحتاج الصبي إلى بيعها . فقال لا تباع على أنها مغنية فقيل له أنها تساوي ثلاثين ألف درهم ولعلها إذا بيعت ساذجة تساوي عشرين ديناراً فقال لا تباع إلا على أنها ساذجة .

قال المصنف : وإنما قال هذا لأن الجارية المغنية لا تغنى بقصائد الزهديات بل بالأشعار المطربة المثيرة للطبع إلى العشق ، وهذا دليل على أن الغناء

(١) في النسخة الثانية - يعقوب بن محبان - ولفظ التغير هو تغيير الذكر

بدعاء وتضرع كما ذكره المصنف بعد في صحيفة ٢٣٠

محظور إذلولم يكن محظوراً ما أجاز تفويت المال على اليتيم . وصار هذا كقول
أبي طلحة للنبي ﷺ . عندى خمر لا يتام ، فقال أرقها . فلو جاز استصلاحها
لما أمره بتضييع أموال اليتامى . وروى المروزي عن أحمد بن حنبل أنه
قال . كسب الخنث خبيث يكسبه بالغناء وهذا لأن الخنث لا يغنى بالقصائد
الزهدية إنما يغنى بالغزل والنوح . فبان من هذه الجملة أن الروايتين عن أحمد
في الكراهة وعدمها تتعلق بالزهديات الملعنة ، فأما الغناء المعروف اليوم
فمحظور عنده كيف ولو علم ما أحدث الناس من الزيادات .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف : وأما مذهب مالك بن أنس رحمه الله فأخبرنا
محمد بن ناصرنا أبو الحسين بن عبد الجبارنا أبو اسحاق البرمكي نا عبد العزيز
ابن جعفر ثنا أبو بكر الخلال وأخبرنا عالياً سعيد بن الحسن بن البنا نا أبو
نصر محمد بن محمد الديبى نا أبو بكر محمد بن عمر الوراق نا محمد بن السرى
ابن عثمان التمار قالنا أخبرنا عبد الله بن أحمد عن أبيه عن اسحاق بن عيسى
الطباع (١) قال سألت مالك بن أنس عن ما يترخص فيه أهل المدينة من
الغناء . فقال . إنما يفعله الفساق . أخبرنا هبة الله بن أحمد الحريرى قال أنبأنا
أبو الطيب الطبرى قال . أما مالك بن أنس فإنه نهى عن الغناء وعن استماعه .
وقال إذا اشترى جارية فوجد هامغنية كان له ردها بالعيب وهو مذهب سائر
أهل المدينة إلا إبراهيم بن سعد وحده فإنه قد حكى زكريا الساجى أنه كان
لا يرى به بأساً .

﴿ فصل ﴾ وأما مذهب أبي حنيفة رضى الله عنه . أخبرنا هبة الله بن
أحمد الحريرى عن أبي الطيب الطبرى . قال كان أبو حنيفة يكره الغناء مع
إباحته شرب النبيذ ويجعل سماع الغناء من الذنوب . قال : وكذلك مذهب
سائر أهل الكوفة : إبراهيم ، والشعبي وحماد ، وسفيان الثوري . وغيرهم
لا اختلاف بينهم في ذلك . قال ولا يعرف بين أهل البصرة خلاف في كراهة
ذلك والمنع منه إلا ما روى عبيد الله بن الحسن العنبرى أنه كان لا يرى به بأساً .

﴿فصل﴾ وأما مذهب الشافعي رحمه الله عليه قال حدثنا إسماعيل بن أحمد نا أحمد بن أحمد الحداد نا أبو نعيم الاصفهاني ثنا محمد بن عبد الرحمن ثنا أحمد بن محمد بن الحارث ثنا محمد بن إبراهيم بن جواد ثنا الحسن بن عبد العزيز الحروي قال سمعت محمد بن إدريس الشافعي يقول خلقت بالعرق شيئاً أحدثته الزنادقة يسمونه التغيير يشغلون به الناس عن القرآن .

قال المصنف رحمه الله : وقد ذكر أبو منصور الأزهري - المغيرة قوم يغيرون بذكر الله بدعاء وتضرع وقد سموا ما يطربون فيه من الشعر في ذكر الله عز وجل تغييراً كأنهم إذا شاهدوها بالألحان طربوا ورقصوا فسموا مغيرة لهذا المعنى . وقال . الزجاج سموا مغيرين لتزهدهم الناس في الفاني من الدنيا وترغيبهم في الآخرة . وحدثنا هبة الله بن أحمد الحريري عن أبي الطيب طاهر ابن عبد الله الطبري قال قال الشافعي الغناء هو مكروه يشبه الباطل . ومن استكثر منه فهو سفیه ترد شهادته . قال . وكان الشافعي يكره التعبير . قال الطبري فقد أجمع علماء الأمصار على كراهية الغناء والمنع منه وإنما فارق الجماعة إبراهيم بن سعد ^(١) وعبيد الله العنبري وقد قال رسول الله ﷺ . عليكم بالسواد الأعظم فإنه من شذوذ في النار . وقال من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية .

قال المصنف قلت . وقد كان رؤساء أصحاب الشافعي رضي الله عنهم يشكرون السماع . وأما قدماءهم فلا يعرف بينهم خلاف وأما أكابر المتأخرين فعلى الانسكار . منهم أبو الطيب الطبري وله في ذم الغناء والمنع كتاب مصنف حدثنا به عنه أبو القاسم الحريري ومنهم القاضي أبو بكر محمد بن مظفر الشامي أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك الأنماطي عنه . قال لا يجوز الغناء ولا سماعه ولا الضرب بالقضيب . قال ومن أضاف إلى الشافعي هذا فقد كذب عليه . وقد نص الشافعي في كتاب أدب القضاء . علي أن الرجل إذا دام على سماع الغناء ردت شهادته وبطلت عدالته .

قال المصنف رحمه الله قلت : فهذا قول علماء الشافعية وأهل الدين منهم

(١) في النسخة الثانية : سعيد هنا وفيما تقدم عنه .

وإنما رخص في ذلك من متأخريهم من قلّ عليه وغلبة هواه . وقال الفقهاء من أصحابنا لا تقبل شهادة المغنى والرقاص والله الموفق .

﴿ فصل في ذكر الأدلة على كراهية الغناء والنوح والمنع منهما ﴾
قال المصنف . وقد استدلل أصحابنا بالقرآن والسنة والمعنى . فأما الاستدلال من القرآن فبثلاث آيات . الآية الأولى قوله عز وجل « ومن الناس من يشتري لهو الحديث » أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك ويحيى بن علي قالنا أبو محمد الصريفي نا أبو بكر بن عبدان ثنا عبد الله بن منيع ثنا عبد الله بن عمر ثنا صفوان بن عيسى قال قال حميد الحياط أخبرنا عن عمار بن أبي معاوية عن سعيد بن جبير عن أبي الصهباء . قال سألت ابن مسعود عن قول الله عز وجل « ومن الناس من يشتري لهو الحديث » قال هو والله الغناء . أخبرنا عبد الله بن علي المقرئ ومحمد بن ناصر الحافظ قالنا طراد بن محمد نا ابن بشر نا ابن صفوان ثنا أبو بكر القرشي ثنا زهير بن حرب ثنا جرير عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس « ومن الناس من يشتري لهو الحديث » . قال هو الغناء وأشباهه . أخبرنا عبد الله بن محمد الحاكم ويحيى بن علي المدبر قالنا أبو الحسين بن النفور نا ابن حياة ثنا البغوي ثنا هبة ثنا حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن بن مسلم عن مجاهد « ومن الناس من يشتري لهو الحديث » قال الغناء . أخبرنا ابن ناصر المبارك بن عبد الجبار نا أبو إسحاق البرمكي نا أحمد بن جعفر بن مسلم نا أحمد بن محمد بن عبد الخالق ثنا أبو بكر المروزي ثنا أحمد بن حنبل ثنا عبدة ثنا إسماعيل عن سعيد بن يسار . قال سألت عكرمة عن لهو الحديث قال الغناء . وكذلك قال الحسن وسعيد بن جبير وقتادة وإبراهيم النخعي .

الآية الثانية قوله عز وجل « وأنتم سامدون » . أخبرنا عبد الله بن علي نا طراد بن محمد نا ابن بشر نا ابن صفوان ثنا أبو بكر القرشي ثنا عبيد الله بن عمر ثنا يحيى بن سعد عن سفيان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس « وأنتم سامدون » قال هو الغناء بالخيرية سمد لنا - غنى لنا . وقال مجاهد هو الغناء يقول أهل اليمن سمد فلان إذا غنى .

الآية الثالثة قوله عز وجل : « واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك » . أخبرنا موهوب بن أحمد نا ثابت بن بندار نا عمر بن إبراهيم الزهرى نا عبدالله بن إبراهيم بن ماسى ثنا الحسين بن السكيت ثنا محمد بن نعيم بن القاسم الجرمي عن سفيان الثوري عن ليث عن مجاهد : « واستفزز من استطعت منهم بصوتك » . قال هو الغناء والمزامير .

أما السنة . أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر نا عبدالله بن أحمد ثنى أبى ثنا الوليد بن مسلم ثنا سعيد بن عبد العزيز عن سليمان بن موسى عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنه . أنه سمع صوت زمارة راع فوضع أصبعيه فى أذنيه وعدل راحلته عن الطريق . وهو يقول يا نافع أسمع فأقول نعم فيمضى حتى قلت لا فوضع يديه وأعاد راحلته إلى الطريق وقال رأيت رسول الله ﷺ سمع زمارة راع فصنع مثل هذا .

قال المصنف رحمه الله ، إذا كان هذا فعلهم فى حق صوت لا يخرج عن الاعتدال فكيف بغناء أهل الزمان وزمورهم . أخبرنا محمد بن ناصر نا المبارك بن عبد الجبار نا الحسين بن محمد النصيبي نا إسماعيل بن سعيد بن سويد ثنا أبو بكر بن الانبارى ثنا عبيد بن عبد الواحد بن شريك البزار نا ابن أبى مریم ثنا يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن عمر عن على بن زيد عن القاسم عن أبى أمامة قال نهى رسول الله ﷺ عن شراء المغنيات وبيعهن وتعليمهن . وقال ثمنهن حرام . وقرأ « ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً ألتك لهم عذاب مهين .

أخبرنا عبد الله بن على المقرئ نا أبو منصور محمد بن محمد المقرئ نا أبو القاسم عبد الملك بن محمد بن بشر نا ناعم بن أحمد بن عبد الرحمن الجمحي ثنا منصور بن أبى الأسود عن أبى المهلب عن عبيد الله بن عمر عن على بن زيد عن القاسم عن أبى أمامة . قال نهى رسول الله ﷺ عن بيع المغنيات وعن التجارة فيهن وعن تعليمهن الغناء . وقال ثمنهن حرام . وقال فى هذا أو نحوه . أو وقال شبهه نزلت على « ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله » . وقال ما من رجل يرفع عقيرة صوته للغناء إلا بعث الله له شيطانين يرتد

فانه أعنى هذا من ذا الجانب وهذا من ذا الجانب ولا يزالان يضربان بأرجلهما في صدره حتى يكون هو الذى يسكت . وروت عائشة رضى الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال : إن الله عز وجل حرم المغنية ويبيعها وثمنها وتعليمها والإستماع اليها ثم قرأ ومن الناس من يشتري لهو الحديث . وروى عبد الرحمن ابن عوف عن النبي ﷺ أنه قال : إنما نهيت عن صوتين أحققين فاجرين صوت عند نغمة وصوت عند مصيبة .

أخبرنا ظفر بن على نا أبو على الحسن بن احمد المقتدى نا أبو نعيم الحافظ نا حبيب بن الحسن بن على بن الوليد ثنا محمد بن كليب ثنا خلف بن خليفة عن إبان المكتب عن محمد بن عبد الرحمن عن عطاء بن أبي رباح عن بن عمر قال دخلت مع رسول الله ﷺ فاذا ابنته ابراهيم يجود بنفسه فأخذه رسول الله ﷺ فوضعه في حجره ففاضت عيناه فقلت يا رسول الله أتبكي وتنهانا عن البكاء فقال لست أنهى عن البكاء إنما نهيت عن صوتين أحققين فاجرين صوت عند نغمة لعب وهو ومزامير الشيطان وصوت عند مصيبة ضرب وجهه وشق جيوب ورنه شيطان .

أخبرنا عبد الله بن على المقرئ نا جدى أبو منصور محمد بن احمد الخياط نا عبد الملك بن محمد بن بشران ثنا أبو على احمد بن الفضل بن خزيمة ثنا محمد ابن سويد الطحان ثنا عاصم بن على ثنا عبد الرحمن بن ثابت عن أبيه عن مكحول عن جبير بن نفير عن مالك بن نعام الثقة عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنه . أن النبي ﷺ قال . بعثت بهدم المزارم والطليل .

أخبرنا ابن الحصين نا أبو طالب بن عيلان نا أبو بكر الشافعى ثنا عبد الله ابن محمد بن ناجية ثنا عباد بن يعقوب ثنا موسى بن عمير عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن على . قال قال رسول الله ﷺ . بعثت بكسر المزامير . أخبرنا أبو الفتح الكروجى نا أبو عامر الأزدي وأبو بكر العورجى قالانا الجراحى ثنا المحبوبى ثنا الترمذى ثنا صالح بن عبد الله ثنا الفرج بن فضالة عن يحيى بن سعيد عن محمد بن عمر بن على بن أبي طالب عن على بن أبي طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ إذا فعلت أمتى خمس عشرة خصلة

حل بها البلاء فذكر منها اذا اتخذت القيان والمعازف، قال الترمذى وحدثنا
 على بن حجر نا محمد بن يزيد عن المستلم بن سعيد عن رميح الجذامى عن أبى
 هريرة قال قال رسول الله ﷺ اذا اتخذ الفىء دولا ، والأمانة مغنما ، والزكاة
 مغرمأ ، وتعلم لغير الدين ، وأطاع الرجل امرأته وعق أمه ، وأدنى صديقه
 وأقصى أباه وظهرت الأصوات فى المساجد ، وساد القبيلة فاسقهم . وكان
 زعيم القوم أرذلهم ، وأكرم الرجل مخافة شره وظهرت القينات والمعازف ،
 وشربت الخمر ، ولعن آخر هذه الأمة أولها . فليرتقبوا عند ذلك رجما
 حمراء وزلزلة وخسفاً ومسحاً وقذفاً وآيات تتابع كنظام بال قطع سلكه
 فتتابع . وقد روى عن سهل بن سعد عن النبي ﷺ أنه قال . يكون فى أمتى
 خسف وقذف ومسح . قيل يا رسول الله متى . قال . إذا ظهرت المعازف
 والقينات واستحلت الخمر . أنبأنا أبو الحسن سعد الخير بن محمد الانصارى
 فى كتاب السنن لابن ماجه قال نا أبو العباس أحمد بن محمد الأسدا بادى نا
 أبو منصور المقومى نا أبو طلحة القاسم بن المنذر نا أبو الحسن بن ابراهيم
 القطان ثنا محمد بن يزيد بن ماجه ثنا الحسين بن أبى الربيع الجرجاني ثنا
 عبد الرازق أخبرنى يحيى بن العلاء أنه سمع مكحولاً يقول أنه سمع يزيد بن
 عبد الله يقول أنه سمع صفوان بن أمية قال كنا مع رسول الله ﷺ نجاء
 عمرو بن قره فقال يا رسول الله . أن الله عز وجل قد كتب على الشفوة
 فما أراى أرزق إلا من دفى بكفى فأذن لى فى الغناء فى غير فاحشة . فقال له
 رسول الله ﷺ لا آذن لك ولا كرامة ولا نعمة عين . كذبت يا عدو الله
 لقد رزقك الله حلالاً طيباً فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان
 ما أحل الله لك من حلاله . ولو كنت تقدمت اليك لفعلت بك وفعلت .
 قم عنى وتب إلى الله عز وجل . أما انك لو قلت بعد التقدمة اليك ضربتك
 ضرباً وجيعاً . وحلقت رأسك مثلة ونفيتك من أهلِكَ . وأحللت سلبك
 نهبه لفتيان المدينة . فقام عمرو وبه من الشر والحزى ما لا يعلمه إلا الله عز
 وجل . فلما ولى قال رسول الله ﷺ هؤلاء العصاة من مات منهم بغير توبة
 حشره الله عز وجل عريان لا يستتر بهدبة كلما قام صرع .

وأما الآثار فقال ابن مسعود : الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء
 البقل . وقال . إذا ركب الرجل الدابة ولم يسم ردفه الشيطان . وقال : تغنه
 فان لم يحسن . قال له : تمته . ومر ابن عمر رضى الله عنه يقوم محرمين وفيهم
 رجل يتغنى . قال ألا لا سمع الله لكم . ومر بجارية صغيرة تغنى فقال : لو برك
 الشيطان أحدا لترك هذه . وسأل رجل القاسم بن محمد عن الغناء فقال :
 أنهاك عنه وأكرهه لك . قال : أحرام هو ؟ قال أنظر يا ابن أخي إذا ميز
 الله الحق من الباطل ففي أيهما يجعل الغناء وعن الشعبي . قال لعن المغنى والمغنى
 له . أخبرنا عبد الله بن علي المقرئ ومحمد بن ناصر قالنا طراد بن محمدنا
 أبو الحسين بن بشران نا أبو علي بن صفوان ثنا أبو بكر القرشي ثنى الحسين
 ابن عبد الرحمن ثنى عبد الله بن الوهاب قال أخبرني أبو حفص عمر بن عبيد الله
 الأرموى . قال . كتب عمر بن العزيز الى مؤدب ولده ليكن أول ما يعتقدون
 من أدبك بغض الملاهى التى بدوها من الشيطان وعاقبتها سخط الرحمان جل
 وعز . فانه بلغنى عن الثقات من حملة العلم أن حضور المعازف واستماع الأغاني
 واللهج بها ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء العشب . ولعمري لتوق ذلك
 بترك حضور تلك المواطن أيسر على ذى الذهن من الثبوت على النفاق في
 قلبه . وقال فضيل بن عياض . الغناء رقية الزنا . وقال الضحاك الغناء مفسدة
 للقلب مسخطة للرب . وقال يزيد بن الوليد يا بنى أمية إياكم والغناء فانه يزيد
 الشهوة ويهدم المروءة وأنه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعل السكر . فان كنتم
 لا بد فاعلين فجنبوه النساء ، فان الغناء داعية الزنا .

قال المصنف رحمه الله قلت : وكم قد فتنت الأصوات بالغناء من عابد
 وزاهد وقد ذكرنا جملة من أخبارهم في كتابنا المسمى بدم الهوى . أخبرنا
 محمد بن ناصر نا ثابت بن بندار نا أبو الحسين محمد بن عبد الواحد بن
 رزمه أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرا فى ثنى محمد بن يحيى عن معن بن
 عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه . قال : كان سليمان بن عبد الملك في بادية
 له . فسمر ليلة على ظهر سطح ثم تفرق عنه جلساؤه : فدعا بوضوء فجاءت به
 جارية له فينماهى تصب عليه إذا استمدها بيده ، وأشار إليها فإذا هى ساهية

مصغية بسمعها مائلة بجسدها كله إلى صوت غناء تسمعه في ناحية العسكر . فأمرها فتحت واستمع هو الصوت . فاذا صوت رجل يغنى فأنتصت له حتى فهم ما يغنى به من الشعر . ثم دعا جارية من جواريه غيرها فتوضاً فلما أصبح أذن للناس إذناً عاماً . فلما أخذوا مجالسهم أجرى ذكر الغناء ومن كان يسمعه ولين فيه حتى ظن القوم أنه يشتهيهم فأفاضوا في التلين والتحليل والتسهيل . فقال : هل بقي أحد يسمع منه . فقام رجل من القوم فقال . يا أمير المؤمنين عندي رجلان من أهل ايلة حاذقان ، قال . وأين منزلك من العسكر فأومى إلى الناحية التي كان الغناء منها . فقال سليمان يبعث إليهم ما وجد الرسول أحدهما فأقبل به حتى أدخله على سليمان ، فقال له ، ما اسمك ؟ قال ، سمير ، فسأله عن الغناء . كيف هو فيه فقال حاذق محكم . قال ومتى عهدك به . قال . في ليلتي هذه الماضية . قال . وفي أي نواحي العسكر كنت فذكر له الناحية التي سمع منها الصوت . قال . فما غنيت فذكر الشعر الذي سمعه سليمان . فأقبل سليمان فقال هدر الجمل فضمعت الناقة وهب التيس فشكرت الشاة ، وهذل الحمام فزافت الحمامة ، وغنى الرجل فطربت المرأة . ثم أمر به بخصي . وسأل عن الغناء أين أصله وأكثر ما يكون . قالوا : بالمدينة وهو في الخنثين وهم الحذاق به والائمة فيه فكتب إلى عامله على المدينة وهو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم : أن أخصي من قبلك من الخنثين المغنين .

قال المصنف رحمه الله : وأما المعنى فقد بينا أن الغناء يخرج الانسان عن الاعتدال ويغير العقل . وبيان هذا أن الانسان اذا طرب فعل ما يستعجبه في حال صحته من نيره من تحريك رأسه ، وتصفيق يديه ، ودق الأرض برجليه إلى غير ذلك مما يفعله أصحاب العقول السخيفة ، والغناء يوجب ذلك بل يقارب فعله فعل الخمر في تغطية العقل . فينبغي أن يقع المنع منه . أخبرنا عمر بن ظفر نا جعفر ، أحمد نا عبد العزيز بن علي الأزجي نا ابن جهضم ثنا يحيى ابن المؤمل . بو بكر السفاف ثنا أبو سعيد الخراز . قال ذكر عند محمد ابن منصور أصحاب القصائد فقال : هؤلاء الفرارون من الله عز وجل لو ناصحوا الله ورسوله وصدقوه لافادهم في سرائرهم ما يشغلهم عن كثرة التلاقي .

أخبرنا محمد بن ناصر نا عبد الرحمن بن أبي الحسين بن يوسف نا محمد بن علي العبادي. قال قال أبو عبد الله بن بطه العكبري . سألتني سائل عن استماع الغناء فنهيتني عن ذلك وأعلمته أنه مما أنكرته العلماء واستحسنه السفهاء وإنما تفعله طائفة سمو بالصوفية وسماهم المحققون الجبرية أهل همم دنيسة وشرائع بدعية يظهر الزهد وكل أسبابهم ظلمة . يدعون الشوق والمحبة بإسقاط الخوف والرجاء . يسمعون من الأحداث والنساء ويظربون ويصعقون ويتغاشون ويتأوتون ويزعمون أن ذلك من شدة حبهم لربهم وشوقهم إليه . تعالى الله عما يقول الجاهلون علواً كبيراً .

﴿ فصل في ذكر الشبه التي تعلق بها من أجاز سماع الغناء ﴾

فمنها حديث عائشة رضي الله عنها أن الجاريتين كانتا تضربان عندهما بدفين وفي بعض الفاظه دخل على أبو بكر وعندي جاريتان من جوارى الأنصار تفهيمان بما تقاولت به الأنصار يوم بعث . فقال : أبو بكر أمز مور الشيطان في بيت رسول الله ﷺ . فقال رسول الله : دعمما يا أبا بكر إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا . وقد سبق ذكر الحديث : ومنها حديث عائشة رضي الله عنها أنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار . فقال النبي ﷺ يا عائشة ما كان معهم من اللهو . فإن الأنصار يعجبهم اللهو - وقد سبق ومنها حديث فضالة ابن عبيد عن النبي ﷺ أنه قال : الله أشد اذناً إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته . قال ابن طاهر : وجه الحجة أنه أثبت تحليل استماع الغناء إذ لا يجوز أن يقاس على محرم ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ . أنه قال : ما أذن الله عز وجل لشيء ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن . ومنها حديث حاطب عن النبي ﷺ أنه قال : فصل ما بين الحلال والحرام بالضرب بالدف .

والجواب . أما حديثنا عائشة رضي الله عنها فقد سبق الكلام عليهما وبيننا أنهم كانوا ينشدون الشعر وسمى بذلك غناء لنوع يثبت في الانشاد وترجيع ومثل ذلك لا يخرج الطباع عن الاعتدال وكيف يحتج بذلك الواقع في الزمان السليم عند قلوب صافية على هذه الأصوات المطربة الواقعة في زمان كدر

عند نفوس قد تملكها الهوى ما هذا الامغالطة للفهم أو ليس قد صح في الحديث عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت . لو رأى رسول الله ﷺ ما أحدث النساء لمنعهن المساجد. وإنما ينبغي للبقي أن يزن الأحوال كما ينبغي للطبيب أن يزن الزمان والسن والبلد ثم يصف على مقدار ذلك وأين الغناء بما تقاولت به الانصار يوم بعث من غناء أمر مستحسن بآلات مستطابة وصناعة تجذب إليها النفس وغزليات يذكر فيها الغزال والغزالة والحال والخد والقند والاعتدال فهل تثبت هناك طبع هيات بل ينزعج شوقاً إلى المستلذ ولا يدعى أنه لا يجد ذلك إلا كاذب أو خارج عن حد الأدمة ومن ادعى أخذ الاشارة من ذلك إلى الخالق فقد اسعمل في حقه ما لا يليق به على أن الطبع يسبقه إلى ما يجد من الهوى وقد أجاب أبو الطيب الطبري عن هذا الحديث بجواب آخر . فأخبرنا أبو القاسم الحريري عنه أنه قال . هذا الحديث حجتنا لأن أبا بكر سمي ذلك مزموراً للشيطان ولم ينكر النبي ﷺ على أبي بكر قوله وإنما منعه من التغليظ في الانكار لحسن رفعته لاسيما في يوم العيد . وقد كانت عائشة رضي الله عنها صغيرة في ذلك الوقت ولم ينقل عنها بعد بلوغها وتحصيلها إلا ذم الغناء . وقد كان ابن أخيها القاسم بن محمد يذم الغناء ويمنع من سماعه وقد أخذ العلم عنها .

قال المصنف رحمه الله : وأما اللهو المذكور في الحديث الآخر فليس بصريح في الغناء فيجوز أن يكون إنشاد الشعر أو غيره . وأما التشبيه بالاستماع إلى القينة فلا يمتنع أن يكون المشبه حراماً . فإن الإنسان لو قال وجدت للعسل لذة أكثر من لذة الخمر كان كلاماً صحيحاً وإنما وقع التشبيه بالأصغاء في الحالين فيكون أحدهما حلالاً أو حراماً لا يمنع من التشبيه . وقد قال عليه الصلاة والسلام أنكم لترون ربكم كما ترون القمر فشبه أيضاً الرؤية بإيضاح الرؤية وإن كان وقع الفرق بأن القمر في جهة يحيط به نظر الناظر والحق منزعه عن ذلك والفقهاء يقولون في ماء الرضوء لا ننشف الأعضاء منه لأنه أثر عبادة فلا يسن مسح كدم الشهيد . فقد جمعوا بينهما من جهة اتفاقهما في كونهما عبادة . وإن افرقا في الطهارة والنجاسة . واستدل ابن طاهر بأن القياس لا يكون إلا على مباح

فقه الصوفية لا علم ألفقها . وأما قوله يتغنى بالقرآن فقد فسر ه سفيان بن عيينة فقال معناه يستغنى به وفسر ه الشافعي فقال . معناه يتحزن به ويتزعم وقال غيرهما يجعله مكان غناء الركبان إذا ساروا . وأما الضرب بالدف فقد كان جماعة من التابعين يكسرون الدفوف وما كانت هكذا - فكيف لو رأوا هذه - وكان الحسن البصري يقول ليس الدف من سنة المرسلين في شيء . وقال أبو عبيد القاسم بن سلام من ذهب به إلى الصوفية فهو خطأ في التأويل على رسول الله ﷺ . وإنما معناه عندنا إعلان النكاح واضطراب الصوت والذكر في الناس . قال المصنف رحمه الله قلت : ولو حمل على الدف حقيقة على أنه قد قال أحمد ابن حنبل أرجو أن لا يكون بالدف بأس في العرس ونحوه وأكره الطبل . أخبرنا عبد الله بن علي المقرئ نا نصر بن أحمد بن النظر نا أبو محمد عبد الله بن عبيد الله المؤدب ثنا الحسين بن اسماعيل الحمايلي ثنا عبيد الله بن جرير بن جبلة ثنا عمر بن مرزوق ثنا زهير عن أبي اسحق عن عامر بن سعد البجلي قال طلبت ثابت ابن سعد وكان بديراً فوجدته في عرس له قال وإذا جوار يغنين ويضربن بالدفوف فقلت ألا تنهى عن هذا قال لا أن رسول الله ﷺ رخص لنا في هذا . أخبرنا عبد الله بن علي نا جدي أبو منصور محمد بن أحمد الخياط نا عبد الملك بن بشران ثنا أبو علي أحمد بن الفضل بن خزيمة ثنا أحمد بن القاسم الطائي ثنا ابن سهرم ثنا عيسى بن يونس عن خالد بن إلياس عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن القاسم عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ اظهروا النكاح واضربوا عليه بالغربال يغني الدف . قال المصنف رحمه الله . وكل ما احتجوا به لا يجوز أن يستدل به على جواز هذا الغناء المعروف المؤثر في الطباع ، وقد احتج لهم أقوام مفتونون بحب التصوف بما لا حجة فيه فمنهم أبو نعيم الأصفهاني فإنه قال كان البراء بن مالك يميل إلى السماع ويستلذ بالترنم .

قال المصنف رحمه الله : وإنما ذكر أبو نعيم هذا عن البراء لانه روى عنه أنه استلقى يوماً فترنم فانظر إلى هذا الاحتجاج البارد فان الانسان لا يخلو من أن يترنم فأين الترنم من السماع للغناء المظرب . وقد استدلل لهم محمد بن طاهر بأشياء لولا أن يعثر على مثلها جاهل فيعثر لم يصلح ذكرها لانها ليست بشيء منها أنه قال

في كتابه باب الاقتراح على القوال والسنة فيه . فجعل الاقتراح على القوال سنة واستدل بما روى عمرو بن الشريد عن أبيه . قال ، استنشدني رسول الله ﷺ من شعر أمية فأخذ يقول هي هي حتى أنشدته مائة قافية وقال ابن طاهر باب الدليل على استماع الغزل . قال العجاج سألت أبا هريرة رضي الله عنه طاف الخيالات فهاجا سقما . فقال أبو هريرة رضي الله عنه كان ينشد مثل هذا بين يدي رسول الله ﷺ .

قال المصنف رحمه الله : فانظر إلى احتجاج ابن طاهر ما أعجبه كيف يحتج على جواز الغناء بانشاد الشعر . وما مثله الا كمثل من قال . يجوز أن يضرب بالكف على ظهر العود فجاز أن يضرب بأوتاره أو قال ، يجوز أن يعصر العنب ويشرب منه في يومه فجاز أن يشرب منه بعد أيام ، وقد نسي أن إنشاد الشعر لا يطرب كما يطرب الغناء . وقد أنبأنا أبو زرعة بن محمد بن طاهر عن أبيه ، قال أخبرنا أبو محمد التميمي قال ، سألت الشريف أبا علي بن أبي موسى الهاشمي عن السماع فقال . ما أدري ما أقول فيه غير اني حضرت ذات يوم شيخنا أبا الحسن عبد العزيز بن الحارث التميمي سنة سبعمين وثلاثمائة في دعوة عملها لأصحابه حضرها أبو بكر الأبهري شيخ المالكيين وأبو القاسم الداركي شيخ الشافعيين وأبو الحسن طاهر بن الحسين شيخ أصحاب الحديث وأبو الحسين ابن سمعون شيخ الوعاظ والزهاد وأبو عبد الله بن مجاهد شيخ المتكلمين وصاحبه أبو بكر بن الباقلاني في دار شيخنا أبي الحسن التميمي شيخ الحنابلة . فقال : أبو علي لو سقط السقف عليهم لم يبق بالعراق من يفتي في حادثة بسنة . ومعهم أبو عبد الله غلام وكان يقرأ القرآن بصوت حسن فقبل له قل شيئا فقال : وهم يسمعون .

خطت أناملها في بطن قرطاس رسالة بعير لا بأنفاس
أن زرفديتك قف لي غير تحتشم فان حبك لي قد شاع في الناس
فكان قولي لمن أدى رسالتها قف لي لأمشي على العينين والرأس
قال أبو علي فبعد ما رأيت هذا لا يمكنني أن أفتي في هذه المسألة بحظر ولا أباحة .
قال المصنف رحمه الله . وهذه الحكاية ان صدق فيها محمد بن طاهر فان شيخنا ابن ناصه الحافظ كان يقول ليس محمد بن طاهر بثقة حملت هذه الآيات على انه

أنشد لها لأنه غنى بها بقضيب ومخدة اذ لو كان كذلك لذكره ثم فيها كلام مجمل قوله لا يمكنني أن أقول فيها بحظر ولا إباحة لأنه ان كان مقلداً لهم فينبغي أن يفتى بالإباحة وان كان ينظر في الدليل فيلزمه مع حضورهم أن يفتى بالحظر ثم بتقدير صحتها أفلا يكون اتباع المذهب أولى من اتباع أرباب المذاهب. وقد ذكرنا عن أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد رضوان الله عليهم أجمعين ما يكفي في هذا وشيدنا ذلك بالأدلة. وقال ابن طاهر في كتابه: باب إكرامهم للقول وإفراهم الموضع له - واحتج بأن النبي ﷺ رمى بردة كانت عليه إلى كعب بن زهير لما أنشده بانت سعاد. وإنما ذكرت هذا ليعرف قدر فقه هذا الرجل واستنباطه وإلا فالزمان أشرف من أن يضيع بمثل هذا التخليط. وأنباؤنا أبو زرعة عن أبيه محمد بن طاهر نا أبو سعيد اسماعيل بن محمد الحجاجي ثنا أبو محمد عبد الله بن أحمد المقرئ ثنا أبي ثنا علي بن أحمد ثنا محمد بن العباس بن بلال قال سمعت سعيد بن محمد قال حدثني إبراهيم بن عبد الله وكان الناس يتبركون به قال حدثنا المزني قال مررنا مع الشافعي وإبراهيم بن اسماعيل على دار قوم وجارية تغنيهم. خليلي ما بال المطايا كأننا نراها على الأعقاب بالقوم تنكص فقال الشافعي. ميلوا بنا نسمع، فلما فرغت قال الشافعي لإبراهيم: أيطربك هذا. قال لا. قال. فما لك حس.

قال المصنف رحمه الله قلت. وهذا محال على الشافعي رضي الله عنه وفي الرواية مجهولون وابن طاهر لا يوثق به وقد كان الشافعي أجل من هذا كله. ويدل على صحة ما ذكرناه ما أخبرنا به أبو القاسم الحريري عن أبي الطيب الطبري. قال: أما سماع الغناء من المرأة التي ليست بمحرم فإن أصحاب الشافعي قالوا. لا يجوز سواء كانت حرة أو مملوكة قال وقال الشافعي: وصاحب الجارية إذا جمع الناس لسماعها فهو سفیه ترد شهادته. ثم غلط القول فيه فقال وهو ديانة. قال المصنف رحمه الله. وإنما جعل صاحبها سفياً فاسقاً لأنه دعا الناس إلى الباطل ومن دعا إلى الباطل كان سفياً فاسقاً.

قال المصنف رحمه الله قلت: وقد أخبرنا محمد بن القاسم البغدادى عن أبي محمد

التميمي عن أبي عبد الرحمن السلمي . قال : اشترى سعد بن عبد الله الدمشقي جارية قوالة للفقراء وكانت تقول لهم القصائد .

قال المصنف رحمه الله قلت : وقد ذكر أبو طالب المكي في كتابه قال أدركنا مروان القاضي وله جواريسمعن التلحين قد أعدهن للصوفية . قال : وكانت له طاء جارتان تلحنان وكان أخوانه يسمعون التلحين منهما .

قال المصنف رحمه الله قلت : أما سعد الدمشقي فرجل جاهل ، والحكاية عن عطاء محال وكذب ، وإن صحت الحكاية عن مروان (١) فهو فاسق والدليل على ما قلنا ما ذكرنا عن الشافعي رضي الله عنه وهؤلاء القوم جهلوا العلم فقالوا إلى الهوى . وقد أنبأنا زاهر بن طاهر قال أنبأنا أبو عثمان الصابوني وأبو بكر البيهقي قال أنبأنا الحاكم أبو عبد الله النيسابوري . قال أكثر ما التقيت أنا وفارس بن عيسى الصوفي في دار أبي بكر الأبريسي للسماع من هزارة رحمها الله فأنها كانت من مستورات القوالات .

قال المصنف : قلت . وهذا أقبح شيء من مثل الحاكم كيف خفي عليه أنه لا يحل له أن يسمع من امرأة ليست بمحرم ثم يذكر هذا في كتاب تاريخ نيسابور وهو كتاب علم من غير تحاش عن ذكر مثله لقد كفاه هذا قد حافى عدالته . قال المصنف رحمه الله . فإن قيل ما تقول فيما أخبركم به إسماعيل بن أحمد السمرقندي نا عمر بن عبد الله نا أبو الحسين بن بشران نا عثمان بنز أحمد نا خنبل بن إسحاق ثنا هرون بن معروف ثنا جرير عن مغيرة قال كان عون بن عبد الله يقص فاذا فرغ أمر جارية له تقص وتطرب . قال المغيرة . فأرسلت إليه أو أردت أن أرسل إليه انك من أهل بيت صدق وأن الله عز وجل لم يبعث نبيه ﷺ بالحق . وإن صنيعة هذا صنيعة أحمق . فالجواب أنا لا نظن بعون أنه أمر الجارية أن تقص على الرجال بل أحب أن يسمعها منفرداً وهي ملكه . فقال : له مغيرة الفقيه هذا القول وكره أن تطرب الجارية له فما ظنك بمن يسمعون الرجال ويرقصهن ويطربهن :

وقد ذكر أبو طالب المكي أن عبد الله بن جعفر - كان يسمع الغناء .
قال المصنف رحمه الله . وإنما كان يسمع إنشاد جواريه وقد أردف ابن
طاهر الحكاية التي ذكرها عن الشافعي وقد ذكرناها آنفاً بحكاية عن أحمد بن
حنبل رواها من طريق عمة الرحمن السلي قال حدثنا الحسين بن أحمد قال
سمعت أبا العباس الفرغاني يقول سمعت صالح بن أحمد بن حنبل يقول :
كنت أحب السماع وكان أبي أحمد يكره ذلك فوعدت ليلة ابن الخبازة فمكثت
عندي إلى أن علمت أن أبي قد نام وأخذ يغني فسمعت حس أبي فوق السطح
فصعدت فرأيت أبي فوق السطح يسمع وذيله تحت أبطه يتبخر على السطح
كأنه يرقص ،

قال المصنف رحمه الله : هذه الحكاية قد بلغتنا من طرق في بعض الطرق
عن صالح قال . كنت أدعو ابن الخبازة القصائدي وكان يقول ويلحن وكان
أبي في الرقاق يذهب ويحيى ويسمع اليه وكان بيننا وبينه باب وكان يقف من
وراء الباب يستمع وقد أخبرنا بها أبو منصور القزاز نا أبو بكر أحمد بن
علي بن ثابت نا أحمد بن علي بن الحسين النوري ثنا يوسف بن عمر القواس
قال سمعت أبا بكر بن مالك القطيعي يحكي أظنه عن عبد الله بن أحمد قال
كنت أدعو ابن الخبازة القصائدي وكان يقول ويلحن وكان أبي ينهاني عن
التغني فكنت إذا كان ابن الخبازة عندي أكتمه عن أبي لئلا يسمع فكان
ذات ليلة عندي وكان يغني ^(١) فعرضت لأبي عندنا حاجة وكنا في زقاق فجاء
فسمعه يغني فتسمع فوق في سمعه شيء من قوله فخرجت لأنظر فإذا بأبي
ذاهباً وجائياً فرددت الباب فدخلت فلما كان من الغد . قال لي : يا بني إذا كان
هذا : نعم . . الكلام أو معناه .

قال المصنف رحمه الله . وهذا ابن الخبازة كان ينشد القصائد الزهديات
التي فيها ذكر الآخرة . ولذلك استمع اليه أحمد ، وقول من قال ينزعج فإن
الإنسان قد ينزعج الطرب فيميل يميناً وشمالاً . وأما رواية ابن طاهر التي فيها
فرأيته وذيله تحت أبطه يتبخر على السطح كأنه يرقص فإنما هو من تغيير
(١) في النسخة الثانية وكان يقول أي ينشد بدل قوله ويغني في المكانين .

الرواة وتغيرهم لا يظنونه المعنى ^(١) تصحيحاً لمذهبهم في الرقص. وقد ذكرنا القدح في السلي وفي ابن طاهر الراويين لهذه اللفظات. وقد احتج لهم أبو طالب المسكي على جواز السماع بمنامات وقسم السماع إلى أنواع وهو تقسيم صوفي لا أصل له. وقد ذكرنا أن من ادعى أنه يسمع الغناء ولا يؤثر عنده تحريك النفس إلى الهوى فهو كاذب. وقد أخبرنا أبو القاسم الحريري عن أبي طالب الطبري قال قال بعضهم. انا لا نسمع الغناء بالطبع الذي يشترك فيه الخاص والعام: قال وهذا تجاهل منه عظيم لأمرين. أحدهما أنه يلزمه على هذا أن يستبج العود والطنبور وسائر الملاحى لأنه يسمعه بالطبع الذي لا يشاركه فيه أحد من الناس فإن لم يستبج ذلك فقد نقض قوله وإن استباح فقد فسق. والثاني أن هذا المدعى لا يخلو من أن يدعى أنه فارق طبع البشر وصار بمنزلة الملائكة. فإن قال هذا فقد تخرص على طبعه وعلم كل عاقل كذبه إذا رجع إلى نفسه ووجب أن لا يكون مجاهداً لنفسه ولا مخالفاً لهواه ولا يكون له ثواب على ترك اللذات والشهوات. وهذا لا يقوله عاقل وإن قال أنا على طبع البشر المجبول على الهوى والشهوة: قلنا له: فكيف تسمع الغناء المطرب بغير طبعك، أو تطرب لسماعه لغير ما غرس في نفسك.

أخبرنا ابن ناصرنا أحمد بن علي بن خلف ثنا أبو عبد الرحمن السلي قال: سمعت أبا القاسم الدمشقي يقول: سئل أبو علي الرودباري عن سماع الملاحى ويقول هي لي حلال لأنى قد وصلت إلى درجة لا تؤثر في اختلاف الاحوال فقال نعم. قد وصل لعمرى ولكن الى سقر.

قال المصنف رحمه الله. فإن قيل قد بلغنا عن جماعة أنهم سمعوا من المنشد شيئاً فأخذوه على مقصودهم فانتفعوا به. قلنا. لا ينكر أن يسمع الانسان بيتاً من الشعر أو حكمة فياً أخذها إشارة فترجمه بمعناها لأن الصوت مطرب كما سمع بعض المريدين صوت مغنية تقول.

كل يوم تتلون غير هذا بك أجمل

كذا في النسختين وفي العبارة نقص أو تصحيف بالمعنى اهـ.

فصاح ومات فهذا لم يقصد سماع المرأة ولم يلتفت إلى التحسين . وإنما قتله المعنى ثم ليس سماع كلمة أو بيت لم يقصد سماعه كالأستعداد لسماع الآيات المذكورة الكثيرة المطربة مع انضمام الضرب بالقضيب والتصفيق إلى غير ذلك ثم إن ذلك السامع لم يقصد السماع . ولو سألنا هل يجوز لي أن أقصد سماع ذلك منعناه .

قال المصنف رحمه الله : وقد احتج لهم أبو حامد الطوسي بأشياء نزل فيها عن رتبته عن الفهم مجموعها أنه قال : ما يدل على تحريم السماع نص ولا قياس وجواب هذا ما قد أسلفناه وقال : لا وجه لتحريم سماع صوت طيب فاذا كان موزوناً فلا يحرم أيضاً وإذا لم يحرم الأحاد فلا يحرم المجموع . فان أفراد المباحثات إذا اجتمعت كان المجموع مباحاً قال : ولكن ينظر فيما يفهم من ذلك فان كان فيه شيء محظور حرم نثره ونظمه ، وحرّم التصويت به . قال المصنف رحمه الله : قلت : وإني لا تعجب من مثل هذا الكلام فان الوتر بمفرده أو العود وحده من غير وتر لو ضرب لم يحرم ولم يطرب فاذا اجتمعا وضرب بهما على وجه مخصوص حرم وأزعج ، وكذلك ماء العنب جائز شربه وإذا حدثت فيه شدة مطربة حرم .

وكذلك هذا المجموع يوجب طرباً يخرج عن الاعتدال فيمنع منه لذلك . وقال ابن عقيل : الأصوات على ثلاثة أضرب محرم ومكروه ومباح . فالمحرم الزمر والنأى والسرنا والطنبور والمعزقة والرباب وما مائلها ، نص الإمام أحمد بن حنبل على تحريم ذلك . ويباح به الجرافة ^(١) والجنك لأن هذه تطرب فتخرج عن حد الاعتدال وتفعل في طباع الغالب من الناس ما يفعله المسكر ، وسواء استعمل على حزن يهيجه أو سرور . لأن النبي ﷺ نهى عن صوتين أحقهما صوت عند نعمة وصوت عند مصيبة ، والمكروه القضيب لكنه ليس بمطرب في نفسه وإنما يطرب بما يتبعه وهو تابع للقول ، والقول مكروه ، ومن أصحابنا من يحرم القضيب كما يحرم آلات اللهو فيكون فيه وجهان كالقول ^(٢) نفسه

(١) في الثانية : الحراية وهذه كلها أسماء لآلات الملاهي وفي نسخة الجرائنة .

(٢) وفي نسخة كالعود .

والمباح الدف وقد ذكرنا عن أحمد أنه قال أرجو أن لا يكون بالدف بأس في العرس ونحوه وأكره الطبل . وقد قال أبو حامد : من أحب الله وعشقه واشتاق إلى لقائه فالسماع في حقه مؤكد لعشقه .

قال المصنف رحمه الله قلت وهذا قبيح أن يقال عن الله عز وجل يعشق وقد بينا فيما تقدم خطأ هذا القول ثم أى تأكيد لعشقه في قول المغنى :

ذهي اللون تحسب من جنتيه النار تقتدح

قال المصنف رحمه الله قلت : وسمع ابن عقيل بعض الصوفية يقول : أن مشايخ هذه الطائفة كلها وقفت طباعهم حداها الحادى إلى الله بالأناشيد فقال ابن عقيل : لا كرامة لهذا القائل إنما تحدى القلوب بوعد الله في القرآن ووعد عبده وسنة الرسول ﷺ لأن الله سبحانه وتعالى قال : (وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا) وما قال : وإذا أنشدت عليه القصائد طربت . فأما تحريك الطباع بالألحان فإطاع عن الله والشعر يتضمن صفة المخلوق والمعشوق فما يتعدد عنه فتنه . ومن سولت له نفسه التقاط العبر من محاسن البشر وحسن الصوت ففتون . بل ينبغي النظر إلى المحال التي أحالنا عليها الإبل والخيول والرياح ونحو ذلك ، فإنها منظورات لا تهيج طبعا بل تورث استغظاما للفاعل . وإنما خدعكم الشيطان فصرتم عبيد شهواتكم ، ولم ينفوا حتى قلتم هذه الحقيقة . وأنتم زنادقة في زى عباد ، شرهين في زى زهاد مشبهة تعتقدون أن الله عز وجل يعشق ويهام فيه . ويؤلف ويؤنس به ، وبئس التوهم لأن الله عز وجل خلق الذوات مشاكلة لأن أصولها مشاكلة فهي تتوأنس وتتألم بأصولها العنصرية وتراكيبها المثلية في الأشكال الحديثة . فمن ههنا جاء التلاوم والميل وعشق بعضهم بعضا ، وعلى قدر التقارب في الصورة يتأكدا لأنس . والواحد منا يأنس بالماء لأن فيه ماء وهو بالنبات آنس لقربه من الحيوانية بالقوة النامية وهو بالحيوان آنس لمشاركته في أخص النوع به أو أقرب به إليه فأين المشاركة للخالق والمخلوق حتى يحصل الميل إليه والعشق والشوق . وما الذى بين الطين والماء وبين خالق السماء من المناسبة وإنما هؤلاء يصورون البارى سبحانه وتعالى صورة تثبت في القلوب ، وما ذاك الله عز وجل ذاك صنم شكله الطبع والشيطان وليس لله وصف تميل إليه الطباع ولا تشتاق إليه

الأنفس وإنما مباينة الإلهية للحدث أوجبت في الأنفس هيبة وحشة فما يدعيه عشاق الصوفية لله في محبة الله إنما هو وهم اعترض . وصورة شكلت في نفوس فحجبت عن عبادة القديم فتجدد بتلك الصورة أنس فاذا غابت بحكم ما يقتضيه العقل أقلقهم الشوق إليها فأنهم من الوجد وتحرك الطبع والهيام ما ينال الهائم في العشق فنعوذ بالله من الهواجس الرديئة والعوارض الطبيعية التي يجب بحكم الشرع محوها عن القلوب كما يجب كسر الأصنام .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف رحمه الله : وقد كان جماعة من قدماء الصوفية ينسكرون على المبتدى السماع لعلمهم بما يثير من قلبه . أخبرنا عمر بن ظفر المقرئ نا جعفر بن أحمد نا عبد العزيز بن علي الأزجي ثنا بن جهضم ثنى أبو عبد الله المقرئ ثنا عبد الله بن صالح قال قال لي جنيد : إذا رأيت المرید يسمع السماع فاعلم أن فيه بقايا من اللعب . أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعيد ابن أبي صادق نا أبو عبد الله بن باكوية قال سمعت أحمد بن محمد البردعي يقول سمعت أبا الحسين النوري يقول لبعض أصحابه : إذا رأيت المرید يسمع القصائد ويميل إلى الرفاهية فلا ترج خيره .

قال المصنف رحمه الله : هذا قول مشايخ القوم وإنما ترخص المتأخرون حب اللهو فتعدى شرهم من وجهين . أحدهما سوء ظن العوام بقدمائهم لأنهم يظنون أن الكل كانوا هكذا . والثاني أنهم جرأوا العوام على اللعب فليس للعامة حجة في لعبه إلا أن يقول فلان يفعل كذا ويفعل كذا .

﴿ فصل ﴾ قال المصنف رحمه الله : وقد نشب السماع بقلوب خلق منهم فأثروه على قراءة القرآن ورقت قلوبهم عنده بما لا ترق عند القرآن وما ذاك إلا لتمكن هوى باطن تمكن منه وغلبة طبع وهم يظنون غير هذا . أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب نا عبد الكريم بن هوزان وأنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم ثنا أبي وقال سمعت أبا حاتم محمد بن أحمد بن يحيى السجستاني قال سمعت أبا نصر السراج يقول . حكى لي بعض إخواني عن أبي الحسين الدراج قال قصدت يوسف بن الحسين الرازي من بغداد فلما دخلت الري سألت عن منزله وكل من أسأله عنه يقول إيش تفعل بذلك

الزنديق فضيقوا صدرى حتى عزمت على الانصراف فبت تلك الليلة في مسجد
ثم قلت جئت إلى هذه البلدة فلا أقل من زيارته فلم أزل أسأل عنه حتى دفعت
إلى مسجده وهو قاعد في المحراب بين يديه رجل على يديه مصحف وهو
يقرأ فدنوت فسلمت فرد السلام وقال من أين قلت من بغداد قصدت
زيارة الشيخ فقال تحسن أن تقول شيئاً فقلت نعم وقلت :

رأيتك تبني دائماً في قطيعتي ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبني
فأطبق المصحف ولم يزل يبكي حتى ابتلت لحيته وثوبه حتى رحمته من
كثرة بكائه . ثم قال لي يابني تلوم أهل الرى على قولهم يوسف بن الحسين
زنديق ومن وقت الصلاة هوذا أقرأ القرآن لم تقطر من عيني قطرة وقد
قامت على القيامة بهذا البيت . وأنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم بن هوازن
نا أبي قال سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول . فأخرجت إلى مرو في حياة
الاستاذ أبي سهل الصعلوكي وكان له قبل خروجي أيام الجمع بالغدوات مجلس
درس القرآن والخطبات فوجدته عند خروجي قد رفع ذلك المجلس وعقد
لابن الفرغاني في ذلك الوقت مجلس القوال يعني المغني فتداخلى من ذلك شيء
فكنت أقول قد استبدل مجلس الخطبات بمجلس القوال . فقال لي يوماً .
أى شيء تقول الناس . فقلت يقولون رفع مجلس القرآن ووضع مجلس
القوال . فقال من قال لأستأذه لم لم يفلح .

قال المصنف رحمه الله . هذه دعاة الصوفية يقولون الشيخ يسلم له حاله
وما لنا أحد يسلم إليه حاله . فإن الآدمي يرد عن مراداته بالشرع والعقل
والبهائم بالسوط .

﴿ فصل ﴾ وقد اعتقد قوم من الصوفية أن هذا الغناء الذي ذكرنا عن
قوم تحريره وعن آخر كراهته مستحب في حق قوم . وأنبأنا عبد المنعم بن
عبد الكريم بن هوازن القشيري قال حدثنا أبي قال سمعت أبا علي الدقاق
يقول : السماع حرام على العوام لبقاء نفوسهم ، مباح الزهاد لحصول
مجاهداتهم ، مستحب لأصحابنا لحياة قلوبهم .
قال المصنف رحمه الله قلت . وهذا غلط من خمسة أوجه . أحدها أناقد

ذكرنا عن أبي حامد الغزالي أنه يباح سماعه لكل أحد. وأبو حامد كان أعرف من هذا القائل. والثاني أن طباع النفوس لا تغير وإنما المجاهدة تكف عملها. فمن ادعى تغير الطباع ادعى المحال. فإذا جاء ما يحرك الطباع. واندفع الذي كان يكفها عنه عادت العادة. والثالث أن العلماء اختلفوا في تحريره وإباحته وليس فيهم من نظر في السامع لعلمهم أن الطباع تتساوى فمن ادعى خروج طبعه عن طباع الآدميين ادعى المحال. والرابع أن الاجماع انعقد على أنه ليس بمستحب وإنما غاية الإباحة فادعاء الاستحباب خروج عن الاجماع. والخامس أنه يلزم من هذا أن يكون سماع العود مباحاً أو مستحباً عند من لا يغير طبعه لأنه إنما حرم لأنه يؤثر في الطباع ويدعوها إلى الهوى فإذا أمن ذلك فينبغي أن يباح وقد ذكرنا هذا عن أبي الطيب الطبري.

(فصل) قال المصنف رحمه الله. وقد ادعى قوم منهم أن هذا السماع قربة إلى الله عز وجل. قال أبو طالب المكي. حدثني بعض أشياخنا عن الجنيد أنه قال تنزل الرحمة على هذه الطائفة في ثلثة مواطن. عند الأكل لأنهم لا يأكلون إلا عن فاقة. وعند المذاكرة لأنهم يتجاوزون في مقامات الصديقين وأحوال النبيين وعند السماع لأنهم يسمعون بوجد ويشهدون حقاً. قال المصنف رحمه الله قلت، وهذا إن صح عن الجنيد وأحسننا به الظن كان محمولا على ما يسمعون من القصائد الزهدية فانها توجب الرقة والبكاء، فأما أن تنزل الرحمة عند وصف سعدى وليلى ويحمل ذلك على صفات الباري سبحانه وتعالى فلا يجوز اعتقاد هذا ولو صح أخذ الإشارة من ذلك كانت الإشارة مستغرقة في جنب غلبة الطباع. ويدل على ما حملنا الأمر عليه أنه لم يكن ينشد في زمان الجنيد مثل ما ينشد اليوم إلا أن بعض المتأخرين قد حمل كلام الجنيد على كل ما يقال. فحدثني أبو جعفر أحمد بن أزهر بن عبد الوهاب السبائك عن شيخنا عبد الوهاب بن المبارك الحافظ قال كان أبو الوفا الفيروزبادي شيخ رباط الزوزني صديقاً لي، فكان يقول لي والله إنني لأدعوك وأذكرك وقت وضع الخدة والقول، قال فكان الشيخ عبد الوهاب يتمجب ويقول أترون هذا يعتقد أن ذلك وقت إجابة إن هذا لعظيم، وقال ابن عقيل، قد

سمعنا منهم أن الدعاء عند حدو الحادي وعند حضور المخذة مجاب وذلك أنهم يعتقدون أنه قربة يتقرب بها إلى الله تعالى ، قال وهذا كفر ، لأن من اعتقد الحرام أو المكروه قربة كان بهذا الاعتقاد كافراً ، قال والناس بين تحريمه وكراهيته . أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت قال أخبرني علي بن أيوب قال أخبرنا محمد بن عمران بن موسى قال حدثنا محمد بن أحمد الكاتب قال حدثنا الحسين بن فهم قال حدثني أبو همام قال حدثني إبراهيم بن أعين قال قال صالح المري ، أبطأ الصرعى نهضة صريع هوى يدعيه إلى الله قربة ، وأثبت الناس قدماً يوم القيامة آخذهم بكتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ . أنبأنا أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم القشيري قال حدثنا أبي قال سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت محمد بن عبد الله ابن شاذان يقول سمعت أبا بكر النهاوندي يقول سمعت علياً السائح يقول سمعت أبا الحارث الأولاسي يقول رأيت إبليس في المنام على بعض سطوح أولاس وأنا على سطح وعلى يمينه جماعة وعلى يساره جماعة وعليهم ثياب لطاف ، فقال لطائفة منهم قولوا وغنوا ، فاستغرقني طيبه حتى هممت أن أطرح نفسي من السطح ثم قال أرقصوا فرقصوا أطيّب ما يكون . ثم قال لي يا أبا الحارث ما أصبت منكم شيئاً أدخل به عليكم إلا هذا .

﴿ ذكر تلبس إبليس على الصوفية في الوجد ﴾

قال المصنف رحمه الله : هذه الطائفة اذا سمعت الغناء تواجدت ، وصفت وصاحت ومزقت الثياب ، وقد لبس عايهم إبليس في ذلك وبالغ . وقد احتجوا بما أخبرنا به أبو الفتح محمد بن عبد الباقي قال أنبأنا أبو علي الحسن بن محمد ابن الفضل الكرماني قال أخبرنا أبو الحسن سهل بن علي الخشاب قال أخبرنا أبو نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي . قال وقد قيل له : انه لما نزلت : « وأن جهنم لموعدهم أجمعين » : صاح سلمان الفارسي صيحة ووقع على رأسه ثم خرج هارباً ثلاثة أيام . واحتجوا بما أخبرنا به عبد الوهاب بن المبارك الحافظ قال أخبرنا أبو الحسين بن عبد الجبار قال أخبرنا أبو بكر محمد بن علي الخياط قال أخبرنا أحمد بن محمد بن يوسف بن دوست قال أخبرنا الحسين

ابن صفوان قال حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد القرشي قال أخبرنا علي بن الجعد قال حدثنا أبو بكر بن عياش عن عيسى بن سليم عن أبي وائل . قال خرجنا مع عبد الله ومعنا الربيع بن خثيم فررنا على حداد فقام عبد الله ينظر إلى حديدة في النار فنظر الربيع إليها فقال ليسقط ثم أن عبد الله مضى حتى أتينا على أنون على شاطئ الفرات فلما راه عبد الله والنار تلتهب في جوفه قرأ هذه الآية : « إذا رأيتم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً » إلى قوله « ثبوراً كثيراً » فصعق الربيع واحتملناه إلى أهله ورابطه عبد الله حتى يصلي الظهر فلم يبق ثم رابطه إلى العصر فلم يبق ثم رابطه إلى المغرب فأفاق فرجع عبد الله إلى أهله . قالوا : وقد أشتهر عن خلق كثير من العباد أنهم كانوا إذا سمعوا القرآن فمنهم من يموت ، ومنهم من يصعق ويغشى عليه ، ومنهم من يصيح ، وهذا كثير في كتب الزها : والجواب أما ما ذكره عن سلمان فحال وكذب ، ثم ليس له إسناد والآية نزلت بمكة وسلمان إنما أسلم بالمدينة ، ولم ينقل عن أحد من الصحابة مثل هذا أصلاً . وأما حكاية الربيع بن خثيم فإن راويها عيسى بن سليم وفيه معمر . أنبأنا عيد الوهاب بن المبارك الحافظ قال أخبرنا أبو بكر محمد المظفر الشامي قال أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد العتيق قال أخبرنا أبو يعقوب يوسف بن أحمد الصيدلاني قال أخبرنا أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى العقيلي : قال قال أحمد بن حنبل عيسى بن سليم عن أبي وائل لا أعرفه . قال العقيلي : وحدثنا عبد الله بن أحمد قال حدثني أبي قال حدثني بن آدم . قال سمعت حمزة الزيات قال لسفيان انهم يروون عن الربيع بن خثيم أنه صعق . قال : ومن يروي هذا إنما كان يرويه ذاك القاص - يعني عيسى بن سليم - فلقية فقلت . عمن تروي أنت ذا - مشكراً عليه قال المصنف رحمه الله قلت . فهذا سفيان الثوري ينكر أن يكون الربيع ابن خثيم جرى له هذا لأن الرجل كان على السمات الأول ، وما كان في الصحابة من يجري له مثل هذا ولا التابعين . ثم نقول على تقدير الصحة . ان الإنسان قد يخشى عليه من الخوف فيسكنه الخوف ويسكنه فيبقى كالميت وعلامة الصادق أنه لو كان على حائط لوقع لأنه غائب . فأما من يدعى الوجد

ويتحفظ من أن تزل قدمه ثم يتعدى إلى تخريق الثياب وفعل المنكرات في الشرع فإننا نعلم قطعاً أن الشيطان يلعب به .
وأخبرنا أبو منصور القزاز قال أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال أخبرنا محمد بن علي بن القنح قال أخبرنا محمد بن الحسين النيسابوري قال سمعت أحمد بن محمد بن زكريا يقول سمعت أحمد بن عطاء يقول : كان للشبلي يوم الجمعة نظرة ومن بعدها صيحة فصاح يوماً صيحة تشوش من حوله من الخلق وكان بجانب حلقة أبي عمران الأشيب فردد أبو عمر أن وأهل حلقة .
قال المصنف رحمه الله . وأعلم وفقك الله أن قلوب الصحابة كانت أصفى القلوب . وما كانوا يزيدون عند الوجد على البكاء والخشوع . فجرى من بعض غرائبهم نحو ما أنكرناه فبالغ رسول الله ﷺ في الإنكار عليه . فأخبرنا محمد بن ناصر الحافظ قال أنبأنا أحمد بن علي بن خاف قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ وأنبأنا ابن الحصين قال أنبأنا أبو علي ابن المذهب قال أخبرنا أبو حفص بن شاهين قال حدثنا عثمان بن أحمد بن عبد الله قال حدثنا أحمد بن محمد بن عبد الحميد الجعفي قال حدثنا عبد المتعال ابن طالب قال حدثنا يوسف بن عطية عن ثابت عن أنس قال . وعظ رسول الله ﷺ يوماً فإذا رجل قد صغق . فقال النبي ﷺ من ذا الملبس علينا ديننا إن كان صادقاً فقد شهر نفسه وإن كان كاذباً فحققه الله . قال ابن شاهين وحدثنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث قال حدثنا عبد الله بن يوسف الجبيري قال حدثنا روح بن عطاء بن أبي ميمون عن أبيه عن أنس بن مالك . قال ذكر عنده هؤلاء الذين يصنعون عند القراءة فقال أنس : لقد رأيتنا ووعظنا رسول الله ﷺ ذات يوم حتى سمعنا للقوم حيناً حين أخذتهم الموعظة وما سقط منهم أحد قال المصنف رحمه الله : وهذا حديث العرياض بن سارية : وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون ، ووجلّت منها القلوب . قال أبو بكر الأجرى ولم يقل صرخنا ولا ضربنا صدورنا كما يفعل كثير من الجهال الذين يتلاعب بهم الشيطان . أخبرنا عبد الله بن علي المقرئ قال أخبرنا أبو ياسر أحمد بن بندار ابن ابراهيم قال أخبرنا محمد بن عمر بن بكير النجار قال أخبرنا أحمد بن جعفر ابن حمدان قال أخبرنا ابراهيم بن عبد الله البصري قال حدثنا أبو عمر حفص ابن عبد الله الضرير قال أخبرنا خالد بن عبد الله الواسطي قال حدثنا حصين

ابن عبد الرحمن . قال قلت لأسماء بنت أبي بكر . كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ وآله عند قراءة القرآن ، قالت كانوا كما ذكرهم الله أو كما وصفهم عز وجل تدمع عيونهم وتتشعر جلودهم . فقلت لها إن ههنا رجالا إذا قرئ على أحدهم القرآن غشى عليه فقالت : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

أخبرنا محمد بن ناصر نا جعفر بن محمد السراج نا الحسن بن علي التيمي نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ثنا الوليد بن شجاع ثنا اسحاق الحلبي ثنا فرات عن عبد الكريم عن عكرمة قال . سألت أسماء بنت أبي بكر هل كان أحد من السلف يغشى عليه من الخوف قالت . لا ولكنهم كانوا يكونون . أخبرنا بن ناصر نا جعفر بن أحمد نا الحسن بن علي التيمي وأخبرنا محمد بن عبد الباقي بن أحمد نا حمد بن أحمد الحداد نا أبو نعيم الحافظ قالنا أخبرنا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن أحمد ثنا سريح بن يونس ثنا سعيد ابن عبد الرحمن الجعي عن أبي حازم قال . مر ابن عمر رضي الله عنه برجل ساقط من العراق . فقال . ما شأنه ؟ فقالوا . إذا قرئ عليه القرآن يصيبه هذا . قال : انا لنخشى الله عز وجل وما نسقط .

أخبرنا سعيد بن أحمد بن البنا نا أبو سعد محمد بن علي الرستمى نا أبو الحسين بن بشران ثنا اسماعيل بن محمد الصفار ثنا سعدان بن نصر ثنا سفيان ابن عيينة عن عبد الله بن أبي بردة عن ابن عباس . أنه ذكر الخوارج وما يلقون عند تلاوة القرآن . فقال انهم ليسوا بأشد اجتهاداً من اليهود والنصارى وهم مضلون .

أنبأنا ابن الحصين نا أبو علي بن المذهب نا أبو حفص بن شاهين ثنا محمد بن بكر بن عبد الرزاق نا ابراهيم بن فهد عن ابراهيم بن الحجاج الشامي ثنا شبيب بن مهران عن قتادة . قال قيل لأنس بن مالك . ان ناساً إذا قرئ عليهم القرآن يصعقون فقال . ذاك فعل الخوارج .

أخبرنا محمد بن ناصر نا عبد الرحمن بن أبي الحسين بن يوسف نا عمر ابن علي بن الفتح نا أحمد بن محمد الكاتب ثنا عبد الله بن المغيرة ثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال بلغ عبد الله بن الزبير ان ابنه عامراً صحب قوماً يتصعقون

عند قراءة القرآن . فقال له . يا عامر لأعرفن ما صحبت الذين يصعقون
عند القرآن لأوسعك جلدآ .

أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن أحمد نا أحمد بن أحمد الجداد نا أبو نعيم
الحافظ ثنا سليمان بن أحمد ثنا محمد بن العباس ثنا الزبير بن بكار ثنا عبد الله بن
مصعب بن ثابت عن عبد الله بن الزبير قال ثنى أبي عن عامر بن عبد الله بن
الزبير قال . جئت إلى أبي فقال لي . أين كنت . فقلت . وجدت أقواما ما رأيت
خير آ منهم . يذكرون الله عز وجل فيرعد أحدهم حتى يخشى عليه من خشية الله
عز وجل فقعدت معهم قال . لا تقعد معهم بعدها . فرآني كافي لم يأخذ ذلك
في فقال . رأيت رسول الله ﷺ يتلو القرآن ورأيت أبا بكر وعمر يتلوان
القرآن ولا يصيبهم هذا أفترأهم أخشع لله من أبي بكر وعمر . فرأيت أن
ذلك كذلك فتركهم .

أخبرنا محمد بن عبد الباقي نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم الجافظ نا محمد بن
أحمد في كتابه ثنا محمد بن أيوب ثنا حفص بن عمر التميمي ثنا حماد بن زيد ثنا
عمرو بن مالك قال : بينا نحن عند أبي الجوزاء يحدثنا إذ خر رجل فاضطرب
فوثن أبو الجوزاء يسعى قبله فقبل له ، يا أبا الجوزاء ، انه رجل به الموتة
فقال : إنما كنت أراه من هؤلاء القفازين ولو كان منهم لأمرت به فأخرج
من المسجد إنما ذكرهم الله تعالى فقال « تفيض أعينهم من الدمع » أو قال
« تقشعر جلودهم »

أخبرنا أبو محمد بن علي المقرئ نا أحمد بن بندار بن إبراهيم نا محمد بن
عمر بن بكير النجار نا أحمد بن جعفر بن حمدان نا إبراهيم بن عبد الله البصري
ثنا أبو عمر حفص بن عمر الضرير نا حماد بن زيد نا عمر بن مالك البكري
قال قرأ قارئ عند أبي الجوزاء قال فصاح رجل من أخريات القوم أو قال
من القوم . فقام إليه أبو الجوزاء فقبل له . يا أبا الجوزاء انه رجل به شيء
فقال طيب انه من هؤلاء النفارين فلو كان منهم لوضعت رجلي على عنقه .
وقال أبو عمر أخبرنا جرير بن حازم انه شهد محمد بن سيرين وقيل له أن ههنا
رجالا إذا قرئ على أحدهم القرآن غشى عليه . فقال محمد بن سيرين . يقعد

أحدهم على جدار ثم يقرأ عليه القرآن (١) من أوله إلى آخره فإن وقع فهو صادق قال أبو عمرو. وكان عمن بن سيرين بذهب إلى أن هذا تصنع وليس بحق من قلوبهم.

أخبرنا محمد بن عبد الباقي ثنا حمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا أبو محمد ابن حبان ثنا محمد بن العباس ثنا زياد عن يحيى عن عمران بن عبد العزيز قال سمعت محمد بن سيرين وسئل عن من يستمع القرآن فيصغى . فقال ميعاد ما بيننا وبينهم أن يجلسوا على حائط فيقرأ عليهم القرآن من أوله إلى آخره فان سقطوا فهم كما يقولون .

أخبرنا ابن ناصر نا أبو طاهر عبد الرحمن بن أبي الحسين بن يوسف نا محمد بن علي العشاري نا محمد بن عبد الله الدقاق نا الحسين بن صفوان نا أبو بكر القرشي نا محمد بن علي عن إبراهيم بن الأشعث . قال سمعت أبا عصام الرملي عن رجل عن الحسن أنه وعظ يوماً فتنفس رجل في مجلسه . فقال الحسن إن كان لله تعالى فقد شمرت نفسك ، وإن كان لغير الله فقد هلكك . أخبرنا بن ناصر نا جعفر بن أحمد نا الحسن بن علي نا أحمد بن جعفر نا عبد الله بن أحمد ثنى أبي ثنا روح نا السري بن يحيى نا عبد الكريم بن رشيد قال . كنت في حلقة الحسن فجعل رجل يبكي وارتفع صوته . فقال الحسن إن الشيطان ليكي هذا الآن .

أخبرنا محمد بن ناصر نا أبو غالب عمر بن الحسين الباقلاني نا أبو العلاء الواسطي نا محمد بن الحسين الأزدي نا إبراهيم بن رحمون نا اسحق بن إبراهيم البغدادي قال سمعت أبا صفوان يقول قال الفضيل بن عياض لابنه وقد سقط يا بني إن كنت صادقاً لقد فضحت نفسك وإن كنت كاذباً فقد أهلكك نفسك .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق نا ابن باكويه نا محمد بن أحمد النجار نا المرتعش نا رأيت أبا عثمان سعيد بن عثمان الواعظ وقد تواجد إنسان بين يديه . فقال له . يا بني إن كنت صادقاً فقد أظهرت كل مالك ، وإن كنت كاذباً فقد أشركت بالله .

﴿فصل﴾ قال المصنف رحمه الله . فان قال قائل إنما يفرض الكلام في الصادقين لا في أهل الرياء . فما تقول فممن أدركه الوجد ولم يقدر على دفعه فاجواب إن أول الوجد إنزعاج في الباطن فان كف الانسان نفسه كيلا يطلع على حاله يئس الشيطان منه فيبعد عنه كما كان أيوب السخيتاني إذا تحدث فرق قلبه مسح أنفه وقال ما أشد الزكام . وان أهمل الانسان نفسه ولم يبال بظهور وجده أو أحب اطلاع الناس على نفسه نفخ فيه الشيطان فانزعج على قدر نفخه ، كما أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن علي نا احمد بن جعفر ثنا عبدالله ثني أبي ثنا أبو معاوية ثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن يحيى بن الخراز عن بن أخي زينب عن امرأة عبدالله قالت جاء عبدالله ذات يوم وعندي عجوز ترقيني من الحموة فأدخلتها تحت السرير . قالت فدخل فجلس إلى جنبي فرأى في عنقي خيطا . فقال ما هذا الخيط . قلت خيط رقي لي فيه رقية فأخذه وقطعه ثم قال إن آل عبدالله لأغنياء عن الشرك . سمعت رسول الله ﷺ يقول إن في الرقي والتامة والتولة شركا قالت فقلت له لم تقول هذا ، وقد كانت عيني تقذف وكنت أختلف إلى فلان اليهودي يرقىها فكان إذا رقاها سكنت قال إنما ذلك من عمل الشيطان كان ينخسها بيده فاذا رقيتها كف عنها إنما كان يكفيك أن تقولي كما قال رسول الله ﷺ أذهب الباس رب الناس اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقماً . قال المصنف رحمه الله : التولة - ضرب من السحر يجب المرأة الى زوجها . أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن احمد نا الحسن بن عبد الملك بن يوسف نا أبو محمد الخلال ثنا أبو عمر بن حياة ثنا أبو بكر بن أبي داود ثنا هارون ابن زيد عن أبي الزرقاء ثنا أبي قال ثنا سفيان عن عكرمة بن عمار عن شعيب ابن أبي السني عن أبي عيسى أو عيسى . قال . ذهبت إلى عبدالله بن عمر فقال أبو السوار يا أبا عبد الرحمن ان قوماً عندنا إذا قرئ عليهم القرآن يركض أحدهم من خشية الله . قال ، كذبت . قال بلى ورب هذه البنية . قال ويحك إن كنت صادقاً فان الشيطان ليدخل بعوف أحدهم . والله ما هكذا كان أصحاب محمد ﷺ .

(فصل) فإن قال قائل . فنفرض أن الكلام فيمن اجتهد في دفع الوجد فلم يقدر عليه وغلبه الأمر فمن أين يدخل الشيطان فالجواب إنا لا ننكر ضعف بعض الطباع عن الدفع إلا أن علامة الصادق أنه لا يقدر على أن يدفع ، ولا يدرى ما يجري عليه فهو من جنس قوله عز وجل « فخر موسى صعقا ، وقد أخبرنا محمد بن عبد الباقي نا محمد بن أحمد بن أحمد نا أحمد بن عبيد الله ثنا إبراهيم بن عبد الله ثنا محمد بن إسحق الثقفي ثنى حاتم بن الليث الجوهري ثنا خالد بن خدّاش . قال . قرىء على عبد الله بن وهب كتاب أهوال القيامة . فخر مغشياً عليه فلم يتكلم بكلمة حتى مات بعد ذلك بأيام .

قال المصنف رحمه الله قلت . وقد مات خلق كثير من سماع الموعظة وغشى عليهم قلنا . هذا التواجد الذي يتضمن حركات المتواجدين وقوة صياحهم وتخطيهم فظاهره أنه متعمل والشيطان معين عليه .

قال المصنف رحمه الله . فان قيل فهل في حق المخلص نقص بهذه الحالة الطارئة عليه قيل . نعم من جهتين . أحدهما أنه لو قوى العلم أمسك . والثاني أنه قد خولف به طريق الصحابة والتابعين ويكفي هذا نقصاً .

أخبرنا عبد الله بن علي المقرئ نا هبة الله بن عبد الرزاق السنّي وأخبرنا سعيد بن أحمد بن البنا نا أبو سعد محمد بن علي الرستمي قال نا أبو الحسين ابن بشران نا أبو علي إسماعيل بن محمد الصفار ثنا سعدان بن نصر ثنا سفيان ابن عيينة قال سمعت خلف بن حوشب يقول . كان خوات يرعد عند الذكر فقال له إبراهيم . إن كنت تملكه فما أبالي أن لا أعتد بك . وإن كنت لا تملكه فقد خالفت من كان قبلك . وفي رواية فقد خالفت من هو خير منك .

قال المصنف رحمه الله قلت : إبراهيم هو النخعي الفقيه ، وكان متمسكاً بالسنة شديداً لا يتبع للأثر . وقد كان خوات من الصالحين البعداء عن التصنع وهذا خطاب إبراهيم له . فكيف بمن لا يخفى حاله في التصنع .

(فصل) فإذا طرب أهل التصوف لسماع الغناء صفقوا . أخبرنا محمد بن عبد الباقي نا رزق الله بن عبد الوهاب التيمي نا أبو عبد الرحمن السلمي .

قال سمعت أبا سليمان المغربي يقول سمعت أبا علي بن الكاتب يقول كان ابن بنان يتواجد وكان أبو سعيد الخراز يصفق له .

قال المصنف رحمه الله قلت . والتصفيق منكر يطرب ويخرج عن الاعتدال وتنزه عن مثله العقلاء ، ويتشبه فاعله بالمشركين فيما كانوا يفعلونه عند البيت من التصدية . وهي التي ذمهم الله عز وجل بها فقال . « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية » - فالمكاء الصغير - والتصدية - التصفيق . أخبرنا عبد الوهاب الحافظ نا أبو الفضل بن حيرون نا أبو علي بن شاذان نا أحمد ابن كامل ثني محمد بن سعد ثني أبي ثني عني عن أبيه عن جده عن ابن عباس « إلا المكاء » يعني التصفير « وتصدية » يقول التصفيق .

قال المصنف رحمه الله قلت : وفيه أيضاً تشبه بالنساء والعامل يأنف من أن يخرج عن الوقار إلى أفعال الكفار والنسوة .

﴿ فصل ﴾ فإذا قوى طربهم رقصوا وقد احتج بعضهم بقوله تعالى لا يوب : « أركض برجلك » .

قال المصنف رحمه الله قلت : وهذا الاحتجاج بارد لأنه لو كان أمر بضرب الرجل فرحاً كان لهم فيه شبهة وإنما أمر بضرب الرجل لبنيع الماء . قال بن عقيل أين الدلالة في مبتلى أمر عند كشف البلاء بأن يضرب برجله الأرض لبنيع الماء إسجازاً من الرقص . ولئن جاز أن يكون تحريك رجل قد أنحلها تحكم الهوام دلالة على جواز الرقص في الإسلام جاز أن يجعل قوله تعالى لموسى « اضرب بعصاك الحجر » دلالة على ضرب الجناد بالقضبان نعوذ بالله من التلاعب بالشرع ، واحتج بعض ناصريهم بأن رسول الله ﷺ قال لعلي : أنت مني وأنا منك - فحجل وقال لجعفر - أشبهت خلقي وخلقي - فحجل وقال لزيد : أنت أخونا ومولانا - فحجل . ومنهم من احتج بأن الحبشة زفت والنبي ﷺ ينظر إليهم . فالجواب : أما الحجل فهو نوع من المشي يفعل عند الفرح فأين هو من الرقص ، وكذلك زفن الحبشة نوع من المشي بتشيب يفعل عند اللقاء بالحرب .

واحتج لهم أبو عبد الرحمن السلمي على جواز الرقص بما أخبرنا به أبو

نصر محمد بن منصور الهمداني نا اسماعيل بن احمد بن عبد الملك المؤذن نا أبو صالح احمد بن عبد الملك وأبو سعيد محمد بن عبد العزيز وأبو محمد عبد الحميد بن عبد الرحمن قالوا ثنا أبو عبد الرحمن السلمي ثنا أبو العباس احمد ابن سعيد الهمداني ثنا محمد بن سعيد المروزي ثنا عباس الرقيق ثنا عبد الله بن عمر الوراق ثنا الحسن بن علي بن منصور ثنا أبو عتاب المصري عن ابراهيم ابن محمد الشافعي أن سعيد بن المسيب مر في بعض أزقة مكة فسمع الأنصر الحداء يتغنى في دار العاص بن وائل بهذا :

تضوع مسكابطن نعان أن مشت به زينب في نسوة عطرات
فلما رأت ركب النخيري أعرضت وهن من أن يلقينه حذرات

قال فضرب برجله الأرض زماناً وقال هذا مما يلد سماعه. وكانوا يروون الشعر لسعيد بن المسيب . قال المصنف قلت : هذا إسناد موقوف مظل لا يصح عن ابن المسيب ، ولا هذا شعره . كان ابن المسيب أقر من هذا ، وهذه الآيات مشهورة لمحمد بن عبد الله بن نمير النخيري الشاعر ولم يكن نميراً وإنما نسب إلى اسم جده وهو ثقي وزينب التي يشبب بها هي بنت يوسف أخت الحجاج ، وسأله عبد الملك بن مروان عن الركب ما كان ، فقال : كانت أحرمة عجافاً حملت عليها قطراناً من الطائف فضحك وأمر الحجاج أن لا يؤذيه .

قال المصنف رحمه الله : ثم لو قدرنا أن ابن المسيب ضرب برجله الأرض فليس في ذلك حجة على جواز الرقص ، فإن الانسان قد يضرب الأرض برجله أو يدقها بيده شيء يسمعه ولا يسمى ذلك رقصاً . فما أقبح هذا التعلق وأين ضرب الأرض بالقدم مرة أو مرتين من رقصهم الذي يخرجون به عن سمع العقلاء ، ثم دعونا من الاحتجاج تعالوا نتقاضي إلى العقول أي معنى في الرقص إلا اللعب الذي يليق بالأطفال ، وما الذي فيه من تحريك القلوب إلى الآخرة . هذه والله مكبر باردة . ولقد حدثني بعض المشايخ عن الغزالي أنه قال : الرقص حماقة بين الكسبيين لا تزول إلا بالتعب ، وقال أبو الوفاء ابن عقيل . قد نص القرآن على النهي عن الرقص . فقال عز وجل : « لا تمش في الأرض مرحاً » : وذم المختال فقال تعالى « إنه لا يحب كل مختال فخور » .

والرقص أشد المرح والبطر أو لسنا الذين قسنا النيز على الخمر لاتفاقهما في الاطراب والسكر . فما بالنا لا نقيس القضيبي وتلحين الشعر معه على الطنبور والمزمار والطبل لاجتماعهما في الاطراب، وهل شيء يزرى بالعقل والوقار ويخرج عن سمت الحلم والأدب أقبح من ذى لحية يرقص فكيف اذا كانت شبيهة ترقص وتصفق على وقاع الألحان والقضبان خصوصاً اذا كانت أصوات نسوان ومردان وهل يحسن بمن بين يديه الموت والسؤال والحشر والصراط ثم هو الى إحدى الدارين صائر ان يشمس بالرقص شمس البهائم ويصفق تصفيق النسوة والله لقد رأيت مشايخ في عصرى ما بان لهم سن في تبسم فضلا عن ضحك مع إدمان مخالطتى لهم . كالشيخ أبى القاسم بن زيدان ، وعبد الملك بن بشران ، وأبى طاهر بن العلاف ، والجنيد والدينورى .

﴿ فصل ﴾ فاذا تمكن الطرب من الصوفية في حال رقصهم جذب أحدهم بعض الجالوس ليقوم معه . ولا يجوز على مذهبهم البهزوب أن يقعد فاذا قام قام الباقيون تبعاً له . فاذا كشف أحدهم رأسه كشف الباقيون رؤوسهم موافقة له . ولا يخفى على عاقل أن كشف الرأس مستقبح وفيه إسقاط مروءة وترك أدب ، وإنما يقع في المناسك تعبداً لله وذلاً له .

﴿ فصل ﴾ فاذا اشتد طربهم رموا ثيابهم على المغنى فمنهم من يرى بها صحاحاً ومنهم من يخرقها ثم يرى بها وقد احتج لهم بعض الجهال فقال هؤلاء في غيبة فلا يلامون فان موسى عليه السلام لما غلب عليه الغم بعبادة قومه العجل رمى الألواح فكسرها ولم يدر ما صنع : والجواب : أن نقول من يصحح عن موسى بأنه رماها رمى كاسر والذي ذكر في القرآن إلقاءها فحسب فن أين لنا أنها تكسرت ، ثم لو قيل تكسرت فن أين لنا انه قصد كسرها ثم لو صححنا ذلك عنه قلنا . كان في غيبة حتى لو كان بين يديه حينئذ بحر من نار لخاضه ومن يصحح هؤلاء غيبتهم وهم يعرفون المغنى من غيره ويحذرون من بثر إن كانت عندهم . ثم كيف يقاس أحوال الأنبياء على أحوال هؤلاء السفهاء ولقد رأيت شاباً من الصوفية يمشى في الأسواق ويصيح والغلمان يمشون خلفه وهو يبربر ويخرج إلى الجمعة فيصيح صيحات وهو يصلى الجمعة

فستلت عن صلاته ، فقلت : إن كان وقت صياحه غائياً فقد بطل وضوءه وإن كان حاضراً فهو متصنع وكان هذا الرجل جلدأ لا يعمل شيئاً بل يدار له بزئيل في كل يوم فيجمع له ما يأكل هو وأصحابه فهذه حالة المتأكلين لا المتوكلين . ثم لو قدرنا أن القوم يصيحون عن غيبة فإن تعرضهم لما يغطي على العقول من سماع ما يطرب منهمى عنه كالعرض لكل ما غلبه الأذى وقد سئل ابن عقيل عن تواجدهم وتخريق ثيابهم فقال خطأ وحرام وقد نهى رسول الله ﷺ عن إضاعة المال وعن شق الجيوب فقال له قائل . فإنهم لا يعقلون ما يفعلون . قال إن حضروا هذه الأمكنة مع علمهم أن الطرب يغاب عليهم فيزيل عقولهم أثموا بما يدخل عليهم من التخريق وغيره مما يفسد ولا يسقط عنهم خطاب الشرع لأنهم مخاطبون قبل الحضور بتجنب هذه المواضع التي تفضي إلى ذلك كما هم منهيون عن شرب المسكر فإذا سكروا وجرى منهم إفساد الأموال لم يسقط الخطاب لسكرهم كذلك هذا الطرب الذي يسميه أهل التصوف وجداً إن صدقوا فيه فسكر طبع وإن كذبوا فنيد ومع الصحو فلا سلامة فيه مع الحالين وتجنب مواضع الريب واجب . واحتج لهم ابن طاهر في تخريقهم الثياب بحديث عائشة رضي الله عنها قالت . نصبت حجلة لي فيها رقم فدها النبي ﷺ فشققها .

قال المصنف رحمه الله : فانظر إلى فقه هذا الرجل المسكين كيف يقيس حال من يمزق ثيابه فيفسدها وقد نهى رسول الله ﷺ عن إضاعة المال على مد ستر ليحط فانشق لا عن قصد . أو كان عن قصد لأجل الصور التي كانت فيه : وهذا من التشديد في حق الشارع عن المنهيات كما أمر بكسر الدنان في الخمر فإن ادعى مخرق ثيابه أنه غائب قلنا الشيطان غيبك لأنك لو كنت مع الحق لحفظك فإن الحق لا يفسد .

وقد أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا محمد ابن علي بن حشيش ثنا عبد الله بن الصقر ثنا الصلت بن مسعود ثنا جعفر بن سليمان قال سمعت أبا عمران الجوني يقول وعظ موسى بن عمران عليه السلام يوماً فشقق رجل منهم قميصه فأوحى الله عز وجل لموسى قل لصاحب القميص لا يشق قميصه . أشرح لي عن قلبه .

﴿فصل﴾ وقد تكلم مشايخ الصوفية في الخرق المرامية . فقال محمد بن طاهر الدليل على أن الخرقه إذا طرحت صارت ملكا لمن طرحت بسببه حديث جرير جاء قوم مجتنب النمار فخص رسول الله ﷺ على الصدقة فجاء رجل من الأنصار بصرة فتتابع الناس حتى رأيت كومين من ثياب وطعام قال والدليل على أن الجماعة إذا قدموا عند تفريق الخرقه أسهم لهم حديث أبي موسى قدم على رسول الله ﷺ بغنيمة وسلب فأسهم لنا .

قال المصنف رحمه الله . لقد تلاعب هذا الرجل بالشرعية واستخرج بسوء فهمه ما يظنه يوافق مذهب المتأخرين من الصوفية . فإنما ما عرفنا هذا في أوائلهم وبيان فساد استخراجهم أن هذا الذي خرق الثوب ورمى به إن كان حاضرا أمّا جازله تخريقه وإن كان غائبا فليس له تصرف جائز شرعا لاهبة ولا تملكا . وكذلك يزعمون بأن ثوبه كان كالشيء الذي يقع من الإنسان ولا يدري به فلا يجوز لأحد أن يملكه وإن كان رماه في حال حضوره لا على أحد فلا وجه لتملكه ولو رماه على المغني لم يملكه لأن التملك لا يكون إلى بعقد شرعي والرمي ليس بعقد : ثم نقدر أنه ملك للمغني فما وجه تصرف الباقي فيه . ثم إذا تصرفوا فيه خرّقه خرّقا وذلك لا يجوز لوجهين : أحدهما أنه تصرف فيما لا يملكونه : والثاني أنه إضاعة للمال . ثم ما وجه أسهام من لم يحضر فأما حديث أبي موسى فقال العلماء منهم الخطابي يحتمل أن يكون رسول الله ﷺ أجازه عن رضى عن شهد الواقعة أو من الجنس الذي هو حقه . وعلى مذهب الصوفية تعطى هذه الخرقه لمن جاء . وهذا مذهب خارج عن إجماع المسلمين وما أشبه ما وضع هؤلاء بأرائهم الفاسدة إلا بما وضعت الجاهلية من أحكام البهيرة والسائبة والوصيلة والحام . قال ابن طاهر أجمع مشايخنا على أن الخرقه المخرقة وما انبعث من الخرق الصحاح الموافقة لها أن ذلك كله يكون بحكم الجمع يفعلون فيه ما يراه المشايخ . واحتجوا بقول عمر رضى الله عنه : الغنيمة لمن شهد الواقعة . وخالفهم شيخنا أبو إسماعيل الانصارى فجعل الخرقه على ضربين . ما كان مجروحا قسم على الجميع وما كان سليما دفع إلى القوال واحتج بحديث سلمة من قتل الرجل ؟ قالوا : سلمة بن الأكوع : قال له سلمة أجمع . فالقتل إنما وجد من جهة القوال فالسلب له .

قال المصنف رحمه الله : أنظروا إخواني عصمتنا الله وإياكم من إبليس إبليس إلى تلاعب هؤلاء الجهلة بالشريعة وإجماع مشايخهم الذي لا يساوي إجماعهم بعرة فان مشايخ الفقهاء أجمعوا على أن الموهوب لمن وهب له سواء كان مخرقاً أو سليماً ولا يجوز لغيره التصرف فيه : ثم إن سلب القليل كل ما عليه فما بالهم جعلوه مرمى به ثم ينبغي أن يكون الأمر على عكس ما قاله الأنصاري لأن المجروح من الثياب ما كان بسبب الوجد فينبغي أن يكون المجروح اللغني دون الصحيح وكل أقوالهم في هذا محال وهذيان وقد حكى لي أبو عبد الله التكريتي الصوفي عن أبي الفتوح الأسفرايني وكنت أنا قد رأته وأنا صغير السن وقد حضر في جمع كثير في رباط وهناك الخاد والقضبان ودف بجلاجل فقام يرقص حتى وقعت عمامته فبقى مكشوف الرأس قال التكريتي إنه رقص يوماً في خف له ثم ذكر أن الرقص في الخف خطأ عند القوم فأنفرد وخلعه ثم نزع مطرفاً كان عليه فوضعه بين أيديهم كفارة لتلك الجناية فاقسموه خرقاً ، قال ابن طاهر : والدليل على أن الذي يطرح الخرق لا يجوز أن يشتريها من الجمع حديث عمر لا تعودن في صدقتك . قال المصنف : أنظر إلى بعد هذا الرجل عن فهم معاني الأحاديث فان الخرقه المطروحة باقية على ملك صاحبها فلا يحتاج إلى أن يشتريها .

(فصل) وأما تقطيعهم الثياب المطروحة خرقاً وتفريفها فقد بينا أنه إن كان صاحب الثوب رماه إلى المغني لم يملكه بنفس الرمي حتى يملكه إياه فإذا ملكه إياه فما وجه تصرف الغير فيه . ولقد شهدت بعض فقهاءهم يخرق الثياب ويقسمها ويقول هذه الخرق ينتفع بها وليس هذا بتفريط ، فقلت : وهل التفريط إلا هذا ، ورأيت شيخاً آخر منهم يقول خرقت خرقاً في بلدنا فأصاب رجل منها خريقة فعملها كنف فباعه بخمسة دنانير فقلت له : إن الشرع لا يجيز هذه الرعونات لمثل هذه النوارد . وأعجب من هذين الرجلين أبو حامد الطوسي فإنه قال : يباح لهم تمزيق الثياب إذا خرقت قطعاً مربعة تصلح لترقيع الثياب والسجادات فان الثوب يمزق حتى يخاط منه قيص ولا يكون ذلك تضييعاً ولقد عجبت من هذا الرجل كيف سلبه حب مذهب التصوف عن أصول الفقه ومذهب الشافعي فنظر إلى انتفاع خاص ثم ما معنى قوله مربعة

فإن المطاولة ينتفع بها أيضاً ثم لو مزق الثوب قرامل^(١) لا تنتفع بها ولو كسر السيف نصفين لا تنتفع بالنصف غير أن الشرع يتلح القوائد العامة ويسمى ما نقص منها للانتفاع إتلافاً ولهذا ينهى عن كسر الدرهم الصحيح لأنه يذهب منه قيمة بالإضافة إلى المكسور وليس العجب من تلبيس إبليس على الجهال منهم بل على الفقهاء الذين اختاروا بدع الصوفية على حكم أبي حنيفة والشافعي ومالك وأحمد رضوان الله عليهم أجمعين .

﴿فصل﴾ ولقد أغربوا فيما ابتدعوا . وأقام لهم الأعذار من إلى هواهم مال . ولقد ذكر محمد بن طاهر في كتابه باب السنة في أخذ شيء من المستغفر ، واحتج بحديث كعب بن مالك في توبته : يجزئك الثلث ثم قال باب الدليل على أن من وجبت عليه غرامة فلم يؤدها ألزموه أكثر منها . واستدل بحديث معاوية بن جعدة عن النبي ﷺ أنه قال في الزكاة « من منعها فانا آخذها وشطر ماله » .

قال المصنف رحمه الله . قلت فانظر إلى تلاعب هؤلاء وجهل هذا المحتج لهم وتسمية ما يلزم بعضهم بما لا يلزمه غرامة وتسمية ذلك واجباً وليس لنا غرامة ولا وجوب إلا بالشرع ومتى اعتقد الإنسان ما ليس بواجب واجباً كفر . ومن مذهبهم كشف الرؤوس عند الاستغفار وهذه بدعة تسقط المروءة وتنافي الوقار ولولا ورود الشرع بكشفه في الاحرام ما كان له وجه . وأما حديث كعب بن مالك فإنه قال إن من توبتي ان تخلع من مالي ، فقال له رسول الله ﷺ « يجزئك الثلث لا على سبيل الالتزام له . وإنما تبرع بذلك فأخذه منه وأين إلزام الشرع تارك الزكاة مما يزيد عليها عقوبة من إلزامهم المرید غرامة لا تجب عليه فإذا امتنع ضاعفوها وليس اليهم الإلزام إنما ينفرد بالالزام الشرع وحده . وهذا كله جهل وتلاعب بالشرعة فهو لاء الخوارج عليها حقاً .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على كثير من الصوفية في حجة الأحداث ﴾

قال المصنف . اعلم أن أكثر الصوفية المتصوفة قد سدوا على انفسهم باب النظر إلى النساء الأجانب لبعدهم عن مصاحبتهم وامتناعهم عن مخالطتهم .

(١) القرامل من الشعر والصوف ما وصلت به المرأة شعرها .

واشتغلوا بالتعبد عن النكاح واتفقت صحبة الأحداث لهم على وجه الإرادة وقصد الزهاده فأما لهم إبليس اليهم ، واعلم أن المتصوفة في صحبة الأحداث على سبعة أقسام : القسم الأول أخبث القوم وهم ناس تشبهوا بالصوفية ويقولون بالحلول . أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن أحمد بن سليمان نا أبو علي الحسين بن محمد بن الفضل الكرماني نا سهل بن علي الخشاب نا أبو نصر عبد الله بن علي السراج قال بلغني أن جماعة من الحلولية زعموا أن الحق تعالى اصطفى أجساما حل فيها بمعاني الربوبية ، ومنهم من قال هو حال في المستحسنات ، وذكر أبو عبد الله بن حامد من أصحابنا . أن طائفة من الصوفية قالوا انهم يرون الله عز وجل في الدنيا وأجازوا أن يكون في صفة الآدمي ولم يأبوا كونه حالا في الصورة الحسنة حتى استشهدوه في رؤيتهم الغلام الأسود . القسم الثاني : قوم يتشبهون بالصوفية في ملبسهم ، ويتصدقون الفسق . القسم الثالث : قوم يستيحون النظر إلى المستحسن . وقد صنف أبو عبد الرحمن السلمي كتاباً سماه سنن الصوفية فقال في أواخر الكتاب : باب في جوامع رخصهم فذكر فيه الرقص والغناء والنظر إلى وجه الحسن . وذكر فيه ما روى عن النبي عليه السلام أنه قال : اطلبوا الخير عند حسان الوجوه ، وأنه قال : ثلاثة تجلو البصر : النظر إلى الخضرة والنظر إلى الماء والنظر إلى الوجه الحسن .

قال المصنف رحمه الله : وهذان الحديثان لا أصل لهما عن رسول الله ﷺ أما الحديث الأول فأخبرنا به عبد الأول بن عيسى نا عبد الرحمن بن محمد بن المظفر نا عبد الله بن أحمد بن حمويه نا إبراهيم بن خزيمة ثنا عبد بن حميد ثنا يزيد بن هرون ثنا محمد بن عبد الرحمن بن الخثير عن نافع عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال . اطلبوا الخير عند حسان الوجوه . قال يحيى بن معين محمد بن عبد الرحمن ليس بشيء . قال المصنف قلت وقد روى هذا الحديث من طرق قال العقيلي لا يثبت عن النبي عليه السلام في هذا شيء ، وأما الحديث الآخر فأنا نا أبو منصور بن خيرون نا أحمد بن علي بن ثابت نا أحمد بن محمد بن يعقوب نا محمد بن نعيم الضبي نا أبو بكر محمد بن أحمد بن هرون نا أحمد بن عمر بن عبيد الرحمان نا سمعت أبا البختری وهب بن وهب يقول : كنت

أدخل على الرشيد وابنه القاسم بين يديه فكنت أدمن النظر إليه فقال : أراك تدمن النظر إلى القاسم تريد أن تجعل انقطاعه إليك . قلت أعيدك بالله يا أمير المؤمنين أن ترميني بما ليس في . وأما ادمان النظر إليه فان جعفر الصادق ثنا عن أبيه عن جده علي بن الحسين عن أبيه عن جده قال قال رسول الله ﷺ . ثلاث يزدن في قوة النظر . النظر إلى الخضره وإلى الماء الجاري وإلى الوجه الحسن . قال المصنف رحمه الله : هذا حديث موضوع ولا يختلف العلماء في أبي البختری انه كذاب وضاع ، وأحمد بن عمر بن عبيد أحد المجولين ، ثم قد كان ينبغي لأبي عبيد الرحمن السلمي إذ ذكر النظر إلى المستحسن أن يقيده بالنظر إلى وجه الزوجة أو المملوكة فأما اطلاقه ففيه سوء ظن . وقال شيخنا محمد بن ناصر الحافظ كان ابن طاهر المقدسي قد صنف كتابا في جواز النظر إلى المرد . قال المصنف رحمه الله : قلت والفقهاء يقولون من ثارت شهوته عند النظر إلى الأمرد حرم عليه أن ينظر إليه ومتى ادعى الانسان انه لا تثر شهوته عند النظر إلى الأمرد المستحسن فهو كاذب وإنما أبيع على الاطلاق لثلا يقع الحرج في كثرة المخالطة بالمنع فاذا وقع الإلحاح في النظر دل على العمل بمقتضى ثوران الهوى . قال سعيد بن المسيب اذا رأيتم الرجل يلح النظر الى غلام أمرد فاتهموه . القسم الرابع قوم يقولون نحن لا ننظر نظر شهوة وانما ننظر نظر اعتبار فلا يضرنا النظر وهذا محال منهم فان الطباع تتساوى فمن ادعى تنزه نفسه عن أبناء جنسه في الطبع ادعى المحال وقد كشفنا هذا في أول كلامنا في السماع . أخبرتنا شهدة بنت احمد الأبري قالت باسناد مرفوع الى محمد بن جعفر الصوفي قال قال أبو حمزة الصوفي حدثني عبد الله بن الزبير الحنفي قال كنت جالسا مع أبي النضر الغنوي وكان من المبرزين العابدين فنظر الى غلام جميل فلم تزل عيناه واقعتين عليه حتى دنا منه فقال سألتك بالله السميع وعزه الرفيع وسلطانه المنيع الا وقفت عليّ أروى من النظر إليك فوقف قليلا ثم اذهب ليضي فقال له سألتك بالحكيم المجيد الكريم المبدى المعيد ألا ما وقفت فوقف ساعة فأقبل يصعد النظر إليه ويصوبه ثم ذهب ليضي فقال سألتك بالواحد الأحد الجبار الصمد الذي لم يلد ولم يولد إلا وقفت فوقف ساعة

فنظر اليه طويلاً ثم ذهب ليضئ فقال سألتك باللطيف الخبير السميع البصير
ومن ليس له نظير إلا وقفت فوقف فأقبل ينظر اليه ثم أطرق رأسه الى
الأرض ومضى الغلام فرفع رأسه بعد طويل وهو يبكي فقال قد ذكرني هذا
بنظري اليه وجهاً جل عن التشبيه وتقدس عن التمثيل وتعاضم عن الت تحديد
والله لأجهدن نفسي في بلوغ رضاه بمجاهدتي جميع أعدائه وهو الاتي لأوليائه
حتى أصير الى ما أردته من نظري الى وجهه الكريم وبهائه العظيم . ولوددت
أنه قد أراني وجهه وحسني في النار ما دامت السموات والأرض ثم غشى
عليه . وحدثنا محمد بن عبدالله الفزاري قال سمعت خيراً الناس يقول كنت
مع محارب بن حسان الصوفي في مسجد الخيف ونحن محرمون لجلس الينا غلام
جميل من أهل المغرب فرأيت محارباً ينظر اليه نظراً أنكرته فقلت له : بعد
أن قام انك محرم في شهر حرام في بلد حرام في مشعر حرام وقد رأيتك
تنظر الى هذا الغلام نظراً لا ينظره إلا المفتونون . فقال لي تقول هذا :
يا شهواني القلب والطرف ألم تعلم انه قد منعني من الوقوع في شرك إبليس
ثلاث فقلت وما هي قال سر الإيمان وعفة الاسلام وأعظمها الحياء من الله
تعالى أن يطلع علىَّ وأنا جاثم على منكر نهاني عنه ثم صمق حتى اجتمع
الناس علينا .

قال المصنف رحمه الله : قلت أنظروا الى جهل الأحمق الأول ورمزه
الى التشبيه وإن تلفظ بالتنزيه والى حماقة هذا الثاني الذي ظن أن المعصية هي
الفاحشة فقط وما علم أن نفس النظر بشهوة يحرم . ومحاً عن نفسه أثر الطبع
بدعواه التي تكذبها شهوة النظر . وقد حدثني بعض العلماء أن صديقاً أمرد
حكى له قال قال لي فلان الصوفي وهو يحبني : يا بني لله فيك اقبال والتفات .
حيث جعل حاجتي اليك . وحكى ان جماعة من الصوفية دخلوا على احمد
الغزالي وعنده أمرد وهو خال به ويذهما ورد وهو ينظر الى الورد تارة .
والى الأمرد تارة . فلما جلسوا قال بعضهم لفلنا كدنا . فقال : أي والله
فتصايح الجماعة على سبيل التواجد .

وحكى أبو الحسين بن يوسف انه كتب اليه في رقعة انك تحب غلامك

التركي فقرأ الرقعة ثم استدعى الغلام فصعد اليه النظر فقبله بين عينيه وقال هذا جواب الرقعة .

قال المصنف رحمه الله قلت : اني لا أعجب من فعل هذا الرجل وإلقائه جلباب الحياء عن وجهه وإنما أعجب من البهائم الحاضرين كيف سكتوا عن الانكار عليه ولكن الشريعة بردت في قلوب كثير من الناس . وأخبرنا أبو القاسم الحريري أنبأنا أبو الطيب الطبري قال : بلغني عن هذه الطائفة التي تسمع السماع انها تضيف اليه النظر الى وجه الأمر وربما زينته بالحلي والمصبغات من الثياب والحواشي وتزعم أنها تقصد به الازيادة في الإيمان بالنظر والاعتبار والاستدلال بالصنعة على الصانع وهذه النهاية في متابعة الهوى ومخادعة العقل ومحالفة العلم قال الله تعالى « وفي أنفسكم أفلا تبصرون » وقال « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت » وقال : « أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض » فعدلوا عما أمرهم الله به من الاعتبار إلى ما نهاهم عنه ، وإنما تفعل هذه الطائفة ما ذكرناه بعد تناول الألوان الطيبة والمآكل الشهية فإذا استوفت منها نفوسهم طابعتهم بما يتبعها من السماع والرقص والاستمتاع بالنظر الى وجوه المرد ولو أنهم تقللوا من الطعام لم يحنوا الى سماع ونظر . قال أبو الطيب وقد أخبر بعضهم في شعره عن أحوال المستمعين للغناء وما يجدونه حال السماع فقال :

أتذكر وقتنا وقد اجتمعنا	على طيب السماع الى الصباح
ودارت بيننا كأس الأغانى	فأسكرت النفوس بغير راح
فلم نر فيهم إلا نشاوى	سرور أو السرور هناك صاحي
إذا لى أخو اللذات فيه	منادى اللهو حى على الفلاح
ولم نملك سوى المهجات شيئاً	أرقناها لألحاظ ملاح

قال فإذا كان السماع تأثيره في قلوبهم ما ذكره هذا القائل فكيف يجدى السماع نفعاً أو يفيد فائدة . قال ابن عقيل قول من قال لا أخاف من رؤية الصور المستحسنة ليس بشيء . فان الشريعة جاءت عامة الخطاب لا تميز الأشخاص . وآيات القرآن تنسك هذه الدعاوى قال الله تعالى : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم » . وقال « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت » فلم يحل النظر إلا على صور لا ميل لأنفس إليها ولا حظ

فيها بل عبرة لا يمازجها شهوة . ولا تعترها لذة فأما صور الشهوات فانها تعبر عن العبرة بالشهوة وكل صورة ليست بعبرة لا ينبغي أن ينظر إليها لأنها قد تكون سبباً للفتنة . ولذلك ما بعث الله تعالى امرأة بالرسالة ولا جعلها قاضياً ولا إماماً ولا مؤذناً . كل ذلك لأنها محل فتنة وشهوة وربما قطعت عما قصده الشريعة بالنظر وكل من قال أنا أجد من الصرر المستحسنة عبراً كذبناه . وكل من ميز نفسه بطبيعة تخرجه عن طباعنا بالدعوى كذبناه وإنما هذه خدع الشيطان للبدعين . القسم الخاص قوم صحبوا المردان ومنعوا أنفسهم من الفواحش يعتقدون ذلك مجاهدة وما يعلمون أن نفس صحبتهم والنظر إليهم بشهوة معصية وهذه من خلال الصوفية المذمومات وقد كان قدمائهم على غير هذا وقيل كانوا على هذا بدليل وهو ما أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال أنشدنا أبو علي الروزباري .

أنزه في روض المحاسن مقلتي وأمنع نفسي أن تنال محرماً
وأحمل من ثقل الهوى مالو أنه على الجبل الصلد الأصم تهدماً

قال المصنف رحمه الله : وسأتي حديث يوسف بن الحسين . وقوله : عاهدت ربى أن لا أصحب حدثاً مائة مرة ففسحنا على قوام القدود وغنج العيون . أخبرتنا شهدة الكاتبة باسناد عن أبي المختار الصبي قال : حدثني أبي قال قلت لأبي الكيميت الأندلسي وكان جوالاً في أرض الله حدثني بأعجب ما رأيت من الصوفية قال صحبت رجلاً منهم يقال له مهرجان وكان مجوسياً فأسلم وتصوف فرأيت معه غلاماً جميلاً لا يفارقه وكان إذا جاء الليل قام فصلى ثم ينام إلى جانبه ثم يقوم فزعا فيصلي ما قدر له ثم يعود فينام إلى جانبه حتى فعل ذلك مراراً فإذا أسفر الصبح أو كاد يسفروا وترى ثم رفع يديه وقال اللهم إنك تعلم أن الليل قد مضى على سليمان لم أقترف فيه فاحشة ولا كتبت على الحفظة فيه معصية وأن الذي أضمره بقلبي لو حملته الجبال لتصدعت أو كان بالأرض لتدكدكت ثم يقول يا ليل إشهد بما كان مني فيك فقد منعني خوف الله عن طلب الحرام والتعرض للآثام ، ثم يقول سيدي أنت تجمع بيننا على تقى فلا تفرق بيننا يوم تجمع فيه الأجباب فأثقت معه مدة طويلة أراه يفعل ذلك كل ليلة وأسمع هذا القول منه فلما هممت بالانصراف من

عنده قلت سمعتك تقول إذا انقضى الليل كذا وكذا فقال وسمعتني قلت نعم ، قال فوالله يا أخي إنني لأداری من قلبي ما لو داراه سلطان من رعيته لكان الله حقيقا بالمغفرة له فقلت وما الذي يدعوك إلى صحبة من تخاف على نفسك الغنت من قبله^(١) وقال أبو محمد بن جعفر بن عبد الله الصوفي قال أبو حمزه الصوفي رأيت ببیت المقدس قتي من الصوفية يصحب غلاما مدة طويلة فأت الفتى وطال حزن الغلام عليه حتى صار جلدأ وعظما من الضنا والكد فقلت له يوما لقد طال حزنك على صديقك حتى أظن أنك لا تسلو بعده أبدا فقال كيف أسلو عن رجل أجل الله عز وجل أن يصيبه معي طرفه عين أبدا وصانني عن نجاسة الفسوق في خلول صحبتي له وخلواتي معه في الليل والنهار .

قال المصنف رحمه الله : هؤلاء قوم رآهم إبليس لا يجذبون سعه إلى الفواحش فحسن لهم بداياتهم فتعجلوا لذة النظر والصحبة والمحادثة وعز موا على مقاومة النفس في ضدها عن الفاحشة فان صدقوا وتم لهم ذلك فقد اشتغل القلب الذي ينبغي أن يكون شغله بالله تعالى لا يغيره وصرف الزمان الذي ينبغي أن يخلو فيه القلب بما ينفع به في الآخرة بمجاهدة الطبع في كفه عن الفاحشة وهذا كله جهل وخروج عن آداب الشرع فان الله عز وجل أمر بغض البصر لأنه طريق إلى القلب ليسلم القلب لله تعالى من شائب تخاف منه وما مثل هؤلاء إلا كمثل من أقبل إلى سباع في غيضة متشاغلة عنه لا تراه فأثارها وحاربها وقاومها فبأبعد سلامته من جراحة إن لم يهلك .

(فصل) وفي هؤلاء من قويت مجاهدته مدة ثم ضعفت فدعته نفسه إلى الفاحشة فامتنع حينئذ من صحبة المرد . أخبرتنا شاهدة الكاتبة عن عمر بن يوسف الباقلاني قال : قال أبو حمزة قلت لمحمد بن العلاء الدمشقي وكان سيد الصوفية وقد رأيته يمشي غلاما وضيئا مدة ثم فارقه ، فقلت له لم هجرت ذلك الفتى الذي كنت أراه معك بعد أن كنت له مواصلا وإليه مائلا . فقال والله لقد فارقت عن غير قلا ولا ملل . قلت ولم فعلت ذلك ؟ قال : رأيت قلبي يدعوني إلى أمر إذا خلوت به وقرب مني لو أتيتته سقطت من عين الله عز وجل فهجرت له لذلك تنزيها لله تعالى ولنفسى من مصارع الفتن .

﴿فصل﴾ ومنهم من تاب وأطال البكاء عن إطلاق نظره . أخبرنا
 المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقي باسناد عن عبيد الله . قال سمعت أخى أبا عبد الله
 محمد بن محمد يقول : سمعت خيراً النساج يقول : كنت مع أمية بن الصامت
 الصوفى إذ نظر إلى غلام فقراء وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير ،
 ثم قال . وأين الفرار من سجن الله وقد حصنه بملائكة غلاظ شداد تبارك
 الله فما أعظم ما امتحنى به من نظرى إلى هذا الغلام ما شبهت نظرى إليه إلا
 بنار وقعت على قصب فى يوم ريح فما أبقت ولا تركت ثم قال . استغفر الله
 من بلاء جنته عيناى على قلبى . لقد خفت ألا أنجو من معرفته ولا أتخلص
 من أئمه ولو وافيت القيامة بعمل سبعين صديقا . ثم بكى حتى كاد يقضى نحبه
 فسمعته يقول فى بكائه ياطرف لاشغلنك بالبكاء عن النظر إلى البلاء .

﴿فصل﴾ ومنهم من تلاعب به المرض من شدة الحجة . أخبرتنا شاهدة
 السكاتبة باسناد عن أبى حمزة الصوفى قال . كان عبد الله بن موسى من رؤساء
 الصوفية ووجوههم فنظر إلى غلام حسن فى بعض الأسواق فبلى به وكاد
 يذهب عقله عليه صباة وحباً وكان يقف كل يوم فى طريقه حتى يراه إذا
 أقبل وإذا انصرف فطال به البلاء وأقعدته عن الحركة الضنا وكان لا يقدر
 أن يمشى خطوة فأتيته يوماً لأعوده . فقلت يا أبا محمد ما قصتك وما هذا
 الأمر الذى بلغ بك ما أرى ، فقال ، أمورا امتحنى الله بها فلم أصبر على البلاء
 فيها ولم يكن لى بها طاقة ، ورب ذنب يستصغره الإنسان هو عند الله أعظم
 من كبير ، وحقيق بمن تعرض للنظر الحرام أن تطول به الاسقام ثم بكى قلت
 ما يبكيك؟ قال أخاف أن يطول فى النار شقائى فانصرفت عنه وأنا راحم له لما
 رأيت به من سوء الحال ، قال أبو حمزة ونظر محمد بن عبد الله بن الأشعث
 الدمشقى وكان من خيار عباد الله إلى غلام جميل فغشى عليه ، فحمل إلى منزله
 واعتاده السقم حتى أقعد من رجله وكان لا يقوم عليهما زماناً طويلاً فكنا
 نأتيه نعوذه ونسأله عن حاله وأمره وكان لا يخبرنا . بقصته ولا سبب مرضه ،
 وكان الناس يتحدثون بحديث نظره فبلغ ذلك الغلام فأثاه عائداً فشه إليه
 وتحرك وضحك فى وجهه واستبشر برويته فما زال يعوده حتى قام على رجله

وعاد إلى حالته فسأله الغلام يوما أن يسير معه إلى منزله فأبى أن يفعل ذلك ، فسألى أن أسأله أن يتحول إليه فسأله فأبى أن يفعل ، فقلت للشيخ ، وما الذي تكره من ذلك ، فقال ، لست بمعصوم من البلاء ولا آمن من الفتنة ، وأخاف أن يقع على من الشيطان محنة فتجرى بيني وبينه معصية فأكون من الخاسرين .

﴿ فصل ﴾ وفيهم من همت نفسه إلى الفاحشة فقتل نفسه . حدثني أبو عبد الله الحسين بن محمد الدامغانى قال ، كان ببلاد فارس صوفي كبير فابتلى بمحدث فلم يملك نفسه ان دعتة إلى فاحشة فراقب الله عز وجل ثم ندم على هذه الهمة وكان منزله على مكان عال ووراء منزله بحر من الماء فلما أخذته الندامة صعد السطح ورمى بنفسه إلى الماء وتلى قوله تعالى « فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم » فغرق في البحر .

قال المصنف رحمه الله . أنظر إلى إبليس كيف درج هذا المسكين من رؤية هذا الأمرد وإلى ادمان النظر إليه إلى أن مكن المحبة من قلبه إلى أن جرحه على الفاحشة فلما رأى استعصامه حسن له بالجهل قتل نفسه فقتل نفسه « ولعله هم بالفاحشة ولم يعزم ، والهمة معفو عنها لقوله عليه السلام . عفى لأمتي عما حدثت به نفوسها ، ثم إنه ندم على هيمته والندم توبة فأراه إبليس أن من تمام الندم قتل نفسه كما فعل بنو إسرائيل فأهلك أمروا بذلك بقوله تعالى « فاقتلوا أنفسكم » ونحن نهينا عنه بقوله تعالى « ولا تقتلوا أنفسكم » فلقد أتى بكبيرة عظيمة ، وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال ، من تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا .

﴿ فصل ﴾ وفيهم من فرق بينه وبين حبيبه فقتل حبيبه . بلغنى عن بعض الصوفية أنه كان في رباط عندنا ببغداد ومعه صبي في البيت الذي هو فيه فشنعوا عليه وفرقوا بينهما فدخل الصوفي إلى الصبي ومعه سكين فقتله وجلس عنده يبكي فجاء أهل الرباط فرأوه فسألوه عن الحال فأقر بقتل الصبي فرفعوه إلى صاحب الشرطة فأقر فجاء والد الصبي يبكي فجلس الصوفي يبكي ويقول له بالله عليك الا ما أقدتني به ، فقال الآن قد عفوت عنك : فقام الصوفي إلى قبر الصبي فجعل يبكي عليه ثم لم يزل يحج عن الصبي ويهدى له الشواب .

(فصل) ومن هؤلاء من قارب الفتنة فوقع فيها ولم تنفعه دعوى الصبر والمجاهدة ، والحديث بإسناد عن إدريس بن إدريس قال : حضرت بمصر قوما من الصوفية . ولهم غلام أمرد يغنيهم قال : فغلب على رجل منهم أمره فلم يدر ما يصنع فقال : يا هذا قل لا إله إلا الله ، فقال الغلام لا إله إلا الله فقال أقبل الفم الذى قال لا إله إلا الله . (القسم السادس) قوم لم يقصدوا صحبة المردان وإنما يتوب الصبي ويتزهد ويصحبهم على طريق الإرادة فيليس إبليس عليهم ويقول لا تمنعوه من الخير ثم يتكرر نظرهم إليه لا عن قصد فيثير في القلب الفتنة إلى أن ينال الشيطان منهم قدر ما يمكنه . وربما وثقوا بدينهم فاستفزهم الشيطان فرماهم إلى أقصى المعاصي كما فعل بريسفا . قال المصنف رحمه الله : وقد ذكرنا قصته في أول الكتاب وغلطهم من جهة تعرضهم بالفتن وصحبة من لا يؤمن الفتنة في صحبته .

(القسم السابع) قوم علموا أن صحبة المردان والنظر إليهم لا يجوز غير أنهم لم يصبروا عن ذلك . والحديث بإسناد عن الرازي يقول : قال يوسف ابن الحسين : كل ما رأيت منى أفعله فافعلوه إلا صحبة الأحداث فإنها أفتن الفتن . ولقد عاهدت ربى أكثر من مائة مرة أن لا أصحب حدثا ففسخها على حسن الحدود وقوام القدود وغنج العيون وما سألتى الله معهم عن معصية . وأنشد صريع الغواني في معنى ذلك شعرا .

إن ورد الحدود والحدق النجى ل وما فى الثغور من أقحوان
واعوجاج الأصداع فى ظاهر الحد وما فى الصدور من رمان
تركتنى بين الغوانى صريعا فلهذا أدعى صريع الغوانى

قال المصنف رحمه الله : قلت هذا الرجل قد فضح نفسه في شيء ستره الله عليه وأخبر أنه كلما رأى فتنة نقض التوبة فأين عزائم التصوف في حمل النفس على المشاق ثم ظن بجهله أن المعصية هي الفاحشة فقط ولو كان له علم لعلم أن صحبتهم والنظر إليهم معصية . فانظر إلى الجهل كيف يصنع بأربابه . والحديث بإسناد عن محمد بن عمر أنه قال : حكى لى عن أنى مسلم الخشوعى أنه نظر إلى غلام جميل فأطال . ثم قال سبحان الله ما أهنم طرفى عن مكروه نفسه وأدمنه على سنخ سيدة وأغراه بما قد نهى عنه وأبهجه بالأمر الذى

قد حزر عنه . لقد نظرت إلى هذا نظراً لا أحسب إلا أنه سيفضحنى عند جميع من عرفنى فى عرصات القيامة ولقد تركنى نظرى هذا وأنا أستحى من الله تعالى وإن غفر لى ثم صعق . ويأسناد عن أبى بكر محمد بن عبيد يقول : سمعت أبا الحسين النورى يقول : رأيت غلاماً جميلاً ببغداد فنظرت إليه ثم أردت أن أردد النظر فقلت له تلبسون النعال الصرارة ، وتمشون فى الطرقات فقال أحسنت الحشر بالعلم .

﴿فصل﴾ وكل من فاته العلم تخبط فإن حصل له وفاته العمل به كان أشد تخبطاً . ومن استعمل أدب الشرع فى قوله عز وجل ، « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم » سلم فى البداية بما صعب أمره فى النهاية ، وقد ورد الشرع بالنهى عن مجالسة المردان وأوصى العلماء بذلك . والحديث يأسناده عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لا تجالسوا أبناء الملوك فإن النفوس تشاق إليهم ما لا تشاق إلى الجوارى العواتق . والحديث يأسناده عن الأعمش عن أنى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : لا تملأوا أعينكم من أولاد الملوك فإن لهم فتنة أشد من فتنة العذارى . والحديث يأسناد عن الشعبي قال : قدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ وفيهم غلام . أمرد ظاهر الوضأة فأجلسه النبي عليه الصلاة والسلام وراء ظهره وقال : كانت خطيئة داود عليه السلام النظر . وعن أبى هريرة قال : نهى رسول الله ﷺ أن يحمد الرجل النظر إلى الغلام الأمرد . وقال عمر بن الخطاب : ما أتى على عالم من سبع ضار أخوف عليه من غلام أمرد . ويأسناد عن الحسن بن ذكوان أنه قال : لا تجالسوا أولاد الأغنياء فإن لهم صوراً كصور النساء وهم أشد فتنة من العذارى .

ويأسناد عن محمد بن حمير عن النجيب السرى قال : كان يقال لا يبيت الرجل فى بيت مع المرد . ويأسناد عن عبد العزيز بن أبى السائب عن أبيه قال : لانا أخوف على عابد من غلام من سبعين عذراء . وعن أبى على الروزبارى قال : سمعت جنيداً يقول جاء رجل إلى أحمد بن حنبل ومعه غلام حسن الوجه فقال له

من هذا ، قال ، ابني فقال أحمد لا تجيء به معك مرة أخرى فلما قام قال له محمد بن عبد الرحمن الحافظ وفي رواية الخطيب فقيهل له أيد الله الشيخ أنه رجل مستور وابنه أفضل منه فقال أحمد الذي قصدنا إليه من هذا الباب ليس يمنع منه سترهما على هذا رأينا أسيافنا وبه أخبرونا عن أسلافهم . وبإسناد عن أبي بكر المروزي قال : جاء حسن البزاز إلى أحمد بن حنبل ومعه غلام حسن الوجه فتحدث معه فلما أراد أن ينصرف قال له أبو عبد الله يا أبا علي لا تمس مع هذا الغلام في طريق فقال له إنه ابن أختي ، قال وإن كان لا يهلك الناس فيك . وبإسناد من شجاع بن مخلد أنه سمع بشر بن الحارث يقول احذروا هؤلاء الأحداث . وبإسناد عن فتح الموصلي أنه قال ، صحبت ثلاثين شيخاً كانوا يعدون من الأبدال كلهم أوصوني عند فراقهم اتقى معاشره الأحداث . وبإسناد عن الحلبي أنه يقول نظر سلام الأسود إلى رجل ينظر إلى حدث فقال له يا هذا ابق على جاهك عند الله فإنك لا تزال ذا جاه ما دمت له معظماً . وبإسناد عن أبي منصور عبد القادر بن طاهر يقول من صحب الأحداث وقع في الأحداث وعن أبي عبد الرحمن السلمي ، قال قال مظفر القرميستي من صحب الأحداث على شرط السلامة والنصيحة اداه ذلك إلى البلاء ، فكيف بمن يصحبهم على غير وجه السلامة .

(فصل) وقد كان السلف يبالغون في الاعراض عن المرد . وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه أجلس الشاب الحسن الوجه وراء ظهره والحديث بإسناد عن عطاء بن مسلم قال كان سفيان لا يدع أمرداً يجالسه . وروي إبراهيم بن هاني عن يحيى بن معين قال ما طمع أمرد بصحبي . ولاحمد بن حنبل قال في طريق . وبإسناد عن أبي يعقوب . قال كنا مع أبي نصر بن الحرث فوقفت عليه جارية ما رأينا أحسن منها فقالت : يا شيخ أين مكان باب حرب . فقال لها هذا الباب الذي يقال له باب حرب ثم جاء بعدها غلام ما رأينا أحسن منه : فسأله فقال يا شيخ أين مكان باب حرب فأطرق الشيخ رأسه . فرد عليه الغلام السؤال وغمض عينيه فقلنا للغلام تعال إيش تريد فقال باب حرب . فقلنا له ها هو بين يديك فلما غاب قلنا للشيخ يا أبا نصر

جاءتك جارية فأجبتها وكتبها وجاءك غلام فلم تكلمه . فقال : نعم يروى عن سفيان الثوري أنه قال . مع الجارية شيطان ومع الغلام شيطانان تخشيت على نفسي من شيطانيه وباسناد عن عبدالله بن المبارك يقول . دخل سفيان الثوري الحمام فدخل عليه غلام صبيح فقال اخرجوه اخرجوه . فإني أرى مع كل امرأة شيطانا . ومع كل غلام بضعة عشر شيطانا . وباسناد عن محمد بن احمد بن أبي القسم . قال دخلنا على محمد بن الحسين صاحب يحيى بن معين وكان يقال انه ما رفع رأسه إلى السماء من منذ أربعين سنة وكان معنا غلام حدث في المجلس بين يديه . فقال له . قم من حذاءي فاجلسه من خلفه . وباسناد عن أبي إمامه قال : وكنا عند شيخ يقرى فبقى عنده غلام يقرأ عليه فأردت الانصراف فأخذ بثوبي وقال اصبر حتى يفرغ هذا الغلام ، وكره أن يخلو مع هذا الغلام . وباسناد عن أبي الروزباري قال قال أبو العباس أحمد المؤدب يا أبا علي من أين أخذ صوفية عصرنا هذا الإنس بالاحداث فقلت له يا سيدي أنت بهم أعرف ، وقد تصحبهم السلامة لى كثير من الأمور فقال هيات قد رأينا من كان أقوى إيمانا منهم إذا رأى الحدث قد أقبل فركفراره من الزحف وإنما ذلك حسب الأوقات التي تغلب الأحوال على أهلها فتأخذها عن تصرف الطباع ما أكثر الخطر ما أكثر الغلط .

﴿ فصل ﴾ وصحبة الأحداث أقوى حبائل إبليس التي يصيد بها الصوفية أخبرنا ابن ناصر عن أبي عبدالرحمن السلمي قال سمعت أبا بكر الرازي يقول قال يوسف بن الحسين نظرت في آفات الخلق فعرفت من أين أتو ورأيت آفة الصوفية في صحبة الاحداث ومعاشرة الأضداد وارفاق النسوان . وباسناد عن ابن الفرج الرستمي الصوفي يقول رأيت إبليس في النوم فقلت له . كيف رأيتنا أعرضنا عن الدنيا ولذاتها وأموالها فليس لك إلينا طريق فقال كيف رأيت ما أشتملت به قلوبكم باستماع الغناء ومعاشرة الاحداث . وباسناد عن ابن سعييد الخراز يقول رأيت إبليس في النوم يمرغني ناحية فقلت ، تعال ، فقال امش أعمل بكم ، أتم طرحتم عن نفوسكم ما أخادع به الناس ، قلت ما هو ، قال الدنيا ، فلما ولى التفت إلى فقال غيران فيكم لطيفة ، قلت وما هي ؟

قال ، صحبة الاحداث . قال أبو سعيد وقل من يتخلص منها من الصوفية .
 (فصل) في عقوبة النظر إلى المردان ، عن أبي عبدالله بن الجلاء قال
 كنت أنظر إلى غلام نصراني حسن الوجه فمر بي أبو عبدالله البلخي . فقال
 إيش وقوفك فقلت . يا عم أما ترى هذه الصورة كيف تعذب بالنار . فضرب
 بيده بين كتفي . وقال لتجدن غيبها ولو بعد حين . قال فوجدت غيبها بعد أربعين
 سنة أن أنسيت القرآن . وباسناد عن أبي الأديان وقال كنت مع أستاذي
 وأبي بكر الدقاق فمر حدث فنظرت إليه فرآني أستاذي وأنا أنظر إليه فقال
 يا بني لتجدن غيبه ولو بعد حين . فبقيت عشرين سنة وأنا أراعي فما أجد ذلك
 الغيب فنمت ذات ليلة وأنا مفكر فيه فأصبحت وقد أنسيت القرآن كله . وعن
 أبي بكر السكتاني قال رأيت بعض أصحابنا في المنام فقلت ما فعل الله بك قال
 عرض على سيثائي وقال فعلت كذا وكذا فقلت نعم . ثم قال وفعلت كذا وكذا
 فاستحييت أن أقره فقلت اني استحي أن أقر فقال اني غفرت لك بما أقررت
 فكيف بما استحييت فقلت له ما كان ذلك الذنب فقال مرني غلام حسن الوجه
 فنظرت إليه . وقد روى نحو هذه الحكاية عن أبي عبدالله الزراد انه رأى
 في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لي كل ذنب أقررت به في الدنيا إلا
 واحد فاستحييت أن أقر به فوقفني في العرق حتى سقط لحم وجهي . فقيل
 له ما الذنب فقال نظرت إلى شخص جميل . وقد بلغنا عن أبي يعقوب الطبري
 انه قال كان معي شاب حسن الوجه يخدمني بخامني انسان من بغداد صوفي
 فكان كثير الالتفات إلى ذلك الشاب فسمكت أجد عليه لذلك فنمت ليلة من
 الليالي فرأيت رب العزة في المنام فقال يا أبا يعقوب لم لم تنه وأشار إلى البغدادى
 عن النظر إلى الاحداث فوعزني اني لا أشغل بالاحداث الا من باعده عن
 قربي . قال أبو يعقوب فانتبهت وأنا اضرب فخكيت الرؤيا للبغدادى فصاح
 صيحة ومات فغسلناه ودفناه ، واشتغل عليه قلي فرأيت بعد شهر في النوم فقلت
 له ما فعل الله بك قال وبخني حتى خفت أن لا أنجو ثم عفا عني قلت . إنما
 مددت النفس يسيراً في هذا الباب لأنه لما تعم به البلوى عند الأكثرين فمن
 أراد الزيادة فيه وفيما يتعلق باطلاق البصر وجميع أسباب الهوى فلينظر في
 كتابنا المسمى بدم الهوى . ففيه غاية المراد من جميع ذلك .

((ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في ادعاء التوكل))

وقطع الأسباب وترك الاحتراز في الأموال

أخبرنا المحدثان بن ناصر وابن عبد الباقي بإسناد عن أحمد بن أبي الحواري قال سمعت أبا سليمان الداراني يقول لو توكلنا على الله تعالى ما بنينا الحيطان ولا جعلنا لباب الدار غلقاً مخافة اللصوص . وإسناد عن ذي النون المصري أنه قال سافرت سنين وما صح لي التوكل إلا وقتاً واحداً ركبت البحر فكسر المركب فتعلقت بخشب من خشب المركب فقالت لي نفسي إن حكم الله عليك بالعرق فما تنفعك هذه الخشبة فخليت الخشبة فطفت على الماء فوقعت على الساحل . أخبرنا محمد قال سألت أبا يعقوب الزيات عن مسألة في التوكل فأخرج درهما كان عنده ثم أجابني . فأعطى التوكل حقه ثم قال استحيت أن أجيبك وعندى شيء وذكر أبو نصر السراج في كتاب اللمع قال جاء رجل إلى عبد الله بن الجلاء فسأله عن مسألة في التوكل وعنده جماعته فلم يجبه ودخل البيت فأخرج إليهم صرة فيها أربعة دنانق فقال اشترؤا بهذه شيئاً . ثم أجاب الرجل عن سؤاله فقبل له في ذلك فقال . استحيت من الله تعالى أن أتكم في التوكل وعندى أربعة دنانق . وقال سهل بن عبد الله من طعن في الاكتساب فقد طعن على السنة ومن طعن على التوكل فقد طعن على الإيمان .

قال المصنف قلت : قلة العلم أوجبت هذا التخليط ، ولو عرفوا ماهية التوكل لعلموا أنه ليس بينه وبين الأسباب تضاد . وذلك أن التوكل اعتماد القلب على الوكيل وحده وذلك لا يناقض حركة البدن في التعلق بالأسباب ولا ادخار المال . فقد قال تعالى « ولا توتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً » أي قواماً لأبدانكم وقال ﷺ . نعم المال الصالح مع الرجل الصالح ، وقال ﷺ إنك أن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس . واعلم أن الذي أمر بالتوكل أمر بأخذ الحذر ، فقال « خذوا حذركم » وقال « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » وقال « أن أسر بعبادي ليلاً » وقد ظاهر رسول الله ﷺ بين درعين وشاور طبيين واختفى في الغار . وقال من يحرسني الليلة . وأمر بغلق الباب . وفي الصحيحين من

من حديث جابر أن النبي ﷺ قال اغلق بابك . وقد أخبرنا أن التوكل لا ينافي الاحتراز

أخبرنا إسماعيل بن أحمد السمرقندي نا عبد الله بن يحيى الموصلى ونصر بن أحمد قالا أخبرنا أبو الحسين بن بشران ثنا الحسين بن صفوان ثنا أبو بكر القرشي ثنى أبو جعفر الصيرفى ثنا يحيى بن سعيد ثنا المغيرة بن أبي قررة السدوسى قال سمعت أنس بن مالك رضى الله عنه يقول جاء رجل إلى النبي ﷺ وترك ناقته بباب المسجد فسأله رسول الله ﷺ عنها فقال أطلقها وتوكلت على الله قال اعقلها وتوكل .

أخبرنا ابن ناصر نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا عبد العزيز بن على الأزجى نا إبراهيم بن محمد بن جعفر نا أبو بكر عبد العزيز بن جعفر ثنا أبو بكر الخلال أخبرنى حرب بن إسماعيل الكرماني ثنى عبد الرحمن بن محمد بن سلام ثنا الحسين بن زياد المروزى قال سمعت سفیان بن عيينة يقول تفسير التوكل أن يرضى بما يفعل به . وقال ابن عقيل يظن أقوام أن الاحتياط والاحتراز ينافي التوكل . وإن التوكل هو إهمال العواقب وإطراح التحفظ وذلك عند العلماء هو العجز والتفريط الذى يقتضى من العقلاء التوبىخ والتهجين ولم يأمر الله بالتوكل الا بعد التحرز واستفراغ الوسع فى التحفظ . فقال تعالى (وشاورهم فى الأمر) (فإذا عزمت فتوكل على الله) فلو كان التعلق بالاحتياط قادحاً فى التوكل لما خص الله به نبيه حين قال له (وشاورهم فى الأمر) وهل المشاورة الا استفادة الرأى الذى منه يؤخذ التحفظ والتحرز من العدو ولم يقتنع فى الاحتياط بأن يكله الى رأيهم واجتهادهم حتى نص عليه وجعله عملاً فى نفس الصلاة وهى أخص العبادات . فقال فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم) وبين علة ذلك بقوله تعالى (ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتهم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) ومن علم أن الاحتياط هكذا لا يقال أن التوكل عليه ترك ما علم . لكن التوكل التفويض فيما لا وسع فيه ولا طاقة . قال عليه الصلاة والسلام « اعقلها وتوكل » ولو كان التوكل ترك التحرز لخص به خير الخلق ﷺ فى خير الأحوال وهى حالة الصلاة .

وقد ذهب الشافعي رحمه الله إلى وجوب حمل السلاح حينئذ لقوله . (ولياخذوا أسلحتهم) فالتوكل لا يمنع من الاحتياط والاحتراز فإن موسى عليه السلام لما قيل له (إن الملاء يأترون بك ليقتلوك) . خرج . ونبينا ﷺ خرج من مكة لخوفه من المتآمرين عليه ووقاه أبو بكر رضي الله عنه بسد أثقاب الغار وأعطى القوم التحرز حقه ثم توكلوا وقال عز وجل في باب الاحتياط (لا تقصص رؤياك على إخوانك) وقال (لا تدخوا من باب واحد) وقال . (فامشوا في مناكبها) وهذا لأن الحركة للذب عن النفس إستعمال لنعمة الله تعالى وكما أن الله تعالى يريد إظهار نعمه المبدأة يريد إظهار وداعه فلا وجه لتعطيل ما أودع اعتماداً على ما جاد به . لكن يجب استعمال ما عندك ثم أطلب ما عنده وقد جعل الله تعالى للغير والبهايم عدة وأسلحة تدفع عنها الضرر كالخيل والظفر والناب وخلق للادنى عقلاً يقوده إلى حمل الأسلحة ويهديه إلى التحصين بالابنية والدروع ومن عطل نعمة الله تعالى بترك الاحتراز فقد عطل حكمته كمن يترك الأغذية والأدوية ثم يموت جوعاً أو مرضاً . ولا أبله ممن يدعى العقل والعلم ويستسلم للبلاء إنما ينبغي أن تكون أعضاء المتوكل في الكسب وقلبه ساكن مفوض إلى الحق منع أو أعطى . لأنه لا يرى إلا أن الحق سبحانه وتعالى لا يتصرف إلا بحكمة ومصلحة . فتنه عطاء في المعنى . وكما زين للعجزة عجوزهم وسولت لهم أنفسهم أن التفريط توكل فصاروا في غرورهم بمثابة من اعتقد التهور شجاعة والخور حزماً . ومضى وضعت أسباب فأهملت كان ذلك جهلاً بحكمة الواضع . مثل وضع الطعام سبباً للشبع والماء للرى والدواء للرض . فإذا ترك الإنسان ذلك إهواناً بالسبب ثم دعا وسأل فربما قيل له قد جعلنا لعافيتك سبباً فإذا لم تتناوله كان إهواناً لعطائنا فربما لم نعافك بغير سبب لإهوانك للسبب وما هذا إلى بمثابة من بين قراحة وماء الساقية رفسه بمسحاة فأخذ يصلي صلاة الاستسقاء طلباً للطر فإنه لا يستحسن منه ذلك شرعاً ولا عقلاً .

قال المصنف رحمه الله . فإن قال قائل كيف أحترز مع القدر قليل له وكيف لا أحترز مع الأوامر من المقدر فالذي قدره هو الذي أمر . وقد قال تعالى (وخذوا حذرکم) أنبأنا إسماعيل بن أحمدنا عاصم بن الحسين نا ابن بشران ثنا أبو صفوان نا أبو بكر القرشي ثني شريح بن يونس نا علي بن ثابت عن خطاب بن القاسم عن

أبى عثمان قال : كان عيسى عليه السلام يصلى على رأس جبل فأناه إبليس فقال أنت الذى تزعم أن كل شيء بقضاء وقدر . قال نعم قال فألق نفسك من الجبل وقل قدر على فقال . يا لعين الله يختبر العباد وليس للعباد أن يختبروا الله تعالى .

(فصل) وفى معنى ما ذكرنا من تلبسه عليهم فى ترك الأسباب أنه قد لبس على خلق كثير منهم بأن التوكل ينافى الكسب . أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم أحمد بن عبد الله قال سمعت أبا الحسن بن مقسم يقول : سمعت محمد بن المنذر يقول سمعت سهل بن عبد الله التستري يقول : من فى طعن التوكل فقد طعن فى الإيمان ومن طعن على الكسب فقد طعن على السنة .

أخبرنا محمد بن ناصر نا أحمد بن على بن خلف نا أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت محمد بن عبد الله الرازى يقول : سألت رجلاً أبا عبد الله بن سالم وأنا أسمع أنحن مستعبدون بالكسب أم بالتوكل فقال التوكل حال رسول الله ﷺ والكسب سنة رسول الله ﷺ وإنما سن الكسب لمن ضعف عن التوكل وسقط عن درجة الكمال التى هى حاله فن أطاق التوكل فالكسب غير مباح له بحال إلا كسب معاونته لا كسب اعتماد عليه ومن ضعف عن حال التوكل التى هى حال رسول الله ﷺ أبيع له طلب المعاش فى الكسب لئلا يسقط عن درجة سنته حين سقط عن درجة حاله .

أنا عبد المنعم بن عبد الكريم نا أبى قال سمعت محمد بن الحسين قال سمعت أبا القاسم الرازى يقول سمعت يوسف بن الحسين قال : اذا رأيت المرید يشتغل بالرخص والكسب فليس يحىء منه شيء .

قال المصنف رحمه الله : قلت هذا كلام قوم ما فهموا معنى التوكل وظنوا أنه ترك الكسب وتعطيل الجوارح عن العمل وقد بينا أن التوكل فعل القلب فلا ينافى حركة الجوارح ولو كان كل كاسب ليس بمتوكل لكان الأنبياء غير متوكلين فقد كان آدم عليه السلام حراثاً ونوح وزكريا نجارين وادريس خياطاً وإبراهيم ولوط زراعين وصالح تاجراً ، وكان سليمان يعمل الخوص وداود يصنع الدرع ويأكل من ثمنه وكان موسى وشعيب ومحمد رعاة صلوات الله عليهم أجمعين وقال نبينا ﷺ كنت أرعى غنماً لأهل مكة بالقرارىط .

فلما أغناه الله عز وجل بما فرض له من الفداء لم يحتج الى الكسب . وقد كان أبو بكر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة رضوان الله تعالى عليهم بزازين وكذلك محمد بن سيرين وميمون بن مهران بزازين ، وكان الزبير بن العوام وعمرو بن العاص وعامر بن كريز خزازين ^(١) وكذلك أبو حنيفة . وكان سعد بن أبي وقاص يبرئ النبل وكان عثمان بن طلحة خياطاً ، وما زال التابعون ومن بعدهم يكتسبون ويأمنون بالكسب .

أخبرنا محمد بن أبي طاهر نا أبو محمد الجوهري نا ابن حياة نا أبو الحسن ابن معروف نا الحسين بن الفهم ثنا محمد بن سعد نا مسلم بن إبراهيم نا هشام الدستوائي قال حدثنا عطاء بن السائب قال : لما استخلف أبو بكر رضي الله عنه أصبح غاديا الى السوق وعلى رقبته أثواب يتجر بها فلقبه عمر وأبو عبيدة فقالا . أين تريد : فقال السوق قال لا تصنع ماذا . وقد وليت أمور المسلمين قال . فمن أين أطعم عيالي . قال ابن سعد وأخبرنا أحمد بن عبد الله بن يونس ثنا أبو بكر بن عياش عن عمرو بن ميمون عن أبيه قال . لما استخلف أبو بكر جعلوا له ألفين . فقال زيدوني فإن لي عيالا وقد شغلتهموني عن التجارة فزادوه خمسمائة .

قال المصنف رحمه الله : قلت لو قال رجل للصوفية من أين أطعم عيالي لقالوا قد أشركت ، ولو سئلوا عن يخرج الى التجارة لقالوا ليس بمتوكل ولا موقن وكل هذا لجهلهم بمعنى التوكل واليقين ، ولو كان أحد يقلق عليه الباب ويتوكل لقرب أمر دعواهم لكنهم بين أمرين أما الغالب من الناس فمنهم من يسعى الى الدنيا مستجدياً ومنهم من يبعث غلامه فيدور بالزئيل فيجمع له . . . وإما الجلوس في الرباط في هيئة المساكين وقد علم أن الرباط لا يخلو من فتوح كما لا تخلو الدكان من أن يقصد للبيع والشراء .

أخبرنا عبد الوهاب الحافظ نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو طالب العشاري نا محمد بن عبد الرحمن المخلص نا عبيد الله بن عبد الرحمن السكري ثنا

(١) أي يعملون الخز وهي ثياب تنسج من صوف وابرسم .

أبو بكر بن عبيد قال حدثت عن الهيثم بن خارجة ثنا سهل بن هشام عن إبراهيم بن أدهم قال كان سعيد بن المسيب يقول من لزم المسجد وترك الحرفة وقبل ما يأتبه فقد ألحف في السؤال .

أخبرنا المحمّدان بن ناصر وابن عبد الباقي قالا : ناحمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ . قال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت جدي إسماعيل بن نجيدى يقول : كان أبو تراب يقول لأصحابه من لبس منكم مرقعة فقد سأل ومن قعد في خانقاه أو مسجد فقد سأل .

قال المصنف رحمه الله . قلت وقد كان السلف ينهون عن التعرض لهذه الأشياء ويأمرون بالكسب . أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك نا أبو الحسين ابن عبد الجبار نا محمد بن علي بن الفتح نا محمد بن عبد الرحمن المخلص نا عبيد الله ابن عبد الرحمن السكري نا أبو بكر بن عبيد القرشي نا عبيد بن الجعد نا المسعودى عن خوات التيمى قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه . يامعشر الفقراء أرفعوا رؤسكم فقد وضح الطريق فاستبقوا الخيرات ولا تكونوا عيالا على المسلمين .

أخبرنا ابن ناصر نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو القاسم التنوخى وأبو محمد الجوهري وأبو الخير القزوينى قالوا نا أبو عمر بن حياة نا محمد بن خلف ثنا أبو جعفر اليماني نا أبو الحسن المداينى عن محمد بن عاصم قال : بلغنى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان إذا رأى غلاماً فأعجبه سأل عنه هل له حرفة فإن قيل لا قال سقط من عينى .

أخبرنا إسماعيل بن أحمد نا عمر بن عبيد الله النقال نا أبو الحسين بن بشران نا عثمان بن أحمد الدقاق نا حنبل ثنى أبو عبد الله نا معاذ بن هشام ثنى أبى عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ يتجرون في بحر الشام منهم طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد .

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك نا جعفر بن أحمد السراج نا عبد العزيز بن الحسن ابن إسماعيل الضراب نا أبى نا أحمد بن مروان المالكي نا أبو القاسم بن الحنبل : سألت أحمد بن حنبل وقلت : ما تقول في رجل جلس في بيته أو في مسجده

وقال لا أعمل شيئاً حتى يأتيني رزقي فقال احمد هذا رجل جهل العلم أما سمعت قول رسول الله ﷺ . جعل الله رزقي تحت ظل رمحي ، وحديث الآخر في ذكر الطير تغدو خماساً فذكر انها تغدو في طلب الرزق ، قال تعالى (وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله) وقال : (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم) وكان أصحاب رسول الله ﷺ يتجرون في البر والبحر ويعملون في تخليهم ولنا القدوة بهم . وقد ذكرنا فيما مضى عن احمد أن رجلاً قال له . أريد الحج على التوكل فقال له فاخرج في غير القافلة . قال لا . قال فعلى جراب الناس توكلت .

أخبرنا ابن ناصرنا أبو الحسين بن عبد الجبار نا عبد العزيز بن علي الأزجي نا ابراهيم بن محمد بن جعفر الناجي نا أبو بكر عبد العزيز بن جعفر نا أبو بكر احمد بن محمد الخلال نا أبو بكر المروزي قال : قلت لأبي عبد الله هؤلاء المتوكلون يقولون نقعد وأزاقنا على الله عز وجل . فقال هذا قول ردى . أليس قد قال الله تعالى . (إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع) ثم قال إذا قال لا أعمل وحيى إليه بشيء قد عمل واكتسب لآى شيء يقبله من غيره . قال الخلال : وأخبرنا عبد الله بن احمد قال : سألت أبا عن قومه يقولون نتوكل على الله ولا نكتسب فقال . ينبغي للناس كلهم يتوكلون على الله . ولكن يعودون على أنفسهم بالكسب . هذا قول انسان أحق . قال الخلال : وأخبرني محمد بن علي قال ثنا صالح انه سأل أباه يعنى احمد ابن حنبل عن التوكل فقال التوكل حسن ولكن ينبغي أن يكتسب ويعمل حتى يغنى نفسه وعياله ولا يترك العمل . قال وسئل أبا عن شاهد عن قوم لا يعملون ويقولون نحن المتوكلون فقال هؤلاء مبتدعون . قال الخلال وأخبرنا المروزي انه قال لأبي عبد الله أن ابن عيينة كان يقول هم مبتدعة . فقال أبو عبد الله هؤلاء قوم سوء يريدون تعطيل الدنيا . وقال الخلال وأخبرنا المروزي قال سألت أبا عبد الله عن رجل جلس في بيته وقال اجلس واصبر واقعد في البيت ولا أطلع على ذلك أحد أفقال . لو خرج فاحترف كان أحب إلى فإذا جلس خفت أن يخرج جله جلوسه الى غير هذا قلت الى أى شيء يخرج جله . قال يخرج جله الى أن

يكون يتوقع أن يرسل اليه قال الخلال وحدثنا أبو بكر المروزي قال سمعت رجلاً يقول لأبي عبد الله أحمد بن حنبل أني في كفاية قال إلزم السوق تصل به الرحم وتعود به على عيالك . وقال لرجل آخر إعمل وتصدق بالفضل على قرابتك . وقال أحمد بن حنبل قد أمرتهم يعني أولاده أن يختلفوا إلى السوق وأن يتعرضوا للتجارة .

قال الخلال وأخبرني محمد بن الحسين أن الفضل بن محمد بن زياد حدثهم قال سمعت أبا عبد الله يأمر بالسوق ويقيم . ما أحسن الاستغناء عن الناس . وقال الخلال وأخبرني يعقوب بن يوسف المطوعي قال ، سمعت أبا بكر بن جناد . يقول : الجصاصي قال سمعت أحمد بن حنبل يقول أحب الدراهم إلى درهم من نجاسة وأكرها عندى الذى من صلة الإخوان .

قال المصنف رحمه الله : قلت وكان إبراهيم بن أدهم يحصد وسلمان الخواص يلقط وحذيفة المرعشى يضرب اللبن ، وقال ابن عقيل التسبب لا يقدر في التوكل لأن تعاطى رتبة ترقى على رتبة الأنبياء نقص في الدين . ولما قيل لموسى عليه السلام (أن الملائكة يأثمون بك ليقتلوك) خرج ولما جاع واحتاج إلى عفة نفسه أجر نفسه ثمان سنين . وقال الله تعالى (فامشوا في مناكبها) وهذا لأن الحركة استعمال بنعمة الله وهى القوى فاستعمل ما عندك ثم أطلب ما عنده . وقد يطلب الانسان من ربه وينسى ما له عنده من النعمان فإذا تأخر عنه ما يطلبه بسخط . فترى بعضهم يملك عقاراً وأثاثاً فإذا ضاق به القوت واجتمع عليه دين فقيل له . لو بيعت عقارك . قال كيف أفرط في عقارى وأسقط جاهي عند الناس وإنما يفعل هذه الحماقات العادات وإنما قعد أقوام عن الكسب استثقالا له فكانوا بين أمرين قبيحين . إما تضييع العيال فتركوا الفرائض أو التزين باسم انه متوكل فيحن عليهم المكتسبون فضيقوا على عيالهم لأجلهم وأعطوهم . وهذه الرذيلة لم تدخل قط إلا على ذنى النفس الرذيلة وإلا فالرجل كل الرجل من لم يضيع جوهره الذى أودعه الله إيثارة للكسل أو لإسم يزين به بين الجهال فان الله تعالى قد يحرم الانسان المال ويرزقه جوهرأ يتسبب به إلى تحصيل الدنيا يقبول الناس عليه .

(فصل) وقد تشبث القاعدون عن التكسب بتعللات قبيحة . منها أنهم قالوا لا بد من أن يصل إلينا رزقنا وهذا في غاية القبح فإن الإنسان لو ترك الطاعة وقال لا أقدر بطاعتي أن أغير ما قضى الله على فإن كنت من أهل الجنة فانا إلى الجنة أو من أهل النار فانا من أهل النار . قلنا له هذا يرد الأوامر كلها ولو صح لأحد ذلك لم يخرج آدم من الجنة لأنه كان يقول ما فعلت إلا ما قضى على . ومعلوم أننا مطالبون بالأمر لا بالقدر . ومنها أنهم يقولون أين الحلال حتى نطلب وهذا قول جاهل لأن الحلال لا ينقطع أبداً لقوله ﷺ « الحلال بين والحرام بين » ومعلوم أن الحلال ما أذن الشرع في تناوله وإنما قولهم هذا احتجاج للسكسل . ومنها أنهم قالوا إذا كسبنا أعنا الظلمة والعصاة مثل ما أخبرنا به عمر بن ظفر نا جعفر بن أحمد نا عبد العزيز بن علي نا ابن جهم نا علي بن محمد السيرواني قال سمعت إبراهيم الخواص يقول طلبت الحلال في كل شيء حتى طلبته في صيد السمك فأخذت قصبة وجعلت فيها شعراً وجلست على الماء فألقيت الشص فخرجت سمكة فطرحتها على الأرض وألقيت الثانية فخرجت لي سمكة فانا أطرحتها ثالثة اذا من ورأى لظمة لا أدري من يد من هي ولا رأيت أحداً وسمعت قائلاً يقول أنت لم تصب رزقاً في شيء إلا أن تعتمد الى من يذكرنا فتقتله قال فقطعت الشعر وكسرت القصبة وانصرفت . أنبأنا أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم القشيري ثنا أبي قال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا بكر الرازي يقول سمعت أبا عثمان بن الأدمي قال سمعت إبراهيم الخواص يقول طلبت فقصدت الخ ما تقدم .

قال المصنف رحمه الله قلت : وهذه القصة ان صحت فان في الروايتين بعض من يتهم فان اللاطم إبليس وهو الذي هتف به لأن الله تعالى أباح الصيد فلا يعاقب على ما أباحه وكيف يقال له تعتمد الى من يذكرنا فتقتله وهو الذي أباح له قتله وكسب الحلال مدوح ولو تركنا الصيد وذبح الأنعام لأنها تذكر الله تعالى لم يكن لنا ما يقيم قوى الأبدان لأنه لا يقيمها الا اللحم فالتحرى من أخذ السمك وذبح الحيوان مذهب البراهمة فانظر الى الجهل ما يصنع والى إبليس كيف يفعل . أخبرنا أبو منصور القزاز نا أحمد بن علي بن ثابت نا

عبد العزيز بن علي الأزجي ثنا علي بن عبد الله الهمداني ثنا محمد بن جعفر ثنا أحمد بن عبد الله بن عبيد الملك قال سمعت شيخاً يكنى أبا تراب يقول قيل لفتح الموصلي أنت صياد بالشبكة ولم تصد شيئاً الا وتطعمه لعيالك فلم تصد وتبيع ذلك الناس فقال أخاف أن أصطاد مطيعاً لله تعالى في جوف الماء فأطعمه عاصياً لله على وجه الأرض .

قال المصنف رحمه الله قلت : إن صحت هذه الحكاية عن فتح الموصلي فهو من التعلل البارد المخالف للشرع والعقل لأن الله تعالى أباح الكسب وندب اليه فاذا قال قائل ربما خبزت خبزاً فأكله عاص كان حديثاً فارغاً لأنه لا يجوز لنا إذا ان نبيع الخبز لليهود والنصارى .

((ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في ترك التداوى))

قال المصنف رحمه الله : لا يختلف العلماء أن التداوى مباح وإنما رأى بعضهم أن العزيمة تركه . وقد ذكرنا كلام الناس في هذا وبيننا بما اخترناه في كتابنا لقط المنافع في الطب . والمقصود ههنا انا نقول اذا ثبت أن التداوى مباح بالإجماع مندوب اليه عند بعض العلماء فلا يلتفت الى قول قوم قدرأوا أن التداوى خارج من التوكل لأن الإجماع على انه لا يخرج من التوكل وقد صح عن رسول الله ﷺ انه تداوى وأمر بالتداوى ولم يخرج بذلك من التوكل ولا أخرج من أمره أن يتداوى من التوكل . وفي الصحيح من حديث عثمان ابن عفان رضي الله عنه أن النبي ﷺ رخص اذا اشتكى المحرم عنه أن يضمدها بالصبر . قال ابن جرير الطبري وفي هذا الحديث دليل على فساد ما يقوله ذوو الغباوة من أهل التصوف والعباد من أن التوكل لا يصح لأحد عالج علة به في جسده بدواء إذ ذاك عندهم طلب العافية من غير من يده العافية والضر والنفع . وفي إطلاق النبي ﷺ للمحرم علاج عينه بالصبر لدفع المكروه أدل دليل على أن معنى التوكل غير ما قاله الذين ذكرنا قولهم . وإن ذلك غير مخرج فاعله من الرضا بقضاء الله كما أن من عرض له كلب الجوع لا يخرج فزعه إلى الغذاء من التوكل والرضا بالقضاء لأن الله تعالى

لم ينزل داء إلا أنزل له دواء إلا الموت وجعل أسبابا لدفع الادواء كما جعل
الآكل سبباً لدفع الجوع . وقد كان قادراً أن ينجي خلقه بغير هذا ولكنه
خلقهم ذوى حاجة فلا يندفع عنهم أذى الجوع إلا بما جعل سبباً لدفعه عنهم
فكذا الداء العارض والله الهادى .

﴿ ذكر تلبس إبليس على الصوفية ﴾

في ترك الجماعة والجماعة بالوحدة والعزلة

قال المصنف . كان خيار السلف يؤثرون الوحدة والعزلة عن الناس اشتغالا
بالعلم والتعبد إلا أن عزلة القوم لم تقطعهم عن جمعة ولا جماعة ولا عيادة
مرضى ولا شهود جنازة ولا قيام بحق . وإنما هي عزلة عن الشر وأهله ومخالطة
الباطلين وقد لبس إبليس على جماعة من المتصوفة فنهم من اعتزل في جبل
كالرهبان يبيت وحده ويصبح وحده ففاته الجماعة وصلاة الجماعة ومخالطة أهل
العلم . وعمومهم اعتزل في الأربطة ففاتهم السعى إلى المساجد وتوطنوا على
فراش الراحة وتركوا الكسب وقد قال أبو حامد الغزالي في كتاب الأحياء
مقصود الرياضة تفريغ القلب وليس ذلك إلا بخلة في مكان مظلم وقال فان
لم يكن مكان مظلم فيلف رأسه في جيبه أو يتدثر بكساء ، أو أزار . ففي مثل
هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال حضرة الربوبية .

قال المصنف رحمه الله قلت . أنظر إلى هذه الترتيبات والعجب كيف
تصدر من فقيه عالم ومن أين له أن الذى يسمعه نداء الحق وأن الذى يشاهده
جلال الربوبية وما يؤمنه أن يكون ما يجده من الوسوس والخيلات الفاسدة
وهذا الظاهر من يستعمل التقليل في المطعم فإنه يغلب عليه المالىخوليا . وقد
يسلم الإنسان في مثل هذه الحالة من الوسوس إلا أنه إذا تغشى بثوبه وغمض
عينيه تخيل هذه الأشياء لأن في الدماغ ثلاث قوى : قوة يكون بها التخيل
وقوة يكون بها الفكرة وقوة يكون بها الذكر وموضع التخيل البطنان
المقدمان من بطون الدماغ وموضع التفكير البطن الأوسط من بطون الدماغ
وموضع الحفظ الموضع المؤخر فإن أطرق الإنسان وغمض عينيه جال
الفكر والتخيل فيرى خيالات فيظنها ما ذكر من حضرة جلال الربوبية إلى غير ذلك

نعود بالله من هذه الوساوس والخيالات الفاسدة .

أخبرنا محمد بن أبي القاسم نازق الله بن عبد الوهاب نا أبو عبد الرحمن السلي قال سمعت أبا بكر البجلي يقول سمعت أبا عثمان بن آدمي قال كان أبو عبيد التستري إذا كان أول يوم من شهر رمضان يدخل البيت ويقول لامرأته طيني باب البيت والقي إلى كل ليلة من الكوة رغيفاً فإذا كان يوم العيد دخلت فوجدت ثلاثين رغيفاً في الزاوية ولا أكل ولا شرب ولا يتبها لصلاة ويبقى على طهر واحد إلى آخر الشهر .

قال المصنف رحمه الله : هذه الحكاية عندي بعيدة عن الصحة من وجهين أحدهما بقاء آدمي شهر لا يحدث بنوم ولا بول ولا غائط ولا ريح : والثاني ترك المسلم صلاة الجمعة والجماعة وهي واجبة لا يحل تركها فإن صححت هذه الحكاية فما أتى إبليس لهذا في التليسه بقية . قال أنبأنا زاهر بن طاهر نا أحمد بن الحسين البهقي ثنا الحاكم أبو عبد الله النيسابوري وسمعت أبا الحسن البوشنجي الصوفي غير مرة يعاتب في ترك الجمعة والجماعة والتخلف عنها فيقول : إن كانت البركة في الجماعة فإن السلامة في العزلة .

﴿ فصل ﴾ وقد جاء النهي عن الانفراد الموجب للبعد عن العلم والجهاد للعدو . أخبرنا ابن الحصين نا أبو علي بن المذهب نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن أحمد قال حدثني أبي ثنا أبو المغيرة ثنا معان بن رفاعه ثني علي بن زيد عن القاسم عن أبي امامة قال خرجنا مع رسول الله ﷺ في سرية من سراياه قال فر رجل بغار فيه شيء من ماء قال فحدث نفسه بأن يقيم في ذلك الغاو فيقوته ما كان فيه وفيه شيء من ماء ويصيب ما حوله من البقل ويتخلى عن الدنيا ثم قال : لو أني أنيت نبي الله ﷺ فذكرت ذلك له فإن أذن لي فعلت وإلا لم أفعل فأتاه فقال يا نبي الله اني مررت بغار فيه ما يقوتني من الماء والبقل فحدثتني نفسي بأن أقيم فيه وأتخلى عن الدنيا . قال فقال نبي الله ﷺ : اني لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية ولكني بعثت بالخيرية السمحة والذي نفس محمد بيده لعدوة أو روحه في سنبل الله خير من الدنيا وما فيها ول مقام أحدكم في الصف خير من صلاته ستين سنة .

(ذكر تلبس إبليس على الصوفية)

في التخشع ومطأطأة الرأس وإقامة الناموس

قال المصنف رحمه الله: . إذا سكن الخوف القلب أوجب خشوع الظاهر ولا يملك صاحبه دفعه فتراهم مطرقة متأدبا متدلا وقد كانوا يجتهدون في ستر ما يظن منهم من ذلك . وكان محمد بن سيرين يضحك بالنهار ويكي بالليل . ولسنا نأمر العالم بالانسياط بين العوام فإن ذلك يؤذيهم . فقد روى عن علي رضي الله عنه إذا ذكرتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بضحك فتمسجه القلوب ومثل هذا لا يسمى رياء لأن قلوب العوام تضيق عن التأويل للعالم إذا تفسح في المباح فينبغي أن يتأنم بالصمت والأدب وإنما المذموم تكلف التخشع والتباكى ومطأطأة الرأس ليرى الإنسان بعين الزهد والتهوؤ للمصاحفة وتقييل اليد وربما قيل له ادع لنا فيتهياً للدعاء كأنه يستنزل الإجابة وقد ذكرنا عن إبراهيم النخعي أنه قيل له ادع لنا فكره ذلك واشتد عليه . وقد كان في الخائفين من حملة الخوف على شدة الذل والحياء فلم يرفع رأسه إلى السماء وليس هذا بفضيلة لأنه لا خشوع فوق خشوع رسول الله ﷺ . وفي صحيح مسلم من حديث أبي موسى قال كان رسول الله ﷺ كثيراً ما يرفع رأسه إلى السماء . وفي هذا الحديث دليل على استحباب النظر إلى السماء لأجل الاعتبار بآياتها وقد قال الله تعالى (أولم يروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها) وقال (قل انظروا ماذا في السموات والأرض) وفي هذا رد على المتصوفين فإن أحدهم يبقى سنين لا ينظر إلى السماء . وقد ضم هؤلاء إلى ابتداعهم الرمز إلى التشبيه ولو علموا أن اطراقهم كرفعهم في باب الحياء من الله تعالى لم يفعلوا ذلك غير أن ما شغل إبليس إلا التلاعب بالجملة . فأما العلماء فهو بعيد عنهم شديد الخوف منهم لأنهم يعرفون جميع أمره ويحتزون من فنون مكره .

أخبرنا محمد بن ناصر وعمر بن ظفر قالا أخبرنا محمد بن الحسن الباقلاني نا القاضي أبو العلاء الواسطي نا أبو نصر أحمد بن محمد نا أبو الخير أحمد بن محمد البزاز نا البخاري نا إسحاق نا محمد بن الفضل نا الوليد بن جميع عن

أبى سلمة بن عبد الرحمن قال : لم يكن أصحاب رسول الله ﷺ منحرفين ولا متماوتين وكانوا يتناشدون الشعر في مجالسهم ويذكرون أمر جاهليتهم فإذا أريد أحد منهم على شيء من أمر دينه دارت حمالق عينيه كأنه مجنون . أخبرنا عبد الوهاب الحافظ ثنا جعفر بن أحمد نا عبد العزيز الحسن بن إسماعيل الضراب نا أبي ثنا أحمد بن مروان ثنا إبراهيم الحربي ثنا محمد بن الحارث عن المدائني عن محمد بن عبد الله القرشي عن أبيه قال : نظر عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى شاب قد نكس رأسه فقال له . يا هذا ارفع رأسك فإن الخشوع لا يزيد على ما في القلب فمن أظهر للناس خشوعا فوق ما في قلبه فإنما أظهر نفاقا على نفاق .

أخبرنا عبد الوهاب نا المبارك بن عبد الجبار نا علي بن أحمد الملقب ثنا أحمد بن محمد بن يوسف ثنا ابن صفوان نا أبو بكر القرشي ثنا يعقوب بن إسماعيل قال : قال عبد الله أخبرنا المعتمر عن كهمس بن الحسين أن رجلا تنفس عند عمر بن الخطاب كأنه يتحازن فلكزه عمر أو قال لكه .

أخبرنا محمد بن ناصر نا جعفر بن أحمد نا الحسن بن علي التميمي نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن أحمد ثنا أبي ثنا أسود بن عامر نا أبو بكر عن عاصم بن كليب الجرمي : قال لقي أبي عبد الرحمن بن الأسود وهو يمشي وكان إذا مشى يمشي جنب الحائط متخشعا هكذا . وأمال أبو بكر عنقه شيئا فقال أبي مالك إذا مشيت مشيت إلى جنب الحائط : أما والله إن عمر إذا مشى لشديد الوطء على الأرض جهورى الصوت .

أخبرنا محمد بن أبي طاهر نا أبو محمد الجوهري نا ابن حبان نا أبو الحسن ابن معروف ثنا الحسين بن الفهم ثنا محمد بن سعد يرفعه إلى سليمان بن أبي خيثمة عن أبيه قال قالت الشفا بنت عبد الله ورأت فتيانا يقصرون في المشي ويتكلمون رويدا فقالت ما هذا قالوا نساك . قالت . كان والله عمر إذا تكلم أسمع وإذا مشى أسرع وإذا ضرب أوجع وهو الناسك حقا .

قال المصنف رحمه الله . قلت وقد كان السلف يسترون أحوالهم ويتصنعون بترك التصنع . وقد ذكرنا عن أيوب السخيتاني أنه كان في ثوبه بعض الطول

ليستر حاله . وكان سفيان الثوري يقول لا أعتد بما ظهر من عملي وقال لصاحب له وراء يصلي ما أجراك تصلي والناس يرونك . قال حدثنا محمد بن ناصر ثنا عبد القادر بن يوسف نا ابن المذهب نا القطيعي ثنا عبدالله بن احمد ثنا أبو عبدالله يعني السلمي ثنا بقية عن محمد بن زياد قال : مر أبو أمامة برجل ساجد فقال يا لها من سجدة لو كانت في بيتك .

أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر بن ثابت نا الجوهري ثنا محمد بن العباس ثنا محمد بن القاسم الأنباري ثنا الحارث بن محمد ثنا يحيى بن أيوب ثنا شعيب بن حرب ثنا الحسين بن عمار . قال رجل في مجلس الحسن بن عمار آه قال . فجعل يتبصره ويقول من هذا حتى ظننا أنه لو عرفه أمر به . أخبرنا اسماعيل بن احمد المقرئ نا احمد بن احمد الحداد ثنا أبو نعيم الحافظ نا أبو عبدالله محمد بن جعفر ثنا عبدالله بن محمد بن يعقوب ثنا أبو حاتم ثنا حرمله قال سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول :

ودع الذين اذا أتوك تنسكوا واذا خلوا فهم ذئاب خفاف

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز نا احمد بن علي بن ثابت نا أبو عمر الحسن بن عثمان الواعظ نا جعفر بن محمد الواسطي نا الحسين بن عبدالله الابراري قال سمعت ابراهيم بن سعيد يقول . كنت واقفاً على رأس المأمون فقال لي يا ابراهيم : قلت لبيك قال عشرة من أعمال البر لا يصعد الى الله والله منها شيء . قلت ماهي يا أمير المؤمنين فقال بكاء ابراهيم على المنبر ، وخشوع عبد الرحمن بن اسحاق ، وتقشف ابن سماعه ، وصلاة خيعويه بالليل ، وصلاة عباس الصفي ، وصيام ابن السندی الاثنين والخميس ، وحديث أبي رجاء ، وقصص الحاجي ، وصدقة حفصويه وكتاب الشامي ليعلى بن قريش .

(ذكر تلبس إبليس على الصوفية في ترك النكاح)

قال المصنف : النكاح مع خوف العنت واجب ومن غير خوف العنت سنة مؤكدة عند جمهور الفقهاء . ومذهب أبي حنيفة واحمد ابن حنبل أنه حينئذ أفضل من جميع النوافل لأنه سبب في وجود الولد قال عليه الصلاة والسلام « تناكحوا تناسلوا » وقال رسول الله ﷺ « النكاح من سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني » .

أخبرنا محمد بن أبي طاهر نا الجوهري نا أبو عمر بن حياة نا أحمد بن معروف
ثنا الحسين بن الفهم ثنا محمد بن سعد نا سليمان بن داود الطيالسي نا إبراهيم
ابن سعد عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن سعد بن أبي وقاص قال :
لقد رد رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن له في ذلك
لاختصينا . قال ابن سعد وأخبرنا ابن عفان نا حماد بن سلمة عن ثابت عن
أنس بن مالك د أن نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ سألوا أزواج النبي
عليه السلام عن عمله في السر فأخبروهم فقال بعضهم لا آكل اللحم وقال
بعضهم لا أتزوج النساء وقال بعضهم لا أنام الليل على فراش . وقال بعضهم
أصوم ولا أفطر لحمد الله النبي عليه الصلاة والسلام وأثنى عليه ثم قال :
ما بال أقوام قالوا كذا وكذا لكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج
النساء . فمن رغب عن سنتي فليس مني ، قال ابن سعد وأخبرنا سعيد بن منصور
نا أبو عوانة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن عبيد قال قال ابن عباس رضي
الله عنه : « إن خير هذه الأمة كان أكثرها نساء » قال ابن سعد وأخبرنا أحمد
ابن عبد الله بن قيس ثنا ميثل عن أبي رجاء الجزري عن عثمان بن خالد بن
محمد بن مسلم قال قال شداد بن أوس . زوجوني فإن رسول الله ﷺ أو صاني
أن لا ألقي الله عز بآ . وأخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر
ثنا عبد الله بن أحمد ثني أبي ثنا عبدالرزاق نا محمد بن راشد عن مكحول عن
رجل عن أبي ذر قال . دخل على رسول الله ﷺ رجل يقال له عكاف بن
بشر التميمي الهلالي فقال له النبي ﷺ يا عكاف هل لك من زوجة قال لا
قال ولا جارياة قال لا قال وأنت موسر بخير قال وأنا موسر قال أنت إذا
من إخوان الشياطين لو كنت من النصارى لكنت من رهبانهم إن سنننا
النكاح شراركم عزابكم وأراذل موتاكم عزابكم أبا لشياطين تمر سوم مال للشياطين
من سلاح أبلغ في الصالحين من ترك النساء . . أخبرنا ابن الحصين نا ابن
المذهب نا أحمد بن جعفر نا عبد الله بن أحمد بن حنبل ثني أبي ثني أيوب بن
النجار عن طيب بن محمد عن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة قال : « لعن
رسول الله ﷺ مخنئي الرجال الذين يتشبهون بالنساء والمترجلات من النساء

المتشبهات بالرجال. والمتبتلين من الرجال الذين يقولون لا نتزوج والمتبتلات من النساء اللاتي يقنن ذلك. أخبرنا محمد بن ناصر نا عبد القادر بن محمد قال نا أبو بكر الخياط نا أبو الفتح بن أبي الفوارس نا أحمد بن جعفر الجلي ثنا أحمد بن محمد بن عبد الخالق ثنا أبو بكر المروزي قال سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: ليس العزوبة من أمر الإسلام في شيء النبي عليه الصلاة والسلام تزوج أربع عشرة امرأة ومات عن تسع ثم قال لو كان بشر بن الحارث تزوج كان قد تم أمره كله. لو ترك الناس النكاح لم يغزوا ولم يحجوا ولم يكن كذا ولم يكن كذا وقد كان النبي عليه الصلاة والسلام يصبح وما عندهم شيء وكان يختار النكاح ويحث عليه وينهى عن التبتل فمن رغب عن فعل النبي عليه الصلاة والسلام فهو على غير الحق. ويعقوب عليه السلام في حزنه قد تزوج وولده. والنبي عليه الصلاة والسلام قال حبيب إلى النساء: قلت إن إبراهيم ابن آدم يحكي عنه بأنه قال لروعة صاحب عيال فاقدرت أن أتم الحديث حتى صاح بي وقال وقعنا في بنيات الطريق أنظر عافاك الله ما كان عليه نبينا محمد ﷺ وأصحابه ثم قال: لبكاء الصبي بين يدي أبيه يطلب منه خبزاً أفضل من كذا وكذا إنى يلحق المتعبد المتعزب المتزوج.

(فصل) وقد لبس إبليس على كثير من الصوفية فمنهم من النكاح فقد ماؤهم تركوا ذلك تشاغلاً بالتعبد أو أوالنكاح شاغلاً عن طاعة الله عز وجل وهو لا مد وإن كانت بهم حاجة إلى النكاح أو بهم نوع تشوق إليه فقد خاطروا بأبدانهم وأديانهم وإن لم يكن بهم حاجة إليه فأتهم الفضيلة. وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال «وفي بضعة أحدكم صدقة قالوا يأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر قال أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر قالوا نعم قال وكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر» ثم قال «أفحتسبون الشر ولا تحتسبون الخير» ومنهم من قال النكاح يوجب النفقة والكسب صعب. وهذه حجة للترفع عن تعب الكسب وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «دينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في رقبة ودينار أنفقته في الصدقة ودينار أنفقته على عيالك أفضلها الدينار الذي أنفقته على عيالك»

ومنهم من قال النكاح يوجب الميل الى الدنيا فروينا عن أبي سليمان الداراني انه قال : اذا طلب الرجل الحديث أو سافر في طلب المعاش أو تزوج فقد ركن الى الدنيا .

قال المصنف رحمه الله قلت . وهذا كله مخالف للشرع وكيف لا يطلب الحديث والملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم . وكيف لا يطلب المعاش وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأن أموت من سعى على رجلى أطلب كفاف وجهى أحب إلى من أن أموت غزياً في سبيل الله . وكيف لا يتزوج وصاحب الشرع يقول « تناكحوا تناسلوا » فما أرى هذه الأوضاع الا على خلاف الشرع . فأما جماعة من متأخري الصوفية فانهم تركوا النكاح ليقال زاهد والعوام تعظم الصوفي اذا لم تكن له زوجة فيقولون ما عرف امرأة قط فهذه رهبانية تخالف شرعنا . قال أبو حامد ينبغي أن لا يشغل المرید نفسه بالتزويج فانه يشغله عن السلوك ويأنس بالزوجة ومن أنس بغير الله شغل عن الله تعالى .

قال المصنف رحمه الله : وإنى لأعجب من كلامه أترأه ما علم أن من قصد عفاف نفسه ووجود ولد أو عفاف زوجته فانه لم يخرج عن جادة السلوك أو يرى الأنس الطبيعي بالزوجة يناهى أنس القلوب بطاعة الله تعالى والله تعالى قد منّ على الخلق بقوله (وجعل لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) . وفي الحديث الصحيح عن جابر رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال له « هلا تزوجت بكراً تلاعبها وتلاعبك » وما كان بالذى ليدله على ما يقطع أنسه بالله تعالى . أترى رسول الله ﷺ لما كان يتبسّط إلى نسائه ويسابق عائشة رضى الله عنها أكان خارجا عن الأنس بالله . هذه كلها جهالات بالعلم .

(فصل) وأعلم انه اذا دام ترك النكاح على شبان الصوفية أخرجهم إلى ثلاثة أنواع : النوع الأول المرض بحبس الماء فان المرء اذا طال احتقانه تصاعد الى الدماغ منه منه . قال أبو بكر محمد بن زكريا الرازى . أعرف قوماً كانوا كثيرى المتى فلما منعوا أنفسهم من الجماع لضرب من التفلسف

بردت أبدانهم وعسرت حركاتهم ووقعت عليهم السكابة بلا سبب وعرضت لهم أعراض المالبخوليا وقلت شهواتهم وهضمهم قال . ورأيت رجلاً ترك الجماع ففقد شهوة الطعام وصار أن أكل القليل لم يستمره وتقايأه فلما عاد إلى عادته من الجماع سكنت عنه هذه الأعراض سريعاً . النوع الثاني الفرار إلى المتروك فإن منهم خلقاً كثيراً صابروا على ترك الجماع فاجتمع الماء فأقلقوا جمعوا فلامسوا النساء ولا بسوا من الدنيا أضعاف ما فروا منه فكانوا كمن أطال الجوع ثم أكل ما ترك في زمن الصبر . النوع الثالث الاعراف إلى صحبة الصبيان فإن قوماً منهم أيسوا أنفسهم من النكاح فأقلقهم ما اجتمع عندهم فصاروا يرتاحون إلى صحبة المرد .

• (فصل) • وقد لبس على قوم منهم تزوجوا وقالوا أنا لا ننكح شهوة فإن أرادوا أن الأغلب في طلب النكاح إرادة السنة جاز وإن زعموا أنه لا شهوة لهم في نفس النكاح فحال ظاهر .

• (فصل) • وقد حمل الجبل أقواماً فجبوا أنفسهم وزعموا أنهم فعلوا ذلك حياة من الله تعالى وهذه غاية الحماقة لأن الله تعالى شرف الذكر على الأنثى بهذه الآلة وخلفها لتكون سبباً للتناسل والذي يجب نفسه يقول بلسان الحال الصواب ضد هذا ثم قطعهم الآلة لا تزيل شهوة النكاح من النفس فما حصل لهم مقصودهم .

(ذكر تليس إبليس على الصوفية في ترك طلب الأولاد)

أخبرنا محمدان ابن ناصر وابن عبد الباقي قالنا نا محمد بن احمد نا أبو نعيم احمد بن عبد الله ثنا إسحاق بن احمد ثنا ابراهيم بن يوسف ثنا احمد بن أبي الحواري قال . سمعت أبا سليمان الداراني يقول الذي يريد الولد أحق لا الدنيا ولا الآخرة أن أراد أن يأكل أو ينام أو يجامع فنص عليه وإن أراد أن يتعبد شغله . قال المصنف رحمه الله قلت : وهذا غلط عظيم وبيانه أنه لما كان مراد الله تعالى من إيجاد الدنيا إتصال دوامها إلى أن ينقضي أجلها وكان الآدمي غير ممتد البقاء فيها إلا إلى أمد يسير أخلف الله تعالى منه مثله فخثه على سببه في ذلك قارة من حيث الطبع بايقاد نار الشهوة وتارة من باب الشرع بقوله تعالى

(وانكحوا الأيامي منكم والصالحين من عبادكم) وقول الرسول ﷺ
 «تناكحوا تناسلوا فاني أباهي بكم الأم يوم القيامة ولو بالسقط ، وقد طلب
 الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الأولاد . فقال تعالى حكاية عنهم (رب هب لي
 من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء) (رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي)
 إلى غير ذلك من الآيات . وتسبب الصالحون إلى وجودهم ورب جماع حدث
 منه ولد مثل الشافعي وأحمد بن حنبل فكان خيراً من عبادة ألف سنة . وقد
 جامت الأخبار بأثابة المباحضة والانفاق على الأولاد والعيال ومن يموت له
 ولد ومن يخلف ولداً بعده فن أعرض عن طلب الأولاد والتزوج فقد خالف
 المسنون والأفضل وحرم أجراً جسيماً ومن فعل ذلك فانما يطلب الراحة .
 أخبرنا عمر بن ظفر نا جعفر بن أحمد بن السراج نا أبو القاسم الأزجي نا
 ابن جهم نا الحلدي قال سمعت الجنيد يقول : الأولاد عقوبة شهوة
 الحلال فما ظنكم بعقوبة شهوة الحرام .

قال المصنف رحمه الله : وهذا غلط فان تسمية المباح عقوبة لا يحسن لانه
 لا يباح شيء ثم يكون ما تجدد منه عقوبة ولا يندب الى شيء إلا وحاصله مثوبة .
 ﴿ ذكر تلبس إبليس على الصوفية في الأسفار والسياحة ﴾

قد لبس إبليس على خلق كثير منهم فأخرجهم إلى السياحة لا إلى مكان
 معروف ولا إلى طلب علم وأكثرهم يخرج على الوحدة ولا يستصحب زاداً
 ويدعى بذلك الفعل التوكل فكم تفوته من فضيلة وفريضة وهو يرى أنه في
 ذلك على طاعة وأنه يقرب بذلك من الولاية وهو من العصاة المخالفين لسنة
 رسول الله ﷺ . وأما السياحة والخروج لا إلى مكان مقصود فقد نهى
 رسول الله ﷺ عن السعي في الأرض في غير أرب حاجة . أخبرنا محمد بن
 ناصر نا المبارك بن عبد الجبار نا إبراهيم بن عمر البرمكي نا ابن حياة نا عبيد الله
 ابن عبد الرحمن السكري قال : سمعت أبا محمد ابن قتيبة يقول . ثنى محمد بن
 عبيد عن معاوية عن عمرو عن أبي إسحاق عن سفيان عن ابن جريج عن
 مسلم عن طاوس أن رسول الله ﷺ قال : « لا زمام ولا خزام ولا رهبانية
 ولا تبتل ولا سياحة في الإسلام » قال ابن قتيبة الزمام في الأنف والخزام
 حلقة من شعر يجعل في أحد جانبي المنخرين . وأراد ﷺ ما كان عباد بني

إسرائيل يفعلونه من خزم التراقي وزم الأنوف والتبتل ترك النكاح والسياسة مفارقة الأمصار والذهاب في الأرض . وروى أبو داود في سننه من حديث أنى أمانة أن رجلاً قال يا رسول الله إئذن لي في السياحة فقال النبي ﷺ : « إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله » .

قال المصنف رحمه الله . وقد ذكرنا فيما تقدم من حديث ابن مطعون إنه قال يا رسول الله . إن نفسي تحذني بأن أسبح في الأرض . فقال النبي ﷺ له « مهلاً يا عثمان فإن سياحة أمتي الغزو في سبيل الله والحج والعمرة » . وقد روى إسحاق بن إبراهيم بن هانيء عن أحمد بن حنبل أنه سئل عن الرجل يسبح يتعبد أحب إليك أو المقيم في الأمصار قال . ما السياحة من الإسلام في شيء ولا من فعل النبيين ولا الصالحين .

(فصل) وأما الخروج على الوحدة فقد نهى رسول الله ﷺ أن يسافر الرجل وحده . فأخبرنا عبد الرحمن بن محمد نا أحمد بن علي بن ثابت نا محمد بن الطيب الصباغ نا أحمد بن سليمان النجاد ثنا يحيى بن جعفر بن أبي طالب ثنا علي بن عاصم ثنا عبد الرحمن بن يزيد ثنا عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال « الراكب شيطان والاثنان شيطانان والثلاثة ركب » أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن علي نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثنا أبي ثنا أيوب بن النجار عن طيب بن محمد عن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة قال « لعن رسول الله ﷺ راكب القلاة وحده .

(فصل) وقد يمشون بالليل أيضاً على الوحدة . وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك . وأخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثنا أبي ثنا محمد بن عبيد ثنا عاصم عن أبيه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال النبي ﷺ . لو يعلم الناس ما في الوحدة ما سار أحد وحده ليل أبداً . قال عبد الله وحدثني أبي ثنا محمد بن أبي عدي ثنا محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم عن عطاء بن يسار عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال . قال رسول الله ﷺ « أقلو الخروج إذا هدأت الرجل فإن الله تعالى يبت في خلقه ما شاء » .

قال المصنف رحمه الله. وفيهم من جعل دأبه السفر والسفر لا يراد لنفسه قال النبي ﷺ « السفر قطعة من العذاب فإذا قضى أحدكم مهمته من سفره فليعجل إلى أهله . فمن جعل دأبه السفر فقد جمع بين تضييع العمر وتعذيب النفس وكلاهما مقصود فاسد . أنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم ثنا أبي قال سمعت محمد بن أبي الطيب العكي يقول سمعت أبا الحسن المصري يقول سمعت أبا حمزة الخراساني يقول كنت قد بقيت محرماً في عباء أسافر كل سنة ألف فرسخ تطلع الشمس علىّ وتغرب كلها أحلت أحرمت .

﴿ ذكر تليسه عليهم في دخول الفلاة بغير زاد ﴾

قال المصنف رحمه الله : قد لبس على خلق كثير منهم فأوهمهم أن التوكل ترك الزاد وقد بينا فساد هذا فيما تقدم إلا أنه قد شاع هذا في جهلة القوم ، وجاء حتى القصاص يحكون ذلك عنهم على سبيل المدح لهم به فيتضمن ذلك تحريض الناس على مثل ذلك وبأفعال أئلك ومدح هؤلاء هؤلاء فسدت الأحوال وخفيت على العوام طرق الصواب . والاختبار عنهم بذلك كثيرة وأنا أذكر منها نبذة . أنبأنا محمد بن عبد الملك نا أبو بكر نا رضوان بن محمد الدينوري ثنا طاهر بن عبد الله ثنا الفضل بن الفضل الكندي ثنا أبو بكر محمد بن عبد الواحد بن جعفر الواسطي ثنا محمد بن السفاح عن علي بن سهل المصري قال أخبرني فتح الموصلي قال خرجت حاجاً فلما توسطت البادية إذا أنا بغلام صغير فقلت يا عجباً بادية بيداء وأرض قفراء ، وغلام صغير فأسرعت فلحقته فسلمت عليه ثم قلت يا بني إنك غلام صغير لم تجر عليك الأحكام قال يا عم قد مات من كان أصغر سنأ مني فقلت وسع خطاك فإن الطريق بعيد حتى تلحق المنزل . فقال يا عم عليّ المشى وعلى الله البلاغ ، أما قرأت قوله تعالى . « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » . فقلت له مالي لا أرى معك لازاداً ولا راحلة . فقال يا عم . زادي يقيني وراحلي رجائي . قلت : سألتك عن الخبز والماء قال يا عم أخبرني لو أن أخاً من إخوانك أو صديقاً من أهدائك دعاك إلى منزله أكنت تستحسن أن تحمل معك طعاماً فتأكله في منزله . فقلت أزودك فقال إليك عني يا بطل هو يطعمنا ويسقينا قال فتب . فارأيت

صغيراً أشد توكلًا منه ولا رأيت كبيراً أشد زهداً منه .

قال المصنف رحمه الله . بمثل هذه الحكاية تفسد الأرواح ويظن أن هذا هو الصواب ويقول الكبير إذا كان الصغير قد فعل هذا فإنا أحق بفعله منه . وليس العجب من الصبي بل من الذي لقيه كيف لم يعرفه إن هذا الذي يفعله منكروا أن الذي استدعاك أمرك بالتزود ومن ماله يتزود ولكن مضى على هذا كبار القوم فكيف الصغار . أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر أحمد ابن علي الحافظ نا أبو نعيم الأصفهاني قال سمعت محمد بن الحسن بن علي العيظي يقول حضرت أبا عبد الله الجلاء وقيل له عن هؤلاء الذين يدخلون البادية بلا زاد ولا عدة يزعمون أنهم متوكلون فيموتون في البراري . فقال هذا فعل رجال الحق فإن ماتوا فالدية على القاتل أخبرنا ابن ناصر أنبأنا أحمد بن علي بن خلف نا أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا الحسين الفارسي يقول سمعت أحمد بن علي يقول . قال رجل لأبي عبد الله بن الجلاء . ما تقول في الرجل يدخل البادية بلا زاد . قال . هذا من فعل رجال الله ، قال فإن مات قال : الدية على القاتل .

قال المصنف رحمه الله : قلت هذه فتوى جاهل بحكم الشرع إذ لا خلاف بين فقهاء الإسلام أنه لا يجوز دخول البادية بغير زاد وإن من فعل ذلك فمات بالجوع فإنه عاص الله تعالى مستحق لدخول النار . وكذلك إذا تعرض بما قاله العطب فإن الله جعل النفوس وديعة عندنا فقال : (ولا تقتلوا أنفسكم) وقد تكلمنا فيما تقدم في وجوب الاحتراز من المؤذى ولو لم يكن المسافر بغير زاد إلا أنه خالف أمر الله في قوله « وتزودوا » . أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق نا ابن باكويه قال : سمعت أبا أحمد الكبير يقول سمعت أبا عبد الله بن خفيف قال خرجت من شيراز في السفرة الثالثة فتهت في البادية وحدي وأصابني من الجوع والعطش ما أسقط من أسناني ثمانية وانتثر شعري كله .

قال المصنف رحمه الله . قلت هذا قد حكى عن نفسه ما ظاهره طلب المدح على ما فعل والذم لا حق به : أخبرنا أبو منصور القزاز نا أحمد بن علي بن

ثابتنا عبد الكريم بن هوأزن قال : سمعت ابا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت ، محمد بن عبد الله الواعظ . وأخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق نا أبو عبد الله بن باكويه واللفظ له ثنا أبو الفضل يوسف بن علي البلخي ثنا محمد بن عبد الله أبو حمزة الصوفي . قال : انى لا ستحي من الله أن أدخل البادية وأنا شعبان وقد اعتقدت التوكل لئلا يكون شبعى زاداً تزودته . قال المصنف رحمه الله . قلت وقد سبق الكلام على مثل هذا وإن هؤلاء القوم ظنوا أن التوكل ترك الأسباب . ولو كان هكذا لكان رسول الله ﷺ حين تزود لما خرج إلى الغار قد خرج من التوكل . وكذلك موسى لما طلب الخضر تزود حوتا . وأهل الكهف حين خرجوا فاستصبحوا دراهم واستخفوا مامعهم وإنما خفي على هؤلاء معنى التوكل لجهلهم وقد اعتذر لهم أبو حامد . فقال لا يجوز دخول المفازة بغير زاد إلا بشرطين أحدهما أن يكون الإنسان قد راض نفسه حيث يمكنه الصبر على الطعام اسبوعاً ونحوه والثانى أن يمكنه التقوت بالحشيش ولا تخالو البادية من أن يلقاه آهى بعد أسبوع أو ينتهى إلى حلة أو حشيش يرجى به وقته .

قال المصنف رحمه الله قلت . أقبح ما فى هذا القول انه صدر من فقيه فإنه قد لا يلقى أحداً وقد يضل وقد يمرض فلا يصلح له الحشيش وقد يلقى من لا يطعمه ويتعرض بمن لا يضيفه وتفوته الجماعة قطعاً وقد يموت ولا يلبه أحد . ثم قد ذكرنا ما جاء فى الوحدة ثم ما المخرج إلى هذه المحن إن كان يعتمد فيها على عادة أو لقاء شخص والاجتزاء بحشيش وأى فضيلة فى هذه الحال حتى يخاطر فيها بالنفس . وأين أمر الإنسان أن يتقوت بحشيش ومن فعل هذا من السلف وكان هؤلاء القوم يحزمون على الله سبحانه هل يرزقهم فى البادية . ومن طلب الطعام فى البرية فقد طلب مالم تجر به العادة الا ترى ، أن قوم موسى عليه السلام لما سألوا من بقلها وقناتها وفولها وعدسها وبصلها أوحى الله إلى موسى (أن اهبطوا مصر) وذلك لأن الذى طلبوه فى الأمصار فهو لاه القوم على غاية الخطأ فى مخالفة الشرع والعقل والعمل بموافقات النفس . أخبرنا محمد بن ناصر نا المبارك بن عبد الجبار نا عبد العزيز بن على الأزجى

نا إبراهيم بن محمد بن جعفر الساجي نا أبو بكر عبد العزيز بن جعفر ثنا أبو بكر
احمد بن محمد الخلال نا الحسن بن احمد الكرماني ثنا أبو بكر ثنا شبابة ثنا
ورقاء عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس . قال كان أهل اليمن
يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيحجون فيأتون إلى مكة
فيسألون الناس فأنزل الله عز وجل (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى) .
أخبرنا أبو المعمر الانصاري نا يحيى بن عبد الوهاب بن منده نا أبو طاهر
محمد بن احمد بن عبد الرحيم نا محمد بن حسان نا أبو بكر احمد بن هارون
المردنجي ثنا عبد الله بن الأزهر ثنا أسباط نا محمد بن موسى الجرجاني قال
سألت محمد بن كثير الصنعاني عن الزهاد الذين لا يتزودون ولا ينتعلون ولا
يلبسون الخفاف . فقال سألتني عن أولاد الشياطين ولم تسألني عن الزهاد .
فقلت له . فأى شيء الزهد : قال التمسك بالسنة والتشبيه بأصحاب النبي ﷺ . أخبرنا
محمد بن ناصر نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا عبد العزيز بن علي الأزجي نا إبراهيم
ابن محمد الساجي نا أبو بكر عبد العزيز بن جعفر نا أبو بكر احمد بن محمد الخلال
نا احمد بن الحسين بن حسان . أن أبا عبد الله احمد بن حنبل سئل عن الرجل
يريد المفازة بغير زاد فأنكره إنكاراً شديداً وقال أف أف لا لا ومد بها
صوته إلا بزاد ورفقاء قافلة . قال الخلال : وقال أبو بكر المروزي وجاء
رجل إلى أبي عبد الله فقال رجل يريد سفرأ إما أحب إليك يحمل معه زاداً
أو يتوكل . فقال له أبو عبد الله . يحمل معه زاداً ويتوكل حتى لا يتشرف
للناس قال الخلال : وأخبرني إبراهيم بن الخليل أن احمد بن نصر حدثهم
أن رجلاً سأل أبا عبد الله أيخرج الرجل إلى مكة متوكلاً لا يحمل معه شيئاً
قال لا يعجبني فمن أين يأكل قال فيتوكل فيعطيه الناس قال فإذا لم يعطوه اليس
يتشرف لهم حتى يعطوه لا يعجبني هذا . لم يبلغني أن أحداً من أصحاب النبي
ﷺ والتابعين فعل هذا . قال الخلال . وأخبرنا محمد بن علي السمسار نا
محمد بن موسى بن مسيس حدثهم أن أبا عبد الله سأل رجل فقال أحج
بلا زاد فقال لا . اعمل واحترف وأخرج النبي ﷺ زود أصحابه (١) فقال :

(١) قوله وأخرج النبي الخ هذه الجملة غير موجودة في بعض النسخ ولعلها حشو

فهؤلاء الذين يعرفون ويحجون بلازادهم على الخطأ. قال نعم هم على الخطأ. قال الخلال وأخبرني محمد بن أحمد بن جامع الرازي قال سمعت الحسين الرازي قال شهدت أحمد بن حنبل وجاءه رجب من أهل خراسان فقال له يا أبا عبد الله معي درهم أحج بهذا الدرهم. فقال له أحمد اذهب إلى باب الكرخ فاشتر بهذا الدرهم حباً واحمل على رأسك حتى يصير عندك ثلثمائة درهم فحج. قال يا أبا عبد الله أما ترى مكاسب الناس قال أحمد لا تنظر إلى هذا فإنه من رغب في هذا يريد أن يفسد على الناس معاشهم قال يا أبا عبد الله أنا متوكل قال فتدخل البادية وحدك أو مع الناس قال لا مع الناس قال كذبت إذن لست بمتوكل فادخل وحدك والافأنت متوكل على جراب الناس.

﴿سياق ما جرى للصوفية في أسفارهم وسياحاتهم﴾

(من الأفعال المخالفة للشرع)

أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أبو بكر أحمد بن علي ابن ثابت نا محمد بن عبد الباقي نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا أحمد ابن محمد بن منقسم ثنى أبو بدر الخياط الصوفي قال سمعت أبا حمزة يقول : سافرت سفرة على التوكل فيبينما أنا أسير ذات ليلة والنوم في عيني إذ وقعت في بئر فرأيتني قد حصلت فيها فلم أقدر على الخروج لبعدي مرتقاها فجلست فيها فيبينما أنا جالس إذ وقف على رأس البئر رجلان فقال أحدهما لصاحبه نجوز ونترك هذه البئر في طريق المسلمين السابلة والمارة ، فقال الآخر : فما نصنع قال : فبدرت نفسي أن أناديهم فناديت تتوكل علينا وتشكو بلاءنا إلى سوانا . فسكت ففضيا ثم رجعا ومعهما شيء فجعلاه على رأسها غطوها به . فقالت لي نفسي أمنت طمها ولكن حصلت فيها مسجوناً . فشككت يومئ وليتي فلما كان الغد ناداني شيء يهتف بي ولا أراه تمسك بي شديداً فسددت يدي فوقع على شيء خشن فتمسكت به فجعلها وطرحني فوق الأرض فاذا هو سبع فلما رأيته لحق نفسي من ذلك ما يلحق من مثله فهتفت بي هاتف وهو يقول : يا أبا حمزة استنقذناك من البلاء بالبلاء وكفيناك ما تخاف بما تخاف . أخبرنا محمد بن ناصر نا محمد بن أبي نصر الحميدي نا أبو بكر محمد ابن أحمد الأرديستاني ثنا أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت محمد بن حسن

المحرى سمعت ابن المالكي يقول : قال أبو حمزة الخراساني حججت سنة من
السنين فيينا أنا أمشي في الطريق وقعت في بئر فنازعتني نفسي ان أستغيث
فقلت لا والله لا أستغيث فما أتممت هذا الخطر حتى مر برأس البئر رجلان
فقال أحدهما للآخر تعال نسد رأس هذا البئر في هذا الطريق فأتوا يقصب
وبارية فهممتم فقلت إلى من هو أقرب إليك منهما وسكت حتى طموا
رأس البئر فإذا بشيء قد جاء فكشف عن رأس البئر ودلى رجله وكان
يقول في همهمة له تعلق بي فتعلقت به فأخرجني فنظرت فإذا هو سبيع
فهتف بي هاتف وهو يقول يا أبا حمزة أليس ذا حسن نجيناك من التلف
بالتلف . أخبرنا أبو منصور القزاز نا أحمد بن علي بن ثابت نا أبو القاسم
رضوان بن محمد بن الحسن الدينوري قال سمعت أحمد بن محمد بن محمد بن
عبد الله النيسابوري يقول : سمعت أبا عبد الله محمد بن نعيم يحكي عن أبي
حمزة الصوفي الدمشقي أنه لما خرج من البئر أنشد يقول :
نهائى حياتى منك أن أكشف الهوى فأغنيتنى بالقرب منك عن الكشف
ترأيت لى بالغيب حتى كائننى تبشرنى بالغيب إنك فى الكف
أراك وى من هيبى لك وحشة وتؤنسنى بالعطف منك وباللطف
وتحيى محباً أنت فى الحب حتفه وذا عجب كون الحياة مع الحف
قال المصنف رحمه الله قلت : اختلفوا فى أبى حمزة هذا الواقع فى البئر
فقال أبو عبد الرحمن السلى : هو أبو حمزة الخراساني وكان من أقران
الجنيد . وقد ذكرنا فى رواية أخرى أنه دمشقي . وقال أبو نعيم الحافظ :
هو أبو حمزة البغدادى واسمه محمد بن إبراهيم وذكره الخطيب فى تاريخه
وذكر له هذه الحكاية ، وأهمهم كان فهو مخطيء فى فعله مخالف للشرع بسكوته
معين بصمته على نفسه وقد كان يجب عليه أن يصيح ويمنع من طم البئر كما
يجب عليه أن يدفع عن نفسه من يقصد قتله . وقوله لا أستغيث كقول
القائل : لا آكل الطعام ولا أشرب الماء وهذا جهل من فاعله وبخالفه الحكمة
فى وضع الدنيا فان الله تعالى وضع الأشياء على حكمة فوضع للآدمى يداً
يدافع بها . ولساناً ينطق به وعقلاً يهديه إلى دفع المضار واجتلاب المصالح
وجعل الأغذية والأدوية لمصلحة الآدميين فمن أعرض عن استعمال ما خلق له

وأرشد إليه فقد رفض أمر الشرع وعطل حكمة الصانع . فإن قال جاهل فكيف احترز مع أمر القدر قلنا وكيف لا يحترز مع أمر المقدور وقد قال الله تعالى « خذوا حذركم » وقد اختفى النبي ﷺ في الغار وقال لسراقة « اخف عنا واستأجر دليلاً إلى المدينة » . ولم يقل اخرج على التوكل وما زال يبدنه مع الأسباب وبقلبه مع المسبب . وقد أحكمنا هذا الأصل فيما تقدم . وقول أبي حمزة فنوديت من ياطني هذا من حديث النفس الجاهلة التي قد استقر عندها بالجهل أن التوكل ترك التمسك بالأسباب لأن الشرع لا يطلب من الإنسان ما نهاه عنه وهلا نافر به باطنه في مديده وتعليقه بذلك المتدلى اليه وتمسكه به فإن ذلك أيضاً نقض لما ادعاه من ترك الأسباب الذي يسميه التوكل لأنه أي فرق بين قوله أنا في البئر وبين تمسكه بما تدلى عليه لا بل هذا أكد لأن الفعل أكد من القول فهلا سكنت حتى يحمل بلا سبب . فإن قال : هذا بعثه الله لي . قلنا : والذي جار على البئر من بعثه واللسان المستغيث من خلقه فإنه لو استغاث كان مستعملاً للأسباب التي خلقها الله تعالى لينتفع بها للدفع عنه فلم يستمعها وإنما بسكوته عطل الأسباب التي خلقها الله تعالى له ودفع الحكمة فصح لومه على ترك السبب . وأما تخليصه بالأسد فإن صح هذا فقد يتفق مثله ثم لا ينكر أن الله تعالى ياطف بعبده وإنما ينكر فعله المخالف للشرع .

أخبرنا أبو منصور القزازنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ثنا عبد العزيز ابن أبي الحسن قال سمعت علي بن عبد الله بن جهم المكي يقول . ثنا الخلدی قال : قال الجنيد قال لي محمد السمين : كنت في طريق السكوفة بقرب الصحراء التي بين قباء والصخرة التي تفريقنا منها والطريق منقطع فرأيت على الطريق جملاً قد سقط ومات وعليه سبعة أو ثمانية من السباع تنهش لحمه يحمل بعضها على بعض فلما أن رأيتهم كأن نفسي اضطربت وكانوا على قارعة الطريق . فقالت لي نفسي تمل يمينا أو شمالا فأبيت عليها إلا أن آخذ على قارعة الطريق تخملتها على أن مشيت حتى وقفت عليهم بالقرب منهم كأحدهم ثم رجعت إلى نفسي لا أنظر كيف فإذا هي الروع معي قائم فأبيت أن أبرح وهذه صفتي فقعدت بينهم ثم نظرت بعد قعودي فإذا الروع معي فأبيت أن أبرح وهذه صفتي

فوضعت جنبي فذمت مضطجعا فتغاشاني النوم فذمت وأنا على تلك الهيئة والسباع في المكان الذي كانوا عليه فضى بي وقت وأنا نائم فاستيقظت فإذا السباع قد تفرقت ولم يبق منها شيء وإذا الذي كنت أجد قد زال فذمت وأنا على تلك الهيئة فانصرفت .

قال المصنف رحمه الله قلت . فهذا الرجل قد خالف الشرع في تعرضه للسباع ولا يحل لأحد أن يتعرض لسبع أو لحيّة بل يجب عليه أن يفر بما يؤذيه أو يهلكه . وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال « إذا وقع الطاعون وأنت بأرض فلا تقدموا عليه » وقال ﷺ « فرّ من المجذوم فرارك من الأسد » ومر عليه الصلاة والسلام بحائط مائل فأسرع . وهذا الرجل قد أراد من طبعه أن لا ينزعج . وهذا شيء ما سلم منه موسى عليه السلام فإنه لما رأى الحية خاف وولى مدبراً . قال صح ما ذكره وهو بعيد الصحة لأن طباع الآدميين تتساوى . فن قال لا أخاف السبع بطبعي كذبناه كما لو قال أنا لا أشتهي النظر إلى المستحسن . وكأنه قهر نفسه حتى نام بينهم استسلاماً للهلاك لظنه أن هذا هو التوكل . وهذا خطأ لأنه لو كان هذا هو التوكل ما نهى عن مقاربة ما يخاف شره . ولعل السباع اشتغلت عنه وشبعت من الجمل والسبع إذا شبع لا يفترس . ولقد كان أبو تراب النخشي من كبار القوم فلقبته السباع البرية فنهشته فأت . ثم لا ينكر أن يكون الله تعالى لطف به ونجاه بحسن ظنه فيه غير أنا نبين خطأ فعله للعلامة الذي إذا سمع هذه الحكاية ظن أنها عزيمة عظيمة ويقين قوى وربما فضل حاله على حالة موسى عليه السلام إذ هرب من الحية . وعلى حالة نبينا ﷺ إذ مر بجدار مائل فهرول . وعلى لبسه ﷺ الدرع في غزواته كلها وقت الحرب حتى قال عليه الصلاة والسلام في غزوة الخندق « ليس لنبي أن يلبس لامة حربه ثم ينزعها من غير قتال » وعلى حالة أبي بكر رضي الله عنه إذ سد خروقه الغار اتقاء ذى الحيات : وهيئات أن تعلو مرتبة هذا المخالف للشرع على مرتبة النبيين والصدّيقين بما يخال له ظنه الفاسد من أن هذا الفعل هو التوكل . وقد أخبرنا عنه أبو منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب نا إسماعيل بن أحمد الجبّري ثنا محمد بن الحسين السلمي قال سمعت محمد بن الحسين البغدادي

يقول سمعت محمد بن عبد الله الفرغاني قال سمعت مؤملاً المغابي يقول . كنت أصحب محمد بن السمين فسافرت معه ما بين تكريت والموصل فبينما نحن في بركة نسير إذ زار السبع من قريب منا فجذعت وتغيرت وظهر ذلك على وجهي وهممت أن أبادر فأفر فضبطني وقال يا مؤمل التوكل ههنا ليس في المسجد الجامع .

قال المصنف رحمه الله : قلت لا أشك في أن التوكل يظهر أثره في المتوكل عند الشدائد . ولكن ليس من شروطه الاستسلام للسبع فإنه لا يجوز . أخبرنا عمر بن ظفر نا ابن السراج نا عبد العزيز بن علي الأزجي نا ابن جهم ثنا إبراهيم بن أحمد بن علي العطار . قال له الخواص : حدثني بعض المشايخ أنه قيل لعلي الرازي . مالنا لا نراك مع أبي طالب الجرجاني . قال : خرجنا في سياحة فزمنا في موضع فيه سباع فلما نظر إليّ رأاني لم أتم طردني . وقال : لا تصحبني بعد هذا اليوم .

قال المصنف رحمه الله : لقد تعدى هذا الرجل إذ أزداد من صاحبه أن يغير ما طبع عليه وليس ذلك في قدرته ولا في وسعه . ولا يطالبه بمثله الشرع وما قدر على هذه الحالة موسى عليه السلام حين هرب من الحية فهذا كله مبناه على الجهل .

أخبرنا ابن ظفر نا ابن السراج نا الأزجي ثنا ابن جهم . قال سمعت الخلدی يقول : سمعت إبراهيم الخواص يقول . سمعت حسناً أخا سنان يقول : كنت أسلك طريق مكة فتدخل في رجل في الشوكة فيمنعني ما أعتقد من التوكل أن أخرجها من رجل فأدلك رجلي على الأرض وامشي .

أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن أحمد أنبأنا أبو علي الحسن بن محمد بن الفضل الكرماني نا سهل بن علي الحساب نا عبد الله بن علي السراج قال سمعت أحمد ابن علي الوجدی يقول : حج الدينوري اثنتي عشرة حجة حافياً مكشوف الرأس وكان إذا دخل في رجله شوك يمسح رجله في الأرض ويمشي ولا يتطأ إلى الأرض من صحة توكله .

قال المصنف رحمه الله . قلت : انظروا إلى ما يهنع الجهل بأهله وليس

من طاعة الله تعالى أن يقطع الإنسان تلك البادية حافياً لأنه يؤذى نفسه غاية الأذى . ولا مكشوف الرأس وأى قرينة تحصل بهذا ولولا وجوب كشف الرأس في مدة الإحرام لم يكن لمكشفه معنى . فمن ذا الذى أمره ألا يخرج الشوك من رجله وأى طاعة تقع بهذا ولو أن رجله انتفخت بما يبقى فيها من الشوك وهلك كان قد أعان على نفسه وهل ذلك الرجل بالأرض إلا دفع بعض شر الشوك فهلا دفع الباقي بالإخراج . وأين التوكل من هذه الأفعال المخالفة للعقل والشرع لأنهما يقضيان بحلب المنافع للنفس ودفع المضار عنها . ولذلك أجاز الشرع لمن أدركه ضرر في إحرامه أن يخرق حرمة الإحرام ويلبس ويغطفى رأسه ويفدى . ولقد سمعت أبا عبيد يقول : انى لآتين عقل الرجل بأن يدع الشمس ويمشى في الظل .

أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب ثنا عبد العزيز بن أبى الحسن القرميسينى قال سمعت على بن عبد الله بن جهم قال سمعت أبا بكر الرقى يقول حدثنى أبو بكر الدقاق قال : خرجت في وسط السنة الى مكة وأنا حدث السن في وسطى نصف جل وعلى كتفى نصف جل فرمدت عيني في الطريق وكنت أمسح دموعى بالجل فأقرح الجل الموضع فكان يخرج الدم مع الدموع فن شدة الإرادة وقوة سرورى بحالى لم أفرق بين الدموع والدم وذهبت عيني في تلك الحجة وكانت الشمس اذا أثرت في بدنى قبلت يدي ووضعتها على عيني سرور آمنى بالبلاد . أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا أحمد بن أحمد الحداد نا أبو نعيم الحافظ قال سمعت أبا الفضل أحمد بن أبى عمران يقول سمعت محمد بن داود الرقى يقول سمعت أبا بكر الدقاق يقول : كان سبب ذهاب بصري أنى خرجت في وسط السنة أريد مكة وفي وسطى نصف جل وعلى وسطى نصف جل فرمدت إحدى عيني فمسحت الدموع بالجل فقرح المكان وكانت الدموع والدم تسيلان من عيني . أخبرنا محمد بن أبى القاسم أنا أبو محمد التميمى أنا عبد الرحمن السلى قال سمعت أبا بكر الرازى يقول قلت لآنى بكر الدقاق . وكان بفرد عين ماسب ذهاب عينك قال كنت أدخل البادية على التوكل فجعلت على نفسى أن لا آكل لأهل المنازل شيئاً تورعاً فسالت إحدى عيني على خدى من الجوع .

قال المصنف رحمه الله . اذا سمع مبتدئ حالة هذا الرجل ظن ان هذه مجاهدات وقد جمعت هذه السفرة التي افنخر فيها فنونا من المعاصي والمخالفات منها خروجه في تنصيف السنة على الوحدة ، ومشيه بلا زاد ولا راحلة ، ولباسه الجلب ، ومسح عينيه به وظنه أن ذلك يقربه الى الله تعالى وإنما يتقرب الى الله تعالى بما أمر به وشرعه لا بما نهى وكف عنه ، فلو أن إنساناً قال أريد أن أضرب نفسي بعصا لأنها عصت أتقرب بذلك الى الله كان عاصياً . وسرور هذا الرجل بهذا خطأ قبيح لأنه إنما يفرح بالبلاء اذا كان بغير تسبب منه لنفسه فلو أن إنساناً كسر رجل نفسه ثم فرح بهذه المصيبة كان نهاية في الحماقة ثم تركه السؤال وقت الاضطراب وحمله على النفس في شدة المجاعة حتى سالت عينه ثم يسمى هذا تورعاً حماقات زهاد أكبرها الجهل والبعد عن العلم . وقد أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا محمد بن احمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا سليمان بن احمد ثنا محمد بن العباس بن أيوب الأصفهاني ثنا عبد الرحمن بن يوسف الرقي ثنا مطرف ابن مازن عن سفيان الثوري . قال : من جاع فلم يسأل حتى مات دخل النار . قال المصنف رحمه الله . فانظر الى كلام الفقهاء ما أحسنه . ووجهه ان الله تعالى قد جعل للجائع مكنة التسبب فاذا عدم الأسباب الظاهرة فله قدرة السؤال التي هي كسب مثله في تلك الحال فاذا تركه فقد فرط في حق نفسه التي هي وديعة عنده فاستحق العقاب . وقد روى لنا في ذهاب عين هذا الرجل ما هو أظرف مما ذكرنا فأخبرنا محمد بن عبد الباقي بن احمد ثنا محمد بن احمد الحداد ثنا أبو نعيم قال سمعت أبا احمد القلانسي يقول قال أبو علي الروزباري يحكي عن أبي بكر الدقاق قال : استصفت حياً من العرب فرأيت جارية حسناء فنظرت اليها فقلعت عيني التي نظرت بها اليها . وقلت مثلك من نظر الله .

قال المصنف رحمه الله قلت : فانظروا الى جهل هذا المسكين بالشرعية والبعد عنها لأنه ان كان نظر اليها عن غير تعمد فلا إثم عليه وان تعمد فقد أتى صغيرة قد كان يكفيه منها الندم . فضم اليها كبيرة وهي قلع عينه ولم يتب عنها لأنه اعتقد قلعها قرينة الى الله سبحانه ومن اعتقد المحذور قرينة فقد انتهى خطؤه الى الغاية ولعله سمع تلك الحكاية عن بعض بني اسرائيل انه نظر الى

امرأة فقلع عينه وتلك مع بعد صحتها ربما مجازت في شريعتهم . فأما شريعتنا فقد حرمت هذا ، وكان هؤلاء القوم ابتكروا شريعة سموها بالتصوف وتركوا شريعة نبيهم محمد ﷺ نعوذ بالله من تلبيس إبليس . وقد روى عن بعض عابدات الصوفية مثل هذا . أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامري نا أبو سعد بن أبي صادق نا ابن باكويه قال أخبرني أبو الحسن علي بن أحمد البصري غلام شعوانة قال أخبرني شعوانة انه كان في جيرانها امرأة صالحة فخرجت ذات يوم الى السوق قرأها بعض الناس فافتتن بها وتبعها الى باب دارها . فقالت له المرأة أى شيء تريد منى قال فتننت بك فقالت : ما الذى استحسنت منى قال عيناك . فدخلت الى دارها فقلعت عينها وخرجت الى خلف الباب ورمت بها اليه وقالت له خذهما فلا بارك الله فيك .

قال المصنف رحمه الله . فانظروا اخواني كيف يتلاعب إبليس بالجهلة فان ذلك الرجل أتى صغيرة بالنظر وأتت هى بكبيرة ثم ظنت انها فعلت طاعة وكان ينبغى أنها لا تكلم رجلاً أجنبياً . وقد وجد من القوم ضد هذا كما روى عن ذى النون المصرى وغيره انه قال لقيت امرأة فى البرية فقلت لها وقالت لى وهذا لا يحل له . وقد أنكرت عليه امرأة متيقظة . فأخبرنا عبد الملك بن عبد الله الطروحي نا محمد بن علي بن عمر نا أبو الفضل محمد بن محمد العامي نا أبو سعيد محمد بن أحمد بن يوسف ثنى سكر ثنى محمد بن يعقوب العرجي قال سمعت ذى النون يقول : رأيت امرأة بنحو أرض البجة فناديتها فقالت وما للرجال أن يكلموا النساء لولا نقص عقلك لميتك بشيء . أخبرنا عبد الرحمن بن محمد نا أحمد بن علي بن ثابت ثنى عبد العزيز الأزجي ثنى علي ابن عبد الله الهمداني ثنى علي بن اسماعيل الطلائى محمد بن الهيثم قال قال لى أبو جعفر الحداد . دخلت البادية بعض السنين على التوكل فبقيت سبعة عشر يوماً لا آكل فيها شيئاً وضعفت عن المشى فبقيت أياماً آخر لم أذق فيها شيئاً فسقطت على وجهى وغشى علىّ وغلب علىّ من القمل شيء ما رأيت مثله ولا سمعت به فينبأ أنا كذلك اذ مر بي ركب فرأوني على تلك الحالة فنزل أحدهم عن راحلته فخلق رأسى ولحيتى وشق ثوبى وتركنى فى الرمضاء وسار

فمررت بركب آخر فحملوني الى حبيهم وأنا مغلوب فطرحوني ناحية فجاءتني امرأة جلست على رأسي وصبت اللبن في حلقى ففتحت عيني قليلا وقلت لهم اقربوا مواضع منكم أين قالوا : جبل الشراة فحملوني الى الشراة .

قال المصنف رحمه الله قلت : لو يحكى أن رجلا من المجانين أنخل من السلسلة فأخذ سكيناً وجعل يشرح لحم نفسه ويقول أنا ما رأيت مثل هذا الجنون لصدق على هذا : وإلا فانظروا الى حال هذا المسكين وبما فعل بنفسه ثم يعتقد أن هذا قرينة نسأل الله العافية . أخبرنا احمد بن ناصر نا احمد بن علي بن خلف نا أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا بكر الدارقي يقول سمعت أبا الحسين الريحاني يقول سمعت ابراهيم الخواص يقول : رأيت شيخاً من أهل المعرفة عرج بعد سبعة عشر يوماً على سبب في البرية فنهأ شيخ كان معه فأبى أن يقبل فسقط ولم يرتفع عن حدود الأسباب . قلت هذا قد أراد أن يصبر عن القوت أكثر من هذا وليس الصبر الى هذا الحد وإن أطبق بفضيلة . أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا رزق الله بن عبد الوهاب نا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين . قال سمعت جدى اسماعيل بن نجيد يقول : دخل ابراهيم الهروي مع شبة (١) البرية . فقال يا شبة اطرح ما معك من العلائق قال فطرحتها كلها وأبقيت ديناراً فخطا خطوات ثم قال : اطرح كل ما معك لا تشغل سرى قال : فأخرجت الدينار ودفعته اليه فطرحه ثم خطا خطوات وقال اطرح ما معك . قلت ليس معي شيء . قال بعد سرى مشغل ثم ذكرت أن معي دستجة شسوع فقلت ليس معي إلا هذه . قال فأخذها فطرحها ثم قال امشى فشدنا فما احتججت الى شبع في البادية إلا وجدته مطروحاً بين يدي فقال لي كذا من عامل الله بالصدق .

قال المصنف رحمه الله قلت : كل هذه الأفعال خطأ ورمى المال حرام والعجب ممن يرمى ما يملكه ويأخذ ما لا يدري من أين هو وهل يحل له أخذه أم لا .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب أبو سعد بن أبي صادق نا ابن باكويه قال :

سمعت نصر بن أبي نصر العطار يقول سمعت علي بن محمد المصري قال سمعت أبا سعيد الخراز يقول : دخلت البادية مرة بغير زاد فاصابني فاقة فرأيت المرحلة من بعد فسررت بوصولي ثم فكرت في نفسي أني شكيت وأنني توكلت على غيره فأليت أن لا أدخل المرحلة إلا أن حملت إليها فحفرت لنفسي في الرمل حفرة وواريت جسدي فيها إلى صدرى فسمعت صوتا في نصف الليل عاليا يا أهل المرحلة إن الله ولياً حبيب نفسه في هذا الرمل فالحقوه فجاء جماعة فاخرجوني وحملوني إلى المرحلة .

قال المصنف رحمه الله قلت : لقد تنطع هذا الرجل على طبعه فأراد منه ما لم يوضع عليه لأن طبع ابن آدم أن يهش إلى ما يحب ولا لوم على العطشان إذا هش إلى الماء ولا على الجائع إذا هش إلى الطعام فكذلك كل من هش إلى محبوب له وقد كان النبي ﷺ : إذا قدم من سفر فلاحته له المدينة أسرع السير حباً للوطن . ولما خرج من مكة تلفت إليها شوقاً . وكان بلال يقول لعن الله عتبة وشيبة إذا أخرجونا من مكة ويقول .

ألا ليت شعري هل أبيت ليلة بواد وحولي إذخر وجليل فنعود بالله من الاقبال على العمل بغير مقتضى العلم والعقل . ثم حبسه نفسه عن صلاة الجماعة قبيح . وأى شيء في هذا من التقرب إلى الله سبحانه إنما هو محض جهل . أنبأنا ابن ناصر نا جعفر بن احمد السراج نا عبد العزيز نا علي بن أحمد ثنا أبو الحسن علي بن جهم ثنا بكر بن محمد . قال كنت عند أبي الخير النيسابوري فبسطني بمحادثته لي بذكر باديته إلى أن سأله عن سبب قطع يده . فقال يد جنت فقطعت . ثم اجتمعت به مع جماعة فسألوه عن ذلك . فقال : سافرت حتى بلغت اسنندرية فأقمت بها اثنتي عشرة سنة وكنت قد بنيت بها كوخاً فكنت أجيء إليه من ليل إلى ليل وأفطر على ما ينفضه المراطون وإذا حم الكلاب على قمامة السفز وآكل من البردى في الشتاء فنوديت في سرى يا أبا الخير تزعم أنك لا تشارك الخلق في أقواتهم وتشير إلى التبركل وأنت في وسط القوم جالس فقلت : إلهي وسدي وعزتك لا مددت يدي إلى شيء مما تنبته الأرض حتى تكون الموصل إلى رزقي

من حيث لا أكون فيه فأقمت اثني عشر يوماً أصلي الفرض وأتفعل ثم عجزت
عن النافلة فأقمت اثني عشر يوماً أصلي الفرض والسنة ثم عجزت عن السنة
فأقمت اثني عشر يوماً أصلي الفرض لا غير ثم عجزت عن القيام فأقمت اثني
عشر يوماً أصلي جالساً لا غير ثم عجزت عن الجلوس فرأيت ان طرحت
نفسى ذهب فرضى فلبأت إلى الله بسرى وقلت إلهى وسيدى افترضت على
فرضا تسألنى عنه وقسمت لى رزقاً وضمت لى فتفضل على برزقى ولا تؤاخذنى
بما عقدته معك فوعزتك لا اجتهدن ان لاحت عقداً عقدته معك فإذا بين
يدى قرصان بينهما شئ فكنت أجده على الدوام من الليل إلى الليل ثم طولبت
بالمسير إلى الثغر فسرت حتى دخلت الفرما فوجدت في الجامع قاصاً يذكر
قصة زكرياء والمنشأ وان الله تعالى أوحى إليه حين نشر فقال إن صعدت إلى
منك انه لأحزونك من ديوان النبوة فصبر حتى قطع شطرين . فقلت لقد كان
زكريا صباراً إلهى وسيدى لئن ابتليتني لأصبرن . وسرت حتى دخلت انطاكية
فرآنى بعض إخوانى وعلم أنى أريد الثغر فدفع إلى سيفاً وترساً وحرية فدخلت
الثغر وكنت حينئذ أحشم من الله تعالى أن أتوارى وراء السور خيفة من
العدو فجعلت مقامى في غابة أكون فيها بالنهار وأخرج بالليل إلى شاطئ البحر
فأغرز الحربة على الساحل وأسند الترس إليها محراباً وأتقلد سيفى وأصلى إلى
الغداة فإذا صليت الصبح غدوت إلى الغابة فكنت فيها نهارى اجمع فبدوت
في بعض الأيام ففشرت بشجرة فاستحسنتم ثم هاو نسيبت عقدى مع الله وقسمى به
إنى لا أمد يدي إلى شئ مما تنبت الأرض فددت يدي فأخذت بعض الثمرة
فبينما أنا امضغها ذكرت العقد فرميت بها من فى وجلست ويدي على رأسى
فدار بى فرسان وقالوا لى قم فأخرجونى إلى الساحل فإذا أمير وحوله خيل
ورجالة وبين يديه جماعة سودان كانوا يقطعون الطريق وقد أخذهم وافترقت
الحيل فى طلب من هرب منهم فوجدونى أسود معى سيف وترس وحرية
فلما قدمت إلى الأمير قال ايش أنت قلت عبد من عبيد الله فقال للسودان
تعرفونه قالوا لا ، قال : بلى هو رئيسكم وإنما تفدونهم بأنفسكم لأقطعن أيديكم
وأرجلكم فقد موهم ولم يزل يقدم رجلاً رجلاً ويقطع يده ورجله حتى انتهى
إلى فقال تقدم مديك فددتها فقطعت ثم قال مدرجلك فددتها ورفعت رأسى

إلى السماء وقالت إلهي وسيدى يدى جنت ورجلى ايش عملت فإذا بفارس قد وقف على الحلقة ورعى بنفسه إلى الأرض وصاح ايش تعملون تريدون أن تنطبق الخضراء على الغبراء . هذا رجل صالح يعرف بأبى الخير فرمى الأمير نفسه وأخذ يدى المقطوعة من الأرض وقبلها وتعلق بي يقبل صدرى ويبكى ويقول سألتك بالله أن تجعلنى فى حل . فقلت قد جعلتك فى حل من أول ما قطعتهما هذه يد قد جنت فقطعت .

قال المصنف رحمه الله : فانظروا رحمكم الله إلى عدم العلم كيف صنع بهذا الرجل وقد كان من أهل الخير ولو كان عنده علم لعلم أن ما فعله حرام عليه وليس لإبليس عون على العباد والزهاد أكثر من الجهل . أخبرنا أبو بكر ابن حبيب نا أبو سعيد بن أبى صادق نا ابن باكويه قال سمعت الحسين بن احمد الفارسي قال سمعت محمد بن داود الدينورى يقول سمعت ابن حديق يقول دخلنا المصيصة مع حاتم الأصم فعقد أنه لا يأكل فيها شيئاً الا حتى يفتح فيه ويوضع فيه والا ما ياكل فقال لأصحابه . تفرقوا وجلس فأقام تسعة أيام لا يأكل فيها شيئاً فلما كان فى اليوم العاشر جاء اليه إنسان فوضع بين يديه شيئاً يؤكل فقال كل فلم يجبه فقال له ثلاثاً فلم يجبه فقال هذا مجنون فأصلح لقمة وأشار بها إلى فيه فلم يفتح فيه ولم يتكلم فأخرج مفتاحاً كان معه فقال كل وفتح فيه بالمفتاح ودس اللقمة فى فيه فأكل ثم قال له إن أحببت أن ينفعك الله به فأطعم أولئك وأشار إلى أصحابه . أنبأنا محمد بن أبى طاهر نا على بن المحسن التنوخى عن أبيه ثنى محمد بن هلال بن عبد الله ثنى القاضى احمد بن سيار . قال حدثنى رجل من الصوفية قال صحبت شيخاً من الصوفية أنا وجماعة فى سفر فخرى حديث التوكل والأرزاق وضعف اليقين فيها وقوته فقال الشيخ وحلف على إيماناً عظيمة لاذقت ما كولا أو يبعث لى بجام فالودج حار لا آكله إلا بعد أن يحلف على . قال وكنا نمشى فى الصحراء فقالت له الجماعة الا أنك غير جاهد ومشى ومشينا فانهينا إلى قرية وقد مضى يوم وليلتان لم يطعم فيها شيء ففارقته الجماعة غيرى فطرح نفسه فى مسجد القرية مستسلماً للوثة ضعفاً . فأقمت عليه فلما كان فى ليلة اليوم الرابع وقد انطصف الليل وكاد الشيخ يتلف . إذا بباب المسجد قد فتح وإذا بجارية سوداء معها طبق

مغطى . فلما رأتنا قالت أتم غرباء أو من أهل القرية فقلت غرباء فكشفت
الطبق وإذا بجوامع فالودج يغور لحرارته فقدمت لنا الطبق وقالت كلوا فقلت له
كل فقال لا أفعل فرفعت الجارية يدها فصفعته صفقة عظيمة وقالت والله لن لم
تأكل لا صفعناك هكذا إلى أن تأكل ، فقال كل معي فأكلنا حتى فرغ الجام
وهمت الجارية بالانصراف فقلت للجارية ما خبرك وخبر هذا الجام ؟ فقلت
أنا جارية لرئيس هذه القرية ، وهو رجل حاد ، طلب منا منذ ساعة فالودج
فقمنا نصلحه له فطال الأمر عليه فاستعجنا فقلنا نعم ! فعاد فاستعجل فقلنا
نعم ، خلف بالطلاق لا أكله هو ولا أحد من هوداره ولا أحد من أهل القرية
ولا يأكله إلا رجل غريب ، فخرجنا نطلب في المساجد رجلاً غريباً فلم نجد
إلى أن انتهينا إليكم ولو لم يأكل هذا الشيخ لقتلته ضرباً إلى أن يأكل لسلا
تطلق سيدتي من زوجها ، قال : فقال الشيخ : كيف تراه إذا أراد أن يرزق .
قال المصنف رحمه الله : ربما سمع هذا جاهل فاعتقده كرامة وما فعله
الرجل من أقبح القبيح فانه يجرب على الله ويتألى عايه ويحمل على نفسه من
الجوع ما لا يجوز له وهذا لا يجوز له ولا ينكر أن يكون لطف به إلا أنه
فعل ضد الصواب وربما كان إنفاذ ذلك رديئاً لأنه يعتقد أنه قد أكرم وإن
ذلك منزلة . وكذلك حكاية حاتم التي قبلها فانها إن صحت دلت على جهل
بالعلم وفعل لما لا يجوز لأنه ظن أن التوكل إنما هو ترك التسبب فلو عمل
بمقتضى واقعه لم يضر الطعام ولم يبلعه فانه نسب وهل هذا إلا من تلاعب
إبليس بالجهال لقلة علمهم بالشرع ثم أى قرينة في هذا الفعل البارد وما أظن
غالبه إلا من المالخوليا . أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أحمد ابن علي
ابن المحسن قال حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الطبري قال : قال لي جعفر
الخلدي : وقفت بعرفة ستاً وخمسين وقفة منها إحدى وعشرون على المذهب .
فقلت لأبي إسحاق : وأى شيء أراد بقوله - على المذهب - فقال يصعد إلى
قنطرة الناشرية فينفض كفيه حتى يعلم أنه ليس معه زاد ولا ماء ويلى ويسبر .
قال المصنف رحمه الله : وهذا مخالف للشرع فان الله تعالى يقول :
« وتزودوا » ورسول الله ﷺ قد تزود ، ولا يمكن أن يقال إن هذا الآدمي
لا يحتاج إلى شيء في مدة أشهر فان احتاج ولم يتزود فعطب اثم وإن سأل

الناس أو تعرض لهم لم يف ذلك بدعوى التوكل وإن ادعى أنه يكرم ويرزق بلا سبب فنظره إلى أنه مستحق لذلك محنة ولو تبع أمر الشرع وحمل الزاد كان أصلح له على كل حال . وأنبأنا أبو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر قال : أخبرني أبي عن بعض الصوفية ، أنه قدم عليه من مكة جماعة من المتصوفة فقال لهم من صحبتكم فقالوا حاج اليمين فقال أوه التصوف قد صار إلى هذا أو التوكل قد ذهب . اتهم ما جئتم على الطريقة والتصوف وإنما جئتم من مائدة اليمين إلى مائدة الحرم ، ثم قال : وحق الأحباب والفتيان لقد كنا أربعة نفر مصطحبين في هذا الطريق نخرج إلى زيارة قبر النبي ﷺ على التجريد ونتعاهد ببئنا أن لا نلتفت إلى مخلوق ولا نستند إلى معلوم ، فجئنا إلى النبي ﷺ ومكثنا ثلاثة أيام لم يفتح لنا بشيء فخرجنا حتى بلغنا الجحفة ونزلنا وبجئنا نفر من الأعراب فبعثوا إلينا بسويق فأخذ بعضنا ينظر إلى بعض ويقول : لو كنا من أهل هذا الشأن لم يفتح لنا بشيء حتى ندخل الحرم فشر بناه على الماء وكان طعمانا حتى دخلنا مكة .

قلت : إسمعوا إخواني إلى توكل هؤلاء كيف منعهم من التزود المأمور به فأوجههم إلى أخذ صدقات الناس . ثم ظنهم أن ما فعلوه مرتبة جهل بمعرفة المراتب . ومن عجب ما بلغني عنهم في أسفارهم ما أخبرنا به محمد بن أبي القاسم البغدادى نا أبو محمد التيمي عن أبي عبد الرحمن السلى قال : بلغني أن أبا شعيب المقتفع وكان قد حج سبعين حجة راجلا أحرم في كل حجة بعمره وحجة من عند صخرة بيت المقدس ودخل بادية تبوك على التوكل فلما كان في حجته الأخيرة رأى كلباً في البادية يلهث عطشاً ، فقال : من يشتري حجة بشربة ماء ، قال : فدفع إليه إنسان شربة ماء فسقى الكلب ثم قال هذا خير لي من حجتي لأن النبي ﷺ قال : « في كل ذات كبد حراء أجر » . أخبرنا عبد الأول بن عيسى نا ابن أبي الكوفاني ثنا أبو محمد الحسن بن محمد بن موري الحبوساني نا أبو نصر عبد الله بن علي الطوسي المعروف بابن السراج قال : سمعت الوجهي يقول سمعت أبا علي الروزباري يقول : كان في البادية جماعة ومعنا أبو الحسين العطوف فرمما كانت تلحقنا القافلة ويظلم علينا الطريق وكان أبو الحسين يصعد تلا فيصيح صياح الذئب حتى تسمع كلاب الحي

فينبجون فيمر على بيوتهم ويحمل إلينا من عندهم معونة ، قلت : وإنما ذكرت مثل هذه الأشياء ليتزه العاقل في مبلغ علم هؤلاء وفهمهم للتوكل وغيره ويرى مخالفتهم لأوامر الشرع وليت شعري كيف يصنع من يخرج منهم ولا شيء معه بالوضوء والصلاة وإن تفرق ثوبه ولا إبرة معه فكيف يفعل . وقد كان بعض مشايخهم يأمر المسافر بأخذ العدة قبل السفر . فأخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب نا أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري قال : سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت أبا العباس البغدادى يقول : سمعت الفرغانى يقول : كان إبراهيم الخواص مجرداً في التوكل يدقق فيه وكان لا تفارقه إبرة وخيوط وركوة ومقراض فقيس له يا أبا إسحاق لم تجمع هذا وأنت تمنع من كل شيء ، فقال : مثل هذا لا ينقض التوكل لأن الله تعالى علينا فرائض والفقير لا يكون عليه إلا ثوب واحد فرجما يتفرق ثوبه وإن لم يكن معه إبرة وخيوط تبدو عورته فتفسد عليه صلاته وإن لم يكن معه ركوة تفسد عليه طهارته وإذا رأيت الفقير بلا ركوة ولا إبرة ولا خيوط فاتهمه في صلاته .

﴿ ذكر تلبس إبليس على الصوفية إذا قدموا من السفر ﴾

قال المصنف رحمه قلت : من مذهب القوم أن المسافر إذا قدم فدخل الرباط وفيه جماعة لم يسلم عليهم حتى يدخل الميضة فإذا توضع جاء وصلى ركعتين ثم سلم على الشيخ ثم سلم على الجماعة وهذا ما ابتدعه متأخروهم على خلاف الشريعة لأن فقهاء الإسلام أجمعوا على أن من دخل على قوم سن له أن يسلم عليهم سواء كان على طهارة أو لم يكن إلا أن يكونوا أخذوا هذا من مذهب الأطفال فإنه إذا قيل للأطفال لم لا تسلم علينا قال ما غسلت وجهي بعد أول عمل الأطفال علموه من هؤلاء المتبذعين . أخبرنا ابن الحصين نا أبو علي بن المذهب نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن أحمد ثنا أبي ثنا عبد الرزاق ثنا معمر بن همام بن منبه ثنا أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ليسم الصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير . أخرجاه في الصحيحين ومن مذهب القوم تخمين القادم من السفر مساء . أبا نا أبو زرعة طاهر بن محمد عن أبيه . قال باب السنة في تخمينهم القادم من السفر أول ليلة

لتعبه واحتج بحديث عمر رضي الله عنه دخلت على النبي ﷺ وغلّام له حبشي يغمز ظهره فقلت ما شأنك يا رسول الله قال إن الناقة قد اقتحمتني .

قال المصنف رحمه الله : أنظروا إخواني إلى فقه هذا المحتج فانه كان ينبغي أن يقول باب السنة في تمييز من رمت به ناقته ، وتكون السنة تمييز الظهر لا القدم ومن أين له انه كان في سفر وانه غمز أول ليلة ثم يجعل تمييز النبي ﷺ كما اتفق لأجل ألم ظهره سنة لقد كان ترك استخراج هذا الفقه الدقيق أحسن من ذكره ، ومن مذهبهم عمل دعوة للقادم . قال ابن طاهر : باب اتخاذهم العتيرة (١) للقادم واحتج بحديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ سافر سفرأ فنذرت جارية من قريش إن الله تعالى رده أن تضرب في بيت عائشة رضي الله عنها بدف فلما رجع فقال النبي ﷺ إن كنت نذرت فاضربي .

قال المصنف رحمه الله : قد بينا أن الدف مباح ولما نذرت هذه المرأة مباحاً أمرها أن تني فكيف يحتج بهذا على الغناء والرقص عند قدوم المسافر .

(ذكر تلبيس إبليس على الصوفية اذا مات لهم ميت)

له في ذلك تلبيسان الأول . أنهم يقولون لا يبكي على هالك ومن بكى على هالك خرج عن طريق أهل المعارف قال ابن عقيل . وهذه دعوى تزيد على الشرع فهي حديث خرافة وتخرج عن العادات والطباع فهي انحراف عن المزاج المعتدل فينبغي أن يطالب لها بالعلاج بالأدوية المعدلة للمزاج فان الله تعالى أخبر عن نبي كريم فقال : (وايبضت عيناه من الحزن فهو كظيم) وقال : (يا أسفى على يوسف) . وبكى رسول الله ﷺ عند موت ولده وقال : إن العين لتدمع ، وقال « واكرباه » وقالت فاطمة رضي الله عنها واكرب أبتاه فلم ينكر وسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه متمماً يندب أخاه ويقول :

وكنا كندمانى جزية حقية من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فقال عمر رضي الله عنه ليتني كنت أقول الشعر فأندب أخى زيدا فقال متمم لو مات أخى كما مات أخوك مارثيته ، وكان مالك مات على الكفر وزيد

(١) العتيرة بوزن الذبيحة شاة وكانت الجاهلية تذبح للانصام فيصب دمها

على رأسها نهى الشرع عن ذلك ففقه تشبيهه بالمشركين أيضا

قتل شهيداً فقال عمر: ما عزاني أحد في أخى كمثل تعزيتك، ثم لا تزال الإبل الغليظة الأكباد تحن الى ما ألفها من الأعطان والأشخاص وترغوا للفصلان وحمام الطير ترجع. وكل مأخوذ من البلاء فلا بد أن يتضرع ومن لم تحركه المسار والمطربات وتزعجه المخزيات فهو الى الجماد به أقرب. وقد أبان النبي عليه الصلاة والسلام عن العيب في الخروج عن سمت الطبع فقال للذي قال: لم أقبل أحداً من ولدي - وكان له عشرة من الولد - فقال: «أو أملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك»، وجعل يلتفت الى مكة لما خرج فالمطالب لما يخرج عن الشرائع وينبو عن الطباع جاهل يطالب بجهل. وقد قنع الشرع منا أن لا نلطم خدأ ولا نشق جيباً فاما دمة سائلة وقلب حزين فلا عيب في ذلك. التلبس الثاني: انهم يعملون عند موت الميت دعوة ويسمونها عرساً ويغنون فيها ويرقصون ويلعبون ويقولون نفرح للميت إذ وصل الى ربه، والتلبس في هذا عليهم من ثلاثة أوجه أحدها ان المسنون أن يتخذ لأهل الميت طعام لا يشغلهم بالمصيبة عن اعداد الطعام لأنفسهم وليس من السنة أن يتخذ أهل الميت ويطعمونه الى غيرهم والأصل في اتخاذ الطعام لأجل الميت. ما أخبرنا به أبو الفتح الكروخي نا أبو عامر الأزدي وأبو بكر العورجي قال أخبرنا الجراحي ثنا المحبوبي ثنا الترمذي ثنا احمد بن منيع وعلى بن حجر قال حدثنا سفيان بن عيينة عن جعفر بن خالد عن أبيه عن عبد الله بن جعفر قال: لما جاء نعي جعفر فقال النبي ﷺ «اصنعوا لآل جعفر طعاماً فإنه قد جاءهم مـ خـلهم» قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح. والثاني انهم يهرحون للميت ويقولون وصل الى ربه ولا وجه للفرح لأننا لا نتيقن انه غفر له وما يؤمننا أن نفرح له وهو في المعذبين. وقد قال عمر بن زر لما مات ابنه لقد شغلني الحزن لك عن الحزن عليك. أخبرنا عبد الأول نا ابن المظفر نا ابن عيينة ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا أبو اليمان نا شعيب عن الزهري ثني خارجة بن زيد الانصاري عن أم العلاء قالت: لما مات عثمان بن مظعون دخل علينا رسول الله ﷺ فقلت رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله فقال النبي ﷺ: «وما يدريك ان الله أكرمته». والثالث انهم يرقصون ويلعبون

في تلك الدعوة فيخرجون بهذا عن الطباع السليمة التي يؤثرونها الفراق . ثم ان كان ميتهم قد غفر له فما الرقص واللعب بشكرهم وان كان معذباً فأين أثر الحزن .

﴿ ذكر تلبس إبليس على الصوفية في ترك التشاغل بالعلم ﴾

قال المصنف رحمه الله : اعلم أن أول تلبس إبليس على الناس صدهم عن العلم لأن العلم نور فاذا أطفأ مصابيحهم خبطهم في الظلم كيف شاء . وقد دخل على الصوفية في هذا الفن من أبواب . أحدها انه منع جمهورهم من العلم أصلاً وأراهم انه يحتاج الى تعب وكلف فحسن عندهم الراحة فلبسوا المراقع وجلسوا على بساط البطالة . أخبرنا اسماعيل بن احمد السمرقندي نا حمد بن احمد الحداد نا أبو نعيم الأصفهاني نا أبو حامد بن حيان نا أبو الحسن البغدادي نا ابن صاعد قال سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول : أسس التصوف على الكسل . وبيان ما قاله الشافعي ان مقصود النفس اما الولايات وأما استجلاب الدنيا بالعلوم يطول ويتعب البدن وهل يحصل المقصود أو لا يحصل . والصوفية قد تعجلوا الولايات فانهم يرون بعين الزهد . واستجلاب الدنيا فانها اليهم سريرة . أخبرنا عبد الحق نا المبارك بن عبد الجبار نا أبو الفرج الطنجيري نا أبو حفص بن شاهين قال . ومن الصوفية من ذم العلماء ورأى ان الاشتغال بالعلم بطله وقالوا ان علو منابلا واسطة وانما رأوا بعد الطريق في طلب العلم فقصروا الثياب ورقعوا الجباب وحلوا الركاء وأظهروا الزهد .

والثاني انه قنع قوم منهم باليسير منه ففاتهم الفضل الكثير في كثرة فافتنعوا بأطراف الأحاديث وأوهمهم أن علو الاسناد والجلوس للحديث كله رياسة ودنيا وان للنفس في ذلك لذة . وكشف هذا التلبس انه ما من مقام عال الا وله فضيلة وفيه مخاطرة فان الامارة والقضاء والفتوى كله مخاطرة وللنفس فيه لذة ولكن فضيلة عظيمة كالشوك في جوار الورد فينبغي أن تطلب الفضائل ويتق ما في ضمنها من الآفات . فأما ما في الطبع من حب الرياسة فانه إنما وضع لتجلب هذه الفضيلة كما وضع حب النكاح ليحصل الولد وبالعالم يتقوم قصد العالم كما قال يزيد بن هرون . طلينا العلم لغير الله فأى الا أن يكون لله . ومعناه انه دلنا على الاخلاص ومن طالب نفسه بقطع ما في طبعه لم يتمكنه . والثالث انه أوهم قوماً منهم ان المقصود العمل وما

فهموا أن التشاغل بالعلم من أوفى الأعمال ثم إن العالم وإن قصر سير عمله فإنه على الجادة والعابد بغير علم على غير الطريق . والرابع أنه أرى خلقاً كثيراً منهم أن العالم ما اكتسب من البواطن حتى إن أحدهم يتخايل له وسوسة فيقول حدثني قلبي عن ربي . وكان الشبلي يقول :

إذا طالبوني بعلم الورق برزت عليهم بعلم الخرق

وقد سموا علم الشريعة علم الظاهر وسموا هواجس النفوس العلم الباطن واحتجوا له بما أخبرنا به عبدالحق بن عبد الخالق نا الحسين بن علي الطنাজيري نا أبو حفص بن شاهين ثنا علي بن محمد بن جعفر بن أحمد بن عنبسة العسكري ثني دارم بن قبيصة بن بهشل الصنعاني قال سمعت يحيى بن الحسين بن زيد بن علي قال سمعت يحيى بن عبد الله بن حسين عن يحيى بن زيد بن علي عن أبيه عن جده عن الحسن بن علي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عن النبي ﷺ أنه قال « علم الباطن سر من سر الله عز وجل وحكم من أحكام الله تعالى يقذفه الله عز وجل في قلوب من يشاء من أوليائه » .

قال المصنف رحمه الله قلت : وهذا حديث لا أصل له عن النبي ﷺ . وفي إسناده مجاهيل لا يعرفون . أنبأنا محمد بن ناصر نا أبو الفضل محمد بن علي السهاسكي نا أبو علي عبد الله بن إبراهيم النيسابوري ثنا أبو الحسن علي ابن عبد الله بن جهضم ثنا أبو الفتح أحمد بن الحسن ثنا علي بن جعفر عن أبي موسى قال : كان في ناحية أبي يزيد رجل فقيه عالم تلك الناحية فقصد أبا يزيد وقال له قد حكى لي عنك عجائب . فقال أبو يزيد . وما لم تسمع من عجائبي أكثر . فقال له عليك هذا يا أبا يزيد عن من ومن أين ومن من . فقال أبو يزيد علي من عطاء الله تعالى . ومن حيث قال ﷺ « من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم » ومن حيث قال ﷺ « العلم علمان علم ظاهر وهو حجة الله تعالى على خلقه وعلم باطن وهو العلم النافع » وعليك يا شيخ نقل من لسان عن لسان التعليم وعلي من الله إلهام من عنده . فقال له الشيخ علي عن الثقات عن رسول الله ﷺ عن جبريل عن ربه عز وجل . فقال

له أبو يزيد . يا شيخ كان للنبي ﷺ علم عن الله لم يطلع عليه جبريل ولا ميكائيل قال نعم : ولكن أريد أن يصح لي علمك الذي تقول هو من عند الله ، قال : نعم أئبته لك قدر ما يستقر في قلبك معرفته . ثم قال : يا شيخ علمت أن الله تعالى كلم موسى تسليماً وكلم محمداً ﷺ ورآه كفاحاً . وإن حلم الأنبياء وحى . قال نعم قال أما علمت أن كلام الصديقين والأولياء بالإلهام منه وفوائده من قلوبهم حتى أنطقهم بالحكمة ونفع بهم الأمة : وما يؤكد ما قلت ما ألهم الله تعالى أم موسى أن تلقى موسى في التابوت فألقته وألهم الخضر في السفينة والغلام والحائط قوله موسى (وما فعلته عن أمري) وكما قال أبو بكر لعائشة رضي الله عنهما : إن ابنة خاتمة بنت : وألهم عمر رضي الله عنه فتأدى ياسارية الجبل . أنبأنا ابن ناصر أنبأنا أبو الفضل السهلي قال سمعت أبا عبد الله الشيرازي يقول سمعت يوسف بن الحسين يقول سمعت إبراهيم سبتي يقول حضرت مجلس أبي يزيد والناس يقولون فلان لقي فلاناً وأخذ من علمه وكتب منه الكثير وفلان لقي فلاناً . فقال أبو يزيد . مساكين أخذوا علمهم ميتاً عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت .

قال المصنف رحمه الله : هذا الفقه في الحكاية الأولى من قلة العلم إذ لو كان عالماً لعلم أن الإلهام للشيء لا يتألف العلم ولا يتسع به عنه ولا ينكر أن الله عز وجل يلهم الإنسان الشيء كما قال النبي ﷺ « إن في الأمم محدثين وإن يكن في أمتي فعمرو » والمراد بالتحديث إلهام الخير إلا أن الملهم لو ألهم ما يخالف العلم لم يجزله أن يعمل عليه : وأما الخضر فقد قيل إنه نبي ولا ينكر للانبياء الإطلاع بالوحى على العواقب وليس الإلهام من العلم في شيء إنما هو ثمرة العلم والتقوى فيوفق صاحبهما للخير ويلهم الرشيد : فأما أن يترك العلم ويقول أنه يعتمد على الإلهام والخواطر فليس هذا بشيء إذ لولا العلم النقل ما عرفنا ما يقع في النفس أمن الإلهام للخير أو الوسوسة من الشيطان . واعلم أن العلم الإلهامي الملقى في القلوب لا يكفي عن العلم المنقول كما أن العلوم العقلية لا تكفي عن العلوم الشرعية فإن العقلية كالأغذية والشرعية كالأدوية ولا ينوب هذا عن هذا . وأما قوله أخذوا علمهم ميتاً عن ميت . أصلح ما ينسب

إليه هذا القائل أنه ما يدري ما في ضمن هذا القول والا فهذا طعن على الشريعة. أنبأنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أبو حفص بن شاهين ، قال : من الصوفية من رأى الاشتغال بالعلم بطالة وقالوا نحن علومنا بلا واسطة . قال وما كان المتقدمون في التصوف إلا رؤساً في القرآن والفقه والحديث والتفسير ولكن هؤلاء أحبوا البطالة. وقال أبو حامد الطوسي اعلم أن ميل أهل التصوف إلى الإلهية دون التعليمية ولذلك لم يتعلموا ولم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون. بل قالوا : الطريق تقديم المجاهدات بمحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والاقبال على الله تعالى بكنهه الهمة وذلك بأن يقطع الإنسان همه عن الأهل والمال والولد والعلم ويخلو نفسه في زاوية ويقصر على الفرائض والرواتب ولا يقرن همه بقراءة قرآن ولا بالتأمل في نفسه ولا يكتب حديثاً ولا غيره ولا يزال يقول الله الله الله إلى أن ينتهي إلى حال يترك تحريك اللسان ثم يمحي عن القلب صورة اللفظ .

قال المصنف رحمه الله قالت : عزيز على أن يصدر هذا الكلام من فقيه فإنه لا يخفى قبحه فإنه على الحقيقة طى لبساط الشريعة التي حثت على تلاوة القرآن وطلب العلم . وعلى هذا المذهب فقد رأيت الفضلاء من علماء الأمصار فإنهم ما سلكوا هذه الطريق وإنما تشاغلوا بالعلم أولاً . وعلى ما قدر تب أبو حامد تخلو النفس بوساوسها وخيالاتها ولا يكون عندها من العلم ما يطرد ذلك فيلعب بها إبليس أى ملعب فيريها الوسوسة محادثة . ومناجاة ولا تنكر أنه إذا طهر القلب انصبت عليه أنوار الهدى فينظر بنور الله إلا أنه ينبغي أن يكون تطهيره بمقتضى العلم لا بما ينافيه فإن الجوع الشديد والسهو وتضييع الزمان في التخيلات أمور ينهى الشرع عنها فلا يستفاد من صاحب الشرع شيء ينسب ^(١) إلى ما نهى عنه كما لا تستباح الرخص في سفر قد نهى عنه . ثم لا تنافي بين العلم والرياضة بل العلم يعلم كيفية الرياضة ويعين على تصحيحها . وإنما تلاعب الشيطان بأقوام أبعثوا العلم وأقبلوا على الرياضة بما ينهى عنه العلم والعلم بعيد عنهم فتارة يفعلون الفعل المهي عنه . وتارة يؤثرون ما غيره أولى

(١) في النسخة الثانية بسبب قد نهى عنه الخ .

منه وإنما كان يفتى في هذه الحوادث العلم وقد عزز لوه فنعوذ بالله من الخذلان. أنبأنا ابن ناصر عن أبي علي بن البنا قال: كان عندنا بسوق السلاح رجل كان يقول القرآن حجاب، والرسول حجاب ليس إلا عبد ورب فافتن جماعة به فأهملوا العبادات واختفى مخافة القتل. أنبأنا محمد بن عبد الملك نا أحمد ابن علي بن ثابت نا أبو الحسن محمد بن عبيد الله بن محمد الجبائي ثنا أحمد بن سليمان النجاد ثنا محمد بن عبد الله بن سليمان ثنا هشام بن يونس ثنا المحاربي عن بكر بن حنش عن ضرار بن عمرو قال إن قوماً تركوا العلم ومجالسة أهل العلم واتخذوا محارب فضلوا وصاموا حتى يبس جلد أحدهم على عظمه وخالفوا السنة فهللكوا فوالله الذي لا إله غيره ما عمل عامل قط على جهل إلا كان ما يفسد أكثر مما يصلح.

﴿فصل﴾ وقد فرق كثير من الصوفية بين الشريعة والحقيقة. وهذا جهل من قائله لأن الشريعة كلها حقائق. فإن كانوا يريدون بذلك الرخصة والعزيمة فكلاهما شريعة. وقد أنكر عليهم جماعة من قدمائهم في إعراضهم عن ظواهر الشرع. وعن أبي الحسن غلام شعوانه بالبصرة يقول سمعت أبا الحسن بن سالم يقول جاء رجل إلى سهل بن عبد الله ويده محبرة وكتاب فقال لسهل جئت أن أكتب شيئاً ينفعني الله به. فقال اكتب، ان استطعت أن تلقى الله وييسدك المحبرة والكتاب فافعل: قال يا أبا محمد أفدنى فائدة. فقال: الدنيا كلها جهل إلا ما كان علماً، والعلم كله حجة إلا ما كان عملاً، والعمل كله موقوف إلا ما كان منه على الكتاب والسنة. وتقوم السنة على التقوى وعن سهل بن عبد الله أنه قال احفظوا السواد على البياض فما أحد ترك الظاهر إلا تزندق وعن سهل بن عبد الله أنه قال ما من طريق إلى الله أفضل من العلم فإن عدلت عن طريق العلم خطوة تهت في الظلام أربعين صباحاً. وعن أبي بكر الدقاق قال سمعت أبا سعيد الخزاز يقول كل باطن يخالف ظاهراً فهو باطل. وعن أبي بكر الدقاق أنه قال كنت ماراً في تيه بني إسرائيل فخطر ببالي أن أعلم الحقيقة مابين للشريعة فهتفت بي هاتفت من تحت شجرة كل حقيقة لا تتبعها الشريعة فهي كفر.

قال المصنف رحمه الله. وقد نبه الإمام أبو حامد الغزالي في كتاب الأحياء

فقال . من قال ان الحقيقة تخالف الشريعة أو الباطن يخالف الظاهر فهو إلى الكفر أقرب منه إلى الايمان . وقال ابن عقيل جعلت الصوفية الشريعة إسماً وقالوا المراد منها الحقيقة قال وهذا قبيح لأن الشريعة وضعها الحق لمصالح الخلق وتعبدهاتهم فما الحقيقة بعد هذا سوى شيء واقع في النفس من لقاء الشياطين وكل من رام الحقيقة في غير الشريعة فغرور ومخدوع .

﴿ ذكر تلبس إبليس على جماعة من القوم في دفنهم كتب العلم وإلقائها في الماء ﴾ قال المصنف رحمه الله . قد كان جماعة منهم تشاغلو بكتابة العلم ثم لبس عليهم إبليس وقال ما المقصود إلا العمل ودفنوا كتبهم . فقد روى أن أحمد ابن أبي الخوارى رمى كتبه في البحر ، وقال : نعم الدليل كنت والاشتغال بالدليل بعد الوصول محال . ولقد طلب أحمد بن أبي الخوارى الحديث ثلاثين سنة فلما بلغ منه الغاية حمل كتبه إلى البحر فغرقها . وقال : يا علم لم أفعل بك هذا تهاوناً ولا استخفافاً بحقك ولسكني كنت أطلبك لأهتدى بك إلى ربي فلما اهتديت بك استغنيت عنك . أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق نا ابن باكويه قال سمعت أبا الحسن غلام شعوانة بالبصرة يقول سمعت أبا الحسن بن سالم عن أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ قال أحمد ابن محمد بن إسماعيل . أبو الحسين بن الخلال كان حسن الفهم له صبر على الحديث وأنه كان يتصوف ويرمى بالحديث مدة ثم يرجع ويكتب . ولقد أخبرت أنه رمى بجملة من سماعته القديمة في دجلة . فأول ما سمع على أبي العباس الأصم وطبقته وكتب الكثير . أنبأنا زاهر بن طاهر نا أحمد بن الحسين البيهقي قال . سمعت أبا عمرو بن أبي جعفر يقول سمعت أبا طاهر الجنائدي يقول . لقد كان موسى بن هرون يقرأ علينا فإذا فرغ من الجزء رمى بأصله في دجلة ويقول قد أدبته .

أخبرنا محمد بن ناصر نا أحمد بن علي بن خلف نا أبو عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا نصر الطوسي يقول . سمعت جماعة من مشايخ الرى يقولون - ورث أبو عبد الله المقرئ عن أبيه خمسين ألف دينار سوى الضياع والعقار نفرج عن جميع ذلك وأنفقها على الفقراء قال : فسألت أبا عبد الله عن ذلك

فقال . أحرمت وأنا غلام حدث وخرجت إلى مكة على الوحدة حين لم يبق لي شيء أرجع إليه . وكان اجتهدى أن أزهّد في الكتب وما جمعت من العلم والحديث أشد على من الخروج إلى مكة والتقطع في الأسفار والخروج عن ملكي . أخبرنا أبو منصور القزازنا أحمد بن علي بن ثابت نا إسماعيل الحيرى ثنا محمد ابن الحسين السلمي قال سمعت أبا العباس بن الحسين البغدادى يقول سمعت الشبلى يقول . أعرف من لم يدخل في هذا الشأن حتى أنفق جميع ملكه وغرق في هذه الدجلة سبعين قطرا مكتوباً بخطه وحفظ وقرأ بكذا وكذا رواية يعنى بذلك نفسه .

قال المصنف رحمه الله . قد سبق القول بأن العلم نور وان إبليس يحسن للانسان إطفاء النور ليتمكن منه في الظلمة ولا ظلمة كظلمة الجهل . ولما خاف إبليس أن يعاود هؤلاء مطالعة الكتب فر بما استدلوا بذلك على مكايده حسن لهم دهن الكتب وإتلافها وهذا فعل قبيح محذور وجعل بالمقصود بالكتب وبيان هذا أن أصل العلوم القرآن والسنة فلما علم الشرع أن حفظهما يصعب أمر بكتابة المصحف وكتابة الحديث فأما القرآن فإن رسول الله ﷺ كان إذا نزلت عليه آية دعى بالكاتب فأثبتها وكانوا يكتبونها في العصب والحجارة وعظام الكتف ثم جمع القرآن بعده في المصحف أبو بكر صوناً عليه ثم نسخ من ذلك عثمان بن عفان رضى الله عنه وبقية الصحابة وكل ذلك لحفظ القرآن لئلا يشذ منه شيء . وأما السنة . فإن النبي ﷺ قصر الناس في بداية الإسلام على القرآن وقال لا تكتبوا عني سوى القرآن فلما كثرت الأحاديث ورأى قلة ضبطهم أذن لهم في الكتابة . فروى عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه شكى إلى رسول الله ﷺ قلة الحفظ فقال . ابسط رداك فبسط رداه وحدثه النبي عليه الصلاة والسلام وقال ضمه اليك . فقال أبو هريرة فلم أنس بعد ذلك شيئاً بما حدثني رسول الله ﷺ . وفي رواية أنه قال استعن على حفظك يمينك يعنى بالكتابة . وروى عنه ﷺ عبد الله بن عمرو أنه قال « قيدوا العلم فقلت يا رسول الله وما تقيده . قال الكتابة . » وروى عنه أيضاً رافع بن خديج قال قلنا يا رسول الله إنا نسمع منك أشياء أفكيتها : قال . اكتبوا ولا حرج .

قال المصنف رحمه الله : واعلم أن الصحابة ضبطت ألفاظ رسول الله ﷺ وحر كاته وأفعاله واجتمعت الشريعة من رواية هذا ورواية هذا . وقد قال رسول الله ﷺ بلغوا عني : وقال نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها وتأدية الحديث كما يسمع لا يكاد يحصل إلا من الكتابة لأن الحفظ خوان . وقد كان أحمد بن حنبل رضي الله عنه يتحدث بالحدِيث فيقال له : إمله علينا . فيقول لا بل من الكتاب . وقد قال علي بن المديني . أمرني سيدي أحمد بن حنبل أن لا أحدث إلا من الكتاب فإذا كانت الصحابة قد روت السنة وتلقاها التابعون وسافر المحدثون وقطعوا شرق الأرض وغربها لتحصيل كلمة من ههنا وكلمة من ههنا وصححوا ما صح وزيفوا ما لم يصح وجرحوا الرواة وعدلوا وهذبوا السنن وصنفوا ثم من يغسل ذلك فيضيع التعب ولا يعرف حكم الله في حادثة فما عوندت الشريعة بمثل هذا . فهل لشريعة من الشرائع قبلنا إسناد إلى نبيهم وإنما هذه خصيصة لهذه الأمة . وقد روينا عن الإمام أحمد بن حنبل مع كونه طاف الشرق والغرب في طلب الحديث انه قال لابنه ما كتبت عن فلان؟ فذكر له أن النبي عليه الصلاة والسلام « كان يخرج يوم العيد من طريق ويرجع من أخرى » فقال الامام أحمد بن حنبل إنا لله سنة من سنن رسول الله ﷺ لم تبلغني وهذا قوله مع اكثاره وجمعه فكيف بمن لم يكتب وإذا كتب غسل أفترى اذا غسلت الكتب ودفنت على م يعتمد في الفتاوى والحوادث على فلان الزاهد أو فلان الصوفي أو على الخواطر فيما يقع لها نعوذ بالله من الضلال بعد الهدى .

(فصل) قال المصنف رحمه الله : ولا تخلو هذه الكتب التي دفنوها أن يكون فيها حق أو باطل أو قد اختلط الحق بالباطل . فان كان فيها باطل فلا لوم على من دفنها وان كان قد اختلط الحق بالباطل ولم يمكن تمييزه كان عذراً في إتلافها فان أقواماً كتبوا عن ثقات وعن كذابين واختلط الأمر عليهم فدفنوا كتبهم . وعلى هذا يحمل ما روى عن دفن الكتب عن سفيان الثوري وان كان فيها الحق والشرع فلا يحل إتلافها بوجه لسكونها ضابطة العلم وأموالاً وليسأل من يقصد إتلافها عن مقصوده فان قال تشغلي عن العبادة . قيل له

جوابك من ثلاثة أوجه : أحدها أنك لو فهمت لعلمت أن التشاغل بالعلم أوفى العبادات . والثاني أن البقطة التي وقعت لك لا تدوم فكانت بك وقد ندمت على ما فعلت بعد الفوات . واعلم أن القلوب لا تبقى على صفائها بل تصدأ فتحتاج الى جلاء وجلاؤها النظر في كتب العلم . وقد كان يوسف بن أسباط دفن كتبه ثم لم يصبر على التحديث فحدث من حفظه غلط ، والثالث أننا نقدر تمام يقظتك ودوامها والغنى عن هذه الكتب فهلا وهبتها لمبتدئ من الطلاب ممن لم يصل الى مقامك أو وقفها على المنتفعين بها أو بيعتها وتصدقته بشمنها أما إتلافها فلا يحل بحال . وقد روى المروزي عن أحمد بن حنبل أنه سئل عن رجل أوصى أن تدفن كتبه فقال ما يعجبني أن يدفن العلم . وأنبأنا محمد بن عبد الملك ويحيى بن علي قال أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت نا عبيد الله بن عبد العزيز البرادعي نا محمد بن عبد الله السحير ثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن النحاس قال : سمعت المروزي يقول : سمعت أحمد بن حنبل يقول لا أعرف لدفن الكتب معنى .

﴿ ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في إنكارهم من تشاغل بالعلم ﴾
قال المصنف رحمه الله : لما انقسم هؤلاء بين متكاسل عن طلب العلم وبين ظان أن العلم هو ما يقع في النفوس من ثمرات التعبد وسموا ذلك العلم : العلم الباطن نهوا عن التشاغل بالعلم الظاهر .
أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أبو بكر أحمد بن علي نا علي بن أبي علي البصري ثنا أبو اسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد الطبري قال سمعت جعفر الخلدی يقول : لو تركنى الصوفية لجتكم بأسناد الدنيا لقد مضيت الى عباس الدوري وأنا حدث فمكتبت عنه مجلساً واحداً وخرجت من عنده فلقيت بعض من كنت أضجه من الصوفية فقال : إيش هذا معك . فأريته إياه فقال : ويحك تدع علم الخرق وتأخذ علم الورق . ثم خرق الأوراق فدخل كلامه في قلبي فلم أعد الى عباس .

قال المصنف رحمه الله : وبلغني عن أبي سعيد الكندي قال كنت أنزل رباط الصوفية وأطلب الحديث في خفية بحيث لا يعلمون فسقطت الدواة

يوماً من كمي فقال لي بعض الصوفية استر عورتك .

أخبرنا محمد بن ناصرنا أبو القاسم هبة الله بن عبد الله الواسطي نا أبو بكر الخطيب نا أبو الفتح بن أبي الفوارس نا الحسين بن أحمد الصفار قال : كان يندى محبرة فقال لي الشبلي غيب سوادك عني يكفيني سواد قلبي .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق نا ابن باكويه قال سمعت عبد الله العزال المذكر قال سمعت علي بن مهدي يقول : وقفت ببغداد على حلقة الشبلي فنظر إليّ ومعى محبرة فأنشأ يقول :

تسرلت للخرب ثوب الغرق وجبت البلاد لوجد القلق

ففيك هتكت قناع الغوى (١) وعنك نطقت لدى من نطق

إذا خاطبوني بعلم الورق برزت عليهم بعلم الخرق

قال المصنف رحمه الله قلت : من أكبر المعاندة لله عز وجل الصد عن سبيل الله وأوضح سبيل الله العلم لأنه دليل على الله وبيان لأحكام الله وشرعه وإيضاح لما يحبه ويكرهه فالمنع منه معاداة لله وشرعه ولكن الناهين عن ذلك ما تفتنوا لما فعلوا . أخبرنا ابن حبيب قال نا ابن أبي صادق نا ابن باكويه قال سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول : اشتغلوا بتعلم العلم ولا يغرنكم كلام لصوفية فاني كنت أخبى محبرقي في جيب مرقعتي والسكاغد في حزة سراويلي وكنت أذهب خفية الى أهل العلم فاذا علموا بي خاصمون . وقالوا لا تفلح ثم احتاجوا إليّ بعد ذلك . وقد كان الامام أحمد بن حنبل يرى المخابر بأيدي طلبة العلم فيقول : هذه سرج الاسلام . وكان هو يحمل المحبرة على كبرسنه فقال له رجل الى متى يا أبا عبد الله فقال : المحبرة الى المقبرة وقال في قوله عليه الصلاة والسلام « لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة » فقال احمد : ان لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم . وقال أيضاً ان لم يكن أصحاب الحديث الابدال فمن يكون . وقيل له ان رجلاً قال في أصحاب الحديث انهم كانوا قوم سوء فقال احمد : هو زنديق وقد قال الامام الشافعي رحمه الله : اذا رأيت رجلاً من أصحاب الحديث

(١) في النسخة الثانية : ففبك قناع العزاء

فکاتی رأیت رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ . وقال يوسف بن أسباط
بطلبه الحديث يدفع الله البلاء عن أهل الأرض .

أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب ثنا عبد العزيز بن علي ثنا
ابن جهضم ثنا محمد بن جعفر ثنا احمد بن محمد بن مسروق قال : رأيت كأن
القيامة قد قامت والخلق مجتمعون إذ نادى مناد . الصلاة جامعة فاصطف
الناس صفوفاً فأتاني ملك فتأملتة فإذا بين عيني مكتوب جبريل أمين الله .
فقلت أين النبي ﷺ فقال مشغول بنصب الموائد لآخوانه الصوفية . فقلت
وأنا من الصوفية فقل نعم . ولكن شغلك كثرة الحديث .

قال المصنف رحمه الله : معاذ الله أن ينكر جبريل التشاغل بالعلم .
وفي إسناد هذه الحكاية ابن جهضم وكان كذاباً ولعلها عمله . وأما ابن
مسروق فأخبرني القزاز نا أبو بكر الخطيب حدثني علي بن محمد بن نصر قال
سمعت حمزة بن يوسف قال سمعت الدارقطني يقول أبو العباس بن مسروق
ليس بالقوى يأتي بالمعضلات .

﴿ ذكر تلبیس إبلیس علی الصوفية فی کلامهم فی العلم ﴾

قال المصنف رحمه الله : اعلم أن هؤلاء القوم لما تركوا العلم وانفردوا
بالرياضيات على مقتضى آرائهم لم يصبروا عن التكلام في العلوم فتكلموا
بواقعاتهم فوقت الأغاليط القبيحة منهم فتارة يتكلمون في تفسير القرآن
وتارة في الحديث وتارة في الفقه وغير ذلك ويسوقون العلوم الى مقتضى
علمهم الذي انفردوا به والله سبحانه لا يخلى الزمان من أقوام قوام بشره
يردون على المتخرسين ويبينون غلط الغالطين .

﴿ ذكر نبذة من کلامهم فی القرآن ﴾

أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أبو بكر احمد بن علي
ابن ثابت نا أبو القاسم عبد الواحد بن عثمان البجلي قال سمعت جعفر

ابن محمد الخلدی قال حضرت شیخنا الجنید وقد سأله کیسان عن قوله عز وجل (منقرئك فلا تنسى) فقال الجنید لا تنس العمل به ، وسأله عن قوله تعالى (ودرسوا ما فيه) فقال له الجنید ترکوا العمل به ، فقال لا یفرض الله فاك قلت : أما قوله - لا تنس العمل به - فتفسیر لا وجه له والغلط فيه ظاهر . لأنه فسرہ على أنه نهى وليس كذلك إنما هو خبر لا نهى وتقديره - فأتنس - إذ لو كان نهياً كان مجزوماً فتفسیره على خلاف إجماع العلماء وكذلك قوله (ودرسوا ما فيه) إنما هو من الدرس الذى هو التلاوة من قوله عز وجل (وبما كنتم تدرسون) . لا من دروس الشئ الذى هو اهلاکة . أخبرنا محمد بن عبد الباقي نا محمد بن احمد ثنا أبو نعیم الحافظ قال سمعت احمد بن محمد ابن مقسم يقول حضرت أبا بكر الشبلى . وسئل عن قوله عز وجل . (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) . فقال : لمن كان الله قلبه . وأخبرنا عمر بن ظفر نا جعفر بن احمد نا عبد العزيز بن على نا ابن جهضم ثنا محمد بن جریر قال سمعت أبا العباس بن عطاء وقد سئل عن قوله : (فنجيناك من الغم) . قال نجيناك من الغم بقومك وفتناك بنا عن من سوانا .

قال المصنف رحمه الله : وهذه جرأة عظيمة على كتاب الله عز وجل ونسبة الكلیم إلى الافتتان بمحبة الله سبحانه . وجعل محبته تفنن غاية في القباحة . أخبرنا أبو منصور القزاز نا احمد بن على الحافظ نا أبو حازم عمر ابن إبراهيم العبدري قال سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله الرازى يقول سمعت أبا العباس بن عطاء يقول في قوله عز وجل : (وأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم) فقال الروح النظر إلى وجه الله عز وجل . والريحان الاستماع لكلامه . وجنة نعيم : هو أن لا یجب فيها عن الله عز وجل . قلت : هذا كلام بالواقع على خلاف أقوال المفسرين وقد جمع أبو عبد الرحمن السلى في تفسير القرآن من كلامهم الذى أكثره هذيان لا یحل نحو مجلدين سماها حقائق التفسير فقال في فاتحة الكتاب عنهم أنهم قالوا إنما سميت فاتحة الكتاب لأنها أوائل ما فاتحناك به من خطابنا فإن تأدبت بذلك والاحرمت لطائف ما بعد .

قال المصنف رحمه الله: وهذا قبيح لأنه لا يختلف المفسرون أن الفاتحة ليست من أول ما نزل: وقال في قول الإنسان (أمين) أى قاصدون تحوك. قال المصنف رحمه الله: وهذا قبيح لأنه ليس من أم لأنه لو كان كذلك لكانت الميم مشددة. وقال في قوله: (وان يا توكم أسارى) قال أبو عثمان: غرقى في الذنوب. وقال الواسطى: غرقى في رؤية أفعالهم. وقال الجنيد: أسارى في أسباب الدنيا تفدوهم إلى قطع العلائق. قلت: وإنما الآية على وجه الإنكار ومعناها إذا أسرتموهم فديتموهم وإذا حاربتموهم قبلتموهم وهؤلاء قد فسروها على ما يوجب المدح. وقال محمد بن على: (يحب التوايين) من توبتهم وقال الثورى: (يقبض ويبسط). أى يقبضك بإياه ويبسطك لإياه. وقال في قوله: (ومن دخله كان آمناً) أى من هو اجس نفسه ووساوس الشيطان. وهذا غاية في القبح لأن لفظ الآية لفظ الخبر ومعناه الأمر وتقديرها من دخل الحرم فأمنوه. وهؤلاء قد فسروها على الخبر ثم لا يصح لهم لأنه كم من داخل إلى الحرم ما آمن من الهواجس ولا الوسوس وذكروا في قوله (ان تجنبوا كباثر ما تنهون عنه). قال أبو تراب هى الدعاوى الفاسدة (والجار ذى القربى). قال سهل هو القلب (والجار الجنب) النفس (وابن السبيل) الجوارح. وقال في قوله: (وهم بها). قال أبو بكر الوراق الهبان لهاويوسف ما هم بها. قلت: هذا خلاف لصريح القرآن وقوله: (ما هذا بشراً). قال محمد بن على ما هذا بأهل أن يدعى إلى المباشرة. وقال الزنجاني الرعد صعقات الملائكة والبرق زفرات أفئدتهم والمطر بكاؤهم. وقال في قوله: (ولله المسكر جميعاً) قال الحسين لا مكر أبين فيه من مكر الحق بعباده حيث أوهمهم ان لهم سبيلاً إليه بحال. أو للحدث اقتران مع القدم.

قال المصنف رحمه الله: ومن تأمل معنى هذا علم أنه كفر محض لأنه يشير إلى أنه كالمزء واللعب. ولكن الحسين هذا هو الحلاج وهذا يليق بذلك. وقال في قوله (لعمرك) أى بعارتك شرك بمشاهدتنا. قلت: وجميع الكتاب من هذا الجنس ولقد هممت أن أثبت منه هاهنا كثيراً فرأيت أن الزمان يضيع في كتابة شيء بين الكفر والخطأ والهديان. وهو من جنس

ما حكي لنا عن الباطنية ، فمن أراد أن يعرف جنس ما في الكتاب فهذا أنموذجه . ومن أراد الزيادة فلينظر في ذلك الكتاب . وذكر أبو نصر السراج في كتاب اللمع قال : للصوفية استنباط منها قوله : « ادعوا إلى الله على بظيرة » قال الواسطي : معناه لا أرى نفسي ، وقال الشبلي : لو اطلعت على الكل مما سوانا لوليت منهم فراراً إلينا . قلت : هذا لا يحل لأن الله تعالى إنما أراد أهل الكهف . وهذا السراج يسمى هذه الأقوال في كتابه مستنبطات . وقد ذكر أبو حامد الطوسي في كتاب ذم المال في قوله عز وجل « واجتنبني وبنى أن نعبد الأصنام » قال : إنما عني الذهب والفضة إذ رتبة النبوة أجل من أن يخشى عليها أن تعبد الآلهة والأصنام ، وإنما عني بعبادته حبه والاعتزاز به .

قال المصنف رحمه الله : وهذا شيء لم يقله أحد من المفسرين ، وقد قال شعيب « وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا » ومعلوم أن قيل الأنبياء إلى الشرك أمر ممتنع لأجل العصمة لا أنه مستحيل ، ثم قد ذكر مع نفسه من يتصور في حقه الإشراك والكفر فجاز أن يدخل نفسه معهم ، فقال « واجتنبني وبنى » ومعلوم أن العرب أولاده وقد عبد أكثرهم الأصنام . أخبرنا عبد الحق بن عبد الخالق نا الميسارك بن عبد الجبار نا الحسين بن علي الطنجايري نا أبو حفص بن شاهين قال : وقد تكلمت طائفة من الصوفية في نفس القرآن بما لا يجوز فقالت في قوله : (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لأولي الألباب » فقال هم آيات لي ، فأضافوا إلى الله تعالى ما جعله لأولي الألباب ، وهذا تبديل للقرآن وقالوا (ولسليمان الريح » قالوا : ولي سليمان .

وأخبرنا ابن ناصر نا أحمد بن علي بن خلف ثنا أبو عبد الرحمن السلمي قال : قال أبو حمزة الخراساني : قد يقطع بأقوام في الجنة فيقال : « كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية » فشغلهم عنه بالأكل والشرب ولا مكر فوق هذا ولا حسرة أعظم منه .

قال المصنف رحمه الله : أنظروا وفقكم الله إلى هذه الحماقة وتسمية المعظم به مكرراً ، وإضافة المكر بهذا إلى الله سبحانه وتعالى . وعلى مقتضى

قول هذا أن الأنبياء لا يأكلون ولا يشربون بل يكونون مشغولين بالله عز وجل . فما أجزأ هذا القائل على مثل هذه الألفاظ القباح . وهل يجوز أن يوصف الله عز وجل بالمكر على ما نعتله من معنى المكر . وإنما معنى مكره وخداعه أنه مجازى الماكرين والخادعين . وإني لأتعجب من هؤلاء وقد كانوا يتورعون من اللقمة والكلمة كيف انبسطوا في تفسير القرآن إلى ما هذا حده . وقد أخبرنا علي بن عبيد الله وأحمد بن الحسن وعبد الرحمن ابن محمد قالوا : حدثنا عبد الصمد بن المأمون نا علي بن عمر الحرابي ثنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي ثنا بشر بن الوليد ثنا سهيل أخو حزم ثنا أبو عمران الجوني عن جندب قال : قال رسول الله ﷺ « من قال في القرآن برأيه فقد أخطأ » . أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن علي نا أبو بكر بن حمدان ثنا عبد الله ابن أحمد ثنى أبي ثنا وكيع عن الثوري عن عبد الأعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما . قال : قال رسول الله ﷺ « من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » .

قال المصنف رحمه الله : وقد رويت لنا حكاية عن بعضهم فيما يتعلق بالمكر إني لأقشعر من ذكرها لسكنى أنبه بذكرها على قبح ما يتخايله هؤلاء الجهالة . أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أوى صادق نا أبو عبد الله ابن باكويه قال : أخبرنا أبو عبد الله بن خفيف قال سمعت رويما يقول : اجتمع ليلة بالشام جماعة من المشايخ فقالوا ما شهدنا مثل هذه الليلة . وطيبها فتعالوا نتذاكر مسألة لئلا تذهب ليلتنا فقالوا : نتكلم في المحبة فانها عمدة القوم فتكلم كل واحد من حيث هو . وكان في القوم عمرو بن عثمان المكي فوقع عليه البول ولم يكن من عادته فقام وخرج إلى صحن الدار فإذا ليلة مقمرة فوجد قطعة رق مكتوب فأخذه وحمله إليهم وقال : يا قوم اسكنوا فان هذا جوابكم . أنظروا ما في هذه الرسالة فإذا فيها مكتوب مكار مكار وكلكم يدعون حبه وأحرم البعض واقتروا فما جمعهم إلا الموسم .

قال المصنف رحمه الله ، قلت : هذه بعيدة الصحة وابن خفيف لا يوثق به وإن صحت فان شيطانا ألقى ذلك الرق ، وإن كانوا قد ظنوا أنها رسالة من

الله بظنهم الفاسدة . وقد بينا أن معنى المكر منه المجازاة على المكر . فأما أن يقال عنه مكار ففوق الجهل وفوق الحماقة .

وقد أخبرنا ابن ظفرنا ابن السراج نا الأزجى ثنا ابن جهم ثنا الخلدی قال سمعت رويما يقول : إن الله غيب أشياء في أشياء غيب مكره في عليه . وغيب خداعه في لطفه . وغيب عقوباته في باب كراماته . قلت . وهذا تخطيط من ذلك الجنس وجرأة . أخبرنا محمد بن ناصر نا أبو الفضل السهلي قال سمعت محمد بن إبراهيم يقول سمعت خالي يقول قال الحسن بن علويه . خرج أبو يزيد لزيارة أخ له فلما وصل إلى مهر جيحون التقى له حافتا النهر . فقال سيدى . ايش هذا المكر الخفى . وعزتك ما عبدتك لهذا ثم رجع ولم يعبر . قال السهلي . وسمعت محمد بن أحمد المذكر يذكر أن أبا يزيد قال من عرف الله عز وجل صار للجنة بوابا وصارت الجنة عليه وبالا .

قلت : وهذه جرأة عظيمة في إضافة المكر إلى الله عز وجل وجعل الجنة التي هي نهاية المطالب وبالا وإذا كانت وبالا للعارفين فكيف تكون لغيرهم . وكل هذا متبعه من قلة العلم وسوء الفهم . أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبي صادق نا ابن باكويه ثنا أبو الفرج الورياني ثنا أحمد بن الحسن بن محمد ثنى محمد بن جعفر الوراق ثنا أحمد بن العباس المهلبى قال سمعت طيفور وهو أبو يزيد يقول العارفون في زيارة الله تعالى في الآخرة على طبقتين طبقة تزوره متى شاءت وإنى شاءت . وطبقة تزوره مرة واحدة ثم لا تزوره بعدها أبداً فقل له كيف ذلك قال . إذا رآه العارفون أول مرة جعل لهم سوقاً ما فيه شراء ولا بيع إلا الصور من الرجال والنساء فمن دخل منهم السوق لم يرجع إلى زيارة الله أبداً قال وقال أبو يزيد . في الدنيا يخذلك بالسوق وفي الآخرة يخذلك بالسوق فأنت أبداً عبد السوق .

قال المصنف رحمه الله . تسمية ثواب الجنة خديعة وسبباً للانقطاع عن الله عز وجل فبيع وإنما يجعل لهم السوق ثواباً لا خديعة فإذا أذن لهم في أخذ ما في السوق ثم عوقبوا بمنع الزيارة فقد صارت المثوبة عقوبة . ومن أين له أن من اختار شيئاً من ذلك السوق لم يعد إلى زيارة الله تبارك وتعالى

ولا يراه أبداً نعوذ بالله من هذا التخليط والتحكم في العلم والاخبار عن هذه المغيبات التي لا يعلمها إلا النبي فمن أين له عليها وكيف يكون كما قال أبو هريرة راوى الحديث لسعيد بن المسيب : جمعني الله وإياك في سوق الجنة أفتراه طلب ترك العقوبة بالبعد عن الله عز وجل لكن بعد هؤلاء عن العلم واقتناعهم بواقعاتهم الفاسدة أوجب هذا التخليط وليعلم أن الخواطر والواقعات إنما هي ثمرات عليه فمن كان عالماً كانت خواطره صحيحة لأنها ثمرات عليه ومن كان جاهلاً فثمرات الجهل كلها حظه . ورأيت بخط ابن عقيل : جاز أبو يزيد على مقابر اليهود فقال ما هؤلاء حتى تعذبهم كفف عظام جرت عليهم القضايا أعف عنهم .

قال المصنف رحمه الله : وهذا قلة علم وهو أن قوله - كفف عظام - احتقار للآدمي فإن المؤمن إذا مات كان كفف عظام : وقوله - جرت عليهم القضايا - فكذلك جرى على فرعون ، وقوله ، أعف عنهم ، جهل بالشرعية لأن الله عز وجل أخبر أنه لا يغفر أن يشرك به لمن مات كافر أفلو قبلت شفاعته في كافر لقبول سؤال إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه في أبيه ، ومحمد ﷺ في أمه فنعوذ بالله من قلة العلم .

أنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى نا أبو بكر أحمد بن أبي نصر الكوفاني ثنا أبو محمد الحسن بن محمد بن قوري الحويصاني نا أبو نصر عبد الله بن علي الطوسي المعروف بالسراج قال كان ابن سالم يقول عبر أبو يزيد على مقبرة اليهود . فقال : معذورين . ومر بقبر المسلمين . فقال مغزورين . قال المصنف رحمه الله . وفسره السراج فقال كأنه لما نظر إلى ماسبق لهم من الشقاوة . من غير فعل كان موجوداً في الازل وان الله عز وجل جعل نصيبهم السخط فذلك عذر .

قال المصنف رحمه الله : وتفسير السراج قبيح لأنه يوجب أن لا يعاقب فرعون ولا غيره .

ومن كلامهم في الحديث وغيره . أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب نا الأزهرى نا أحمد بن إبراهيم بن الحسن ثنا عبد الله بن أحمد ابن حنبل قال جاء أبو تراب النخشي الى أبي فجعل أبي يقول : فلان ضعيف

وفلان ثقة فقال أبو تراب . يا شيخ لا تغتب العلماء فالتفت أبي إليه وقال له .
ويحك هذه نصيحة ليست هذه غيبة . أنبأنا يحيى بن علي المدبر نا أحمد بن علي
ابن ثابت نارضوان بن محمد بن الحسن الذينوري قال سمعت احمد بن محمد بن
عبدالله النيسابوري يقول سمعت أبا الحسن علي بن محمد البخاري يقول سمعت
محمد بن الفضل العباسي يقول . كنا عند عبد الرحمن بن أبي حاتم وهو يقرأ
علينا كتاب الجرح والتعديل فقال اظهر أحوال أهل العلم من كان منهم ثقة
أو غير ثقة . فقال له يوسف بن الحسين . استحييت إليك يا أبا محمد كم من
هؤلاء القوم قد حطوا وأحلهم في الجنة منذ مائة سنة أو مائتي سنة وأنت
تذكرهم وتغتابهم على أديم الأرض . فبكى عبد الرحمن وقال يا أبا يعقوب
لو سمعت هذه الكلمة قبل تصنيفي هذا الكتاب لم أصنفه . قلت عفا الله عن
ابن أبي حاتم فانه لو كان فقيهاً لرد عليه كما رد الإمام أحمد على أبي تراب .
ولولا الجرح والتعديل من أين كان يعرف الصحيح من الباطل . ثم كون
القوم في الجنة لا يمنع أن تذكرهم بما فيهم وتسمية ذلك غيبة حديث سوء .
ثم من لا يدري الجرح والتعديل كيف هو يزكي كلامه . وينبغي ليوسف أن
يشتغل بالعجائب التي تحكى عن مثل هذا .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق نا ابن با كويه قال
سمعت عبد الله بن يزيد الاردبيلي يقول سمعت أبا العباس بن عطاء يقول
من عرف الله أمسك عن رفع حوائجه إليه لما علم أنه العالم بأحواله . قلت
هذا سد لباب السؤال والدعاء وهو جهل بالعلم .

أخبرنا محمد بن عبد الملك بن خيرون نا أحمد بن الحسن الشاهد قال قرىء
على محمد بن الحسن الاهوازي وأنا أسمع أبا بكر الديف الصوفي وقال سمعت
الشبلي وقد سأله شاب يا أبا بكر لم تقول الله ولا تقول لا إله إلا الله ، فقال
الشبلي . استحي أن أوجه إثباتاً بعدي نفي . فقال الشاب أريد حجة أقوى
من هذه . فقال أخشى أني أؤخذ في كلمة الوجود ولا أصل إلى كلمة الاقرار .
قال المصنف رحمه . أنظروا إلى هذا العلم الدقيق فإن رسول الله ﷺ
كان يأمر بقول لا إله إلا الله ويحث عليها . وفي الصحيحين عنه أنه كان يقول

في كل دبر صلاة لا إله إلا الله وحده لا شريك له وكان يقول إذا قام لصلاة الليل لا إله إلا أنث . وذكر الثواب العظيم لمن يقول لا إله إلا الله فانظروا إلى هذا التعاطي على الشريعة واختيار ما لم يختاره رسول الله ﷺ .

أخبرنا محمد بن عبد الباقي ثنا أبو علي الحسن بن محمد بن الفضل نا سهل ابن علي الحساب نا عبد الله بن علي السراج قال بلغني أن أبا الحسن النوري شهدوا عليه أنه سمع أذان المؤذن فقال طعنه سم الموت وسمع نباح كلب فقال ليبيك وسعديك فقيل له في ذلك فقال . ان الرجل المؤذن أغار عليه أن يذكر الله وهو غافل ويأخذ عليه الأجرة ولو لولاها ما أذن فلذلك قلت طعنه سم الموت والكلب يذكر الله عز وجل بلأرياء فانه قد قال (وان من شيء إلا يسبح بحمده) قال المصنف رحمه الله . انظروا اخواني عصمنا الله وإياكم من الزلل إلى هذا الفقه الدقيق والاستنباط الطريف .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق نا ابن باكويه ثنا أبو يعقوب الخراط نا النوري أنه رأى رجلاً قابضاً على لحية نفسه قال فقلت له نخ يدك عن لحية الله فرفع ذلك إلى الخليفة فطلبت وأخذت فلما دخلت عليه قال بلغني أنه نبح كلب فقلت ليبيك ونادى المؤذن فقلت طعنه قال نعم قال الله عز وجل (وإن من شيء إلا يسبح بحمده) فقلت ليبيك لأنه ذكر الله . فأما المؤذن فانه يذكر الله وهو متلوث بالمعاصي غافل عن الله تعالى قال وقولك للرجل . نخ يدك عن لحية الله . قلت نعم . أليس العبد لله ولحيته لله وكل ما في الدنيا والآخرة له . قلت نعم العلم أوقع هؤلاء في هذا التخييط وما الذي أحوجه إلى أن يوهم أن صفة الملك صفة الذات .

أخبرنا ابن حبيب قال ابن أبي صادق نا ابن باكويه قال سمعت أحمد ابن محمد بن عبد العزيز قال سمعت الشبلي يقول : وقد سئل عن المعرفة . فقال . ويحك ما عرف الله من قال الله . والله لو عرفوه ما قالوه . قال ابن باكويه وسمعت أبا القاسم أحمد بن يوسف البراداني يقول سمعت الشبلي يقول يوماً لرجل يسأله . ما اسمك ؟ قال آدم . قال وبيك . أتدري ما صنع آدم ؟ باع ربه بلقمه . ثم كان يقول سبحان من عذرتني بالسوداء قال ابن باكويه

وسمعت بكران بن أحمد الجيلي يقول . كان للشبلي جليس فأعلمه أنه يريد التوبة فقال . بع ما لك ، واقض دينك ، وطلق امرأتك . ففعل . فقال : أيتم أولادك بأن تؤيسهم من التعلق بك فقال قد فعلت فجاء بكسر قد جمعها . فقال اطرحها بين يدي الفقراء وكل معهم .

أنبأنا أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم نا أبي . قال : سمعت بعض الفقراء يقول سمعت أبا الحسن الحرفاني يقول لا إله إلا الله من داخل القلب محمد رسول الله من القرط .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق ثنا ابن باكويه قال أخبرنا أحمد بن محمد الحلفاي قال : رأى الشبلي في الحمام غلاماً شاباً بلامتز . فقال له يا غلام ألا تغطي عورتك . فقال له : اسكت يا بطل : ان كنت على الحق فلا تشهد إلا الحق ، وإن كنت على الباطل فلا تشهد إلا الباطل . لأن الحق مشغل بالحق ، والباطل مشغل بالباطل .

أنبأنا أبو بكر محمد بن أبي طاهر نا علي بن الحسن التنوخي عن أبيه ثني أبو القاسم عبد الرحيم بن جعفر السيرافي الفقيه . قال حضرت بشيراز عند قاضيا أبي سعيد بشر بن الحسن الداودي - وقد ارتفع اليه صوفي وصوفية - قال وأمر الصوفية هناك مفرط جداً حتى يقال ان عددهم الوف فاستعدت الصوفية على زوجها إلى القاضي فلما حضرا قالت له : أيها القاضي ، ان هذا زوجي ويريد أن يطلقني وليس له ذلك فان رأيت أن تمنعه . قال . فأخذ القاضي أبو سعيد يتعجب - وحنق على مذاهب الصوفية - ثم قال لها . وكيف ليس له ذلك قالت : لأنه تزوج بي ومعناه قائم بي والآن هو يذكر ان معناه قد انقضى مني وأنا معناه قائم فيه ما أنقضى فيجب عليه أن يصير حتى ينقضى معناه منه كما انقضى معناه مني فقال لي أبو سعيد : كيف ترى هذا الفقه : ثم أصلح بينهما وخرجا من غير طلاق . وقد ذكر أبو حامد الطوسي في كتاب الأحياء ان بعضهم قال : للربوبية سر لو أظهر بطلت النبوة وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم . وللهباء بالله سر لو أظهر وه لبطلت الأحكام . قلت : فانظروا إخواني إلى هذا التخليط القبيح والادعاء على الشريعة

أن يظاها ما يخالف باطنها قال أبو حامد : ضاع لبعض الصوفية ولد صغير فقيل له : لو سألت الله أن يرده عليك فقال : اعترا نى عليه فيما يقضى أشد على من ذهاب ولدى .

قلت : لقد طال تعجبي من أبى حامد كيف يحكى هذه الأشياء في معرض الاستحسان والرضى عن قائلها وهو يدري أن الدعاء والسؤال ليس باعتراض وقال أحمد الغزالي : دخل يهودى الى أبى سعيد بن أبى الخير الصوفى . فقال له أريد أن أسلم على يدك فقال : لا ترد فاجتمع الناس وقالوا : يا شيخ تمنعه من الاسلام فقال له : تريد بلا بد قال : نعم . قال له برت من نفسك ومالك قال : نعم قال : هذا الاسلام عندى احموه الآن الى الشيخ أبى حامد يعلم لا لا المنافقين . يعنى لا إله إلا الله قلت : وهذا الكلام أظهر عيباً من أن يعاب فانه في غاية القبح . ومما يقارب هذه الحكاية في دفع من أراد الاسلام . ما أخبرنا به أبو منصور القرزاني أبو بكر بن ثابت أخبرني محمد بن أحمد بن يعقوب نا محمد بن نعيم الضبي قال سمعت أبا على الحسين بن محمد بن أحمد الماسرخسى يحكى عن جده وغيره من أهل بيته قال كان الحسن والحسين ابنا عيسى بن ماسرخس أخوين يركبان فيتحير الناس من حسنهما وزيهما فاتفقا على أن يسلبا فقصدا حفص بن عبد الرحمن ليسلبا على يده فقال لهما خفص أتما من أجل النصارى وعبد الله بن المبارك خارج في هذه السنة الحج وإذا أسلتما على يده كان ذلك أعظم عند المسلمين فانه شيخ أهل المشرق والمغرب فأنصرفا ففرض الحسين فومات على نصرانيته قبل قدوم ابن المبارك فلما قدم أسلم الحسن قلت : وهذه المحنة إنما جلبها الجهل فليعرف قدر العلم لأنه لو كان عنده حظ من علم لقال أسلبا الآن ولا يجوز تأخير ذلك لحظة وأعجب من هذا أبو سعيد الذى قال لليهودى ما قال لأنه يريد الاسلام . وذكر أبو نصر السراج في كتاب اللمع لمع المتصوفة قال : كان سهل بن عبد الله اذا مرض أحد من أصحابه يقول له : إذا أردت أن تشفى كى فقل أوه فهو اسم من أسماء الله تعالى يستريح اليه المؤمن ولا تقل أفرج فانه اسم من أسماء الشيطان . فهذه نبذة من كلام القوم وفقهم نهبت على علمهم وسوء فهمهم وكثرة خطئهم . وقد سمعت أبا عبد الله حسين بن

على المقرئ يقول سمعت أبا محمد عبد الله بن عطاء الهروي يقول سمعت عبد الرحمن ابن محمد بن المظفر يقول سمعت أبا عبد الرحمن بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن الحسين السلامي يقول سمعت علي بن محمد المصري يقول سمعت أيوب بن سليمان يقول سمعت محمد بن محمد بن إدريس الشافعي يقول سمعت أنى يقول . صحبت الصوفية عشرة سنين ما استفدت منه إلا هذين الحرفين : الوقت سيف ، وأفضل العصمة أن لا تقدر .

﴿ ذكر تلبيس إبليس في الشطح والدعاوى ﴾

قال المصنف رحمه الله : اعلم أن العلم يورث الخوف واحتقار النفس وطول الصمت وإذا اعتبرت علماء السلف رأيت الخوف غالباً عليهم والدعاوى بعيدة عنهم كما قال أبو بكر : ليتني كنت شعرة في صدر مؤمن . وقال عمر عند موته الويل لعمر أن لم يغفر له وقال ابن مسعود : ليتني إذا مت لا أبعث وقالت عائشة رضي الله عنها : ليتني كنت نسياً منسياً . وقال سفيان الثوري لحماذ بن سلمة عند الموت ترجو أن يغفر لمثلي .

قال المصنف رحمه الله : وإنما صدر مثل هذا عن هؤلاء السادة لقوة علمهم بالله وقوة العلم به تورث الخوف والحشية . قال الله عز وجل « إنما يخشى الله من عباده العلماء » وقال ﷺ « أنا أعرفكم بالله وأشدكم له خشية » ولما بعد عن العلم أقوام من الصوفية لاحظوا أعمالهم واتفق لبعضهم من اللطف ما يشبه الكرامات فانبسطوا بالدعاوى .

أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ نا أبو الفضل محمد بن علي السهلي قال : سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله الشيرازي يقول ثنا أبو بكر عمر بن يمين ثنا أبو عمر الرهاوي ثنا أحمد بن محمد الجزري قال سمعت أبا موسى الدبيل يقول سمعت أبا يزيد البسطامي يقول : وددت أن قد قامت القيامة حتى أنصب خيمتي على جهنم فسأله رجل ولم ذلك يا أبا يزيد فقال : اني أعلم أن جهنم إذا برأتني تخمد فأكون رحمة للخلق . أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامري نا أبو سعد بن أبي صادق ثنا ابن باكويه نا إبراهيم بن محمد نا حسن بن علوية نا طيفور بن عيسى نا أبو موسى الشبلي قال : سمعت أبا يزيد يقول : إذا كان

يوم القيامة وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار فأسأله أن يدخني النار
فقليل له لم : قال حتى تعلم الخلائق أن بره واطفئه في النار مع أوليائه .
قال المصنف رحمه الله : هذا الكلام من أقبح الأقوال لأنه يتضمن تحقير
ما عظم الله عز وجل أمره من النار فانه عز وجل بالغ في وصفها فقال :
(واتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة) وقال : (إذارأتهم من مكان
بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً) الى غير ذلك من الآيات . وقد أخبرنا
عبد الأول نا ابن المظفر نا ابن أعين ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا اسماعيل ثنا
مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال : « قال رسول الله ﷺ
ان ناركم هذه ما يوقد بنو آدم جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم . قالوا له
الصحابه والله ان كانت لكافية يا رسول الله . قال فانها فضلت عليها بتسعة
وستين جزءاً كلهن مثل حرها أخرجاه في الصحيحين . وفي أفراد مسلم من
حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ انه قال : يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون
ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها » . أخبرنا محمد بن ناصر
نا جعفر بن احمد نا أبو علي التميمي نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن احمد
ثني أبي ثنا بهز بن أسد ثنا جعفر بن سليمان ثنا علي بن زيد عن مطرف عن
كعب قال قال عمر بن الخطاب : يا كعب خوفنا فقال يا أمير المؤمنين اعمل
عمل رجل لو وافيت القيامة بعمل سبعين نبياً لازدرأت عملك مما ترى فأطرق
عمر رضى الله عنه ملياً ثم أفاق قال : زدنا يا كعب قلت : يا أمير المؤمنين لو
فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل
من حرها . فأطرق عمر ملياً ثم أفاق فقال : زدنا يا كعب قلت : يا أمير المؤمنين
ان جهنم لتزفر يوم القيامة زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مصطفى إلا خر
جائئاً على ركبتيه ويقول رب نفسي نفسي لا أسألك اليوم غير نفسي . أخبرنا
محمد بن عبد الباقي بن احمد نا احمد بن احمد الحداد ثنا أبو نعيم الحافظ ثنا أبي
ثنا احمد بن محمد بن الحسن البغدادي ثنا ابراهيم بن عبد الله الجنيد ثنا عبد الله
ابن محمد بن عائشة ثنا سالم الخواص عن فرات بن السائب عن زاذان قال :
سمعت كعب الأخبار يقول : اذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين

في صعيد واحد ونزلت الملائكة وصارت صفوفاً فيقول يا جبرائيل اتقي
بجهم فيأتي بها جبريل فتقاد بسبعين ألف زمام حتى اذا كانت من الخلائق على
قدر مائة عام زفرت زفرة طارت لها أفئدة الخلائق ثم زفرت ثانية فلا يبقى
ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثى على ركبتيه ثم تزفر الثالثة فتبلغ القلوب
الخناجر وتذهل العقول فيفزع كل امرئ الى عمله حتى أن ابراهيم الخليل يقول
بخلتى لا أسألك الا نفسي . ويقول موسى بمناجاتي لا أسألك الا نفسي . وان
عيسى ليقول بما أكرمتني لا أسألك الا نفسي لا أسألك مريم التي ولدتني .
قلت وقد روينا أن النبي ﷺ قال يا جبرائيل مالي أرى ميكائيل لا يضحك
فقال : ما ضحك ميكائيل مذ خلقت النار وما جفت لي عين مذ خلقت جهنم
مخافة أن أعصى الله فيجعلني فيها . وبكى عبدالله بن رواحة يوماً فقالت : امرأته
مالك تبكي قال أنبت اتي واراد ولم أنبأ أني صادر .

قال المصنف رحمه الله : فاذا كانت هذه حالة الملائكة والأنبياء والصحابة
وهم المطهرون من الأدناس وهذا انزعاجهم لأجل النار فكيف هانت عند
هذا المدعى ثم انه يقطع لنفسه بما لا يدري به من الولاية والنجاة وهل قطع
بالنجاة الا لقوم مخصوصين من الصحابة . وقد قال ﷺ « من قال اتي في
الجنة فهو في النار » وهذا محمد بن واسع يقول عند موته يا أخوتاه أتدرون
أين يذهب بي يذهب بي والله الذي لا إله إلا هو الى النار أو يعفو عني .
قلت وهذا ان صح عن هذا المدعى فهذا غاية من تلبس إبليس . وقد كان ابن
عقيل يقول : قد حكى عن أبي يزيد انه قال . وما النار والله لئن رأيتهما لأطفأتهما
بلمرف مرقعتي أو نحو هذا قال . ومن قال هذا كائن من كان فهو زنديق يجب
قتله فان الاهوان للشئ ثمرة الجحد لأن من يؤمن بالجن يقشعر في الظلمة ومن
لا يؤمن لا ينزعج وربما قال يا جن خذوني . ومثل هذا القائل ينبغي أن يقرب
الى وجهه شمعة فاذا انزعج قيل له هذه جذوة من نار . أنبأنا محمد بن
ناصر نا أبو الفضل السهلي قال سمعت أبا عبدالله الشيرازي يقول ثنا
أبو اسحاق ابراهيم بن محمد قال سمعت الحسن بن علوية يقول : سمعت
طيفور الصغير يقول سمعت عمي خادم أبي يزيد يقول . سمعت أبا يزيد يقول

سبحاني سبحاني ما أعظم شأنى . ثم قال : حسى من نفسى حسى : قلت هذا إن صح عنه فربما يكون الراوى لم يفهم لأنه يحتمل أن يكون قد ذكر تمجيد الحق نفسه فقال فيه . « سبحانى » . حكاية عن الله لا عن نفسه . وقد تأوله له الجنيد بشيء إن لم يرجع إلى ما قلته فليس بشيء . فأنبأنا ابن ناصر نالسهلكى نا محمد بن القاسم الفارسى سمعت الحسن بن على المذكر سمعت جعفر الخلدى يقول . قيل للجنيد إن أبا يزيد يقول سبحانى سبحانى أنا ربى الأعلى : فقال الجنيد . إن الرجل مستهلك فى شهود الجلال فتطق بما استهلكه ، أذهله الحق عن رؤيته إياه فلم يشهد إلا الحق فتمته . قلت وهذا من الخرافات . أنبأنا الحسن عن محمد بن الفضل الكرماني ناسهل بن على الخشاب ، وأنبأنا أبو الوقت عبد الأول نا أحمد بن أبى نصر السكوفاني نا الحسن بن محمد بن فوزى نا عبد الله ابن على السراج قال سمعت أحمد بن سالم البصرى بالبصرة يقول فى مجلسه يوماً فرعون لم يقل ما قال أبو يزيد لأن فرعون قال « أنا ربكم الأعلى » والرب يسمى به المخلوق يقال رب الدر . وقال أبو يزيد سبحانى سبحانى لا يجوز إلا لله . فقلت قد صح عندك هذا عن أبى يزيد فقال قد قال ذلك . فقلت يحتمل أن يكون لهذا الكلام مقدمات يحكى بأن الله يقول سبحانى لأننا لو سمعنا رجلاً يقول « لا إله إلا أنا » علمنا أنه يقرأ . وقد سألت جماعة من أهل بسطام من بيت أبى يزيد عن هذا فقالوا لا تعرف هذا . أنبأنا ابن ناصر نا أبو الفضل السهلكى قال سمعت أبا عبد الله الشيرازى يقول سمعت عامر بن أحمد قال سمعت الكمثنى يقول حدثنى أبو موسى الدبلى قال سمعت أبا يزيد يقول . كنت أطوف حول البيت أطلبه فلما وصلت إليه رأيت البيت يطوف حولى . قال الشيرازى . وحدثنا إبراهيم بن محمد قال سمعت الحسن بن علويه يقول سمعت طيفور الصغير يقول سمعت أبا يزيد يقول حججت أول حجة فرأيت البيت : وحججت الثانية فرأيت صاحب البيت ولم أر البيت . وحججت الثالثة فلم أر البيت ولا صاحب البيت . قال الشيرازى وسمعت محمد بن دادويه يقول سمعت عبد الله بن سهل يقول سمعت أبا موسى الدبلى يقول سمعت أبا يزيد « وسئل عن اللوح المحفوظ » . قال - أنا اللوح المحفوظ . قال الشيرازى وسمعت المظفر بن عيسى المراغى . يقول سمعت سيرين

يقول سمعت أبا موسى الدبيلي . يقول قلت لأبي يزيد بلغني أن ثلاثة قلوبهم على قلب جبريل قال أنا أولئك الثلاثة فقلت كيف . قال قلبي واحد . وهمي واحد . وروحي واحد . قلت وبلغني أن واحداً قلبه على قلب إسرافيل . قال وأنا ذلك الواحد ومثلي مثل بحر مصطلم لا أول له ولا آخر : قال السهلي وقرأ رجل عند أبي يزيد « إن بطش ربك لشديد » فقال . أبو يزيد وحياته إن بطشي أشد من بطشه . وقيل لأبي يزيد . بلغنا إنك من السبعة . قال : أنا كل السبعة . وقيل له . إن الخلق كلها تحت لواء سيدنا محمد ﷺ فقال . والله إن لوائي أعظم من لواء محمد . لوائي من نور تحته الجن والإنس كلهم مع النبيين ، وقال أبو يزيد . سبحانه سبحانه ما أعظم سلطاني ليس مثلي في السماء يوجد ولا مثلي صفة في الأرض تعرف أنا هو وهو أنا وهو هو . أخبرنا محمد بن ناصر وابن عبد الباقي قالنا نا محمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ نا أحمد ابن أبي عمران نا منصور بن عبد الله . قال سمعت أبي يقول قيل لأبي يزيد إنك من الابدال السبعة الذين هم أوتاد الأرض ، فقال : أنا كل السبعة . أنا نا ابن ناصر نا أبو الفضل السهلي قال سمعت أبا الحسين محمد بن القاسم الفارسي قال سمعت أبا نصر بن محمد بن إسماعيل البخاري يقول سمعت أبا الحسين علي بن محمد الجرجاني يقول سمعت الحسن بن علي بن سلام يقول دخل أبو يزيد مدينة فتبعه منها خلق كثير فالتفت اليهم فقال « إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدوني » . فقالوا : جن أبو يزيد فتركوه ، قال : الفارسي وسمعت أبا بكر أحمد بن محمد النيسابوري قال : سمعت أبا بكر أحمد بن إسرائيل قال سمعت خالي علي بن الحسين يقول سمعت الحسن بن علي بن حياة يقول سمعت عمي وهو أبو عمران موسى بن عيسى بن أخى أبي يزيد قال سمعت أبي يقول قال أبو يزيد : رفع بي مرة حتى قمت بين يديه . فقال لي . يا أبا يزيد إن خلق يحبون أن يزوك . قلت يا عز يزي وأنا أحب أن يروني . فقال يا أبا يزيد إني أريد أريكم . فقلت يا عز يزي إن كانوا يحبون أن يروني وأنت تريد ذلك وأنا لا أقدر على مخالفتك . قربني بوحدا نيتك ، وألبسني ربانيتك ، وارفعني إلى أحديتك . حتى إذا رآني خلقك . قالوا رأيناك فيكون أنت ذاك ولا أكون أنا هناك ففعل بي ذلك وأقامني وزيني ورفعني .

ثم قال اخرج إلى خلقي فخطوت من عنده خطوة إلى الخلق خارجاً فلما كان من الخطوة الثانية غشى عليّ فنادى ردوا حبيبي فإنه لا يصبر عني ساعة . أنبأنا ابن ناصر نا السهلي . قال سمعت محمد بن إبراهيم الواعظ . يقول سمعت محمد بن محمد الفقيه يقول سمعت احمد بن محمد الصوفي يقول سمعت أبا موسى يقول حكى عن أبي يزيد أنه قال أراد موسى عليه الصلاة السلام أن يرى الله تعالى . وأنا ما أردت أن أرى الله تعالى هو أراد أن يراني . أخبرنا أبو بكر ابن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق الحيري ثنا أبو عبد الله ابن باكويه ثنا أبو الطيب بن الفرغاني قال سمعت الجنيد بن محمد يقول . دخل على أمس رجل من أهل بسطام فذكر أنه سمع أبا يزيد البسطامي يقول : اللهم ان كان في سابق عليك أنك تعذب أحداً من خلقك بالنار فعظم خلقي حتى لا تسع معي غيري .

قال المصنف رحمه الله : أما ما تقدم من دعاويه فإيخني قبحها . وأما هذا القول فخطأ من ثلاثة أوجه . أحدها أنه قال ان كان في سابق عليك وقد علمنا قطعاً أنه لا بد من تعذيب خلق بالنار وقد سنى الله عز وجل منهم خلقاً . كفرعون وأبي لهب فكيف يجوز أن يقال بعد القطع واليقين إن كان . والثاني قوله تعظم خلقي فلو قال لا دفع عن المؤمنين ولكنه قال حتى لا تسع غيري فاشفق على الكفار أيضاً وهذا تعاط على رحمة الله عز وجل . والثالث أن يكون جاهلاً بقدر هذه النار أو واثقاً من نفسه بالصبر وكلا الأمرين معدوم عنده قلت : ثم قال والله لقد تكلمت أمس مع الخضر في هذه المسألة وكانت الملائكة يستحسنون قولي . والله عز وجل يسمع كلامي فلم يعب عليّ ولو عاب عليّ لاخر سنى . قلت لولا أن هذا الرجل قد نسب إلى التغير لكان ينبغي أن يرد عليه . وأين الخضر ومن أين له أن الملائكة تستحسن قوله . وكمن قول معيب لم يعاجل صاحبه بالعقوبة وقد بلغني عن ميمون عبده قال بلغني عن سمنون الحب أنه كان يسمى نفسه الكذاب بسبب آياته التي قال فيها . وليس لي في شواك حظ فكيفها ما شئت فامتحن

فابتلى بحبس البول فلم يقر له قرار فكان بعد ذلك يطوف على المكاتب ويده قارورة يقطر منها بوله ويقول للصبيان ادعوا لعمكم الكذاب .

قال المصنف رحمه الله : إنه ليقشعر جلدى من هذه أتراه على ما يتقاوى وإنما هذه ثمرة الجهل بالله سبحانه وتعالى ولو عرفه لم يسأله إلا العافية . وقد قال من عرف الله كل لسانه . أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق نا ابن باكويه قال : سمعت محمد بن داود الجوزجاني يقول سمعت أبا العباس بن عطاء يقول : كنت أرد هذه الكرامات حتى حدثني الثقة عن أبي الحسين النورى وسألته فقال كذا كان . قال : كنا فى سميرية فى دجلة فقالوا لأبي الحسين أخرج لنا من دجلة سمكة فيها ثلاثة أرطال وثلاث أواقى فحرك شفتيه . فاذا سمكة فيها ثلاثة أرطال وثلاث أواقى ظهرت من الماء حتى وقعت فى السميرية . فقيل لأبي الحسين : سألتناك بالله إلا أخبرتنا بماذا دعوت فقال : قلت وعزتك لئن لم تخرج من الماء حوتاً فيها ثلاث أرطال وثلاث أواقى لأغرقتن نفسى فى دجلة . أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر ابن ثابت قال أخبرنى عبد الصمد بن محمد الخطيب ثنا الحسن بن الحسين الهمداني قال سمعت جعفر بن الخلدى سمعت الجنيد يقول سمعت النورى يقول : كنت بالرقعة فجاءنى المريدون الذين كانوا بها . وقالوا . نخرج ونصطاد السمك . فقالوا الى يا أبا الحسين هات من عبادتك واجتهادك وما أنت عليه من الاجتهاد سمكة يكون فيها ثلاثة أرطال لا تزيد ولا تنقص . فقلت لمولاي إن لم تخرج إلى الساعة سمكة فيها ما قد ذكروا لأرمين بنفسى فى الفرات . فأخرجت سمكة فوزتها فاذا فيها ثلاثة أرطال لا زيادة ولا نقصان . قال الجنيد : فقلت له يا أبا الحسين لو لم تخرج كنت ترى بنفسك قال نعم . أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق نا ابن باكويه نا أبو يعقوب الخراط . قال قال لى أبو الحسين النورى كان فى نفسى من هذه الكرامات شىء وأخذت من الصبيان قصبة وقت بين زورقين وقلت وعزتك لئن لم تخرج لى سمكة فيها ثلاثة أرطال لا تزيد ولا تنقص لا آكل شيئاً . قال فبلغ ذلك الجنيد فقال : كان حكمه أن تخرج له أفعى تلدغه . أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبي صادق نا ابن باكويه قال سمعت الحسين بن احمد الفارسي يقول سمعت الرقى يقول سمعت على بن محمد بن أبان قال سمعت أبا سعيد الخراز يقول : أكبر ذنبى إليه معرقى إياه .

قال المصنف رحمه الله . هذا ان حمل على معنى انى لما عرفته لم أعمل بمقتضى معرفته فعظم ذنبى كما يعظم جرم من علم وعصى وإلا فهو قبيح . أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبى صادق نا ابن باكويه ثنى احمد الخلفاى قال سمعت الشبلى يقول : أحبك الخلق انجائك وأنا أحبك لبلائك . أخبرنا محمد بن أبى القاسم أنبأنا الحسن بن محمد بن الفضل الكرماني نا سهل بن على الخشاب . وأخبرنا أبو الوقت نا احمد بن أبى نصر نا الحسن بن محمد بن فورى قال نا عبد الله ابن على السراج قال سمعت أبا عبد الله احمد بن محمد الهمداني يقول . دخلت على الشبلى فلما قلت لأخرج كان يقول لى ولمن معى الى أن خرجنا من الدار مروا أنا معكم حيث ما كنتم وأنتم فى رعايتى وكلامتى . نا محمد بن ناصر نا أبو عبد الله الحميدى نا أبو بكر محمد بن احمد الاربدستانى نا أبو عبد الرحمن السلى قال سمعت منصور بن عبد الله يقول . دخل قوم على الشبلى فى مرض موته الذى مات فيه . فقالوا كيف تجددك يا أبا بكر فأنشأ يقول :

ان سلطان حبه قال لا أقبل الرشا

فسلوه فديتسه ما لقتلى تجرشا

قال ابن عقيل وقد حكى عن الشبلى أنه قال أن الله سبحانه وتعالى . قال (ولسوف يعطيك ربك فترضى) . والله لا رضى محمد ﷺ وفى النار من أمته أحد . ثم قال ان محمداً يشفع فى أمته وأشفع بعده فى النار حتى لا يبق فيها أحد قال ابن عقيل والدعوى الأولى على النبى ﷺ كاذبة فإن النبى ﷺ يرضى بعذاب الفجار . كيف وقد لعن فى الخبر عشرة . فدعوى أنه لا يرضى بتعذيب الله عز وجل للفجار دعوى باطلة وإقدام على جهل بحكم الشرع . ودعواه بأنه من أهل الشفاعة فى الكل وأنه يزيد على محمد ﷺ كفر لأن الإنسان متى قطع لنفسه بأنه من أهل الجنة كان من أهل النار فكيف وهو يشهد لنفسه بأنه على مقام يزيد على مقام النبوة بل يزيد على المقام المحمود وهو الشفاعة العظمى . قال ابن عقيل والذى يمكننى فى حق أهل البدع لسانى وقلبى ولو اتسعت قدرتى فى السيف لرويت الثرى من دماء خلق .

أخبرتنا شهدة بنت أحمد قالت أخبرنا جعفر بن احمد ثنا أبو طاهر محمد ابن على العلاف سمعت أبا الحسين بن سمعون سمعت أبا عبد الله العلقمى .

صاحب أبا العباس بن عطاء سمعت أبا العباس بن عطاء يقول . قرأت القرآن
فما رأيت الله عز وجل ذكر عبداً فأتيت عليه حتى ابتلاه . فسألت الله تعالى
أن يتليني فما مضت الأيام والليالي حتى خرج من دارى نيف وعشرون ميلاً
ما رجع منهم أحد . قال وذهب ماله ، وذهب عقله ، وذهب ولده وأهله .
فكثرت بحكم الغلبة سبع سنين أو نحوها . وكان أول شيء قاله بعد صحوه من غلبته
حقاً أقول لقد كلفتنى شططاً حملى هواك وضبرى ان ذا عجب

قلت : قللة علم هذا الرجل أثر ان سأل البلاء . وفى سؤال البلاء معنى
التقاوى وذلك من أقبح القبيح . و - الشطط - الجور ولا يجوز أن ينسب
إلى الله تعالى . وأحسن ما حمل عليه حاله أن يكون قال هذا البيت فى زمان
التغير ، أخبرنا محمد بن ناصر أنبأنا أحمد بن على بن خلف نا محمد بن الحسين
السلى سمعت أبا الحسن على بن ابراهيم الحصرى . يقول ، دعونى وبلائى
الستم أولاد آدم الذى خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأبجد له
ملائكته ، وأمره بأمره بخالفه ، إذا كان أول الدن دردى كيف يكون
آخره ، قال وقال الحصرى كنت زماناً إذا قرأت القرآن لا أستعيز من
الشیطان وأقول الشيطان حتى يحضر كلام الحق .

قال المصنف رحمه الله قلت : أما القول الأول بأنه يتسلط على الأنبياء
جرأة قبيحة وسوء أدب . وأما الثانى فخالف لما أمر الله عز وجل به فإنه
قال « فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله » أخبرنا أبو بكر بن أبى طاهر نا عباد
ابن ابراهيم النسفى ثنا محمد بن الحسين السلى قال وجدت فى كتاب أبى بخطه
سمعت أبا العباس أحمد بن محمد الدينورى يقول . قد نقضوا أركان التصوف
وهدموا سبيلها وغيروا معانيها بأسامى أحدثوها سموأ الطبع زيادة ، وسوء
الأدب إخلاصاً ، والخروج عن الحق شططاً ، والتلذذ بالمذموم طيبة وسوء
الخلق صولة ، والبخل جلادة . واتباع الهوى ابتلاء ، والرجوع إلى الدنيا
وصولا والسؤال عملاً . وبذا اللسان ملامة وما هذا طريق القوم . وقال
ابن عقيل عبرت الصوفية عن الحرام بعبارات غيروا لها الأسماء مع حصول
المعنى فقالوا فى الاجتماع على الطيبة والغناء والخنكرة ، أوقات . وقالوا فى
المردان شب وفى المعشوقة أخت . وفى المحبة مريدة وفى الرقص والطرب

وجد ، وفي مناخ اليهود والبطالة رباط . وهذا التغيير للاسماء لا يباح .

(بيان جملة مروية على الصوفية من الأفعال المنكرة)

قلت . قد سبق ذكر أفعال كثيرة لهم كلها منكورة وإنما نذكر ههنا من امهات الأفعال وعجائبها . أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن احمد أنبأنا أبو علي الحسن بن محمد بن الفضل السكرماني نا أبو الحسن سهل بن علي الخشاب نا أبو نصر عبد الله بن علي السراج . قال ذكر عن أبي الكريتي - وكان أستاذ الجنيد - انه أصابته جنابة . وكان عليه مرقعة تخينة . فجاء إلى شاطئ الدجلة والبرد شديد فحزرت نفسه عن الدخول في الماء لشدة البرد فطرح نفسه في الماء مع المرقعة ولم يزل يغوص ثم خرج . وقال : عقدت أن لا أنزعها عن بدني حتى تجف علي فلم تجف عليه شهر آ .

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أحمد بن علي بن ثابت ثنا عبد العزيز ابن علي ثنا علي بن عبد الله الهمداني ثنا الخلدی ثني جنيد قال سمعت أبا جعفر ابن الكريتي يقول أصبت ليلة جنابة فاحتجت أن أغتسل وكانت ليلة باردة فوجدت في نفسي تأخر آ وتقصير آ وحدثني نفسي لو تركت حتى تصبح ويسخن لك الماء . أو تدخل حماماً . والا اعبأ على نفسك . فقلت واعجباً أنا أعامل الله تعالى في طول عمري . يجب له على حق لا أجد المسارعة اليه . وأجد الوقوف والتباطؤ والتأخر . آليت لا أغتسل الا في نهر . وآليت لا أغتسل الا في نهر . وآليت لا اغتسل الا في مرقعتي هذه . وآليت لا أعصرنها وآليت لا جففنها في شمس . أو كما قال . قلت قد سبق في ذكر المرقعات وصف هذه المرقعة لابن الكريتي وأنه وزن أحد كميا فكان فيه أحد عشر رطلاً وإنما ذكر هذا للناس ليبين أني فعلت الحسن الجميل . وحكوه عنه ليبين فضله وذلك جهل محض لأن هذا الرجل عصي الله سبحانه وتعالى بما فعل . وإنما يعجب هذا الفعل العوام الحمقى لا العلماء . ولا يجوز لأحد أن يعاقب نفسه فقد جمع هذا المسكين لنفسه فنونا من التعذيب : إلقاؤها في الماء البارد ، وكونه في مرقعة لا يمكنه الحركة فيها كما يريد . ولعله قد بقي من مغابته ما لم يصل إليه الماء لكشفة هذه المرقعة ، وبقامها عليه مبتلة شهر آ وذلك يمنعه

لذة النوم . وكل هذا الفعل خطأ واثم وربما كان ذلك سبباً لمرضه أو قتله .
 أخبرنا المحدثان بن ناصر وابن عبيد الباقي قال أخبرنا أحمد بن أحمد بن
 عبدالله الاصبهاني ، قال : كانت أم علي زوجة أحمد بن حضرويه قد أحلت
 زوجها أحمد من صداقها على أن يزورها أبا يزيد البسطامي فحملها اليه ودخلت
 عليه وقعدت بين يديه مسفرة عن وجهها . فلما قال لها أحمد : رأيت منك
 عجباً . أسفرت عن وجهك بين يدي أبي يزيد : قالت لأنني لما نظرت اليه
 فقدت حظوظ نفسي . وكلما نظرت اليك رجعت إلى حظوظ نفسي . فلما
 أراد أحمد الخروج من عند أبي يزيد قال له أوصني . قال تعلم الفتوة من زوجتك .
 أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعيد بن أبي صادق نا بن با كويه سمعت
 أبا بكر الفارزي وفاز قرية بطرسوس . سمعت أبا بكر السباك سمعت يوسف
 ابن الحسين يقول : كان بين أحمد بن أبي الحواري وبين أبي سليمان عقد أن
 لا يخالفه في شيء يؤمره به بخلافه يوماً وهو يتكلم في المجلس فقال ان التنور
 قد سجرناه فما تأمرنا فما أجابه فأعاد مرة أو مرتين فقال له في الثالثة اذهب
 واقعد فيه ففعل ذلك . فقال أبو سليمان أحقوه فإن بيني وبينه عقداً أن
 لا يخالفني في شيء أمره به فقام وقاموا معه فجاءوا إلى التنور فوجدوه قاعداً
 في وسطه فأخذ بيده وأقامه فما أصابه خدش .

قال المصنف رحمه الله : هذه الحكاية بعيدة الصحة ولو صحت كان دخوله
 النار معصية . وفي الصحيحين من حديث علي رضي الله عنه قال بعث رسول
 الله ﷺ سرية واستعمل عليها رجلاً من الأنصار فلما خرجوا وجد عليهم
 في شيء فقال لهم أليس قد أمركم رسول الله ﷺ أن تطيعوني قالوا بلى قال
 فاجمعوا حطباً فجمعوا ثم دعا بنار فأضرمها ثم قال عزمت عليكم لتدخلنها قال
 فهم القوم ان يدخلوها فقال لهم شاب إنما فررتم إلى رسول الله ﷺ من
 النار فلا تعجلوا حتى تلقوا النبي ﷺ فإن أمركم أن تدخلوها فادخلوا فراجعوا
 إلى النبي ﷺ فاخبروه فقال لهم رسول الله ﷺ «لو دخلتموها ما خرجتم
 منها أبداً إنما الطاعة في المعروف» . أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أحمد
 ابن علي بن ثابت نا أبو نعيم الحافظ أخبرني الحسن بن جعفر بن علي أخبرني

عبدالله بن إبراهيم الجزري قال : قال أبو الخير الدبيلي كنت جالسا عند خير النساء فأتته امرأة وقالت له اعطيني المتدبل الذي دفعته اليك قال نعم فدفعه اليها قالت كم الأجرة قال درهمان قالت ما معي الساعة شيء وأنا قد ترددت اليك مراراً فلم أراك وأنا آتيك به غداً إن شاء الله تعالى فقال لها خير إن أتيتني بهما ولم تجدني فارجي بهما في دجلة فإني إذا جئت أخذتهما فقالت المرأة كيف تأخذ من دجلة فقال لها خير هذا التفتيش فضول منك افعل ما أمرتك . قالت إن شاء الله فمرت المرأة قال أبو الحسين فجئت من الغد وكان خير غائبا وإذا المرأة قد جاءت ومعها خرقة فيها درهمان فلم تجدده فرمت بالخرقة في دجلة وإذا بسرطان قد تعلقت بالخرقة وغاصه وبعد ساعة جاء خير وفتح باب حانوته وجلس على الشط يتوضأ وإذا بسرطان قد خرجت من الماء تسعى نحوه والخرقة على ظهرها فلما قربت من الشيخ أخذها . فقلت له رأيت كذا وكذا فقال أحب أن لا تبوح به في حياتي فأجبتته إلى ذلك .

قال المصنف رحمه الله : صحة مثل هذا تبعد ، ولو صح لم يخرج هذا الفعل من مخالفة الشرع لأن الشرع قد أمر بحفظ المال وهذا إضاعة . وفي الصحيح أن النبي ﷺ نهى عن إضاعة المال ، ولا تلتفت إلى قول من يزعم أن هذا كرامة لأن الله عز وجل لا يكرم مخالفاً لشرعه . أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر بن ثابت نا أبو نعيم الحافظ سمعت أبا الفرج الورياني سمعت علي بن عبد الرحيم يقول : دخلت على النوري ذات يوم فرأيت رجليه منتفختين فسألته عن أمره . فقال طالبتي نفسي بأكل الثمر فجعلت أداؤها فتأبى عليّ فخرجت فاشتريت . فلما إن أكلت قلت لها قومي فصلى فأبت عليّ فقلت لله علي إن قعدت إلى الأرض أربعين يوماً إلا في التشهد فما قعدت قلت من سمع هذا من الجهال يقول ما أحسن هذه المجاهدة ولا يدرى أن هذا الفعل لا يحل لأنه حمل على النفس ما لا يجوز ومنعها حقها من الراحة وقد حكى أبو حامد الغزالي في كتاب الأحياء قال كان بعض الشيوخ في بداية إرادته يكسل عن القيام فالزم نفسه القيام على رأسه طول الليل لتسمع نفسه بالقيام عن طوع قال وعالج بعضهم حب المال بأن باع جميع ماله وورماه في البحر

إذا خاف من تفرقة على الناس رعوة الجود ورياء البذل : قال وكان بعضهم يستأجر من يشتبه على ملاً من الناس لعود نفسه الحلم قال وكان آخر ركب البحر في الشتاء عند اضطراب الموج ليصير شجاعاً .

قال المصنف رحمه الله : أعجب من جميع هؤلاء عندى أبو حامد كيف حكى هذه الأشياء ولم ينكرها . وكيف ينكرها وقد أتى بها في معرض التعليم وقال قبل أن يورد هذه الحكايات : ينبغي للشيخ أن ينظر إلى حالة المبتدىء . فان رأى معه مالا فاضلا عن قدر حاجته أخذه وصرفه في الخير وفرغ قلبه منه حتى لا يلتفت إليه . وان رأى الكبرياء قد غلب عليه أمره أن يخرج إلى السوق للسكد ويكلفه السؤال والمواظبة على ذلك . وان رأى الغالب عليه البطالة استخدمه في بيت الماء وتنظيفه وكنس المواضع القذرة وملازمة المطبخ ومواضع الدخان ، وان رأى شره الطعام غالباً عليه ألزمه الصوم . وان رآه عزباً ولم تنكسر شهوته بالصوم أمره أن يفطر ليلة على الماء دون الخبز وليلة على الخبز دون الماء ويمنعه اللحم رأساً .

قلت : وأنى لا تعجب من أبى حامد كيف يأمر بهذه الأشياء التي تخالف الشريعة وكيف يحل القيام على الرأس طول الليل فينعكس الدم إلى وجهه ويورثه ذلك مرضاً شديداً وكيف يحل رمى المال في البحر . وقد نهى رسول الله ﷺ عن إضاعة المال . وهل يحل سب مسلم بلا سبب . وهل يجوز للمسلم أن يستأجر على ذلك وكيف يجوز ركوب البحر زمان اضطرابه وذلك زمان قد سقط فيه الخطاب بأداء الحج . وكيف يحل السؤال لمن يقدر أن يكتسب . فما أرخص ما باع أبو حامد الغزالي الفقه بالتصوف .

أنبأنا ابن ناصر نا أبو الفضل السهلي نا أبو علي عبد الله بن إبراهيم النيسابوري ثنا أبو الحسن علي بن جهم ثنا أبو صالح الدامغانى عن الحسن ابن علي الدامغانى . قال : كان رجل من أهل بسطام لا ينقطع عن مجلس أبي يزيد لا يفارقه . فقال له ذات يوم . يا أستاذ . أنا منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر وأقوم الليل وقد تركت الشهوات ولست أجد في قلبي من هذا الذي تذكره شيئاً البتة . فقال له أبو يزيد لو صمت ثلاثمائة سنة وقت ثلاثمائة سنة وأنت على

ما أراك لا يجد من هذا العلم زرة . قال ولم يا استاذ . قال : لأنك محجوب بنفسك فقال له : أفلهذا دواء حتى يكشف هذا الحجاب قال : نعم ولكنك لم تقبل قال : بلى أقبل وأعمل ما تقول . قال أبو يزيد أذهب الساعة إلى الحجام واحلق رأسك ولحيتك وانزع عنك هذا اللباس وابرز بعباءة وعلق في عنقك مخلاة واملأها جوزاً واجمع حولك صبياناً وقل باعلا صوتك يا صبيان . من يصفعني صفقة أعطينه جوزة وادخل إلى سوقك الذي تعظم فيه . فقال يا أبا يزيد سبحان الله نقول لى مثل هذا وبحسن أن أفعل هذا . فقال أبو يزيد قولك سبحان الله شرك . قال وكيف قال لأنك عظمت نفسك فسيبحتها . فقال يا أبا يزيد هذا ليس أقدر عليه ولا أفعله ولكن دلتني على غيره حتى أفعله . فقال أبو يزيد ابتدر هذا قبل كل شيء حتى تسقط جاهك وتذل نفسك ثم بعد ذلك أعرفك ما يصلح لك قال : لا أطيق هذا . قال . انك لا تقبل .

قال المصنف رحمه الله قلت . ليس في شرعنا بحمد الله من هذا شيء بل فيه تحريم ذلك والمنع منه وقد قال نبينا عليه الصلاة والسلام : ليس للمؤمن أن يذل نفسه . ولقد فاتت الجمعية حذيفة فرأى الناس راجعين فاستر لثلا يرى بعين النقص في قصة الصلاة . وهل طالب الشرع أحداً بمحو أثر النفس وقد قال ﷺ من أتى شيئاً من هذه القاذورات فليستر بستر الله . كل هذا للابقاء على جاه النفس . ولو أمر بهلول الصبيان أن يصفعوه لكان قبيحاً فنعوذ بالله من هذه العقول الناقصة التي تطالب المبتدئ بما لا يرضاه الشرع فينفر . وقد حكى أبو حامد الغزالي في كتاب الأحياء عن يحيى بن معاذ أنه قال قلت لأبي يزيد هل سألت الله تعالى المعرفة يقال عزت عليه أن يعرفها سواه . فقلت هذا إقرار بالجهل فإن كان يشير إلى معرفة الله تعالى في الجملة وأنه موجود وموصوف بصفات وهذا لا يسمع أحداً من المسلمين جهله وإن تخايل له أن معرفته هي اطلاع على حقيقة ذاته وكنها فهذا جهل به . وحكى أبو حامد : أن أبا تراب النخشي قال لمريده . لو رأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من رؤية الله سبعين مرة ، قلت . وهذا فوق الجنون بدرجات .

وحكى أبو حامد الغزالي عن ابن الكريني أنه قال نزلت في محلة فعرفت فيها بالصلاح فنشبت في قلبي فدخلت الحمام وعينت على ثياب فاخرة فسرقتها ولبستها ثم لبست مرقعتي وخرجت فجعلت أمشي قليلا قليلا فلحقوني فزعوا مرقعتي وأخذوا الثياب وصفعوني فصرت بعد ذلك أعرف بلهب الحمام فسكنت نفسي . قال أبو حامد . فهكذا كانوا يرضون أنفسهم حتى يخلصهم الله من النظر إلى الخلق ثم من النظر إلى النفس وأرباب الأحوال ربما عاجلوا أنفسهم بما لا يفتي به الفقيه مهما رأوا صلاح قلوبهم ثم يتسداركون ما فرط منهم من صورة التقصير كما فعل هذا في الحمام . قلت سبحانه من أخرج أبا حامد من دائرة الفقه بتصنيفه كتاب الأحياء فليته لم يحك فيه مثل هذا الذي لا يحل : والعجب منه أنه يحكيه ويستحسنه ويسمى أصحابه أرباب أحوال وأى حالة أقبح وأشد من حال من يخالف الشرع ويرى المصلحة في النهي عنه وكيف يجوز أن يطلب صلاح القلوب بفعل المعاصي وقد عدم في الشريعة ما يصلح به قلبه حتى يستعمل ما لا يحل فيها وهذا من جنس ما تفعله الامراء الجبهة من قطع من لا يجب قطعه وقتل من لا يجوز قتله ويسمون سياسة ومضمون ذلك الشريعة ماتت بالسياسة . وكيف يحل للمسلم أن يعرض نفسه لأن يقال عنه سارق وهل يجوز أن يقصد وهن دينه ومحو ذلك عند شهداء الله في الأرض ولو أن رجلا وقف مع امرأته في طريق يكلمها ويلبسها ليقول عنه من لا يعلم هذا فاسق لكان عاصيا بذلك ، ثم كيف يجوز التصرف في مال الغير بغير إذنه . ثم في نص مذهب أحمد والشافعي أن من سرق من الحمام ثيابا عليها حافظ وجب قطع يده ثم من أرباب الأحوال حتى يعملوا بواقعاتهم كلا والله إن لنا شريعة لو رام أبو بكر الصديق أن يخرج عنها إلى العمل برأيه لم يقبل منه . فعجبي من هذا الفقيه المستلب عن الفقه بالتصوف أكثر من تعجبي من هذا المستلب الثياب .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق نا بن باكويه قال : سمعت محمد بن أحمد التجارى يقول . كان على بن بابويه من الصوفية فاشترى

يوماً من الأيام قطعة لحم فأحب أن يحمله إلى البيت فاستحيا من أهل السوق فعلق اللحم في عنقه وحمله إلى بيته .

قلت : وأعجبا من قوم طالبوا أنفسهم بمحو أثر الطبع وذلك أمر لا يمكن ولا هو مراد الشرع . وقد ركز في الطباع إن الإنسان لا يجب أن يرى إلا متجملًا في ثيابه وأنه يستحي من العري وكشف الرأس . والشرع لا ينكر عليه هذا . وما فعله هذا الرجل من الإهانة لنفسه بين الناس أمر قبيح في الشرع والعقل فهو إسقاط مروءة لا رياضة كما لو حمل نعليه على رأسه . وقد جاء في الحديث « ألا كل في السوق دناءة » فان الله قد أكرم الأدي وجعل لكثير من الناس من يخدمه . فليس من الدين إذلال الرجل نفسه بين الناس . وقد تسمى قوم من الصوفية بالملامية فاقبحموا الذنوب فقالوا مقصودنا أن نسقط من أعين الناس فسلم من آفات الجاه والمرائين . وهؤلاء مثلهم كمثل رجل زنى بامرأة فأحبها . فقيل له : لم تعزل . فقال بلغنى أن العزل مكروه . فقيل له : وما بلغك أن الزنا حرام . وهؤلاء الجبهة قد أسقطوا جاههم عند الله سبحانه ونسوا أن المسلمين شهداء الله في الأرض . أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبي صادق نا بن باكويه قال سمعت أبا أحمد الصغير سمعت أبا عبد الله بن خفيف سمعت أبا الحسن المديني . يقول خرجت مرة من بغداد إلى نهر الناشرية وكان في إحدى قرى ذلك النهر رجل يميل إلى أصحابنا فيينا أنا أمشي على شاطئ النهر رأيت مرقعة مطروحة ونعلًا وخريقة فجمعتهما وقلت هذه لفقير . ومشيت قليلا فسمعت همهمة وتخبطاً في الماء . فنظرت فإذا بأبي الحسن النوري قد اتقى نفسه في الماء والطين وهو يتخبط ويعمل بنفسه كل بلاء ، فلما رأيته علمت أن الثياب له فنزلت إليه فنظر إلى ، وقال يا أبا الحسن أما ترى ما يعمل بي . قد أمتني موتات . وقال لي مالك منا إلا الذكر الذي لسائر الناس . وأخذ يبيكي ويقول ترى ما يفعل بي . فإزلت أرفق به حتى غسلته من الطين وألبسته المرقعة وحملته إلى دار ذلك الرجل . فأقننا عنده إلى العصر ثم خرجنا إلى المسجد فلما كان وقت المغرب رأيت الناس يربون ويفلقون الأبواب ويصعدون السطوح فسألناهم فقالوا : السباع

تدخل القرية بالليل . وكان حوالى القرية أجمة عظيمة وقد قطع منها القصب وبقيت أصوله كالسكاكين . فلما سمع النورى هذا الحديث ، قام فرمى بنفسه فى الأجمة على أصول القصب المقطوع ويصيح ويقول . أين أنت ياسبع . فما شككنا أن الأسد قد افترسه أو قد هلك فى أصول القصب . فلما كان قريب الصبح . جاء فطرح نفسه وقد هلكت رجلاه فأخذنا بالمتقاش ما قدرنا عليه فبق أربعين يوماً لا يمشى على رجله . فسألته أى شيء كان ذلك الحال . قال : لما ذكر والسبع وجدت فى نفسى فزعاً فقلت لأطرحنك إلى ما تفر عين منه . قلت : لا يخفى على عاقل تخييط هذا الرجل قبل أن يقع فى الماء والطين . وكيف يجوز للإنسان أن يلقي نفسه فى ماء وطين وهل هذا إلا فعل المجانين وأين الهيبة والتعظيم من قوله : ترى ما يفعل بى وما وجه هذا الانسباط وينبغى أن تجف الألسن فى أفواهها هية . ثم ما الذى يريده غير الذكر ولقد خرج عن الشريعة بخروجه إلى السبع ومشيه على القصب المقطوع . وهل يجوز فى الشرع أن يلقي الإنسان نفسه إلى سبع . أترى أراد منها أن يغير ما طبعت عليه من خوف السباع ليس هذا فى طوقها ولا طلبه الشرع منها . ولقد سمع هذا الرجل بعض أصحابه يقول مثل هذا القول فأجابه بأجود جواب . أخبرنا محمد بن عبد الله بن حبيب نا على بن أبى صادق نا ابن بابويه نا يعقوب الخواط نا ابو احمد المغازى قال : رأيت النورى وقد جعل نفسه إلى أسفل ورجليه إلى فوق وهو يقول : من الخلق أوحشتنى ، ومن النفس والمال والدنيا افقرتنى . ويقول ما معك إلا علم وذكر قال فقلت له إن رضيت وإلا فانطح برأسك الحائط . أخبرنا محمد بن أبى القاسم أنبأنا الحسن بن محمد بن الفضل الكرماني نا سهل بن على الخشاب نا عبد الله بن على السراج قال سمعت أبا عمرو بن علوان يقول حمل أبو الحسين النورى ثلاثمائة دينار ثمن عقار بيع له : وجلس على قنطرة وجعل يرمى واحداً واحداً منها إلى الماء ويقول . جئتى - تريدنى أن تحذعنى منك بمثل هذا . قال السراج . فقال بعض الناس لو نفقها فى سبيل الله كان خيراً له . فقلت . إن كانت تلك الدنانير تشغله عن الله طرفة عين كان الواجب

أن يرميها في الماء دفعة واحدة حتى يكون أسرع لخلاصه من فتنها كما قال الله عز وجل (فطفق مسحاً بالسوق والأعناق) قلت : لقد أبان هؤلاء القوم عز جهل بالشرع وعدم عقل . وقد بينا فيما تقدم أن الشرع أمر بحفظ المال وأن لا يسلم إلا إلى رشيد ، وجعله قواماً للآدمي ، والعقل يشهد بأنه إنما خلق للصالح : فإذا رمى به الإنسان فقد أفسد ما هو سبب صلاحه وجهل حكمة الواضع ، واعتذار السراج له أقبح من فعله . لأنه أن كان خاف فتنه فينبغي أن يرميه إلى فقير ويتخلص ، ومن جهل هؤلاء حملهم تفسير القرآن على رأيهم الفاسد لأنه يحتاج بمسح السوق والأعناق ، ويظن بذلك جواز الفساد والفساد لا يجوز في شريعة ، وإنما مسح بيده عليها وقال أنت في سبيل الله وقد سبق بيان هذا ، وقال أبو نصر السراج في كتاب اللبع قال أبو جعفر الدراج ، خرج أستاذي يوماً يتطهر فأخذت كتفه ففتشته فوجدت فيه شيئاً من الفضة مقدار أربعة دراهم وكان ليلاً وبات لم يأكل شيئاً . فلما رجعت قلت له ، في كتفك كذا وكذا درهما ونحن جياح ، فقال أخذته ؟ رده ، ثم قال لم بعد ذلك : خذه واشتر به شيئاً ، فقلت له ، بحق معبودك ما أمر هذه القطع فقال : لم يرزقني الله من الدنيا شيئاً غيرها فأردت أن أوصي أن تدفن معي فإذا كان يوم القيامة رددتها إلى الله وأقول هذا الذي أعطيتني من الدنيا . أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبي صادق نا ابن باكويه ثنا عبد الواحد بن بكر قال سمعت أبا بكر الجوال سمعت أبا عبد الله الحصري يقول ، مكث أبو جعفر الحداد عشرين سنة يعمل كل يوم بدينار وينفقه على الفقراء ويصوم ويخرج بين العشائين فيتصدق من الأبواب ما يفطر عليه .

قال المصنف رحمه الله قلت : لو علم هذا الرجل أن المسألة لا تجوز لمن يقدر على الاكتساب لم يفعل ، ولو قدرنا جوازها ، فأين أنفة النفس من ذل الطلب ، أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن علي التيمي نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ثنا أبي ثنا اسماعيل نا معمر عن عبد الله بن مسلم أخى الزهري عن حمزة بن عبد الله بن عمر عن أبيه . قال قال رسول الله ﷺ . لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقي الله عز وجل وما على وجهه

مزعة لحم . قال احمد وحدثنا حفص بن غياث عن هشام عن أبيه عن الزبير بن العوام قال : قال رسول الله ﷺ لأن يأخذ الرجل حبلاً فيحطب ثم يحجى فيضعه في السوق فيبيعه ثم يستغنى به فنسفه على نفسه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه .

قلت : انفرد به البخارى واتفقا على الذى قبله ، وفي حديث عبد الله بن عمرو عن النبی ﷺ انه قال : لا تحل الصدقة لغنى ولا لذى مرة سوى — والمرة — القوة ، وأصلها من شدة قتل الجبل يقال أمررت الجبل اذا أحكمت قتله . فعنى المرة فى الحديث شدة أمر الخلق وصحة البدن التى يكون معها احتمال السكل والتعب . قال الشافعى رضى الله عنه : لا تحل الصدقة لمن يجد قوة يقدر بها على الكسب . أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أبو بكر ابن ثابت أنبأنا أبو سعد المالينى قال سمعت أبا بكر محمد بن عبد الواحد الهاشمى سمعت أبا الحسن يونس بن أبى بكر الشبل يقول قام أبى ليلة فترك فرد رجل على السطح والأخرى على الدار . فسمعتة يقول لئن أطرفت لأرمين بك إلى الدار فما زال على تلك الحال حتى أصبح فلما أصبح قال لى : يا بنى ما سمعت الليلة ذا كرا لله عز وجل إلا ديكا يساوى دانقين .

قال المصنف رحمه الله : هذا الرجل قد جمع بين شيئين لا يجوزان . أحدهما : مخاطرته بنفسه فلو غلبه النوم فوقع كان معيناً على نفسه ولا شك انه لو رمى بنفسه كان قد أتى معصية عظيمة فتعرضه للوقوع معصية ، والثانى . انه منع عينه خطيئها من النوم . وقد قال ﷺ ان لجسدك عليك حقاً وان لزوجتك عليك حقاً . وان لعينك عليك حقاً وقال : اذا نعس أحدكم فليرقد . ومر بجبل قد مدته زينب فاذا فترت أمسكت به فأمر بحله . وقال ليصل أحدكم نشاطه فاذا كسل أو فتر فليقعده وقد تقدمت هذه الأحاديث فى كتابنا هذا . أخبرنا محمد بن ناصر نا أبو عبد الله الحميدى نا أبو بكر الأردستانى ثنا أبو عبد الرحمن السلى قال سمعت أبا العباس البغدادى يقول : كنا نصحب أبا الحسن بن أبى بكر الشبل ونحن أحداث ، فأضافنا ليلة فقلنا بشرط أن لا تدخل علينا أباك ، فقال لا يدخل . فدخلنا داره فلما أكلنا اذا نحن بالشبل وبين كل

أصبحت من أصابعه شمعة - ثمان شموع - فجاء وقعد وسطنا فأحشمتنا منه، فقال يا سادة عدوني فيما بينكم طشت شموع، ثم قال أين غلامى أبو العباس فتقدم إليه فقال غنى الصوت الذى كنت تغنى :

ولما بلغ الخيرة حادى جملى حاراً
فقلت احطط بهار حلى ولا نحفل بمن سارا (١)

فغنيته فتغبر وألقى الشموع من يده وخرج . أخبرنا ابن ناصر ثنا به الله ابن عبد الله الواسطى نا أبو بكر احمد بن على الحافظ نا محمد بن احمد بن أبى الفوارس نا الحسين بن احمد بن عبد الرحمن الصفار قال خرج الشبلى يوم عيد وقد حلق اشفار عينيه وحاجبيه وتعصب بعصابة وهو يقول :

للناس فطر وعيد . انى فريد وحيد

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد نا احمد بن على بن ثابت نا التبوخي نا أبو الحسن على بن محمد بن أبى سابر الدلال قال : وقفت على الشبلى فى قبة الشعراء فى جامع المنصور والناس مجتمعون عليه فوقف عليه فى الحلقة غلام جميل لم يكن بيغداد فى ذلك الوقت أحسن وجهاً منه يعرف بابن مسلم فقال له : تنح فلم يبرح فقال له الثانية تنح يا شيطان عنا فلم يبرح فقال له فى الثالثة تنح وإلا والله خرقت كل ما عليك وكانت عليه ثياب فى غاية الحسن تساوى جملة كثيرة فانصرف الفقى فقال الشبلى :

طرحوا اللحم للبزا ة على ذروتى عدن
ثم لاموا البزاة إذ خلعوا منهم الرسن
لو أرادوا صلاحنا ستروا وجهك الحسن

قال ابن عقيل من قال هذا فقد أخطأ طريق الشرع . لأنه يقول ما خلق الله عز وجل هذا الانسان إلا للافتتان به . وليس كذلك وإنما خلقه للاعتبار والامتحان فان الشمس خلقت لتضىء لا لتعبد . وبإسناد عن احمد بن محمد النهاوندى يقول مات للشبلى ابن ولد كان اسمه علياً فجزّت أمه شعرها عليه ،

(١) كذا فى النسخة وسقطت هذه الحكاية وما بعدها فى النسخة الثانية

وكان للشبلى حمية كبيرة فأمر بحلقها جميعها فقبل له : يا أستاذ ما حملك على هذا فقال . جزت هذه شعرا على مفقود ، ألا أحلق أنا لحيتي على موجود . وبإسناد عن عبدالله بن علي السراج قال : ربما كان الشبلى يلبس ثياباً مثمثة ثم ينزعها ويضعها فوق النار ، قال : وذكر عنه أنه أخذ قطعة عنبر فوضعتها على النار ييخر بها ذنب الحمار وقال بعضهم : دخلت عليه فرأيت بين يديه اللوز والسكر يحرقه بالنار قال السراج : إنما أحرقه بالنار لأنه كان يشغله عن ذكر الله قلت : اعتذار السراج عنه أعجب من فعله ، قال السراج وحكي عنه أنه باع عقاراً ففرق ثمنه وكان له عيال فلم يدفع اليهم شيئاً ، وسمع قارئاً يقرأ : اخشوا فيها ، فقال ليتني كنت واحداً منهم ، قلت وهذا الرجل ظن أن الذي يكلمهم هو الله تعالى والله لا يكلمهم ثم لو كلمهم كلام إهانة فأى شيء هذا حتى يطلب ، قال السراج ، وقال الشبلى يوماً في مجلسه إن لله عبداً لو بزقوا على جهنم لأطفئوها ، قلت ، وهذا من جنس ما ذكرناه عن أبي يزيد وكلاهما من إزاء واحد . وبإسناد عن أبي علي الدقاق يقول : بلغني أن الشبلى اكتحل بكذا وكذا من الملح ليعتاد السهر ولا يأخذه النوم .

قال المصنف رحمه الله : وهذا فعل قبيح لا يحل لمسلم أن يؤذى نفسه وهو سبب للعمى ولا تجوز إدامة السهر لأن فيه إسقاط حق النفس والظاهر أن دوام السهر والتقليل من الطعام أخرجه إلى هذه الأحوال والأفعال . وبإسناد عن أبي عبد الله الرازي قال ، كسائي رجل صوفياً فرأيت على رأس الشبلى قلنوسة تليق بذلك الصوف فتمنيتها في نفسي ، فلما قام الشبلى من مجلسه التفت إلى قبيعته ، وكان عادته إذا أراد أن أتبعه يلتفت إلى فلما دخل داره فقال انزع الصوف فنزعته فلفه وطرح القلنوسة عليه ودعى بنار فأحرقتهما ، قلت ، وقد حكى أبو حامد الغزالي أن الشبلى أخذ خمسين ديناراً فرماها في دجلة وقال ، ما أعزك أحد إلا أذاله الله ، وأنا أتعجب من أبي حامد أكثر من تعجبي من الشبلى لأنه ذكر ذلك على وجه المدح لا على وجه الإنكار فأين أثر الفقه . وبإسناد عن حسين بن عبد الله القزويني قال . حدثني من كان مجالسا لبنان أنه قال : تعذر على قوتي يوماً ولحقني ضرورة فرأيت قطعة

ذهب مطرحة في الطريق فأردت أخذها فقلت لقطة فتركتها ، ثم ذكرت الحديث الذي يروى « لو أن الدنيا كانت دماً عبيطاً لكان قوت المسلم منها حلالاً » فأخذتها وتركتها في فمي ومشيت غير بعيد فإذا أنا بحلقة فيها صبيان وأحدهم يتكلم عليهم ، فقال له واحد ، متى يجد العبد حقيقة الصديق ، فقال إذا رمى القطعة من الشدق فأخرجتها من فمي ورمىها .

قال المصنف رحمه الله : لا تختلف الفقهاء أن رمية إياها لا يجوز ، والعجب أنه رماها بقول صبي لا يدري ما قال ، وقد حكى أبو حامد الغزالي أن شقيقاً البليخي جاء إلى أبو القاسم الزاهد وفي طرف كسائه شيء مصرور فقال له أي شيء معك قال لوزات دفعها إلى أخ لي وقال أحب أن تفطر عليها فقال ياشقيق وأنت تحدث نفسك أن تبقى إلى الليل لا كلمتك أبداً فأغلق الباب في وجهي ودخل .

قال المصنف رحمه الله : أنظروا إلى هذا الفقه الدقيق كيف هجر مسلماً على فعل جائز بل مندوب لأن الإنسان مأمور أن يستعد لنفسه بما يفطر عليه واستعداد الشيء قبل مجيء وقته حزم ولذلك قال الله عز وجل (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) وقد أذخر رسول الله ﷺ لأزواجه قوت سنة وجاء عمر رضي الله عنه بنصف ماله وأذخر الباقي ولم ينكر عليه فالجمل بالعلم أفسد هؤلاء الزهاد . وبإسناد أحمد بن إسحاق العجاني قال رأيت بالهند شيخاً وكان يعرف بالصابر قد أتى عليه مائة سنة قد غمض إحدى عينيه فقلت له يا صابر ما بلغ من صبرك قال إني هويت النظر إلى زينة الدنيا فلم أحب أن أشتقي منها فغمضت عيني منذ ثمانين سنة فلم أفتحها ، وقد حكى لنا عن آخر ، أنه قير إحدى عينيه وقال النظر إلى الدنيا بعينين إسراف قلت كان قصده أن ينظر إلى الدنيا بفرد عين ونحن نسأل الله سلامة العقول . وقد حكى يوسف بن أيوب الهمداني عن شيخه عبد الله الجوني أنه كان يقول هذه الدولة ما أخرجتها من المحراب بل من موضع الخلاء وقال كنت أخدم في الخلاء فينما أنا يوماً أكنسه وأنظفه قالت لي نفسي أذهبت عمرك في هذا فقلت أنت تأنفين من خدمة عباد الله فوسعت رأس البئر ورمى نفسي

فيها وجعلت أدخل النجاسة في في، فجأوا وأخرجوني وغسلوني قلت أنظروا إلى هذا المسكين كيف اعتقد جمع الأصحاب خلفه دولة واعتقد أن تلك الدولة إنما حصلت بالقاء نفسه في النجاسة وإدخالها في فيه وقد نال بذلك فضيلة أثيب عليها بكثرة الأصحاب وهذا الذي فعله معصية توجب العقوبة ، وفي الجملة لما فقد هؤلاء العلم كثر تخييطهم . وبإسناد عن محمد بن علي الكتاني يقول دخل الحسين بن منصور مكة في ابتداء أمره فجهدنا حتى أخذنا مرقعته قال السوسي أخذنا منها قلة فوزناها فإذا فيها نصف دائق من كثرة رياضته وشدة مجاهدته قلت أنظروا إلى هذا الجاهل بالنظافة التي حث عليها الشرع وأباح حلق الشعر المحظور على المحرم لأجل تأذيه من القمل وجبر الخطر بالفدية وأجل من هذا من اعتقد هذا رياضته .

وبإسناد عن أبي عبد الله بن ملحق يقول كان عندنا فقير صوفي في الجامع فباع مره جو عا شديدا فقال يارب إيمان تطعمني إيمان ترميني بشرف المسجد فجاء غراب فجلس على الشرف فوقعت عليه من تحت رجله آجرة فجرى دمه وكان يمسح الدم ، ويقول ، إيش تبالي بقتل العالم ، قلت ، قتل الله هذا ولا أحياء في مقابلته هذا الاستنباط ، هلا قام إلى الكسب أو إلى الكدية . وبإسناد عن غلام خليل قال : رأيت فقيرا يعدو ويلتفت ويقول ! أشهدكم على الله هوذا يقتلني ، وسقط ميتا .

(فصل) وفي الصوفية قوم يسمون الملائكية اقتحموا الذنوب وقالوا مقصودنا أن نسقط من أعين الناس فنسلم من الجاه وهؤلاء قد أسقطوا جاههم عند الله لمخالفة الشرع قال وفي القوم طائفة يظهرون من أنفسهم أقبح ما هم فيه ويكتمون أحسن ما هم عليه وفعلهم هذا من أقبح الأشياء ولقد قال رسول الله ﷺ : من أتى شيئا من هذه القادورات فليستر بستر الله . وقال في حق ما عزه ملاسترته بثوبك يا هذا ، واجتاز على رسول الله ﷺ بعض الصحابة وهو يتكلم مع صفة زوجته فقال له أنها صفة وقد علم الناس التجاني عن ما يوجب سوء الظن فإن المؤمنين شهداء الله في الأرض وخرج حذيفة إلى الجمعة فقاتته فرأى الناس وهم راجعون فاستتر لثلا يسوء ظن

الناس به وقد قدمنا هذه . وقال أبو بكر الصديق لرجل قال له إني لمست امرأة وقبلتها ، فقال تب إلى الله ولا تحدث أحداً بذلك وجاء رجل إلى النبي ﷺ وقال إني أتيت من أجنبية ما دون الزنا يا رسول الله قال : ألم تهمل معنا قال بلى يا رسول الله قال ألم تعلم أن الصلاتين تكفر ما بينهما وقال رجل لبعض الصحابة إني فعلت كذا وكذا من الذنوب فقال لقد ستر الله عليك لو سترت على نفسك ، فهؤلاء قد خالفوا الشريعة وأرادوا قطع ما جبلت عليه النفوس .

﴿فصل﴾ وقد اندس في الصوفية أهل الإباحة فتشبهوا بهم حفظاً لدمائهم وهم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام : القسم الأول ، كفار فمنهم قوم لا يقرون بالله سبحانه وتعالى ومنهم من يقرب به ولكن يحدد النبوة ويرى أن ما جاء به الأنبياء محال وهؤلاء لما أرادوا أمراح أنفسهم في شهواتهم لم يجدوا شيئاً يحققون به دماءهم ويستترون به وينالون فيه أغراض النفوس ، كمذهب التصوف فدخلوا فيه ظاهراً وهم في الباطن كفره وليس لهؤلاء إلا السيف لعنهم الله ، والقسم الثاني قوم يقرون بالإسلام إلا أنهم ينقسمون قسمين : القسم الأول يقلدون في أفعالهم لشيوخهم من غير اتباع دليل ولا شبهة فهم يفعلون ما يأمرونهم به وما رأوه عليه ، القسم الثالث قوم عرضت لهم شبهات فعملوا بمقتضاها . والأصل الذي نشأت منه شبهاتهم أنهم لما هموا بالنظر في مذاهب الناس ليس عليهم إبليس فأراهم أن الشبهة تعارض الحجج وأن التمييز يعسر وأن المقصود أجل من أن يتال بالعلم وإنما الظفر به رزق يساق إلى العبد لا بالمطلب فسد عليهم باب النجاة الذي هو طالب العلم فصاروا يخضون إسم العلم كما يخض الرافضي اسم أبي بكر وعمر ويقولون العلم حجاب والعلماء محجوبون عن المقصود بالعلم فان أنكر عليهم عالم قالوا لا تباعهم هذا موافق لنا في الباطن وإنما يظهر ضد ما نحن فيه للعوام الضعاف العقول فان جد في خلافهم قالوا : هذا أبله مقيد بقيود الشريعة محجوب عن المقصود ، ثم عملوا على شبهات وقعت لهم ولو فطنوا لعلوا أن عملهم بمقتضى شبهاتهم

علم ، فقد بطل إنكارهم العلم ، وأنا أذكر شبهاتهم وأكشفها إن شاء الله تعالى وهي ست شبهات :

الشبهة الأولى — انهم قالوا إذا كانت الأمور مقدرية في القدم وأن أقواما خصوا بالسعادة ، وأقواما بالشقاوة ، والسعيد لا يشقى ، والشقى لا يسعد ، والأعمال لا تراد لذاتها بل لاجتلاب السعادة ويدفع الشقاوة ، وقد سبقنا وجود الأعمال فلا وجه لاتعاب النفس في عمل ولا نكفها عن ملنوذ لأن المكتوب في القدر واقع لا محالة .

والجواب عن هذه الشبهة ، أن يقال لهم هذا رد لجميع الشرائع وإبطال جميع أحكام الكتب وتبكيث للأنبياء كلهم فيما جاموا به لأنه إذا قال في القرآن ان أقيموا الصلاة قال القائل لماذا ان كنت سعيداً فصيرى الى السعادة وان كنت شقياً فصيرى الى الشقاوة فما تنفعني إقامة الصلاة وكذلك اذا قال ولا تقربوا الزنا يقول القائل لماذا أمنع نفسي ملنوذها والسعادة والشقاوة مقضيتان قد فرغ منهما ، وكان لفرعون أن يقول لموسى حين قال له (هل لك الى أن تزكى) مثل هذا الكلام ثم يترقى الى الخالق فيقول ، ما فائدة ارسالك الرسل وسيجرى ما قدرته . وما يفضى الى رد الكتب وتجهيل الرسل محال باطل ، ولهذا كان رد الرسول ﷺ على أصحابه حين قالوا ألا تتكمل ، فقال (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) واعلم ان للأذى كسباً هو اختياره فعليه يقع الثواب والعقاب فاذا خالف تبين لنا ان الله عز وجل قضى في السابق بأن يخالفه وإنما يعاقبه على خلافه لا على قضائه . ولهذا يقتل القاتل ولا يعتذر له بالقدر ، وإنما ردتم الرسول عن ملاحظة القدر الى العمل لأن الأمر والنهي حال ظاهر والمقدر من ذلك أمر باطن وليس لنا أن نترك ما عرفناه من تكليف ما لا نعلمه من المقضى وقول ، فكل ميسر لما خلق له ، إشارة الى أسباب القدر ، فانه من قضى له بالعلم يسر له طلبه وحبه وفهمه ، ومن حكم له بالجهل نزع حب العلم من قلبه ، وكذلك من قضى له بولاد يسر له النكاح ، ومن لم يقض له بولاد لم يسر له .

الشبهة الثانية: أنهم قالوا إن الله عز وجل مستغن عن أعمالنا غير متأثر بها معصية كانت أو طاعة فلا ينبغي أن نتعب أنفسنا في غير فائدة .

ـ وجواب هذه الشبهة أن نجيب أولاً بالجواب الأول ، ونقول هذا رد على الشرع فيما أمر به فكأننا قلنا للرسول وللرسل لا فائدة فيما أمرتنا به ثم نتكلم عن الشبهة فنقول من يتوهم أن الله جل وعلا ينتفع بطاعة أو يتضرر بمعصية أو ينال بذلك غرضاً فما عرف الله جـلا جلاله لأنه مقدس عن الاعراض والاعراض ومن انتفاع أو ضرر وإنما نفع الأعمال تعود على أنفسنا كما قال عز وجل (ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه ومن تركي فإنما يترك لنفسه) وإنما يأمر الطبيب المريض بالحمية لمصاحبة المريض لا لمصلحة الطبيب وكما أن للبدن مصالح من الأغذية ومضار فللنفس مصالح من العلم والجهل والاعتقاد والعمل فالشرع كالطبيب فهو أعرف بما يأمر به من المصالح ، هذا مذهب من علل وأكثر العلماء قالوا أفعاله لا تعمل . وجواب آخر ، وهو أنه إذا كان غنياً عن أعمالنا كان غنياً عن معرفتنا له وقد أوجب علينا معرفته ، فكذلك أوجب طاعته ، فينبغي أن تنظر إلى أمره لا إلى الغرض بأمره (١) .

الشبهة الثالثة ، قالوا قد ثبت سعة رحمة الله سبحانه وتعالى وهي لا تعجز عنا فلا وجه لحرمان نفوسنا مرادها .

ـ فالجواب كالجواب الأول ، لأن هذا القول يتضمن إطراح ما جاء به الرسل من الوعيد وتهوين ما شددت في التحذير منه في ذلك وبألغت في ذكر عقابه وبما يكشف التلبس في هذا إن الله عز وجل كما وصف نفسه بالرحمة وصفها بشديد العقاب ونحن نرى الأولياء والأنبياء يبتلون بالأمراض والجوع ويأخذون بالزلزل وكيف وقد خافه من قطع له بالنجاة ، فالخليل يقول يوم القيامة نفسي نفسي ، والكليم يقول نفسي نفسي ، وهذا عمر رضي الله عنه يقول الويل لعمران لم يغفر له وأعلم أن من رجا الرحمة تعرض لأسبابها فمن أسبابها التوبة من الزلل كما أن من رجا أن يحمده ذرع ، وقد قال الله عز وجل ، (إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك

(١) الجواب الأخير لم يرد في النسخة الثانية .

يرجون رحمة الله) يعنى أن الرجاء بهؤلاء بليق وأما المصرون على الذنوب وهم يرجون الرحمة فرجاؤهم بعيد ، وقد قال عليه الصلاة والسلام ، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى ، وقد قال معروف الكرخي رجاءك لرحمة من لا تطيعه خذلان وحق . واعلم أنه ليس في الأفعال التي تصدر من الخلق سبحانه وتعالى ما يوجب أن يؤمن عقابه إنما في أفعاله ما يمنع اليأس من رحمته وكما لا يحسن اليأس لما يظهر من لطفه في خلقه لا يحسن الطمع لما يبدو من أخذانه وانتقامه فإن من قطع أشرف عضو برع دينار لا يؤمن أن يكون عقابه غنياً هكذا .

(الشبهة الرابعة) ان قوما منهم وقع لهم ان المراد رياضة النفوس لتخلص من أكدارها المردية فلما راضوها مدة ورأوا تعذر الصفاء قالوا مالنا نتعب أنفسنا في أمر لا يحصل لبشر فتزكو العمل . وكشف هذا التلبس انهم ظنوا أن المراد قمع ما في البواطن من الصفات البشرية مثل قمع الشهوة والغضب وغير ذلك ، وليس هذا مراد الشرع ولا يتصور إزالة ما في الطبع بالرياضة وإنما خلقت الشهوات لفائدة إذ لولا شهوة الطعام هلك الانسان ، ولولا شهوة النكاح انقطع النسل . ولولا الغضب لم يدفع الانسان عن نفسه ما يؤذيه وكذلك حب المال مركز في الطباع لأنه يوصل الى الشهوات ، وإنما المراد من الرياضة كف النفس عما يؤذى من جميع ذلك وردها الى الاعتدال فيه ، وقد مدح الله عز وجل من نهى النفس عن الهوى وإنما تنتهى عما تطلبه ولو كان طلبه قد زال عن طبعها ما احتاج الانسان الى نهيا ، وقد قال الله عز وجل (والكاظمين الغيظ) وما قال والفاقرين الغيظ ، والكاظم رد الغيظ يقال كظم البعير على جرتة اذا ردها في حلقه فمدح من زد النفس عن العمل بمقتضى هيجان الغيظ فن ادعى أن الرياضة تغير الطباع ادعى المحال وإنما المقصود بالرياضة كسر شهوة النفس والغضب لا إزالة أصلها والمراد كالتبيب العاقل عند حضور الطعام يتناول ما يصلحه ويكف عما يؤذيه وعادم الرياضة كالصبي الجاهل يأكل ما يشتهى ولا يبالى بما جنى .

(الشبهة الخامسة) ان قوما منهم داموا على الرياضة مدة فرأوا أنهم

قد تجوهروا فقالوا لا نبالي الآن ما عملنا وإنما الأوامر والنواهي رسوم
للعوام ولو تجوهروا لسقطت عنهم قالوا وحاصل النبوة ترجع الى الحكمة
والمصلحة ، المراد منها ضبط العوام ولسنا من العوام فندخل في حجر
التكليف لأننا قد تجوهرنا وعرفنا الحكمة وهؤلاء قد رأوا ان من أثر
جواهرهم ارتفاع الحمية عنهم حتى انهم قالوا أن رتبة السكال لا تحصل إلا لمن
رأى أهله مع أجنبي فلم يقشعر جلده فان أقشعر جلده فهو ملتفت الى حظ
نفسه ولم يكمل بعد إذ لو كمل لما انت نفسه فسموا الغيرة نفساً وسموا ذهاب
الحمية الذي هو وصف الخائث كمال الإيمان . وقد ذكر ابن جرير في تاريخه
إلى الريوندية كانوا يستجلون الحرمات فيدعو الرجل منهم الجماعة الى بيته
فيطعمهم ويسقيهم ويحملهم على امرأته .

وكشف هذه الشبهة انه ما دامت الأشباح قائمة فلا سبيل الى ترك الرسوم
لظاهرة من التعبد فان هذه الرسوم وضعت لمصالح الناس ، وقد يغلب صفاء
القلب على كدر الطبع إلا أن السكدر يرسب مع الدوام على الخير ويركد
فأقل تسوء بحركه كالمدره تقع في الماء الذي تحته حماة وما مثل هذا الطبع إلا
كالماء يجرى بسفينة النفس والعقل مداد ولو أن المداد مد عشرين فرسخاً
ثم أهمل عادت السفينة تنحدر ومن ادعى تغير طبعه كذب ومن قال اني
لا أنظر إلى المستحسنات بشهوة لم يصدق ، كيف وهؤلاء لو فاتتهم لقمة أو
شتمهم شاتم تغيروا فأين تأثير العقل والهوى يقودهم ، وقد رأينا أقواماً
منهم يصاحون النساء وقد كان رسول الله ﷺ وهو المحصوم لا يصافح
المرأة وبلغنا عن جماعة منهم أنهم يؤاخون النساء ويخلون بهن ثم يدعون
السلامة وقد رأوا أنهم يسلمون من الفاحشة وهيئات فأين السلامة من إثم
الخلوة المحرمة والنظر الممنوع منه وأين الخلاص من جولان الفكر الرديء
وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، لو خلا عظام نخران لهم أحدهما
بالآخر ، يشير إلى الشيخ والعجوز . وبأسناد عن ابن شاهين قال ومن الصوفية
قوماً أباحوا الفروج بادعاء الاخوة فيقول أحدهم للمرأة تؤاخي على ترك
الإعتراض فيما بيننا قلت وقد روى لنا أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي الحكيم

في كتاب رياضة النفوس قال روى لنا أن سهل بن علي المروزي كان يقول لامرأة أخيه وهي معه في الدار استتري مني زماناً ثم قال لها كوني كيف شئت قال الترمذي، وكان ذلك منه حين وجد شهوته قلت، أما موت الشهوة هذا لا يتصور مع حياة الآدمي وإنما يضعف والانسان قد يضعف عن الجماع ولكنه يشتهي اللبس والنظر، ثم يقدر أن جميع ذلك ارتفع عنه أليس نهى الشرع عن النظر والنظر باق وهو عام وقد أخبرنا ابن ناصر باسناد عن أبي عبد الرحمن السلي قال قيل لأبي نصر النصر اباذي أن بعض الناس يجالس النسوان ويقول أنا معصوم في رؤيتهم فقال ما دامت الأشباح قائمة فإن الأمر والنهي باق والتحليل والتحريم مخاطب به ولن يجترىء على الشبهات إلا من يتعرض للحرمان وقد قال أبو علي الروزباري وسئل عن يقول وصلت إلى درجة لا تؤثر في اختلاف الأحوال فقال قد وصل ولكن إلى سقر. وباسناد عن الجريري يقول سمعت أبا القسم الجنيد يقول لرجل ذكر المعرفة فقال الرجل أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات من باب البر والتقرب إلى الله عز وجل فقال الجنيد أن هذا قول قوم تسكلموا باسقاط الأعمال وهذه عندي عظيمة والذي يسرق ويذني أحسن حالا من الذي يقول هذا، وأن العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله واليه رجعوا فيها، ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة إلا أن يحال بي دونها لأنه أوكد في معرفتي به وأقوى في حالي. وباسناد عن أبي محمد المرتعش يقول سمعت أبا الحسين النوري يقول من رأيت يده يدعى مع الله عز وجل حالة تخرجه عن حد علم شرعي فلا تقربنه ومن رأيت يده يدعى حالة باطنية لا يدل عليها ويشهد لها حفظ ظاهر فاتهمه على دينه.

(الشبهة السادسة) أن أقواماً بالغوا في الرياضة فرأوا ما يشبه نوع كرامات أو منامات صالحة أو فتح عليهم كلمات لطيفة أثمرها الفكر والحلوة فاعتقدوا أنهم قد وصلوا إلى المقصود وقد وصانا فما يضرنا شيء ومن وصل إلى السكينة انقطع عن السير فتركوا الأعمال إلا أنهم يزينون ظواهرهم بالمرقة

والسجادة والرقص والوجد ويتكلمون بعبارات الصوفية في المعرفة والوجد والشوق وجوابهم هو جواب الذين قبلهم .

قال ابن عقيل اعلم أن الناس شردوا على الله عز وجل وبعدوا عن وضع الشرع إلى أوضاعهم المخترعة . فمنهم من عبد سواه تعظيماً له عن العبادة وجعلوا تلك وسائل على زعمهم ومنهم من وحد إلا أنه أسقط العبادات وقال هذه أشياء نصبت للعوام لعدم المعارف وهذا نوع شرك لأن الله عز وجل لما عرف أن معرفته ذات قعر بعيد وجو عال وبعيد أن يتقن من لم يعرف خوف النار لأن الخلق قد عرفوا قدر لذعها وقال لأهل المعرفة « ويحذركم الله نفسه » وعلم أن المتعبدات أكثرها تقتضى الإنس بالأمثال ووضع الجهات والامكنة والأبنية والحجارة للإنسك والاستقبال فابان عن حقائق الايمان به فقال « وليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله » وقال « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها » فعلم أن المعول على المقاصد ولا يكفي مجرد المعارف من غير امتثال كما تعول عليه الملحدة الباطنية وشطاح الصوفية .

وباسناد عن أبي القاسم بن علي بن المحسن التنوخي عن أبيه . قال : أخبرني جماعة من أهل العلم أن بشيراز رجل يعرف بابن خفيف البغدادى شيخ الصوفية هناك يجتمعون إليه ويتكلم على الخطرات والوساوس ويحضر حلقته ألوف من الناس وأنه فاره فهم حاذق . فاستغوى الضعفاء من الناس إلى هذا المذهب قال : فمات رجل منهم من أصحابه وخالف زوجة صوفية فاجتمع النساء الصوفيات وهن خلق كثير ولم يختلط بمأتمن غيرهن : فلما فرغوا من دفنه دخل ابن خفيف وخواص أصحابه وهم عدد كثير إلى الدار وأخذ يعزى المرأة بكلام الصوفية إلى أن قالت . قد تعزيت . فقال لها ههنا غير . فقالت لا غير قال فما معنى إلزام النفوس آفات الغموم ، وتعذيبها بعذاب الهموم ، ولأى معنى نترك الامتزاج لتلقى الأنوار ، وتصفو الأرواح ويقع الاخلاقات وتنز البركات . قال فقلن النساء إذا شئت . قال فاختلط جماعة الرجال بجماعة النساء طول ليلتهم فلما كان سحر خرجوا . قال المحسن .

قوله هنا غير أى ههنا غير موافق المذهب . فقالت لا غير أى ليس مخالف وقوله نترك الامتزاج كناية عن المازجة في الوطء وقوله لتلتقى الأنوار عندهم أن في كل جسم نوراً ألياً . وقوله الاخلاقات أى يكون لكن خلف من مات أو غاب من أزواجك . قال المحسن وهذا عندي عظيم ولولا أن جماعة يخبروني يبعدون عن الكذب ما حكيت له اعظمه عندي واستبعاد مثله أن يجري في دار الإسلام ، قال : وبلغنى أن هذا ومثله شاع حتى بلغ عضد الدولة فقبض على جماعة منهم وضربهم بالسياط وشردهم فجمعهم فكفوا .

(فصل) ولما قل علم الصوفية بالشرع فصدر منهم من الأفعال والآقوال ما لا يحل مثل ما قد ذكرنا ثم تشبه بهم من ليس منهم وتسمى باسمهم وصدر عنهم مثل ما قد حكينا وكان الصالح منهم نادراً ذمهم خلق من العلماء وعابوهم حتى عابهم مشايخهم .

وباسناد عن عبد الملك بن زياد النصيبي . قال : كنا عند مالك فذكرت له صوفيين في بلادنا . فقلت له : يلبسون فواخر ثياب اليمن ويفعلون كذا . قال ويحك ومسلمين هم . قال فضحك حتى استلقى قال فقال لى بعض جلسائه : يا هذا ما رأينا أعظم فتنة على هذا الشيخ منك ما رأينا ضاحكا قط .

وباسناد عن يونس بن عبد الأعلى قال سمعت الشافعى يقول : لو أن رجلاً تصوف أول النهار لا يأتى الظهر حتى يصير أحرق . وعنه أيضاً أنه قال . ما لزم أحد الصوفية أربعين يوماً فعاد عقله اليه أبداً وأنشد الشافعى .

ودعوا الذين إذا أتوك تنسكوا وإذا خلوا كانوا ذئاب حفاف

وباسناد عن حاتم قال حدثنا احمد بن أبى الحوارى . قال : قال أبو سليمان ما رأيت صوفياً فيه خير إلا واحداً عبد الله بن مرزوق . قال وأنا أرق لهم . وباسناد عن يونس بن عبد الأعلى يقول : ما رأيت صوفياً عاقلاً إلا إدريس الخولاني . قال السلى . هو مصرى من قدماء مشايخهم قبل ذى النون .

وباسناد عن يونس بن عبد الأعلى : يقول صحبت الصوفية ثلاثين سنة ما رأيت فيهم عاقلاً الا مسلم الجواص . وباسناد عن احمد بن أبى الحوارى يقول حدثنا وكيع قال سمعت سفيان يقول سمعت عاصماً يقول : ما زلنا

نعرف الصوفية بالحقاق إلا أنهم يستترون بالحديث . وبإسناد عن سفيان عن عاصم يقول : قال لي وكيع لم تركت حديث هشام . قلت صحبت قوماً من الصوفية وكنت بهم معجباً . فقالوا . ان لم تسمع حديث هشام قاطعناك فأطعتم : قال إن فيهم حقاً . وبإسناد عن يحيى بن يحيى قال الخوارج أحب إلى من الصوفية . وبإسناد عن يحيى بن معاذ يقول اجتنب صحبة ثلاثة أصناف من الناس العلماء الغافلين ، والفقر المداهين والمتصوفة الجاهلين . وقد ذكرنا في أول ردنا على الصوفية من هذا الكتاب . ان الفقهاء بمصر أنكروا على ذى النون ما كان يتكلم به وببسطام على أبي يزيد وأخرجوه ، وأخرجوا أبا سليمان الداراني ، وهرب من أيديهم أحمد بن أبي الحواري وسهل التستري . وذلك لأن السلف كانوا ينفرون من أدنى بدعة ويهجرون عليها تمسكاً بالسنة ولقد حدثني أبو الفتح بن السامري . قال : جلس الفقهاء في بعض الأربطة للعزاء بفقيره مات فأقبل الشيخ أبو الخطاب الكلوذاني الفقيه متوكئاً على يدي حتى وقف بباب الرباط وقال : يعز عليّ لورآني بعض أصحابنا ومشايخنا القدماء وأنا أدخل هذا الرباط . قلت : على هذا كان أשיأخنا .

فأما في زماننا هذا فقد اصطلح الذئب والغنم . قال ابن عقيل : نقلته من خطه وأنا أذم الصوفية لوجوه يوجب الشرع ذم فعلها ، منها أنهم اتخذوا مناخ البطالة وهي الأربطة فانقطعوا إليها عن الجماعات في المساجد فلا هي مساجد ولا بيوت ولا خانات وصمدوا فيها للبطالة عن أعمال المعاش وبدنوا أنفسهم بدن البهائم للأكل والشرب والرقص والغناء ، وعولوا على الترقيع المعتمد به التحسين تليعاً والمشاوز بألوان مخصوصة أوقع في نفوس العوام والنسوة من تليع السقلاطون بألوان الحرير ، واستمالوا النسوة والمردان بتصنع الصور واللباس فما دخلوا بيتاً فيه نسوة فخرجوا إلا عن فساد قلوب النسوة على أزواجهن ثم يقبلون الطعام والتفقات من الظلمة والفجار وغاصي الأموال كالعداد والأجناد وأرباب المكوس ، ويستصحبون المردان في الساعات يجلبونهم في الجموع مع ضوء الشموع ، ويخالطون النسوة

الاجانب ينصبون لذلك حجة إلباسهن الخرقة ، ويستحلون بل يوجبون اقتسام ثياب من طرب فسقط ثوبه ، ويسمون الطرب وجداً ، والدعوة وقتاً ، واقتسام ثياب الناس حكماً ، ولا يخرجون عن بيت دعوا إليه إلا عن إلزام دعوة أخرى يقولون أنها وجبت واعتقاد ذلك كفر وفعله فسوق . ويعتقدون أن الغناء بالقضبان قرينة وقد سمعنا عنهم أن الدعاء عند حدود الحادى وعند حضور الخذة مجاب اعتقاداً منهم أنه قرينة وهذا كفر أيضاً لأن من اعتقد المسكروه والحرام قرينة كان بهذا الاعتقاد كافراً والناس بين تحريمه وكرهيته ويسلمون أنفسهم إلى شيوخهم^(١) فان عولوا إلى مرتبة شيخه قيل الشيخ لا يعترض عليه . فخذ من حل رسن ذلك الشيخ وانحطاطه في سلك الأقوال المتضمنة للكفر والضلال المسمى شطحاً وفي الأفعال المعلومة كونها في الشريعة فسقاً . فان قبّل أُمرداً قيل رحمة ، وإن خلا بأجنبية قيل بنته وقد لبست الخرقة ، وإن قسم ثوباً على غير أربابه من غير رضا مالكة قيل حكم الخرقة . وليس لنا شيخ نسلم إليه حاله إذ ليس لنا شيخ غير داخل في التكليف وأن المجانين والصياني يضرب على أيديهم وكذلك البهائم . والضرب بدل من الخطاب ، ولو كان لنا شيخ يسلم إليه حاله لكان ذلك الشيخ أبا بكر الصديق رضى الله عنه . وقد قال إن اعوججت فقوموا ولم يقل فسلموا إلى . ثم أنظر إلى الرسول صلوات الله عليه كيف اعترضوا عليه . فهذا عمر يقول : ما بالنا نقصر وقد آمننا . وآخر يقول : تنهانا عن الوصال وتواصل ؟ وآخر يقول : أمرتنا بالفسخ ولم تفسخ ! ثم إن الله تعالى تقول له الملائكة : (أتجعل فيها) . ويقول موسى (أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) ، وإنما هذه الكلمة جعلها الصوفية ترفيها لقلوب المتقدمين ، وسلطنة سلكوها على الاتباع والمريدين كما قال تعالى : فاستخف قومه فأطاعوه ، ولعل هذه الكلمة من القائلين منهم بأن العبد إذا عرف لم يضره ما فعل . وهذه نهاية الزندقة لأن الفقهاء أجمعوا على أنه لا حالة ينتهى إليها

(١) قوله فإن عولوا إلى قوله في الشريعة فسقاً غير منتظم والمعنى غير خفى على المتأمل وهذه الجملة غير موجودة في النسختين .

العارف إلا ويضيق عليه التكليف كأحوال الأنبياء يضايقون في الصغائر .
فإنه الله في الإصغاء إلى هؤلاء الفرغ الخالين من الإثبات . وإنما هم زنادقة
جمعوا بين مدارج الحال مرقات وصوف ، وبين أعمال الخلاء الملحدة
أكل وشرب ورقص وسماع وإهمال لأحكام الشرع . ولم تتجاسر الزنادقة
أن ترفض الشريعة حتى جاءت المتصوفة فجاءوا بوضع أهل الخلاعة .

فأول ما وضعوا أسماء وقالوا حقيقة وشريعة . وهذا قبيح لأن الشريعة
ما وضعه الحق لمصالح الخلق . فما الحقيقة بعدها سوى ما وقع في النفوس . من
إلقاء الشياطين . وكل من رام الحقيقة في غير الشريعة فغرور ومخدوع . وإن
سمعوا أحدا يروى حديثاً قالوا مساكين أخذوا عليهم ميتاً عن ميت .
وأخذنا علمنا عن الحى الذى لا يموت . فمن قال حدثنى أبى عن جدى قلت
حدثنى قلبى عن ربى فهلكوا وأهلكوا بهذه الخرافات قلوب الأعمام وأنفقت
عليهم لأجلها الأموال . لأن الفقهاء كالأطباء والنفقة في ثمن الدواء صعبة
والنفقة على هؤلاء كالنفقة على المغنيات . وبغضهم الفقهاء أكبر الزندقة لأن
الفقهاء يحظرونهم بفتاويهم عن ضلالتهم وفسقهم . والحق يثقل كما تثقل
الزكاة . وما أخف البذل على المغنيات وإعطاء الشعراء على المدائح . وكذلك
بغضهم لأصحاب الحديث وقد أبدلوا إزالة العقل بالخرق بشيء سموه الحشيش
والمعجون والغناء المحرم ، سموه السماع والوجد والتعرض بالوجد المزيل
للعقل حرام كفى الله الشريعة شر هذه الطائفة الجامعة بين دهمته في اللبس
وطيبة في العيش وخداع بالفاظ معسولة ليس تحتها سوى إهمال التكليف
وهجران الشرع ولذلك خفوا على القلوب ولا دلالة على أنهم أرباب باطل
أوضح من محبة طباع الدنيا لهم كمحبتهم أرباب اللهو والمغنيات .

قال ابن عقيل فإن قال قائل هم أهل نظافة ومحاربون حسن سمت وأخلاق
قال فقلت لهم لو لم يضعوا طريقة يجتذبون بها قلوب أمثالكم لم يدم لهم
عيش والذى وصفتهم به رهبانية النصرانية ولو رأيت نظافة أهل التطفيل
على الموائد ومخانيت بغداد ودمائة المغنيات لعلمت أن طريقهم طريقة الفكاهة
والخداع وهل يخدع الناس إلا بطريقة أو لسان فإذا لم يكن للقوم قدم في

العلم ولا طريقة فبم ذا يجتذبون به قلوب أرباب الأموال . واعلم أن حمل التكليف صعب ولا أسهل على أهل الخلاعة من مفارقة الجماعة ولا أصعب عليهم من حجر ومنع صدر عن أوامر الشرع وتواهيه وما على الشريعة أضر من المتكلمين والمتصوفين هؤلاء يفسدون عقائد الناس بتوهمات شبهات العقول وهؤلاء يفسدون الأعمال ويهدمون قوانين الأديان بحجون البطالات وسماع الأصوات وما كان السلف كذلك بل كانوا في باب العقائد عبيد تسليم وفي الباب الآخر أرباب جد . قال : ونصيحتي إلى إخواني أن لا يقرع أفكار قلوبهم كلام المتكلمين ولا تصفى مسامعهم إلى خرافات المتصوفين بل الشغل بالمعاش أولى من بطالة الصوفية وانوقوف على الظواهر أحسن من توغل المنتحلة وقد خبرت طريقة الفريقين فغاية هؤلاء الشك وغاية هؤلاء الشطح .

قال ابن عقيل : والمتكلمون عندي خير من الصوفية لأن المتكلمين قد يزولون الشك والصوفية يوهمون التشبيه . فأكثر كلامهم يشير إلى إسقاط السفارة والنبوات . فاذا قالوا عن أصحاب الحديث قالوا : أخذوا علمهم ميتاً عن ميت . فقد طعنوا في النبوات وعولوا على الواقع . ومتى أزرى على طريق سقط الأخذ به . ومن قال حدثني قلبي عن ربي فقد صرح أنه غنى عن الرسول ، ومن صرح بذلك فقد كفر . فهذه كلمة مدسوسة في الشريعة تحتها هذه الزندقة ومن رأيناه يزرى على النقل علينا أنه قد عطل أمر الشرع . وما يؤمن هذا القائل : حدثني قلبي عن ربي أن يكون ذلك من إلقاء الشياطين فقد قال الله عز وجل : (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم) . وهذا هو الظاهر لأنه ترك الدليل المعصوم وعول على ما يليق في قلبه الذي لم تثبت حراسته من الوسواس وهؤلاء يسمون ما يقرههم خاطراً . قال والخوارج على الشريعة كثير إلا أن الله عز وجل يؤيدها بالنقلة الحفاظ الذابين عن الشريعة حفظاً لأصلها ، وبالفقهاء لمعانيها : وهم سلاطين العلماء لا يتركون لكذاب رأساً ترتفع .

قال ابن عقيل : والناس يقولون إذا أحب الله خراب بيت تاجر عاشر الصوفية قال وأنا أقول وخراب دينه لأن الصوفية قد أجازوا لبس النساء الخرقه من الرجال الأجانب فاذا حضروا السماع والطرب فرمما جرى في خلال ذلك مغازلات واستخلاء بعض الأشخاص ببعض فصارت الدعوة عرساً للشخصين فلا يخرج إلا وقد تعلق قلب شخص بشخص ومال طبع إلى طبع وتتغير المرأة على زوجها فإن طابت نفس الزوج سمى بالديوث وإن حبسها طالت الفرقة إلى من تلبس منه المرقعة والاختلاط بمن لا يضيق الخناق ولا يحجر على الطباع . ويقال : تابت فلانة وألبسها الشيخ الخرقه وقد صارت من بناته . ولم ينعوا أن يقولوا هذا لعب وخطأ حتى قالوا هذا من مقامات الرجال وجرت على هذه السنون وبرد حكم الكتاب والسنة في القلوب . هذا كله من كلام ابن عقيل رضى الله عنه فلقد كان ناقداً مجيداً متلحاً فقيهاً . أنشدنا أبو علي عبيد الله الزاغوني قال أنشدنا أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب التيمي وأبو منصور محمد بن محمد بن عبد العزيز العكري قالاً أنشدنا أبو بكر العنبري لنفسه في الصوفية .

نأملت اختبر المدعين	بين الموالى وبين العبيد
فألقيت أكثرهم كالسراب	يروقك منظره من بعيد
فناديت يا قوم من تعبدون	فكل أشار بقدر الوجود
فبعض أشار إلى نفسه	واقسم ما فوقها من مزيد
وبعض إلى خرقه رقت	وبعض إلى ركوة من جلود
وآخر يعبد أهواءه	وما عابد للهوى بالرشيد
ومجتهد وقته ربه	فان فات بات بليل عنيد
وذو كلف باستماع السما	ع بين البسيط وبين النشيد
ين إذا أومضت رنة	ويزراً منها زئير الأسود
يخرق خلقانه عامداً	ليعتاض منها بثوب جديد
ويرى بهيكله في السعير	لقلع الثريد وبلع العصيد
فيا للرجال ألا تعجبون	لشيطان إخواننا ذا المزيد

يخبطهم بفتون الجنون وما للجنانين ضور القيود
 وأقسم ما عرفوا ذا الجلال وما عرفوه بغير الجحود
 ولولا الوفاء لأهل الوفاء سلقتهم بلسان حديد
 فإني يطالبني بالوصا ل من ليس يعلم ما في الصدود
 اضن بودى ويسخو به وقد كنت اسخو به للودود
 ولكن إذا لم أجد صاحباً يسر صديق ويشجوا الحسود
 عطفك بودى منى إليه فإني قومي على جهلهم
 فما بال قومي على جهلهم إذا أبصروني بكرا رحمة
 لأنني بعدت عن المدعين ولو صدقوا كنت غير البعيد

أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ نا أبا الحسين بن عبد الجبار الصيرفي نا أبو
 عبد الله محمد بن علي الصوري قال أنشدنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر التجيبي
 قال أنشدنا الحسن بن علي بن سيار :

رأيت قوما عليهم سمة الخبير بحمل الركام مهتلة
 اعتزلوا الناس في جوامعهم سألت عنهم فقبل متكلة
 صوفية للقضاء صابرة ساكنة تحت حكمه بزلة
 فقلت إذ ذاك هؤلاء هم الناس ومن دون هؤلاء رزلة
 فلم أزل خادماً لهم زمناً حتى تبينت أنهم سفلة
 إن أكلوا كان أكلهم سرفاً أو لبسوا كان شجرة مثله
 سل شيخهم والكبير مختبراً عن فرضه لانخاله عقلة
 وأسأله عن وصف شادن غنج مدلل لا تراه قد جهله
 عليهم بينهم إذا جلسوا كعلم راعي الرعاع والرزله
 الوقت والحال والحقيقة والبرهان والعكس عندهم مثله
 قد لبسوا الصوف كي يروا صلحا وهم شرار الذباب والخفله
 وجابوا الكسب والمعاش لكي يستأصلوا الناس شرها أكله
 وليس من عفة ولا دعة لكن تعجيل راحة العظله

فقل لمن مال باختداعهم اليهم تب فإنهم بطله
واستغفر الله من كلامهم ولا تعاود لعشرة الجهله

قال الصوري وأنشدني بعض شيوخنا :

أهل التصوف قد مضوا صار التصوف مخرقه
صار التصوف صيحة وتواجداً ومطبخه
كذبتك نفسك ليس ذا سمن الطريق الملحقه
حتى تكون بعين من منه العيون المحدقه
تجري عليك صروفه وهموم شرك مطرقه

أنشدنا محمد بن ناصر قال أنشدنا أبو ذكريا التبريزي لأبي العلام المعري :
زعموا بأنهم صفوا للبيكهم كذبوك ماصافوا ولكن صافوا
شجر الخلاف قلوبهم وريح لها غرضي خلاف الحق لا الصفصاف
أنشدنا ابن ناصر أنشدنا أبو بكر قال أنشدنا أبو اسحاق الشيرازي
الفقيه لبعضهم :

أرى جيل التصوف شر جيل فقل لهم واهون بالحلول
أقال الله حين عشقتموه كلوا أكل البهائم وأرقصولي

﴿ الباب الحادى عشر ﴾

﴿ فى ذكر تليس إبليس على المتدينين بما يشبه الكرامات ﴾

قد بينا فيما تقدم أن إبليس إنما يتمكن من الإنسان على قدر قلة العلم فكما
قل علم الإنسان أكثر تمكن إبليس منه وكما أكثر العلم قل تمكنه منه . ومن العباد
من يرى ضوماً أو نوراً فى السماء فإن كان رمضان قال : رأيت ليلة القدر وإن
كان فى غيره قال قد فتحت لى أبواب السماء . وقد يتفق له الشئ الذى يطلبه
فيظن ذلك كرامة وربما كان اتفاقاً وربما كان اختباراً وربما كان من خدع إبليس .
والعاقل لا يسان شئاً من هذا ولو كان كرامة . وقد ذكرنا فى باب الزهاد عن مالك
ابن دينار وحبيب العجمي أنهما قالاً : إن الشيطان يلعب بالقراء كما يلعب الصبيان
بالجوز ولقد استغوى بعض ضعفاء الزهاد بأن أراه ما يشبه الكرامة حتى

ادعى النبوة فروى عن عبد الوهاب بن نجدة الحوطي قال : ثنا محمد بن المبارك ثنا الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن حسان . قال : كان الحارث الكذاب من أهل دمشق وكان مولى لأبي الجلاس وكان له أب بالغوطة تعرض له إبليس وكان متعبداً زاهداً لولبس جبة من ذهب لرأيت عليه زهادة وكان إذا أخذ في التحميد لم يصغ السامعون إلى كلام أحسن من كلامه قال : فكتب إلى أبيه يا أبتاه أعجل عليّ فإني قد رأيت أشياء أتخوف منها أن تكون من الشياطين قال : فزاده أبوه غياً وكتب إليه . يا بني أقبل على ما أمرت به إن الله يقول : (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم) ولست بأفأك ولا أثيم فامض لما أمرت به . وكان يحجى إلى أهل المساجد رجلاً رجلاً فيذكر لهم أمره ويأخذ عليهم العهود والمواثيق إن هو رأى يرضى قبل والاكتم عليه : وكان يريهم الأعاجيب . كان يأتي إلى رخامة في المسجد فينقرها بيده فتسبح . وكان يطعمهم فاكهة الصيف في الشتاء ويقول : أخرجوا حتى أريكم الملائكة فيخرجهم إلى دير المران فيريهم رجلاً على خيل ، فتبعه بشر كثير وفشى الأمر وكثر أصحابه حتى وصل خبره إلى القاسم ابن مخيمرة فقال له إني نبي فقال له القاسم كذبت يا عدو الله فقال له أبو إدريس بش ما صنعت إذ لم تلن له حتى تأخذه . الآن يفر وقام من مجلسه حتى دخل على عبد الملك فأعلمه بأمره فبعث عبد الملك في طلبه فلم يقدر عليه . وخرج عبد الملك حتى نزل العنيزة ^(١) فاتهم عامة عسكره بالحارث أن يكونوا يرون رأيه وخرج الحارث حتى أتى بيت المقدس واختفى وكان أصحابه يخرجون يلتمسون الرجال يدخلونهم عليه وكان رجل من أهل البصرة قد أتى بيت المقدس فأدخل على الحارث فأخذ في التحميد وأخبره بأمره وأنه نبي مبعوث مرسل . فقال . إن كلامك لحسن ولكن لي في هذا نظر . قال فانظر . فخرج البصري ثم عاد إليه فرد عليه كلامه فقال إن كلامك لحسن وقد وقع في قلبي وقد آمنت بك وهذا هو الدين المستقيم . فأمر أن لا يحجب عنه متى أراد

(١) هكذا في نسخة وفي نسخة أخرى الصنيرة بصاد مهمة وقد ضبطت يد والضم والله أعلم

الداخل فأقبل البصرى يتردد اليه ويعرف مداخله ومخارجه وأين يهرب حتى صار من أخبر الناس به . ثم قال له . أئذن لي فقال إلى أين قال إلى البصرة فأكون أول داع لك بها . قال فأذن له فخرج مسرعاً إلى عبد الملك وهو بالصنيرة فلما دنا من سرادقه صاح النصيحة النصيحة . فقال أهل العسكر . وما نصيحتك قال نصيحة لأمر المؤمنين فأمر الخليفة عبد الملك أن يأذنوا له بالدخول عليه فدخل وعنده أصحابه قال فصاح النصيحة قال وما نصيحتك قال . أخفى لا يكن عندك أحد فأخرج من في البيت وقال له ادنني قال أدن فدنا وعبد الملك على السرير قال ما عندك قال الحارث فلما ذكر الحارث طرح عبد الملك نفسه من أعلى السرير إلى الأرض ثم قال أين هو قال : يا أمير المؤمنين هو بيت المقدس قد عرفت مداخله ومخارجه وقص عليه قصته وكيف صنع به فقال أنت صاحبه وأنت أمير بيت المقدس وأمرنا ههنا فرنى بما شئت . قال : يا أمير المؤمنين ابعث معي قوماً لا يفهمون الكلام فأمر أربعين رجلاً من فرغانة فقال انطلقوا مع هذا فما أمركم به من شيء فأطيعوه ، قال : وكتب إلى صاحب بيت المقدس أن فلاناً هو الأمير عليك حتى يخرج فأطعه فيما أمركم به . فلما قدم بيت المقدس أعطاه الكتاب فقال مرني بما شئت . فقال : اجمع لي كل شمعة تقدر عليها بيت المقدس وأدفع كل شمعة إلى رجل ورتبهم على أزقة بيت المقدس وزواياه فإذا قلت . أسرجوا أسرجوا جميعاً فرتبهم في أزقة بيت المقدس وزواياها بالشمع وتقدم البصرى إلى منزل الحارث فأقى الباب فقال للحاجب أستاذني لي على نبي الله قال في هذه الساعة ما يؤذن عليه حتى يصبح . قال أعلمه أني مارجعت الا شوقاً اليه قبل أن أصل فدخل عليه وأعلمه بكلامه فأمره بفتح الباب . قال : ثم صاح البصرى أسرجوا الشموع فأسرجت حتى كانت كأنها النهار ثم قال من ربكم فأضبطوه كأننا من كان ودخل هو إلى الموضع الذي يعرفه فطلبه فلم يجده فقال أصحاب الحارث هيهات تريدون تقتلون نبي الله قد رفع إلى السماء . قال فطلبه في شق قد هياه سراً فأدخل البصرى يده في ذلك السرب فاذا هو بثوبه فاجتره فأخرجه إلى خارج ثم قال للفرغانين اربطوه فربطوه فينما هم يسرون به على البر إذا قال :

أقتلون رجلا أن يقول ربي الله . فقال رجل من الفرغانيين أولئك العجم
هذا كرامتنا فهاك كرامتك أنت وساروا به حتى أتوا به عبد الملك فلما سمع به
أمر بنخشة فنصب فصلبه وأمر بحربة وأمر رجلا فطعنه فلما صار إلى ضلع
من أضلاعه فأنكفأت الحربة عنه فجعل الناس يصيحون ويقولون . الأنبياء
لا يجوز فيهم السلاح . فلما رأى ذلك رجل من المسلمين تناول الحربة ثم مشى
إليه وأقبل يتجسس حتى وافى بين ضلعين فطعنه بها فأنفذها فقتله . قال الوليد:
بلغني أن خالد بن يزيد بن معاوية دخل على عبد الملك بن مروان فقال
لو حضرتك ما أمرتك بقتله . قال ولم . قال إنما كان به المذهب فلو جوعته
ذهب عنه . وروى أبو الربيع عن شيخ أدرك القدماء قال لما حمل الحارث
على البريد وجعلت في عنقه جامعة من حديد وجمعت يده إلى عنقه فأشرف
على عقبة بيت المقدس تلى هذه الآية (قل إن ضللت فإني أضل على نفسي
وإن اهتديت فيما يوحي إلي ربي) . فتقلقت الجامعة ثم سقطت من يده
ورقبته إلى الأرض فوثب الحرس الذين كانوا معه فأعادوها عليه ثم ساروا به
فلما أشرفوا على عقبة أخرى قرأ آية فسقطت من رقبته ويده على الأرض
فأعادوها عليه فلما قدموا على عبد الملك حبسه وأمر رجلا من أهل الفقه
والعلم أن يعظوه ويخوفوه الله ويعلموه أن هذا من الشيطان فأبى أن يقبل
منهم فصلب . وجاء رجل بحربة فطعنه فانتثت فتكلم الناس وقالوا ما ينبغي
لمثل هذا أن يقتل ثم أتاه حرسى برمح دقيق فطعنه بين ضلعين من أضلاعه
ثم هزه وأنفذه . وسمعت من قال قال عبد الملك للذي ضربه بالحربة لما انتثت
أذكرت الله حين طعنته قال نسيت قال فاذكر الله ثم اطعنه فذكر الله
ثم طعنه فأنفذها .

(فصل) وكما اغتر قوم بما يشبه الكرامات فقد روينا بإسناد عن حسن
عن أبي عمران قال : قال لي فرقد . يا أبا عمران قد أصبحت اليوم وأنا مهم
بضريتي وهي ستة دراهم وقد أهل الهلال وليست عندي فدعوت فيينا أنا
أمشي على شط الفرات إذا أنا بستة دراهم فأخذتها فوزتها فإذا هي ستة
لا تزيد ولا تنقص . فقال تصدق بها فإنها ليست لك . قالت . أبو عمران هو

ابراهيم النخعي فقيه أهل الكوفة . فانظروا إلى كلام الفقهاء وبعد الاغترار عنهم . وكيف أخبره أنها لقطة ولم يلتفت إلى ما يشبه الكرامة . وإنما لم يأمره بتعريفها لأن مذهب الكوفيين أنه لا يجب التعريف لما دون الدينار . وكأنه إنما أمره بالتصدق بها لئلا يظن أنه قد أكرم بأخذها وإنفاقها . وبإسناد عن ابراهيم الخراساني أنه قال احتجت يوماً إلى الضوء فاذا أنا بكوز من جوهر وسواك من فضة رأسه ألين من الخز فاستكت بالسواك وتوضأت بالماء وتركتهما وانصرفت . قلت . في هذه الحكاية من لا يوثق بروايته فان صحت دلت على قلة علم هذا الرجل إذ لو كان يفهم الفقه علم أن استعمال السواك الفضة لا يجوز ولكن قل عليه فاستعمله . وان ظن أنه كرامة والله تعالى لا يكرم بما يمنع من استعماله شرعاً إلا أن أظهر له ذلك على سبيل الامتحان وذكر محمد بن أبي الفضل الهمداني المؤرخ قال حدثني أبي قال كان السرمقاني المقرئ يقرأ على ابن العلاف وكان يأوي إلى المسجد بدرب الزعفراني واتفق أن ابن العلاف رآه ذات يوم في وقت مجاعة وقد نزل إلى دجلة وأخذ منه أوراق الخس مما يرمى به أصحابه وجعل يأكله فشق ذلك عليه وأتى إلى رئيس الرؤساء فأخبره بحاله فتقدم إلى غلام بالقرب إلى المسجد الذي يأوي إليه السرمقاني أن يعمل لبابه مفتاحاً من غير أن يعمله ففعل وتقدم إليه أن يحمل كل يوم ثلاثة أرطال خبزاً سميداً ومعها دجاجة وحلوى سكرآ ففعل الغلام ذلك وكان يحمله على الدوام . فأتى السرمقاني في أول يوم فرأى ذلك مطروحاً في القبة ورأى الباب مغلقاً فتعجب . وقال في نفسه : هذا من الجنة ويجب كتمانها وأن لا أحدث به فإن من شرط الكرامة كتمانها وأنشدني :

من أطلعوه على سر فباح به لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا
فلما استوت حالته وأخصب جسمه سأله ابن العلاف عن سبب ذلك
وهو عارف به وقصد المزاح معه . فأخذ يورى ولا يصرح ، ويكنى ولا يفصح .
ولم يزل ابن العلاف يستخبره حتى أخبره أن الذي يجده في المسجد كرامة
إذ لا طريق لمخلوق عليه . فقال له ابن العلاف . يجب أن تدعو لابن المسألة
فإنه هو الذي فعل ذلك . فنعض عيشه بأخباره وبانت عليه شواهد الانكسار .

﴿فصل﴾ ولما علم العقلاء شدة تلبس إبليس حذروا من أشياء ظاهرها الكرامة وخافوا أن تكون من تلبسه. روينا بإسناد عن أبي الطيب يقول: سمعت زهرون يقول: كلني الطير وذلك أني كنت في البادية قهت ف رأيت طائراً أبيض فقال لي يا زهرون أنت تائه. فقلت: يا شيطان غر غري. فقال لي: أنت تائه. فقلت: يا شيطان غر غري. فوثب في الثالثة وصار على كفتي. وقال: ما أنا بشيطان أنت تائه أرسلت إليك ثم غاب عني. وبإسناد عن محمد ابن عبد الله القرشي قال حدثني محمد بن يحيى بن عمرو قال حدثني زلني قالت: قلت لرابعة العدوية يا عمة لم لا تأذنين للناس يدخلون عليك قالت وما أرجو من الناس إن أتوني حكوا عني ما لم أفعل. قال القرشي: وزادني غير أبي حاتم. أنها قالت. يبلغني أنهم يقولون إنني أجدهم تحت مصلاي، ويطيخ لي القدر بغير نار. ولو رأيت مثل هذا فزعت منه: قالت فقلت لها إن الناس يكثرون فيك القول. يقولون إن رابعة تصيب في منزلها الطعام والشراب. فهل تجدين شيئاً فيه. قالت: يا بنت أخي لو وجدت في منزلي شيئاً مامسته ولا وضعت يدي عليه. قال القرشي وحدثني محمد بن إدريس قال قال محمد ابن عمرو. وحدثني زلني عن رابعة إنها أصبحت يوماً صائمة في يوم بارد قالت فنزعني نفسي إلى شيء من الطعام السخن أفرط عليه وكان عندي شحم فقلت. لو كان عندي بصل أو كراث عاجلته فإذا عصفور قد جاء فسقط على المثقب في منقاره بصلة. فلما رأيته أضربت عما أردت وخفت أن يكون من الشيطان. وبالإسناد عن محمد بن يزيد. قال كانوا يرون لوهيب أنه من أهل الجنة فإذا أخبر بها اشتد بكأؤه. وقال قد خشيت أن يكون هذا من الشيطان وبالإسناد عن أبي عثمان النيسابوري يقول خرجنا جماعة مع أستاذنا أبي حفص النيسابوري إلى خارج نيسابور فجلسنا فكلم الشيخ علينا فطابت أنفسنا ثم بصرنا فإذا بأيل^(١) قد نزل من الجبل حتى برك بين يدي الشيخ فأبكاه ذلك بكاء شديداً. فلما سكن سألناه فقلت يا أستاذ تكلمت علينا فطابت قلوبنا،

(١) الأيل بضم الهمزة وكسرهما والياء فيهما مشدداً التيس الجبلي.

فلما جاء هذا الوحش وبرك بين يديك أزعجك وأبكأك . فقال : نعم رأيت اجتماعكم حولي وقد طابت قلوبكم فوق في قلبي لو أن شاة ذبحتها ودعوتكم عليها . فأتاكم هذا الخاطر حتى جاء هذا الوحش فبرك بين يدي نخيل لي أنى مثل فرعون الذي ظالم ربه أن يجرى له النيل فأجراه . قلت فما يؤمنني أن يكون الله تعالى يعطيني كل حظ لي في الدنيا وأبقى في الآخرة فقيراً لا شيء لي . فهذا الذي أزعجني .

(فصل) وقد لبس ابليس على قوم من المتأخرين فوضعوا حكايات في كرامات الأولياء ليشيدوا بزعمهم أمر القوم والحق لا يحتاج إلى تشييد يبطل فكشف الله تعالى أمرهم بعلواء النقل . أخبرنا محمد بن ناصر أنبأنا الحسن بن أحمد الفقيه قال با محمد بن محمد الحافظ قال نا عبيد الله بن محمد الفقيه قال أحمد بن عبد الله بن الحسن الأدمي قال حدثني أبي قال : قال سهل بن عبد الله قال عمرو بن واصل . كذا في الرواية والصواب قال عمرو ابن واصل قال سهل بن عبد الله صحبت رجلاً من الأولياء في طريق مكة فنالته فاقه ثلاثة أيام فعدل إلى مسجد في أصل جبل وإذا فيه بر عليها بكرة وحبل ودلو ومظهرة . وعند البئر شجرة رمان ليس فيها حمل . فأقام في المسجد إلى المغرب فلما دخل الوقت إذا بأربعين رجلاً عليهم المسوح وفي أرجلهم نعال الخوص قد دخلوا المسجد فسلموا وأذن أحدهم وأقام الصلاة وتقدم فصلى بهم . فلما فرغ من صلاته تقدم إلى الشجرة فإذا فيها أربعون رمانة غضة طرية فأخذ كل واحد منهم رمانة وانصرف . قال وبت على فاقتي فلما كان في الوقت الذي أخذوا فيه الرمان أقبلوا أجمعين فلما صلوا وأخذوا الرمان قلت يا قوم أنا أخوكم في الاسلام وبي فاقة شديدة فلا كلبتموني ولا واسيتموني فقال رئيسهم إنا لا نكلم محجوباً بما معه فامض واطرح ما معك وراء هذا الجبل في الوادي وارجع إلينا حتى تنال ما تنال قال فرقت الجبل فلم تسمع نفسي برمي ما معي فدفعته ورجعت . فقال لي . رميت ما معك . قلت نعم . قال : فرأيت شيئاً قلت . لا ، قال ما رميت شيئاً إذ ذن فارجع فأرغم به في الوادي فرجعت ففعلت . فإذا قد غشيتني مثل الدرع نور

الولاية فرجعت فإذا في الشجرة رمانة فأكلتها واستقلت بها من الجوع والعطش ولم ألبث دون المضي إلى مكة فإذا أنا بالأربعين بين زمزم والمقام فأقبلوا إليّ بأجمعهم يسألوني عن حالى ويسلمون عليّ . فقلت : قد غنيت عنكم وعن كلامكم آخر أكما أغناكم الله عن كلامى أولاً فافىّ لغير الله موضع . قال المصنف رحمه الله : عمرو بن واصل ضعفه ابن أبي حاتم . والآدمى وأبوه مجهولان . ويدل على أنها حكاية موضوعة قولهم اطرح ما معك لأن الأولياء لا يخالفون الشرع والشرع قد نهى عن إضاعة المال . وقوله غشيت نور الولاية فهذه حكاية مصنوعة وحديث فارغ ومثل هذه الحكاية لا يغتر بها من شم رائحة العلم إنما يغتر بها الجهال الذين لا بصيرة لهم . أخبرنا محمد بن ناصر قال نا السهلى قال : سمعت محمد بن على الواعظ . قال : وفيما أفادنى بعض الصوفية حاكياً عن الجنيد قال قال : أبو موسى الديبيل ، دخلت على أنى يزيد فإذا بين يديه ماء واقف يضطرب فقال لى تعال ثم قال إن رجلاً سألتى عن الحياء فتكلمت عليه بشيء من علم الحياء فدار دوراناً حتى صار كذا كما ترى وذاب قال الجنيد وقال احمد بن حضرويه ، بقى منه قطعة كقطعة جوهر فاتخذت منه فصاً فكلمنا تكلمت بكلام القوم أو سمعت من كلام القوم يذوب ذلك الفص حتى لم يبق منه شيء ، قلت وهذه من المحالة القبيحة التى وضعوها الجهال ولولا أن الجهالة يروونها مسندة فيظنونها شيئاً لكان الاضراب عن ذكرها أولى . أنبأنا أبو بكر بن حبيب قال نا ابن أبى صادق قال ثنا ابن باكويه قال ثنا أبو حنيفة البغدادى قال ثنا عبد العزيز البغدادى قال كنت أنظر فى حكايات الصوفية فصعدت يوماً السطح فسمعت قائلاً يقول (وهو يتولى الصالحين) فالتفت فلم أر شيئاً فطرحت نفسى من السطح فوقفت فى الهواء .

قال المصنف رحمه الله . هذا كذب محال لا يشك فيه عاقل فلو قدرنا صحته فإن طرح نفسه من السطح حرام وظنه أن الله يتولى من فعل المنهى عنه فقد قال تعالى (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) فكيف يكون صالحاً

وهو يخالف ربه وعلى تقدير ذلك فمن أخبره أنه منهم وقد تقدم قول عيسى صلوات الله عليه للشيطان لما قال له الق نفسك . قال إن الله يختبر عبادَه وليس للعبد أن يختبر ربه .

﴿ فصل ﴾ وقد اندس في الصوفية أقوام وتشبهوا بهم وشطحوا في الكرامات وادعائها وأظهروا للعوام مخاريق صادوا بها قلوبهم وقدرونا عن الحلاج أنه كان يدفن شيئاً من الخبز والشواء والحلوى في موضع من البرية ويطلع بعض أصحابه على ذلك فإذا أصبح قال لأصحابه إن رأيتم أن نخرج على وجه السباحة فيقوم ويمشي والناس معه فإذا جاءوا إلى ذلك المكان قال له صاحبه الذي أطلعه على ذلك نشتهي الآن كذا وكذا فيتركهم الحلاج وينزوي عنهم إلى ذلك المكان فيصلي ركعتين ويأتيهم بذلك . وكان يمد يده إلى الهواء وي طرح الذهب في أيدي الناس ويمخرق . وقد قال له بعض الحاضرين يوماً . هذه الدراهم معروفة ولكن أو من بك إذا أعطيتني درهما عليه اسمك واسم أبيك وما زال يمخرق إلى وقت صلبه .

حدثنا أبو منصور القزاز قال نا أبو بكر بن ثابت نا عبد الله بن احمد ابن عمار الصيرفي ثنا أبو عمرو بن حيوة . قال : لما أخرج حسين الحلاج للقتل مضيت في جملة الناس فلم أزل أزاخم حتى رأيته . فقال لأصحابه . لا يهولنكم هذا فأنى عائد إليكم بعد ثلاثين يوماً . وكان اعتقاد الحلاج اعتقاداً قبيحاً . وقد بينا في أول هذا الكتاب شيئاً من اعتقاده وتخليطه وبيننا أنه قتل بفتوى فقهاء عصره . وقد كان في المتأخرين من يطلى بدهن الطلق ويقعد في التنور ويظهر أن هذا كرامة . قال ابن عقيل . وكان ابن الشباس وأبوه قبله لهم طيور سوابق وأصدقاء في جميع البلاد فينزل بهم قوم فيرفع طائر في الحال إلى قريتهم يخبر بخبر من له هناك بنزولهم ويستعلمه من أحوالهم وما تجدد هناك بعدهم قبل أن يجتمع عليهم ويستعلم حالهم فيكتب ذلك إليه الجواب ثم يجتمع بهم فيخبرهم بتلك الحوادث ويحدثهم بأحوالهم حديث من هو معهم ومعاشرهم في بلادهم ثم يحدثهم بما تجدد بعدهم وفي يومه ذلك فيقول الساعة

تجدد كذا وكذا فيدهشون ويرجعون إلى رستاقهم فيجدون الأمر على ما قال ويتكرر هذا منه فيصير عندهم كالقطعي على أنه يعلم الغيب . قال ، وما كان يفعله أنه يأخذ طير عصفور ويشد في رجله تلفكاً ويجعل في التلفك بطاقة صغيرة ويشد في رجل حمامة تلفكاً ويشد في طرف التلفك كتاباً أكبر من ذلك ويجعله بين يديه ويجعل العصفور بيد ويأخذ غلاماً له في السطح^(١) والحمامة بيد آخر فيه ما في تلك البطاقة الصغيرة ويطلق الطائر العصفور فينظر الناس الكتاب وهو طائر في الهواء فيروح الحمام إلى تلك القرية فيأخذه صديقه الذي هناك ثم يخبره بجميع أمور القرية وأصحابها فلما يتكامل مجلسه بالناس يشيرون ينادي يابارش كأنه يخاطب شيطانا اسمه بارش ويقول خذ هذا الكتاب إلى قرية فلان فقد جرت بينهم خصومة فاجتهد في اصلاح ذات بينهم ويرفع صوته بذلك فيسرح غلامه المترصد العصفور الذي في يده فيرفع الكتاب نحو السماء بحضرة الجماعة يروونه عياناً من غير أن يرون التلفك فاذا ارتفع الكتاب جذبه الغلام المقيد بالعصفور وقطع التلفك حتى لا يرى ويرسل العصفور إلى تلك القرية ليصلح الأمر وكذلك يفعل بالحمامة ثم يقول لغلامه هات الكتاب فيلقيه الغلام الذي في السطح الذي قد جاءه خبر ما في القرية التي هؤلاء منها ثم يكتب كتاباً إلى دهقان تلك القرية فيشد به بالتلفك ويجعله في رجل عصفور كما قدمنا ويطلقه حتى يعلو سطح المكان فيأخذه ذلك الغلام فيشده في رجل طير حمام فيروح الى تلك القرية بذلك الكتاب فيصلح بين الناس الذين قد أتاه خبرهم بالمشاجرة فتخرج الجماعة الذين من تلك القرية فيجدون كتاب الشيخ قد وصل لهم وقد اجتمع دهاقين القرية وأصلحوا بينهم فيجىء ذلك فيخبرهم فلا يشكون في ذلك أنه يعلم الغيب ويتحقق هذا في قلوب العوام .

قال ابن عقيل : وإنما أوردت مثل هذا ليعلم أنه قد ارتفع القوم الى التلاعب

(١) الغلام في بعض النسخ هكذا بالنصب وفي بعض بالرفع وعلى كل المعنى ظاهر وهو أن ابن الشباس كان يتخذ غلاماً في السطح لأجل ما ذكر .

بالدين فأى بقاء للشيعة مع هذا الحال . قلت : وابن الشباس هذا كان يكنى
أبا عبد الله والشباس هو أبوه كان يكنى أبا الحسن واسم الشباس على بن
الحسين بن محمد البغدادي توفي بالبصرة سنة أربع وأربعين وأربع مائة
وكان الشباس وأبوه وعمه مستقرين بالبصرة . وكانت مذاهبهم تخفى على
الناس إلا أن الأغلب أنهم كانوا من الشيعة الامامية والغلاة الباطنية وقد
ذكرت في التاريخ عن ابن الشباس ان بعض أصحابه اكتشفت له نار بخيائته
وزخارفه وكانت تخفى على الناس إلى أن كشفها بعض أصحابه من الشيعة
الامامية الباطنية للناس فلما كشفها للناس وبينها فكان مما حدث به عنه أنه
قال : حضرنا يوما عنده فأخرج جديا مشويا فأمرنا بأكله وأن نكسر عظمه
ولا نهشمها فلما فرغنا أمر بردها إلى التنور وترك على التنور طبقا ثم رفعه
بعد ساعة فوجدنا جديا حيا يرعى حشيشا ولم نر للنار أثرا ولا للرماد ولا
للعظام خبرا . قال فتملطفت حتى عرفت ذلك وذلك أن التنور يفضى إلى سرداب
وبينهما طبق نحاس بلولب فاذا أراد إزالة النار عنه فركه فينزل عليه فيسده وينفتح
السرداب وإذا أراد أن يظهر النار أعاد الطبق إلى فم السرداب فتري للناس .
قال المصنف رحمه الله . وقد رأينا في زماننا من يشير إلى الملائكة
ويقول . هؤلاء ضيف مكرمون يوم أن الملائكة قد حضرت ويقول لهم
تقدموا إلى . وأخذ رجل في زماننا ابريقا جديدا فترك فيه عسلا فتشرب
في الخزف طعم العسل واستصحب الابريق في سفره فكان إذا غرق به
الماء من النهر وسقى أصحابه وجدوا طعم العسل ومافى هؤلاء من يعرف الله
ولا يخاف في الله لومة لائم نعوذ بالله من الخذلان .

﴿ الباب الثاني عشر في ذكر تلبس ابليس على العوام ﴾

قد بينا أن ابليس إنما يقوى تلبسه على قدر قوة الجهل وقد أفن فيما فن
به العوام وحضر ما قتنهم ولبس عليهم فيه لا يمكن ذكره لكثرة وإنما نذكر
من الأمهات ما يستدل به على جنسه والله الموفق . فن ذلك أنه يأتي إلى
العامى فيحملة على التفكر في ذات الله عز وجل وصفاته فيتشكك . وقد
أخبر رسول الله ﷺ عن ذلك فيما رواه أبو هريرة رضى الله عنه قال .

قال رسول الله ﷺ « تسألون حتى تقولوا هذا الله خلقنا فمن خلق الله » قال أبو هريرة : فوالله اني لجالس يوماً إذ قال لي رجل من أهل العراق هذا الله خلقنا فمن خلق الله . قال أبو هريرة . فجعلت أصبغى في أذني ثم صحت — صدق رسول الله — الله الواحد الأحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

وباسناد عن عائشة قالت . قال رسول الله ﷺ « ان الشيطان يأتي أحدكم فيقول . من خلقتك ، فيقول الله ، فيقول ، من خلق السموات والأرض ، فيقول الله . فيقول من خلق الله ، فاذا وجد أحدكم شيئاً من ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله . »

قال المصنف رحمه الله : وانما وقعت هذه المحنة لغلبة الحس وهو أنه ما رأى شيئاً إلا مفعولاً . وليقل لهذا العاى ألسن تعلم أنه خلق الزمان لا في الزمان والمكان لا في المكان فاذا كانت هذه الأرض وما فيها لا في مكان ولا تحتها شيء وحسك ينفر من هذا لأنه ما ألف شيئاً إلا في مكان فلا يطلب بالحس من لا يعرف بالحس . وشاور عقلك فانه سليم المشاورة . وتارة يلبس إبليس على العوام عند سماع صفات الله عز وجل فيحملونها على مقتضى الحس فيعتقدون التشبيه . وتارة يلبس عليهم من جهة العصبية المذاهب فترى العاى يلاعن ويقاتل في أمر لا يعرف حقيقة . فمنهم من يخص بعصيته أبا بكر رضى الله عنه . ومنهم من يخص علياً . وكم قد جرى في هذا من الحروب وقد جرى في هذا بين أهل الكوخ وأهل باب البصرة على عمر السنين من القتل وإحراق المحال ما بطول ذكره وترى كثيراً ممن يخاصم في هذا يلبس الحرير ويشرب الخمر ويقتل النفس وأبو بكر وعلى بريثان منهم . وقد يحس العاى في نفسه نوع فهم فيسول له إبليس مخاصمة ربه فمنهم من يقول لربه كيف قضى وعاقب . ومنهم من يقول لم ضيق رزق المتقى وأوسع على العاصى . ومنهم طائفة تشكر على النعم فاذا جاء البلاء اعترض وكفر . ومنهم من يقول أى حكمة في هدم هذه الأجساد يعذبها بالفناء يعد بنائها . ومنهم من يستبعد البعث . ومن هؤلاء من يختل عليه

مقصوده أو يتلى بلاء فيكفر ويقول أنا ما أريد أصلي . وربما غلب فاجر نصراني مؤمناً فقتله أو ضربه فيقول العوام قد غلب الصليب . ولماذا نصلي إذا كان الأمر كذلك . وكل هذه الآفات تمكن بها منهم إبليس لبعدهم عن العلم والعلماء فلو أنهم استفهموا أهل العلم لأخبروهم أن الله عز وجل حكيم ومالك فلا يبقى مع هذا اعتراض .

((فصل)) ومن العوام من يرضى عن عقل نفسه فلا يبالى بمخالفة العلماء فتى خالفت فتواهم غرضه أخذ يرد عليهم ويقدهم فيهم . وقد كان ابن عقيل يقول : قد عشت هذه السنين فلو أدخلت يدي في صنعة صانع لقال أفسدتها على ، فلو قلت أنا رجل عالم لقال بارك الله لك في عليك ليس هذا من شغلك . هذا ، وشغله أمر حسي لو تعاطيته فهمته ، والذي أنا فيه من الأمور أمر عقلي فإذا أفتيته لم يقبل .

((فصل)) ومن تلييسه عليهم تقديمهم المتزهدين على العلماء فلو رأوا جبة صوف على أجهل الناس عظموه خصوصاً إذا طأطأ رأسه وتخضع لهم ويقولون ، أين هذا من فلان العالم ذاك طالب الدنيا وهذا زاهد لا يأكل عنبه ولا رطبه ولا يتزوج قط جهلاً منهم بفضل العلم على الزاهد وإيثاراً للمتزهدين على شريعة محمد بن عبد الله ﷺ ومن نعمة الله سبحانه وتعالى على هؤلاء أنهم لم يدركوا رسول الله ﷺ إذ لو رأوه يكثر التزويج ويصطنق السبايا ويأكل لحم الدجاج ويحب الحلوى والعسل لم يعظم في صدورهم .

((فصل)) ومن تلييسه عليهم قدحهم في العلماء بتناول المباحات وذلك من أقبح الجهل . وأكثر ميلهم إلى الغرباء فهم يؤثرون الغريب على أهل بلدهم ممن قد خبروا أمره وعرفوا عقيدته فيميلون إلى الغريب ولعله من الباطنية . وإنما ينبغي تسليم النفوس إلى من خبرت معرفته قال الله عز وجل فان آستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم) ومن الله سبحانه في إرسال محمد ﷺ إلى الخلق بأنهم يعرفون حاله فقال عز وجل (لقد من الله على

المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم (وقال (يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) .

﴿ فصل ﴾ وقد يخرج بالعوام تعظيم المتزهدين إلى قبول دعاويهم وان خرقوا الشريعة وخرجوا عن حدودها . فترى المنتمس يقول للعامى : أنت فعلت بالأمس كذا وسيجرى عليك كذا فيصدقه . ويقول : هذا يتكلم على الخاطر ولا يعلم أن ادعاء الغيب كفر . ثم يرون من هؤلاء المنتمسين أموراً لا تحل كزواجة النساء والخلو بهن ولا ينكرون ذلك تسلياً لهم أحوالهم

﴿ فصل ﴾ ومن تلبس على العوام اطلاقهم أنفسهم في المعاصي فإذا وبخوا تكلموا كلام الزنادقة . فمنهم من يقول : لا أترك نقداً لنسيته . ولو فهموا لعلوا أن هذا ليس بنقد لأنه محرم وإنما يخير بين النقد والنسيته المباحين فثلهم كمثل محوم جاهل يأكل العسل فإذا عوتب قال الشهوة نقد والعافية نسيته . ثم لو علموا حقيقة الايمان لعلوا أن تلك النسيته وعد صادق لا يخلف . ولو عملوا عمل التجار الذين يخاطرون بكثير من المال لما يرجونه من الربح القليل لعلوا أن ما تركوه قليل وما يرجونه كثير . ولو أنهم ميزوا بين ما آثروا وما أفاتوا أنفسهم لرأوا تعجيل ما تعجلوا إذ فاتهم الربح الدائم وأوقعهم في العذاب الذي هو الخسران المبين الذي لا يتلافى . ومنهم من يقول الرب كريم والعفو واسع والرجاء من الدين فيسمون تمهينهم واعتراهم رجاء وهذا الذي أهلك عامة المذنبين . قال أبو عمرو بن العلاء : بلغني أن الفرزدق جلس إلى قوم يتذكرون رحمة الله فكان أوسعهم في الرجاء صدرا فقالوا له : لم تقذف المحصنات . فقال : أخبروني لو أذنبت إلى ولدي ما أذنبته إلى ربي عز وجل أتراهما كانا يطيبان نفساً أن يقذفاني في تنور مملوءاً جمرأ . قالوا لا إنما كانا يرحمانك . قال : فأني أوثق برحمة ربي منهما . قلت : وهذا هو الجهل المحض لأن رحمة الله عز وجل ليست برقة طبع ولو كانت كذلك لما ذبح عصفور ولا أميت طفل ولا أدخل أحد إلى جهنم . ويأستاد عن عباد قال : الأصمعي كنت مع أبي نواس بمكة فإذا أنا بغلام أمرديستلم الحجر الأسود . فقال لي أبو نواس . والله لا أبرح حتى أقبله عند الحجر الأسود .

فقلت : ويلك اتق الله عز وجل فإنك ببلد حرام وعند بيته الحرام فقال :
ما منه بد . ثم دنا من الحجر فجاء الغلام يستلمه فبادر ابونواس فوضع خده
على خد الغلام فقبله وأنا أنظر فقلت ويلك أفي حرم الله عز وجل فقال
دع ذا عنك فإن ربي رحيم ثم أنشد يقول :

وعاشقان التف خداهما عند استلام الحجز الأسود
فاشتفياً من غير أن يأثما كأنما كانا على موعد

قلت . انظروا إلى هذه الجرأة التي نظر فيها إلى الرحمة ونسى شدة العقاب
بانتهاك تلك الحرمة . وقد ذكرنا في أول الكتاب هذا أن رجلاً زنى بامرأة
في الكعبة ففسخا حجرين . ولقد دخلوا على أبي نواس في مرض موته
فقالوا له تب إلى الله عز وجل فقال إياي تخوفون حدثني حماد بن سلة عن
يزيد الرقاشي عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ . لسكل نبي شفاعتي
وإني اختبأت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي . أفترى لا أكون أنا منهم .
قال المصنف رحمه الله وخطأ هذا الرجل من وجهين . أحدهما أنه نظر
إلى جانب الرحمة ولم ينظر إلى جانب العقاب . والثاني أنه نسي أن الرحمة
إنما تكون فسائب كما قال عز وجل (وإني لغفار لمن تاب) وقال (ورحمتي
وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون) وهذا التلييس هو الذي يهلك عامة
العوام وقد كشفناه في ذكر أهل الإباحة .

(فصل) ومن العوام من يقول . هؤلاء العلماء يحافظون على الحدود
فلان يفعل كذا وفلان يفعل كذا فأمرى أنا قريب وكشف هذا التلييس
أن الجاهل والعالم في باب التكليف سواء فعليه الهوى للعالم لا يكون عذراً
للجاهل . وبعضهم يقول . ما قدر ذنبي حتى أعاقب . ومن أنا حتى أؤاخذ ،
وذنبى لا يضره وطاعتي لا تنفعه وعفوه أعظم من جرمي كما قال قائلهم :

من أنا عند الله حتى إذ أذنبت لا يغفرلى ذنبي

وهذه حماقة عظيمة كأنهم اعتقدوا أنه لا يؤاخذ إلا ضدأ أو ندأ .
تم ما علموا أنه بالمخالفة قد صاروا في مقام معاند ، وسمع بن عقيل رحمه الله
رجلاً يقول ، من أنا حتى يعاقبنى الله ، فقال : له أنت الذي لو أمات الله جميع

الخالق وبقيت أنت لكان قوله تعالى (يا أيها الناس) خطاباً لك . ومنهم من يقول ، سأتوب واصلح ، وكم من ساكن الأمل من أبله فاخطفه الموت قبله ، وليس من الحزم تعجيل الخطأ وانتظار الصواب . وربما لم تنهياً التوبة وربما لم تصح وربما لم تقبل تم لو قبلت بقي الحياء من الجنابة أبداً . فراراة خاطر المحصية حتى تذهب أسهل من معاناة التوبة حتى تقل . ومنهم من يتوب ثم ينقض فيلج عليه إبليس بالمكائد لعله بضعف عزمه . وبإسناد عن الحسن أنه قال : إذا نظر إليك الشيطان وراك على غير طاعة الله تعالى فنعاك وإذا رآك مداوماً على طاعة الله ملك ورفضك وإذا رآك مرة هكذا ومرة هكذا طمع فيك .

﴿ فصل ﴾ ومن تلبسه عليهم أن يكون لأحدهم نسب معروف فيغتر بنسبه فيقول : أنا من أولاد أبو بكر . وهذا يقول . أنا من أولاد علي . وهذا يقول : أنا شريف من أولاد الحسن أو الحسين أو يقول . أنا قريب النسب من فلان العالم أو من فلان الزاهد وهؤلاء يبنون أمرهم على أمرين . أحدهما : أنهم يقولون من أحب إنساناً أحب أولاده وأهله . والثاني : أن هؤلاء : لهم شفاعاة وأحق من شفّعوا فيه أهلهم وأولادهم . وكلا الأمرين غلط أما المحبة فليست محبة الله عز وجل كمحبة الآدمين وإنما يحب من أطاعه فإن أهل الكتاب من أولاد يعقوب ولم ينتفعوا بأبائهم ولو كانت محبة الأب سرى لسرى إلى البعض أيضاً . وأما الشفاعاة فقد قال الله تعالى (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) ولما أراد نوح حمل ابنه في السفينة قيل له « إنه ليس من أهلك » ولم يشفع إبراهيم في أبيه ولا نبيينا في أمه وقد قال ﷺ لفاطمة رضي الله عنها . « لا أغنى عنك من الله شيئاً » ومن ظن أنه ينجو بنجاة أبيه كان كمن ظن أنه يشيع بأكل أبيه .

﴿ فصل ﴾ ومن تلبسه عليهم أن يعتمد أحدهم على خلة خير ولا يبالي بما فعل بعدها . فمنهم من يقول : أنا من أهل السنة وأهل السنة على خير ثم لا يتحاشى عن المعاصى . وكشف هذا التلبيس أن يقال له إن الاعتقاد فرض والكف عن المعاصى فرض آخر فلا يكفي أحدهما عن صاحبه . وكذلك

تقول الروافض : نحن يدفع عنا موالاة أهل البيت وكذبوا فإنه إنما يدفع التقوى . ومنهم من يقول أنا ألزم الجماعة وأفعل الخير وهذا يدفع عنى وجوابه كجواب الأول .

(فصل) ومن هذا الفن تلبسه على العيارين في أخذ أموال الناس فانهم يسمون بالفتيان ويقولون : الفتى لا يزنى ولا يكذب ويحفظ الحرم ولا يهتك ستر امرأة ومنع هذا لا يتحاسون من أخذ أموال الناس وينسون ثقل الأكداد على الأموال ويسمون طريقةتهم الفتوة . وربما حلف أحدهم بحق الفتوة فلم يأكل ولم يشرب ويجعلون إلباس السراويل للداخل في مذهبهم كإلباس الصوفية للبريد المرقعة وربما يسمع أحد هؤلاء عن ابنته أو أخته كلبة وزر لا تصح وربما كانت من محرض فقتلها ويدعون أن هذه فتوة . وربما افتخر أحدهم بالصبر على الضرب . وبإسناد عن عبد الله بن أحمد بن حنبل أنه كان يقول : كنت كثيراً أسمع والذى أحمد بن حنبل يقول : رحم الله أبا الهيثم فقلت من أبو الهيثم ؟ فقال أبو الهيثم الحداد : لما مددت يدي إلى العقاب وأخرجت للسياط إذا أنا بإنسان يجذب ثوبي من ورائي ويقول لي : تعرفني قلت لا ، قال أنا أبو الهيثم العيار اللص الطرار مكتوب في ديوان أمير المؤمنين إني ضربت ثمانية عشر ألف سوط بالتفاريق وصبرت في ذلك على طاعة الشيطان لأجل الدنيا فاصبر أنت في طاعة الرحمن لأجل الدين ، قلت : أبو الهيثم هذا يقال له خالد الحداد . وكان يضرب المثل بصبره . وقال له المتوكل ما بلغ من جلدك قال املا لي جرابي عقارب ثم أدخل يدي فيه وأنه ليؤلمني ما يؤلمك . وأجد لآخر سوط من الألم ما أجد لأول سوط ولو وضعت في فمي خرقة وأنا أضرب لا احترقت من حرارة ما يخرج من جوفي ولو كنتني وطنت نفسي على الصبر ، فقال له الفتح ويحك مع هذا اللسان والعقل ما يدعوك إلى ما أنت عليه من الباطل . فقال أحب الرياسة . فقال المتوكل نحن خليدية . وقال الفتح أنا خليدي . وقال رجل لخالد يا خالد ما أتم لحوم ودماء فيؤلمكم الضرب . فقال بلى يؤلمنا ولكن معنا عزيمة صبر ليست لكم . وقال داود بن علي لما قدم بخالد اشتبهت أن أراه

فبقيت إليه فوجدته جالساً غير متمكن لذهاب لحم إلبتية من الضرب وإذا حوله فتيان فجعلوا يقولون . ضرب فلان ، وفعل بفلان كذا ، فقال لهم . لا تتحدثون عن غيركم افعلوا أتم حتى يتحدث عنكم غيركم . قال المصنف رحمه الله : فانظروا إلى الشيطان كيف يتلاعب بهؤلاء فيصبرون على شدة الألم ليحصل لهم الذكر ولو صبروا على يسير التقوى لحصل لهم الأجر والعجب أنهم يظنون لحالهم مرتبة وفضيلة مع ارتكاب العظائم .

﴿ فصل ﴾ ومن العوام من يعتمد على نافلة ويضيع فرائض . مثل أن يحضر المسجد قبل الأذان ويتنفل فإذا صلى مأموماً سابق الإمام . ومنهم من لا يحضر في أوقات الفرائض ويذاحم ليلة الرغائب . ومنهم من يتعبد ويكي وهو مصر على الفواحش لا يتركها . فإن قيل له قال : سيئة وحسنة والله غفور رحيم وجمهورهم يتعبد برأيه فيفسد أكثر مما يصلح . ورأيت رجلاً منهم قد حفظ القرآن وتزهد ثم حب نفسه وهذا من أخفش الفواحش .

﴿ فصل ﴾ وقد لبس إبليس على خلق كثير من العوام يحضرون مجالس الذكر ويكونون ويكتفون بذلك ظناً منهم أن المقصود الحضور والبكاء لأنهم يسمعون فضل الحضور في مجالس الذكر . ولو علموا أن المقصود إنما هو العمل وإذا لم يعمل بما يسمع كان زيادة في الحجة عليه . وإنى لأعرف خلقاً يحضرون المجالس منذ سنين ويكونون ويخشعون ولا يتغير أحدهم عما قد اعتاده من المعاملة في الربا والغش في البيع والجهل بأركان الصلاة والغيبة للمسلمين والعقوق للوالدين وهؤلاء قد لبس عليهم إبليس فأراهم أن حضور المجالس والبكاء يدفع عنه ما يلبس من الذنوب . وأرى بعضهم أن مجالسة العلماء والصالحين يدفع عنهم . وشغل آخرين بالتسويق بالتوبة فطال عليهم مطالهم . وأقام قوماً منهم للتفرج فيما يسمعون وأهملوا العمل به .

﴿ فصل ﴾ وقد لبس إبليس على أصحاب الأموال من أربعة أوجه . أحدها : من جهة كسبها فلا يبالون كيف حصلت وقد فشا الربا في أكثر معاملاتهم وأنسوه حتى أن جمهور معاملاتهم خارجة عن الإجماع وقد روى

أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « لياتين على الناس زمان لا يبالي المرء من أين أخذ المال من حلال أو حرام » والثاني : من جهة البخل بها فمنهم من لا يخرج الزكاة أصلاً إنكالا على العفو . ومنهم من يخرج بعضها ثم يغلبه البخل فينظر أن المخرج يدفع عنه . ومنهم من يحتال لاسقاطها مثل أن يهب المال قبل الحول ثم يسترده . ومنهم من يحتال بإعطاء الفقير ثوباً يقومه عليه بعشرة دنانير وهو يساوي دينارين ويظن ذلك الجهل أنه قد تخلص . ومنهم من يخرج الرديء مكان الجيّد ومنهم من يعطي الزكاة لمن يستخدمه طول السنة فهي على الحقيقة أجره . ومنهم من يخرج الزكاة كما ينبغي فيقول له إبليس ما بقي عليك فيمنعه أن يتنفل بصدقة حباً للمال فيفوته أجر المتصدقين ويكون المال رزق غيره .

وبإسناد عن الضحاك عن ابن عباس قال : أول ما ضرب الدرهم أخذه إبليس فقبله ووضع على عينه وسرته وقال بك أظني وبك أكفر . رضى من ابن آدم بحبه الدينار من أن يعبدني . وعن الأعمش عن شقيق عن عبد الله قال : إن الشيطان يرد الإنسان بكل ريذة فإذا أعياه اضطرّج في ماله فيمنعه أن ينفق منه شيئاً . والثالث من حيث التكثير بالأموال فإن الغنى يرى نفسه خيراً من الفقر وهذا جهل لأن الفضل بفضائل النفس اللازمة لها لا بجمع حجارة خارجة عنها كما قال الشاعر .

غنى النفس لمن يعقل خير من غنى المال
وفضل النفس في الأنفس ليس الفضل في الحال

والرابع في إنفاقها . فمنهم من ينفقها على وجه التبذير والإسراف ، تارة في البنيان الزائد على مقدار الحاجة وتزويق الحيطان وزخرفة البيوت وعمل الصور . وتارة في اللباس الخارج بصاحبه إلى الكبر والخيلاء ، وتارة في المطاعم الخارجة إلى السرف . وهذه الأفعال لا يسلم صاحبها من فعل محرم أو مكروه وهو مستول عن جميع ذلك .

وبإسناد عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « يا ابن آدم لا تزول قدماك يوم القيامة بين يدي الله عز وجل حتى تسأل عن أربع عمرك فيما

أفنيته وجسدك فيما أبليتة ومالك من أين اكتسبته وأين أنفقته . ومنهم من ينفق في بناء المساجد والقنابر إلا أنه يقصد الرياء والسمعة وبقاء الذكر فيكتب اسمه على ما بنى ولو كان عمله لله عز وجل لا كتفى بعلمه سبحانه وتعالى ولو كلف أن يبنى حائطاً من غير أن يكتب اسمه عليه لم يفعل . ومن هذا الجنس إخراجهم الشمع في رمضان في الأنوار طلباً للسمعة ومساجدهم طول السنة مظلمة لأن إخراجهم قليلاً من دهن كل ليلة لا يؤثر في المدح ما يؤثر في إخراج شمعة في رمضان ولقد كان أغنياء الفقراء بثمر الشمع أولى ولربما خرجت الأضواء الكثيرة السرف الممنوع منه غير أن الرياء يعمل عمله ، وقد كان أحمد بن حنبل يخرج من المسجد وفي يده سراج فيضعه ويصلي . ومنهم من إذا تصدق أعطى الفقير والناس يرونه فيجمع بين قصده مدحهم وبين إذلال الفقير . وفيهم من يجعل منه الدنانير الخفاف فيكون في الدينار قيراطان ونحو ذلك وربما كانت رديئة فيتصدق بها بين الجمع مكشوفة ليقال قد أعطى فلان فلاناً ديناراً وبالعكس من هذا كان جماعة الصالحين المتقدمين يجعلون في القرطاس الصغير ديناراً ثقيلاً يزيد وزنه على دينار ونصف ويسلمونه إلى الفقير في سر فإذا رأى قرطاساً صغيراً ظنه قطعة فإذا لمسه وجد تدوير دينار ففرح فإذا فتحه ظنه قليل الوزن فإذا رآه ثقيلاً ظنه يقارب الدينار فإذا وزنه فراه زائداً على الدينار اشتد فرحه فالثواب يتضاعف للمعطي عند كل مرتبة . ومنهم من يتصدق على الأجانب ويترك بر الأقارب وهم أولى وبإسناد عن سليمان بن عامر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « الصدقة على المسكين صدقة والصدقة على ذوى الرحم اثنتان صدقة وصلة » . ومنهم من يعلم فضيلة التصديق على القرابة إلا أن يكون بينهما عداوة دنيوية فيمتنع من مواساته مع علمه بفقره ولو واساه كان له أجر الصدقة والقرابة ومجاهدة الهوى . وقد روى عن أبي أيوب الأنصاري قال قال رسول الله ﷺ « إن أفضل الصدقة الصدقة على ذى الرحم الكاشح » . قال المصنف رحمه الله ، وإنما قبلت هذه الصدقة وفضلت لمخالفة الهوى فإن من تصدق على ذى قرابة بحبه فقد اتفق على هواه . ومنهم من يتصدق

ويضيق على أهله في النفقة . وقد روى عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ « أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى وأبدأ بمن تعول ، وبإسناد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « تصدقوا فقال رجل عندي دينار فقال تصدق به على نفسك . قال عندي دينار آخر قال تصدق به على زوجتك قال عندي دينار آخر قال تصدق به على ولدك . قال عندي دينار آخر قال تصدق به على خادمك . قال عندي آخر قال أنت أبصر به . » ومنهم من ينفق في الحج ويلبس عليه إبليس بأن الحج قرية وإنما مراده الرياء والفرجة ومدح الناس . قال رجل لبشر الحافي . اعددت ألني درهم للحج . فقال : احججت ؟ قال نعم ، قال : اقض دين مدين قال : ما تمل نفسي إلا الى الحج قال مرادك أن تركب وتجيء ويقال فلان حاجي . ومنهم من ينفق على الأوقات والرقص ويرمي الثياب على المغنى . ويلبس عليه إبليس بأنك تجمع الفقراء وتطعمهم وقد بينا أن ذلك أن مما يوجب فساد القلوب ومنهم من إذا جهز ابنته صاغ لها دست الفضة ويرى الأمر في ذلك قرية وربما كانت له ختمة فتقدم بحامر الفضة ويحضر هناك قوم من العلماء فلا هو يستعصم ما فعل ولا هم ينكرون اتباعا للعادة . ومنهم من يجوز في وصيته ويحرم الوارث ويرى أنه ماله يتصرف فيه كيف شاء وينسى أنه بالمرض قد تعلقت حقوق الوارثين به . وبإسناد عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ « من حاف عند الوصية قذف في الوباء ، والوباء واد في جهنم . وعن الأعمش عن خيشمة قال : قال رسول الله ﷺ « ان الشيطان يقول ما غلبني عليه ابن آدم فلن يغلبني على ثلاث أمره بأخذ المال من غير حقه وأمره بانفاقه في غير حقه ومنعه من حقه . »

﴿ فصل ﴾ وقد لبس إبليس على الفقراء فمنهم من يظهر الفقر وهو غنى فان أضاف إلى هذا السؤال والأخذ من الناس فانما يستكثرون من نار جهنم . اخبرنا ابن الحصين بإسناده عن محمد بن فضيل عن عمارة عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال « من سأل الناس أموالهم تكثراً فانما يسأل جمراً فليستقل منه أو ليستكثراً ، وإن لم يقبل هذا الرجل من الناس شيئاً وكان مقصوده باظهار الفقر أن يقال رجل زاهد فقد رأي . وإن

كتم نعمة الله عنده ليظهر عليه الفقر لئلا ينفق في ضمن بخله الشكوى من الله .
وقد ذكرنا فيما تقدم أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً بادی الهيئة فقال
« هل لك من مال . قال نعم . قال فلتر نعمة الله عليك » . وإن كان فقيراً
محققاً فالمستحب له كتمان الفقر وإظهار التجميل فقد كان في السلف من يحمل
مفتاحاً يوم أن له داراً ولا يبيت إلا في المساجد .

﴿ فصل ﴾ ومن تلبس إبليس على الفقراء أنه يرى نفسه خيراً من
الغنى إذ قد زهد فيما رغب ذلك الغنى فيه وهذا غلط وإن الخيرية ليست
بالوجود والعدم وإنما هي بأمر وراء ذلك .

﴿ فصل ﴾ وقد لبس إبليس على جمهور العوام بالجریان مع العادات
وذلك من أكثر أسباب هلاكهم . فمن ذلك أنهم يقلدون الآباء والأسلاف
في اعتقادهم على ما نشئوا عليه من العادة فترى الرجل منهم يعيش خمسين سنة
على ما كان عليه أبوه ولا ينظر أكان على صواب أم على خطأ . ومن هذا
تقليد اليهود والنصارى والجاهلية أسلافهم وكذلك المسلمون يحرون في
صلاتهم وعباداتهم مع العادة فترى لرجل يعيش سنين يصلي على صورة
ما رأى الناس يصلون ولعله لا يقيم الفاتحة ولا يدري ما الواجبات ولا يسهل
عليه أن يعرف ذلك هو انناً بالدين ولو أنه أراد تجارة لسأل قبل سفره عما
ينفق في ذلك البلد ، ثم ترى أحدهم يركع قبل الإمام ويسجد قبل الإمام
ولا يعلم أنه إذا ركع قبله فقد خالفه في ركن فإذا رفع قبله فقد خالفه في
ركنين فبطلت صلاته وقد رأيت جماعة يسلمون عند تسليم الإمام وقد بقي
عليهم من التشهد الواجب شيء وذاك أمر لا يحمله الإمام فتسكون صلاته
باطلة . وربما يترك أحدهم فريضة وزاد في نافلة . وربما أهمل غسل بعض
العضو كالعقب وربما كان في يده خاتم قد حصر الأصبع فلا يديره وقت
الوضوء ولا يصل الماء إلى ما تحته فلا يصح وضوؤه وأما بيعهم وشرائهم
فأكثر عقودهم فاسدة ولا يتعرفون حكم الشرع فيها ولا يخف على أحدهم
أن يقلد فقيهاً في رخصته استقلالاً منهم للدخول تحت حكم الشريعة . وقل

أن يديعوا شيئاً إلا وفيه غش ويغطيه عيب . والجلاء يغطي عيوب الذهب الرديء حتى أن المرأة تضع الغزل في الانداء وتنديه ليثقل وزنه .

ومن جريانهم مع العادة أن أحدهم يتوانى في صلاته المفروضة في رمضان ويفطر على الحرام، ويغتتاب الناس ، وربما لو ضرب بالحشب لم يفطر في العادة لأن في العادة استبشاع الفطر . ومنهم من يدخل في الربا بالاستئجار فيقول معي عشرون ديناراً لا املك غيرها فان أنفقتها ذهبت وأنا أستأجر بها داراً وآكل أجرة الدار ظناً منه إن هذا الأمر قريب . ومنهم من يرهن الدار على شيء ويؤدي ويقول هذا موضع ضرورة وربما كانت له دار أخرى وفي بيته آلات لو باعها لاستغنى عن الرهن والاستئجار ولكنه يخاف على جاهه أن يقال قد باع داره أو أنه يستعمل الخنزير مكان الصفر . وما جروا فيه على العادات اعتمادهم على قول الكاهن والمنجم والعراف وقد شاع ذلك بين الناس واستمرت به عادات الأكابر فقل أن ترى أحداً منهم يسافر أو يفصل ثوباً أو يحتجم إلا سأل المنجم وعمل بقوله ولا تخلو دورهم من تقويم وكلم من دار لهم ليس فيها مصحف . وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه سأل عن الكهان فقال : ليسوا بشيء . فقالوا يا رسول الله إنهم يحدثون أحياناً بالشئ يكون حقاً . فقال رسوله الله ﷺ : تلك الحكمة من الحق يخطفها الجن فينقرها في أذن وليه نقر الدجاجة فيخاطون فيها أكثر من مائة كذبة .

وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال : « من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة » وروى أبو داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد برىء مما أنزل على محمد ﷺ » ومن جريانهم مع العادات كثرة الإيمان الحائثة التي أكثرها ظاهروهم لا يعلمون فأكثر قولهم في الإيمان حرام على أن بعث، ومن عاداتهم لبس الحرير والتختم بالذهب ، وربما تورع أحدهم عن لبس الحرير ثم لبسه في وقت كالخطيب يوم الجمعة ، ومن عاداتهم إهمال انكار المنكر حتى أن الرجل يرى أخاه أو قريبه يشرب الخمر ويلبس الحرير فلا

ينكر عليه ولا يتغير بل يخالطه مخالطة حبيب ، ومن عاداتهم أن يبني الرجل على باب داره مصطبة يضيق بها طريق المارة وقد يجتمع على باب داره ماء مطر ويكثر فيجب عليه إزالته وقد أثم بكونه كان سبياً لأذى المسلمين ، ومن عاداتهم دخول الحمام بلا منزر وفيهم من إذا دخل بمنزر رمى به على غذه فيرى جوانب اليتيم ويسلم نفسه إلى المدلك فيرى بعض عورته ويمسها بيده لأن العورة من السرة إلى الركبة ثم ينظر هؤلاء إلى عورات الناس ولا يكاد بغض ولا ينكر . ومن عاداتهم ترك القيام بحق الزوجة وربما اضطروها إلى أن تسقط مهرها وينظن الزوج أنه قد تخلص بما قد أسقطته عنه . وقد يميل الرجل إلى إحدى زوجتيه دون الأخرى فيجوز في القسم متهاونا بذلك ظناً أن الأمر فيه قريب فقد روي أبو هريرة . رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : من كانت له امرأتان يميل إلى إحديهما على الأخرى جاء يوم القيامة يجر إحدى شقيه ساقطاً أو مائلاً ، ومن عاداتهم اثبات الفلاس عند الحاكم ويعتقد الذي قد حكم له بالفلس أنه قد سقطت عنه بذلك الحقوق وقد يؤسر ولا يؤدي حقاً . ومنهم من لا يقوم من مكانه بحجة الفلاس إلا وقد جمع مالا من أموال المعاملين فأضربه ينفقه في مدة استنارته وعنده إن الأمر في ذلك قريب . وبما جروا فيه على العادات أن الرجل يستأجر ليعمل طول النهار فيضيع كثيراً من الزمان إما بالتثبط في العمل أو بالبطالة أو بإصلاح آلات العمل مثل أن يحد النجار الفأس والشقاق المنشار ومثل هذا خيانة إلا أن يكون ذلك يسيراً قد جرت العادة بمثله . وقد يفوت أكثرهم الصلاة ويقول أنا في إجارة رجل ولا يدرى أن أوقات الصلاة لا تدخل في عقد الإجارة . وقلة نصحهم في أعمالهم كثيرة وبما جروا فيه على العادة دفن الميت في التابوت وهذا فعل مكروه وأما الكفن فلا يتباهى فيه بالمغالة ينبغي أن يكون وسطاً . ويدفنون معه حملة من الثياب وهذا حرام لأنه إضاعة للبال وقيمون النوح على الميت ، وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال : « أن النائحة إذا لم تتب قبل موتها نقام يوم القيامة وعليها سربال من لؤلؤ » ان ودرع من جرب ، ومن عاداتهم اللطم وتمزيق الثياب وخصوصاً

النساء . وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال : ليس منامن شق الجيوب ولطم الخدين ودعى بدعوى الجاهلية وربما رأوا المصاب قد شق ثوبه فلم ينكروا عليه لابل ربما أنكروا ترك شق الثوب وقالوا ما أثرت عنده المصيبة . ومن عاداتهم يلبسون بعد الميت الدون من الثياب ويبقون على ذلك شهراً أو ستة وربما لم يناموا هذه المدة في سطح . ومن عاداتهم زيارة المقابر في ليلة النصف من شعبان وإيقاد الدار عندها وأخذ تراب القبر المعظم . قال ابن عقيل لما التكاليف على الجهال والضغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم فهلت عليهم إذ لم يدخلوها بها تحت أمر غيرهم قال وهم كفار عندي بهذه الأوضاع مثل تعظيم القبور وإكرامها بما نهى الشرع عنه من إيقاد النيران وتقييلها وتخليفها وخطاب الموق بالآلواح وكتب الرقاع فيها يامولاي أفعل بي كذا وكذا وأخذ التراب تبركا وإفاضة الطيب على القبور وشد الرجال إليها وإلقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى ولا تجد في هؤلاء من يحقق مسألة في زكاة فيسال عن حكم يلزمه : والويل عندهم لمن لم يقبل مشهد الكهف ولم يتمسح بأجرة مسجد المأمونية يوم الأربعاء ولم يقل الحمالون على جنازته أبو بكر الصديق أو محمد وعلى . ولم يكن معها نياحة . ولم يعقد على أيه أزجاً بالحصى والآجر ولم يشق ثوبه إلى ذيله ولم يرق ماء الورد على القبر ويدفن معه ثيابه .

﴿ فصل ﴾ وأما تلييس إبليس على النساء فكثير جداً وقد أفردت كتاباً للنساء ذكرت فيه ما يتعلق بهن من جميع العبادات وغيرها وأنا أذكر ههنا كلمات من تلييس إبليس عليهن فن ذلك أن المرأة تطهر من الحيض بعد الزوال فتغتسل بعد العصر فتصل العصر وحدها وقد وجبت عليها الظهر وهي لا تعلم وفيهن من يؤخر الغسل يومين وتحتج بغسل ثيابها وغسلهم ودخول الحمام : وقد تؤخر غسل الجنابة في الليل إلى أن تطلع الشمس . فإذا دخلت الحمام لم تتزر بمئزر وتقول ما دخل إلى إلا القيمة . وربما قالت أنا وأختي وأمي وجاريقي وهن نساء مثلي فمن أستتر وهذا كله حرام . فإن تخير الغسل بغير عذر لا يجوز ولا يحل للمرأة أن تنظر من المرأة

ما بين سرتها وركبتها ولو كانت ابنتها وأما إلا أن تكون البنت صغيرة فإذا بلغت سبع سنين استترت واستتر منها وقد تصل المرأة قاعدة وهي تقدر على القيام فالصلاة حينئذ باطلة . وقد تحتج بنجاسة في ثوبها من بول طفلها وهي تقدر على غسله ولو أرادت الخروج إلى الطريق لتهايت واستعارت وإنما هان عندها أمر الصلاة وقد لا تعرف من واجبات الصلاة شيئاً ولا تسأل . وقد ينكشف من الحرة ما يبطل صلاتها وتستعين به . وقد تستعين المرأة بإسقاط الحبل ولا تدري أنها إذا أسقطت ما قد نفخ فيه الروح فقد قتلت مسلماً وقد تستعين بالكفارة الواجبة عليها عند ذلك الفعل فانه يجب عليها أن تتوب وتؤدي دينه إلى ورثته وهي غرة عبد أو أمة قيمتها نصف عشرية آية أو عشرية لأم ولا ترث الأم من ذلك شيئاً ثم تعتق رقبة فان لم تجد صامت شهرين متتابعين . وقد تسيء الزوجة عشرتها مع الزوج وربما كلبته بالمكروه وتقول هذا أبو أولادي وما يديننا هذا وتخرج بغير إذنه وتقول ما خرجت في معصية ولا تعلم أن خروجها بغير إذنه معصية . ثم نفس خروجها لا يؤمن منه فتنة . وفيهن من تلازم القبور وتحد لا على الزوج وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : لا يحل لامرأة تؤمن بالله ورسوله أن تحد على ميت إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً . ومنهم من يدعوها زوجها إلى فراشه فتأبى وتظن هذا الخلاق ليس بمعصية وهي منبهة عنه لما روى أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فباتت وهو عليها ساخط لعنتها الملائكة حتى تصبح ، أخرجاه في الصحيحين وقد تفرط المرأة في مال زوجها ولا يحل لها أن تخرج من بيته شيئاً إلا أن يأذن لها أو تعلم رضاه . وقد تعطى من ينجم لها بالخصى ويسحر ومن تعمل لها نسخة عمة وعقد لسان وكل هذا حرام ، وقد تستجيز ثقب آذان الأطفال وهو حرام فان أفلحت وحضرت مجلس الواعظ فربما لبست خرقة من يد الشيخ السوفي وتصافحه فصارت من بنات المنبر فخرجت إلى عجائب ، وينبغي أن نسكف عنان العلم اقتصاراً على هذه النبذة فان هذا الأمر يطول ولو بسطنا لنبذ المذكورة في هذا الكتاب أو شيدنا ردنا على من ردنا

عليه بالأحاديث والآثار لاجتماع مجلدات ، وإنما ذكرنا اليسير ليدل على الكثير وقد اقتنعنا في ذكر فاحش القبيح من أفعال الغالطين بنفس حكايته دون تعاطي رده لأن الأمر فيه ظاهر والله يعصمنا من الزلل ويوفقنا لصالح القول والعمل بمنه وكرمه .

﴿ الباب الثالث عشر ﴾

(في ذكر تلبس إبليس على جميع الناس بطول الأمل)

قال المصنف رحمه الله : كم قد خطر على قلب يهودى ونصرانى حب الإسلام فلا يزال إبليس يثبته ويقول لا تعجل وتمهل في النظر فيسوفه حتى يموت على كفره وكذلك يسوف العاصي بالتوبة فيجعل له غرضه من الشهوات ويمنيه الإنابة كما قال الشاعر :

لا تعجل الذنب لما تشتهي وتأمل التوبة من قابل .

وكم من عازم على الجسد سوفه ، وكم ساع إلى فضيلة ثبطه . فلربما عزم الفقيه على إعادة درسه فقال استرح ساعة أو انتبه العابد في الليل صلى فقال له عليك وقت . ولا يزال يحب الكسل ويسوف العمل ويسند الأمر إلى طول الأمل فينبغي للحازم أن يعمل على الحزم والحزم تدارك الوقت وترك التسوف والاعراض عن الأمل فإن الخوف لا يؤمن والفوات لا يعث وسبب كل تقصير في خير ، أو ميل أن شر طول الأمل فإن الإنسان لا يزال يحدث نفسه بالنزوع عن الشر والاقبال على الخير إلا أنا يعد نفسه بذلك ولا ريب أنه من الأمل أن يمشى بالنهار سار سيراً فاتراً ونأمل أن يصبح عمل في الليل عملاً ضعيفاً ومن صور الموت عاجلاً جداً ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « صل صلاة مودع » وقال بعض السلف : أنذركم سوف فإنها أكبر جنود إبليس : ومثل العامل على الحزم والساكن لطول الأمل كل قوم في سفر فدخلوا قرية فمضى الحازم فاشترى ما يصلح لتقام سفره وجس متأهباً للرحيل : وقال المفرط سأ تأهب فربما أقنأ شهرأ ، فضرَب بؤ الرحيل في الحال فاغتبط المحترز واغتبط الأسف المفرط فهذا مثل الناس في الدنيا

مهم المستعد المستيقظ فإذا جاء ملك الموت لم يندم ومنهم المغرور المسوف
يتجرع مرير الندم وقت الرحلة فإذا كان في الطبع حب التواني وطول الأمل
ثم جاء إبليس يحث على العمل بمقتضى ما في الطبع صعبت المجاهدة إلا أنه من
اتقنه لنفسه علم أنه في صف حرب وأن عدوه لا يفتر عنه فإن افترى في الظاهر
بطن له مكيدة وأقام له كميناً ونحن نسأل الله عز وجل السلامة من كيد
العدو وقتن الشيطان وشر النفوس والدنيا أنه قريب مجيب جعلنا الله من
أولئك المؤمنين .

تم والحمد لله أولاً وآخراً



كلية لمصححه وناشره

للبرة الأولى

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله ومن تمسك بهديه وولاه .

أما بعد فيقول مصصح هذا الكتاب وناشره « محمد منير الدمشقي الأزهرى » قد تم بحول الله وتوفيقه طبع « كتاب تليس إبليس » لعالم الآفاق وواعظ العراق الإمام الحافظ الكبير أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزى رحمه الله وجعل الجنة مأواه .

وقد بذلت جهدي في تصحيحه ومراجعة أصوله . وكان لدى حين شرعت في طبعه للبرة الأولى نسختان خطيتان مختلفتا التاريخ ووقفت للمرة الثانية بنسخة ثالثة فجاءت هذه الطبعة خيراً من سابقتها بكثير والحمد لله فنشكر الله على جزيل نعمه وسوابغ مننه . والله أرجو القبول فإنه خير مسؤول .

صفحة	صفحة
٢٥	٢ خطبة الكتاب
٢٦	٢ بدء اختلاف العقائد وتشعب
٢٩	٤ التحذير من مكاييد ابليس وسبب
٢٩	٤ وضع الكتاب
٢٩	٤ حقيقة الديانة الاسلامية
٢٩	٥ تقسيم الكتاب وتراجم أبوابه
٢٩	٥ (الباب الأول) في الأمر بلزوم
٢٩	٦ السنة والجماعة
٢٩	٦ الآثار الوازنة بأن يدا الله مع الجماعة
٣٠	٧ افتراق بني اسرائيل الى ٧٣ فرقة
٣٦	٨ الترغيب في السنة وأهلها
٣٦	١١ (الباب الثاني) في ذم البدع والمبتدعين
٣٦	١٣ الكلام في الارجاء والنهي عنه
٣٦	١٤ أهل الأهواء والنهي عن مخالطتهم
٣٥	١٥ تعريف السنة وتعريف البدعة
٣٧	١٥ شيء من خبر بشر المريسي
٣٧	١٦ نفور السلف من كل مبتدع ومبتدع
٣٩	يصادم الشرع
٣٩	١٨ بيان انقسام أهل البدع
٣٩	١٨ اصول الفرق الاسلامية الـ ٧٣
٣٩	فرقة وبيانها فرقة فرقة
٣٩	٢٣ (الباب الثالث) في التحذير من قتن
٣٩	ابليس ومكايده وما ورد في ذلك
٣٩	٢٣ التفاضل وأنه أول ما عرض
٣٩	لا بليس لعنه الله
٣٩	٢٤ التحذير من نصيح ابليس بعكس
٣٩	القضية عليه
٣٩	٢٥ تحريشه بين المصلين وخبره مع
٣٩	يحيى ابن زكريا عليهما السلام
٣٩	٢٦ خبره مع راهب بني اسرائيل حتى
٣٩	حمله على الكفر بواسطة المرأة
٣٩	٢٩ خبره مع الراهب وتشبهه له بالمسيح
٣٩	عليه السلام
٣٩	٢٩ خبره مع نوح عليه السلام وركوبه
٣٩	في السفينة
٣٩	٢٩ خبره مع موسى عليه السلام
٣٩	ونصيحته له
٣٩	٣٠ أخبار متفرقة عن ابليس
٣٩	ومكايده
٣٩	٣٦ الشيطان وأولاده الخسة ووظائفهم
٣٩	في الاغراء
٣٩	٣٣ بيان أن الشيطان يجري من ابن
٣٩	آدم مجرى الدم
٣٩	٣٥ الاخبار الواردة بالنعوذ منه
٣٩	٣٧ (الباب الرابع) في معنى التلبس
٣٩	والغرور
٣٩	٣٩ (الباب الخامس) في ذكر
٣٩	تلبسه العقائد والديانات
٣٩	٣٩ ذكر تلبسه على السوفسطائية
٣٩	وتقرير مذهبهم والرد عليهم بما
٣٩	يقنع
٣٩	٤٣ ذكر تلبسه على الطبائعين
٣٩	٤٤ ذكر تلبسه على الثورية
٣٩	٤٥ ذكر تلبسه على الفلاسفة
٣٩	٤٥ مذهب أرسطاطاليس بقدم العالم

صحيفة	صحيفة
٤٦ مذهب سقراط بالعلة والعنصر والصورة	٦٨ الرد على الملحدين المستترين بالاسلام كابن الرواندى ومن شاكلة
٤٧ مذهب القائلين بأن الله لا يعلم إلا نفسه ومذهب ابن سينا	٦٩ مذاهب البراهمة وإزهاق أرواحهم
٤٧ إنكار الفلاسفة بعث الأجساد ورد الأرواح إليها	٧٥ تلبسه على اليهود ومخالفاتهم فى الدين وإنكارهم التسبيح وصفات نبينا محمد رسول الله ﷺ
٤٩ فصل فيمن لبس عليهم من أهل الاسلام فاتبعوا مذهب الفلاسفة	٧٣ تلبسه على النصارى فى التثليث
٥٠ تلبسه على أصحاب الهياكل	٧٣ من تلبس إبليس على اليهود والنصارى قولهم لا يعذبنا الله لاجل أسلافنا
٥١ الكلام على عبادتهم للكواكب والأصنام	٧٤ تلبسه على الصابئة وحكاية مذهبهم
٥٢ تلبسه على عباد الأصنام وتوليئهم الأصنام عند العرب وتعدادها	٧٥ تلبسه على المجوس فى قولهم بالثنوية
٥٦ أول من غير دين إسماعيل من العرب	٧٧ تلبسه على المنجمين القائلين بالفلك
٥٧ الأصنام التى كانت حول الكعبة	٧٨ تلبسه على جاحدى البعث وبيان شهم والرد عليهم
٥٩ أخبار عبادة العرب الحجارة والنار	٨٠ تلبسه على القائلين بالتناسخ
٦١ خبر عبادة أهل الهند الأصنام	٨١ تلبسه على أمتنا المقلدين فى العقائد ورأى المؤلف فى التقليد والاجتهاد
٦٢ ذكر تلبسه على عابدى النار	٨٢ النهى عن الخوض فى علم الكلام
٦٢ أخبار زرادشت وأول بيوت النار وعباد القمر	٨٣ حكايات من سخافات المعتزلة
٦٣ تلبسه على الجاهلية بمذاهب شتى	٨٤ مذهب محمد بن كرام والرد عليه
٦٤ ذكر من تمسك بالتوحيد من العرب وعاداتهم وبدعهم	٨٤ رجوع منطقة المتكلمين إلى مذهب السلف الصالح
٦٥ تلبسه على جاحدى النبوات	٨٥ الرد على المجسمة ومن وقف مع الظواهر الحسية
٦٥ مذاهب البراهمة فى إنكار النبوات	
وقد ألقى إبليس اليهم ست شبهات وبيانها مفصلة والجواب عنها	

صحيحة	صحيحة
١١٠ فصل في ظهور الباطنية ثانياً	٨٨ فصل في أن الطريق السليم ما كان
١١١ فصل في ابن الراوندي وإلحاده	عليه الرسول ﷺ وأصحابه
ويسان زنادقة عصرنا وملحدته	٩٠ تليسه على الخوارج وخبر ذي
وسبب سريان الإلحاد فيهم	الخويرة
١١٢ الباب السادس في تليسه على العلماء	٩٠ مبدأ الخوارج وخروجهم على علي
تليسه على القراء والقراءة الشاذة	٩١ شبههم ومناظرة ابن عباس لهم
١١٣ القراءة بالسلحين وحكمها	٩٣ قصص من أخبارهم في مذهبهم
١١٣ النهي عن القراءة على قانون الاغاني	٩٤ فصل فيما تفرع عنهم من المذاهب
١١٤ تليسه على المكثرين من روايته	الباطلة وذكر رؤوس أهلها
مع عدم الفقه فيه وحكايات عنهم	٩٦ فصل في رأى الخوارج أنه لا تختص
الرواية للشهرة	الامامة بشخص إلا أن يجتمع
١١٦ تليسه على المكثرين من الرواية	فيه العلم والزهد وإن كان من
للشهرة	اخلاط الناس
١١٧ تليسه عليهم بقدر بعضهم ببعض	٩٧ تليسه على الرافضة في عقائدهم
طلباً للتشفي	٩٩ غلوهم في علي ووضعهم أحاديث في
١١٨ تليسه عليهم بروايات الموضوعات	فضائله أكثرها تشينه وتؤذيه
وعدم التنبيه عليها	٩٩ نبذ مما انفردت به الامامية في
١١٨ تليسه على الفقهاء الجليلين	الدين
بالكتاب والسنة	١٠٠ خطبة علي في الشيخين أبي بكر وعمر
١١٩ إدخالهم أوضاع الفلاسفة في جدلهم	١٠٢ تليسه على الباطنية وذكر فرقهم
واعتمادهم على ذلك الأوضاع	مفصلة وهي ثمانية
١٢٠ المناظرة وآدابها والمراد منها	١٠٢ منهم الاسماعيلية وخبر زعيمهم
١٢١ الفتوى وتخرج السلف منها	١٠٤ ومنهم القرامطة وأخبارهم
وورعهم في الاقدام عليها	١٠٥ ومنهم الخرمية والتعليمية
١٢١ تليسه عليهم في مخالطتهم الامراء	١٠٦ فصل في ذكر السبب الباعث لهم
والسلطين	على الدخول في هذه البدعة
١٢٢ المدارس الموقوفة للبتشاغلين بالعلم	١٠٧ حيلهم في استئلال الناس الى
فلا ينبغي لغيرهم النفقة منها	دعوتهم
١٢٣ تليسه على الرعايا والقصاص	

صحيفة	صحيفة
١٤٣ تليسه عليهم في الصوم. والسنة في نفله	وآفاتهم
١٤٤ تليسه عليهم في الحج	١٢٥ من آفاتهم حب الرياسة واختلاط الرجال بالنساء في مجالسهم
١٤٦ تليسه على الغزاة من وجوه	١٢٦ تليسه على أهل اللغة والادب بأنهم على شيء من العلم
١٥٠ (الباب التاسع) في تليسه على الزهاد والعباد وتمهيد المؤلف لهذا الباب بما يعجب المطلع عليه	١٢٧ حكاية أبي إسحق الزجاج مع الوزير
١٥١ تليسه عليهم في الاعراض عن العلم	١٢٨ تليسه على الشعراء
١٥١ تليسه عليهم في المطعم والملبس	١٢٩ تليسه على الكاملين من العلماء
١٥٢ الرياء وبيان ظاهره وخفيه	١٣٠ تليسه على المحكمين في العلم بالكبر
١٥٤ فصل ومن آفات المتزهدين الانقطاع في المسجد أو الرباط وتركهم تسريح اللحية	١٣٠ تليسه عليهم بطلب علو الصيت
١٥٦ ومن آفاتهم لبس اثوب المحرق	١٣١ الباب السابع في تليسه على الولاة والسلاطين
١٥٧ ومن تليسه اعتمادهم على واقعاتهم	١٣٤ الباب الثامن في تليسه على العباد في العبادات
١٥٨ حكاية حاتم البلخي وعييه على العلماء	١٣٥ تليسه عليهم في الاستطابة والحدث
١٦٠ الباب العاشر في تليسه على الصوفية	١٣٥ تليسه عليهم في النية والأسراف في الماء
١٦١ أولية الصوفية وسبب تسميتهم	١٣٧ تليسه عليهم في الادور بادخال زيادات لم تشرع اتخذت الآن ديناً
١٦٢ خبر أهل الصفة ونسبة الصوفي اليهم	١٣٧ تليسه عليهم في الصلاة والوسوسة في النية والتكبير كعمل بعض الشافعية المعتوهين الآن
١٦٣ ظهور إسم المقصوف والمراد منه عندهم	١٤٠ تليسه على بعضهم في مخارج الحروف
١٦٤ تليسه عليهم نصدهم عن العلم	١٤٠ تليسه على المتعبدين في صلاة الليل
تدوين مذهب التصوف وبدعهم ورسومهم	١٤٢ كراهية التعبد في المساجد للتعرف
١٦٥ نقد كتاب الصفة وإحياء العلوم	١٤٢ تليسه عليهم في قراءة القرآن

صحيفة	صحيفة
١٨٧ تلييسه عليهم في الترميم والتعم	١٦٥ ذكر مصنفاتهم وطرف من أخبارها
١٨٨ حكايات عن الصوفية طالي الدنيا	١٦٧ انتهى عن مطالعة كتب المحاسبي
١٨٩ الانكار عليهم المرقعات ومرتقة ابن الكريفي	١٦٧ إنكار المصريين على ذي النون المصري والبسطامي
١٩١ الرد عليهم في لبس المصنعات	١٦٧ الانكار على سهل التستري
١٩٢ انتهى عن لباس ثياب الشبهة ووصفها	١٦٨ فصل في نقد غلطات الصوفية
١٩٤ الانكار عليهم لبسهم الصوف	١٦٩ تلييسه عليهم في سوء الاعتقاد
١٩٨ فصل في أن لباس السلف الثياب المتوسطة	١٧٠ الانكار على الخراز في مؤلفه كتاب السر
٢٠٠ فصل في اللباس الذي يرى بصاحبه يتضمن إظهار الزهد	١٧١ الحلوليون وكتابهم في الحلول
٢٠١ فصل في استحباب تجويد اللباس والزين للاخوان	١٧١ حكايات عن الحلاج وإباحة دمه باتفاق علماء عصره قاطبة
٢٠٢ فصل في تحريم الثياب وتقطيعها	١٧٢ تعصب جهلاء الصوفية للحلاج
٢٠٣ مناظرة الشبلي لابن مجاهد ونقد المؤلف لها	١٧٣ حكاية أبي شعيب المقتفع المتبلي
٢٠٤ حكايات عنهم في إضاعتهم المال في غير وجهه	١٧٣ تلييسه عليهم في الطهارة والصلاة
٢٠٥ تقصيرهم الثياب وتبذلم في اللبس	١٧٤ تلييسه عليهم في المساكن وبناء الأربطة
٢٠٦ ذكر تلييسه عليهم في المطعم والمشرع وتقشفهم	١٧٥ تلييسه عليهم في الخروج عن الاموال والتجرد عنها
٢٠٦ ذكر طرف مما فعله قداماؤهم	١٧٨ رد المصنف عليهم وتقريره لشرف المال والاستدلال بالشرع والعقل
٢٠٩ فصل وكان منهم من لا يأكل اللحم	١٧٩ أغنياء الصحابة
٢١٠ نقد كتاب أبي طالب المسكي المسمى بقوت القلوب	١٨١ فصل جمع المال الحلال
٢١١ نقد المصنف لما حكاه عن تقشفهم	١٨٢ وجوب ادخار المال وكراهية تبديد
٢١٣ فصل في أن الجوع يضرب بالشبان	١٨٣ التوكل وإن ثقة القلب بالله تعالى
	١٨٥ الاستعطاء والسؤال وقبح ذلك
	١٨٦ تلييسه عليهم في لبسهم المرقعات والفوط

صحيفة	صحيفة
٢٥٨ فصل في أحوال الصوفية حال	٢١٤ فصل في اضرار تناول الاطعمة
رقصهم	الرديئة
٢٦١ أحكام الخرق المرمية حال وجدهم	٢١٦ فصل في الماء الصافي واضرار الماء
٢٦٣ أحكام تقطيعهم الثياب المطروحة	الكدر
٢٦٤ تلبيسه عليهم في صحبة الاحداث	٢١٧ ذكر حالة الصوفية في زمن
٢٦٦ حكم النظر الى الامرء	المؤلف
٢٦٨ رد ابن عقيل على من قال بالاستمتاع	٢٢٢ تلبيسه عليهم في السماع والرقص
بالنظر	والوجد
٢٧٠ حكايات عنهم في صحبة الإحداث	٢٢٣ الحدو عند العرب وأصل الحداء
٢٧٤ يسان أن كل من فاته العلم تخبط	٢٢٤ الغناء المباح والغناء المحظور
وأشد تخبيطا منه من فاته العمل	٢٢٥ مذاهب الاثمة في الغناء
وتحصل على العلم	٢٣١ التغير عند الصوفية وأصل تسميته
٢٧٥ فصل في يسان أن السلف كانوا	٢٣٧ ذكر الادلة على كراهية الغناء
بيالفون في الاعراض عن المرد	والنوح والمنع منهما من القرآن
٢٧٦ فصل في بيان أن صحبة الاحداث	والسنة والمعنى
أقوى جبايل الشيطان	٢٣٧ الشبه التي تعلق بها من أجاز السماع
٢٧٧ فصل في عقوبة النظر الى المردان	٢٣٨ نقد المصنف على الصوفية في السماع
٢٧٨ تلبيسه عليهم في ادعاء التوكل	٢٤٠ احتجاجه على محمد بن طاهر اباحته
وقطع الأسباب وترك الاحتراز	السماع
في الاموال	٢٤٥ احتجاج المؤلف على أبي حامد
٢٨١ فصل في أن التوكل لا ينافي	الغزالي في اباحته السماع
الكسب والاخذ بالاسباب	٢٤٨ احتجاجه على القشيري في اباحته
٢٨٤ فصل في أن السلف كانوا يأمرؤن	٢٤٩ تكفير ابن عقيل لمن قال ان الدعاء
بالكسب	عند حدو الحادى مجاب
٢٨٥ فصل في بيان تشبث القاعدين عن	٢٥٠ تلبيسه عليهم في الوجد ونقد ذلك
التكسب بتعللات قبيحة وتفصيلها	٢٥٢ حال الصحابة عند سماع القرآن
والرد عليهم	والوعظ
٢٨٧ تلبيسه عليهم في ترك التداوى	٢٥٦ حال من لم يقدر على دفع الوجد
	٢٥٨ حكم التفتيق والطرب عند السماع

صحيفة	صحيفة
٢٨٨ تلبسه عليهم في ترك الجمعة والجماعة بالوحدة والعزلة	٢٣٠ تلبسه عليهم في كلامهم في العلم ونبذة من كلامهم في القرآن
٢٩٠ تلبسه عليهم في التخشع ومطاطاة الرأس واقامة الناموس	٢٣٧ كلامهم في الحديث وغيره وتأويلهم المخالف للنصوص
٢٩٢ تلبسه عليهم في ترك النكاح	٣٤١ تلبسه عليهم في الشطح والدعاوى
٢٩٥ الاضرار الذي يعترى تارك النكاح	٣٥٠ جملة مروية من أفعالهم المنكرة
٢٩٦ تلبسه عليهم في ترك طلب الاولاد	٣٦٢ فصل ومن الصوفية الملامية
٢٩٧ تلبسه عليهم في الاسفار والسياحة	٣٦٣ فصل ومن المندسين في الصوفية الاباحية تشبهوا بهم حفظاً لسماتهم
٢٩٨ فصل في الخروج عل الوحدة	٣٦٤ شبه الاباحية وهي ستة ونقدها
٢٩٩ تلبسه عليهم في دخول الفلاة بغير زاد	٣٦٩ حكاية مذهب ابن خفيف البغدادي شيخ الصوفية
٣٠٣ سياق ما جرى للصوفية في أسفارهم وسياحتهم من الافعال المخالفة للشرح	٣٦٩ سب نفور أهل العلم من المتصوفة
٣٠٣ حكاية أنى حمزة حين نزل في البر	٣٧١ ذم ابن عقيل لهم وحكاية أفعالهم
٣٠٥ بيان ما وقع لبعض الصوفية في سفره	٣٧٥ ما قيل فيهم من الشعر
٣١٧ تلبسه عليهم فيما يفعلونه اذا قدموا من السفر	٣٧٧ الباب الحادى عشر في تلبسه على المتدينين بما يقبه الكرامات
٣١٨ تلبسه عليهم إذا مات لهم ميت	٣٧٨ خبر الحارث الكذاب ودعواه النبوة
٣٢٠ تلبسه عليهم في تركهم التشاغل بالعلم	٣٨٠ فصل في المغترين بما يشبه الكرامات
٣٢٥ تلبسه على جماعة باعدأهم كتب العلم بالدفن وإلقائها بالماء	٣٨١ فصل في تحذير العقلاء بما يشبه الكرامات
٣٢٧ إنكارهم على من تشاغل بالعلم	٣٨٣ الحكايات الموضوعة في الكرامات
	٣٨٤ فصل في مخاريق العلاج وابن الشباس
	٣٨٧ (الباب الثانى عشر) في تلبسه على العوام

صفحة	صفحة
٣٨٧	تلبسه عليهم فى التفكير بذات الله تعالى من حيث هى
٣٨٨	تلبسه عليهم فى مخالفتهم العلماء ومنه تقديمهم المترهدين على العلماء
٣٨٩	ومنه اطلاقهم أنفسهم فى المعاصى
٣٩١	تلبسه عليهم فى اعتمادهم على أنسائهم
٣٩٢	تلبسه على العبادين أهل الفتوى
٣٩٣	تلبسه عليهم فى مجالس الذكر
٣٩٤	تلبسه عليهم فى الأموال والصدقة
٣٩١	تلبسه عليهم بالجرىان مع العادات
٤٠٠	تلبسه على النساء
٤٠٢	(الباب الثالث عشر) فى تلبسه على الناس أجمعين بطول الأمل